

والله نور عبّ المحمّد السّلفاني

مَصَادِرُ اللُّغَةِ

مَنْشُورَات

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الهدى

تسألني أهدى الهدى الكتاب ،
لأنها تجد فيه حبي ، ولم تدرك أنها
في السور من حبس القلب .
إلى ربني

المؤلف

تصدير

يتعين علينا ، ونحن نقدم تأليفا عن مصادر اللغة ، أن نشير الى قضية تناولها العلماء القدامى عن أصل اللغة ، هل هى توقيف والهام أم اصطلاح ووضع ،

وأغلب الظن أن الذين قالوا بتوقيفية اللغة هم أصحاب الرأى بأزلية القرآن ، وأنه غير مخلوق ، فوجب ليستقيم رأيهم هذا ، وليكونوا منطقيين مع أنفسهم ، أن يقولوا أن اللغة توقيف ، والهام ، ووحى .

كان أحمد بن فارس يقول بالتوقيف ، جاء ذلك فى كتاب الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) ثم يقول « والدليل على صحة ما نذهب اليه اجتماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ، ثم احتجاجهم بأشعارهم ، ولو كانت اللغة مواضعة واصطلاحا لم يكن أولئك فى الاحتجاج بهم بأولى منا فى الاحتجاج لوصطلحننا على لفسه اليوم ولا فرق » ونفى الاصطلاح الى زمانه وقال : « وخلة أخرى أنه لم يبلغنا أن قوما من العرب فى زمان يقارب زماننا أجمعوا على تسمية شىء من الاشياء مصطلحين عليه فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم » .

هذا كلام ابن فارس ، ولم يأت فيه بحجة بالغة ، ولا رأى مقنع ونحن نعلم أنه في كل وقت يجبع الناس على تسمية شىء من الاشياء مصطلحين عليه ، وهل الترادف الذي عرف فى العربية الا من اختلاف ألسنة القبائل ، وهل اختلاف الألسنة الا دليل التواضع والاصطلاح وليس ممن المعقول أن يصدر الترادف من ناطق واحد ، كل ما هنالك أن الدائرة التي أحاط بها بصر ابن فارس كانت من التحديد بحيث لم ير فيها وضعاً ولا اصطلاحاً .

وعقد ابن جنى في كتاب الخصائص حديثاً مطولاً تتلخص محصلته فى تأويل الآية الكريمة (وعلم آدم الاسماء كلها) أن الله أقدر آدم على أن واضع عليها وان بقى مشدوداً بسبب لطف العربية وجمالها الى الميل نحو التوقيف ، كأنه يقف بين الرأيين وذلك حيث يقول (واعلم فيما بعد أننى على تقادم الوقت دائم التنفير والبحث عن هذا الموضوع ، فأجد الدواعى والخوارج قوية التجاذب لى ، مختلفة جهات التغوُّل على فكرى . وذلك أننى اذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة ، الكريسة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والارهاف والرفقة ما يسلك على جانب الفكر حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر فقوى فى نفسى اعتقاد كونها توقيفاً من الله سبحانه ، وأنها وحى) .

ولابن جنى ، هذا العالم اللغوى الفيلسوف الفذ مكانة أوقفتنى مبهوتاً اتدبر هذا الذى يقوله ، وأراجع معه حجته ، ولم يطل وقوفى حتى وجدته قد مال عن رأيه هذا ، وعبر عن هذا التردد بقوله :

(... ثم أقول فى ضد هذا : كما وقع لاصحابنا ولنا ، وتنبهوا وتنبهنا على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة ، كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وان بعد مداه عنا - من كان ألطف منا أذهانا ، وأسرع خواطر ، وأجرأ جنانا فأقف بين التين الخلتين حسيراً) .

ولم يلبث أن وجد التفسير بعد أن مازج بين التوقيف والوضع بقوله : (ان الله أقدر آدم) وفي هذه الجملة وحدها - في رأيي - تفسير القضية - ولعله يعنى أن ناحية التوقيف هي ما تميز به الانسان من قدرة على التلفظ بعد فهمه للدلالة ، فالدلالة تواضع ، أما التلفظ فهي الميزة غير الغريزية التي زاد بها الانسان عن سائر المخلوقات ، فالانسان على اختلاف أجناسه وألوانه هو المخلوق الذي استطاع أن يدرك العلاقات بين الموجودات ، وأن ترتبط عنده اللغة بالفكر ، وفي هذا كان ارسطو دقيقا عندما عرف الانسان بأنه الحيوان الناطق وشرح الناطق بأنه المفكر •

والصوت من أبرز العلاقات الموجودة بين الكائنات ، حتى بدا لبعض العلماء ومنهم ابن جنى أن بعض الالفاظ مستمد من أصواتها في الطبيعة كدوى الریح ، وخريز الماء ، ومعنى هذا أن الذين اصطالحوا على اللغة ، قد أدخلوا في اعتبارهم الجرس الصوتي وان لم يجعلوا منه قاعدة عامة • وتأكدت بذلك قاعدة الوضع وليس التوقيف •

ويرى « ساير » أن الالفاظ هي مجرد صوتيات يميز بها الانسان تجاربه الحسية أو المعنوية ، ويخترنها لتكون مؤوته من المعرفة ومن وسائل الحصول على معارف أخرى ، ويتم التفاهم بواسطتها حين تطرق آذاننا بمجرد سماعها مشيرة الى نتيجة من نتائج التجربة المعروفة لدى القائل والسامع لانهما اصطالحا على أن يعطيها تلك الدلالة ، ولكي يتسم هذا الارتباط بين الاسم ومسماه يجب أن تتكرر التجربة المؤدية الى هذه المعرفة مرارا •

وعلى هذا الاساس فليس في اللغة شيء توقيفي الا هذه القدرة التي أودعها الله في ملكات الآدميين وميز الانسان بها عن الكائنات الاخرى

ب أما التبجيل الذى لف العربية بهالة من القداسة فمرده الى هذه الآثار الشامخة من الدين والفكر والادب التى سجلت بهذه اللغة .

والفارق بين العربية وبين اللغات الاخرى هو هذه الديمومة التى صاحبت العربية منذ نزل بها القرآن الكريم ، ونحن نعلم أن اللغات بصفاء عامة كالكائن الحى تولد مع الاحياء وتنسو بنسوهم ، وتتعرض لعوامل التأثير والتأثر باللغات الاخرى ، الا أن العربية قد وضعت فى سياق متين يسمح بخلودها ، ويسمح باستعدادها لتقبل المزيد دون أن يسمح بفقدان حرف واحد ورد فى القرآن الكريم . وعبر عن ذلك المستشرق ارنست رينان بقوله « ولست أدرى اذا كنا نستطيع أن نجد مثلاً آخر للهجة شقت طريقها فى العالم دون أن تمر بمرحلة بدائية ومراحل وسطى ودون تعثر » .

وعلى يوهان فك لخلود العربية بقوله « ان لغة القرآن قد صارت فى شعور كل مسلم أيا كانت لغته الاصلية جزءاً لا ينفصل من حقيقة الاسلام »

والقرآن الكريم هو الدافع الاول لرواية اللغة ، وابتعث ماضيها . وبقائها حية ، والقرآن أكثر المصادر طمأنينة وتوثيقاً للعناية الفائقة التى صاحبت نزوله ، فقد تفرغ نفر من الصحابة رضوان الله عليهم يتلقونه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً ، لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ، ولا اثباتاً ولا حذفاً ، ولا دخل عليهم منه شك ولا وهم ، ثم تناوله القراء بالعناية على النحو الذى سنفصله بعد - ثم جمع ودون مع بقاء روايته محاطة بالعناية الشديدة .

ومن خلال الشروح - وضع اللغويون أيديهم على كلمات أدركها القدم ، وكلمات عرفت لقبائل بعينها ، وعبارات تجرى على ألسنة العرب

لا يدركها تفعيد النحاة على النحو الذى ورد فى كتاب المجاز لأبى عبيدة
معمر بن المشنى وهو يعنى بالمجاز بيان الاساليب التى يستعملها القرآن فى
التعبير عن أغراضه . كما أشار اللغويون الى مواقع الذوق اللغوى فى
القرآن حين يكتفى عن الشئ بلفظ أرفع وأكثر تأدبا فى مثل ما ورد فى
قواه تعالى (ولكن لا تواعدوهن سرا) وقوله (أوجاء أحد منكم من
العائط) الى غير ذلك من الاساليب التى تفصلها فى البحث .

ولهذا جعلنا القرآن الكريم على رأس مصادر العربية . ونحن نعلم
أنه يأتى فى مرحلة تالية زمنيا لبعض المصادر الاخرى ، فهو أهمها وليس
أقدمها - ذلك لأن العرب وان اختلفوا فيه ككتاب دين ، فلقد اتفقوا على
عربيته المعجزة ، ولخلوص عربيته كان الفخر الرازى يقول متعجبا : اذا
جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول فجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى .

وبالباب الثانى (رواية الحديث) وصلته بمصادر العربية لا يأتى فى
المرتبة الثانية بعد القرآن ، ولا يأتى كذلك فى المرتبة الثانية تاريخيا .
ذلك أن كثرة من اللغويين لا يعتمدون على الحديث فى مجال الرواية
اللغوية للآفات الثلاث التى صاحبت روايته من الناحية اللغوية وهى الرواية
بالمعنى ، والتصحيح ، والوضع . فكان سفيان الثورى يصرح بأنه يروى
الحديث بالمعنى ، وقد أتيح ذلك لمصلحة تحصيل الحكم منه .

وتشابهت الكلمات المصحفة حتى غمت على رجال اللغة أنفسهم -
وذكر ابن منظور مثل هذا الاختلاف وهو يروى الحديث (اتقوا على
أولادكم قسحة العشاء) قاله أبو عمرو بن العلاء بالقاء ، وقاله عيسى بن
عمر الثقفى بالقاف . ويتعدد هذا فى الحروف المتماثلة فى الخط المختلفة
فى النقط .

أما الوضع فكان وسيلة الفرق حين توزعت أهواء المسلمين السياسية والمذهبية واشتدت بيئة العراق بذلك ، وإذا ذهب الخوارج مثلاً فى سبيل تأييد مذهبهم الى وضع الحديث ، فإن الذين فاؤوا الخوارج قد لجأوا الى نفس الوسيلة . يقول المبرد : كان المهلب ربما صنع الحديث يشد به من أمر رجال الدولة ، ويضعف من أمر الخوارج ، فكان حتى من الازد يقال لهم النذب اذا رأوا المهلب رائحاً اليهم قالوا : راح المهلب يكذب .

ومن العلماء من وضع الحديث ترغيباً فى الدين ، وجره حسن المقصد الى تبرير الوضع وكأنه يضع الحديث حسبة . واستفاضت هذه الآفة على ألسنة رجال حسن مقصدهم لكونهم لا يعانون صناعة أهل الحديث . من وجوب الثبوت والتخرج ، فنشطت على الاثر حركة تنقية الحديث . فأخرج الحافظ الحسين بن ابراهيم الجوزقانى كتاب (الاباطيل) وكتب أبو الفرج بن الجوزى كتاباً فى الاحاديث الموضوعة ، أسماه « كتاب القصص والمذكرين » أشار فيه الى جنائى القصص فى وضع الحديث كما ألف كتاب « الموضوعات » وفيه فصول عن القصص وأكاذيبهم ، وكذلك حمل شيخ الاسلام تقى الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية حملة شعواء على القصص الذين روجوا بضاعتهم بالاحاديث ، وله فى هذا كتاب « أحاديث القصص » والسيوطى عدة مؤلفات فى تنقية الحديث والاشارة الى الموضوع منها .

ولكن لم تمض هذه الآفات من غير فائدة، فقد وردت بعض الاحاديث ملحونة نتيجة لشوب الرواية — وبديهي أن النبى صلى الله عليه وسلم أسمى العرب حديثاً — فكان بعض الرواة وأصحاب المعرفة بالعربية يقيمون اعراب الحديث ، ويصلحون ما فيه من لحن — بدأ ذلك النضر بن شميل . وكان الاوزاعى يوصى باصلاح الحديث ويقول : اعربوا الحديث فان القوم كانوا عرباً ، وكان الشعبى يصرح بتغيير شكل الحديث ليستقيم اعرابه .

ولكن الامر فى الحديث كمصدر من مصادر العربية لم يترك جملة ، فقد تناوله أصحاب المعاجم ، واحتجوا به ومن غير أصحاب المعاجم احتج به أبو زكريا الفراء ، وابن قتيبة وآخرون . كما أثرت العربية من خلال الشروح والتفسيرات التى تناولت الحديث - ذلك أن رجال الحديث كانوا يدركون أنهم يروون أثرا عربيا له خطره ، فكانوا يذهبون الى علماء اللغة فى سبيل التعرف على غريبه ، وكتب فى غريب الحديث جل علماء اللغة الى أن جاء أبو عبيد القاسم بن سلام ، فوضع كتابا جامعاً رغب فيه علماء اللغة والحديث والفقه جميعاً ، ثم حذا حذوه أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، وكتب الزمخشري كتاب الفائق فى غريب الحديث ، وأفاد من هذه الكتب ابن الاثير الجزري حين وضع كتاب « النهاية فى غريب الحديث والاثار » ، وجاءت بعض الاحاديث على لهجات القبائل كحديث صلوات الله وسلامه عليه ، الى رؤساء اليمن وغيرهم ، فاشتملت على كلمات عرف بها الشراح كابدال النون من العين فى أعطوا حيث يقولون (أنطوا) وابدال لام التعريف ميما كما جاء فى الحديث (ليس من امبر امصيام فى امسفر) ...

والحديث لا يحتل المركز الثانى من مصادر العربية ، ولكن تداعى الخواطر أمام القرابة الواشجة بين القرآن والحديث ، ومجىء التعاليم مجملة فى الكتاب وقيام السنة بتفصيلها تسائلت عن دور الحديث بين المصادر ، وتفرض عليك بيان الوجه فى هذا الترابط . ولهذا وحده أفردنا له الباب الثانى .

وكان الشعر أغزر المصادر ، وأوسع الاوعية التى أمدت العربية بالمدد الواسع وهو أقدمها أيضاً ، وإذا كان الذين أرخوا للشعر الجاهلى لا يستطيعون الغوص وراءه الى أكثر من قرن ونصف قبل الاسلام فانهم لم ينفوا قيامه قبل ذلك بكثير .

والكثرة الكاثرة يضعون الشعر فى المرتبة الاولى من مصادر العريية، ولا يغير من أهميته وسعته أن وضعناه فى الباب الثالث للاعتبارات التى نوهنا عنها ، تناولنا الشعر فى الجاهلية بشئ من الايجاز لأنه صريح العروبة ، والذين حاولوا افتراض الشك فيه كمنهج من مناهج الدراسة تلقوا من الرد على هذا المنهج ما أشبع الموضوع بحثا .

ولم نكتف بمثل هذا الايجاز فى الفترة الاسلامية حين تطالعنا النصوص بقضية ضخمة تستند الى خبر منسوب لعمر بن الخطاب يقول فيه (لقد كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه) ثم تجد تعقيبا لمحمد بن سلام الجمحي على هذا الخبر يقول فيه (فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهمت عن الشعر وروايته) تمهلنا فى قبول هذا التعليق ، ونحن نتصور وفرة الشعر بسبب الدواعى الى قوله : معارضة للدعوة ، أو تأييدا لها ، وهجرة الى مواطن أكثر أمنا ، وحربا تدور بين العرب والعرب ، ورثاء للقتلى ، ووفودا تأتى مستكشفة أمر هذا الدين ، الى غير ذلك .

وكان الراشدون يعنون بالشعر ، وفى مقدمتهم عمر رضوان الله عليه ، لم تلهم الخلافة وأعباء الفتوح عن الخوض فيه ، واذا كان هذا الشعر يرتبط بالدعوة على وجه من الوجوه ، فإن المنازع الى قول الشعر فى الجاهلية قد عاشت فى البادية لم تتأثر بالدعوة فى كثير . فالاعشى الذى أعد قصيدته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم بالخروج اليه ليعلن اسلامه ، كان مجيئه استمرارا لمسلكه فى الجاهلية حين كان يتجر بالشعر ، وللحطية من الاخبار ما يدل على أعراية جافية ، ثم كانت عودة الى العصبية الجاهلية حين قامت الدعوة الاموية - بالاضافة الى ذبوع شعر الغزل فى الحجاز وقيام الهجاء بالعراق ، والمديح بالشام ، والهراس

بين الفرق المختلفة شيعة وخوارج ومرجئة وشعوبية ... على النحو الذى فصلناه فى البحث .

كان لا بد لنا أن نتوقف أمام تفسير محمد بن سلام الجمحى للخبر الذى نسب الى عمر بن الخطاب ، وكان لا بد من فضل بيان عن الشعر فى هذه الفترة وهو جل بضاعة الرواة فى سبيل بحثها عن اللغة ومصادقها حتى بدا لنا أننا أطلنا الحديث عن الشعر وكأننا نعالج قضية أدبية ، وترددنا فى الابقاء على هذه السعة ، أو الاكتفاء بالإشارة إليها فى الهوامش ، فلما حاولنا الاقتضاب خشن البحث ، وصعب تناوله فيسرناه بقليل من الاطناب نستريح اليه من جفاف البحث البحث الى تروية الرواية المفصلة .

وجاء علماء اللغة - وأصبحت الرواية اللغوية علما تعد له الاصول ، ويشترط فيه الاركان ، كان علينا أن نبين نشأة هذا العلم ، واتجاه علمائه فى البصرة بادىء الامر ، ثم فى الكوفة على أثرها ، قبل أن يأخذ سبيله الى بغداد والامصار الاخرى فحين دعت الدواعى الى جمع العربية ، وتدوينها ، نشطت لذلك بادىء الامر مدرستان الاولى فى البصرة ، والثانية فى الكوفة ، وعماد المدرستين التسليم بما نطق به العربى الخالص العروبة - والاصل الوحيد المدون ، والمتفق عليه هو القرآن الكريم ، وهو أصل لا يجمع كل ألفاظ العربية ، فذهب كل فريق يلتمس اللغة من أفواه خلص الاعراب ، ولهم فى ذلك رحلات الى قلب الجزيرة استمعوا فيها الى كل ما صادفهم من غير تمييز ما دام قد تحقق شرط البداوة أو خلوص العروبة فنقلوا عن رجال ، ونساء ، واماء ، وصبية ، ومجانين .

وأراد بعضهم أن يستوثق الى ما نقل فدون الى جانب الكلمة بعض العبارات التى تشير الى موطنها أو قبيلتها ، كأن يقول : سمعت كذا من

صبية يرتجزون ، أو رأيت امرأة تسأل بمنى ، أو سمعت سروية مستجدية بمكة تقول كذا وكذا . وذهب بعضهم يتبع الكلمة بشاهد من الشعر أو الرجز يقوم حفظه مقام تدوينه ، أو تدون الكلمة والشاهد زيادة فى التوثيق ، وقد ينسب الشعر أو الرجز لقائله ، وقد يترك غير منسوب الى أن يأتى الشراح بعد ذلك فيكملون هذا النقص ، ولكن هل يصلح هذا العمل بصورته هذه ليكون أصلا من أصول اللغة ؟ وما رأى فيما أسفر عنه هذا الجمع من شواذ يصعب دركها تحت شعار نادوا به وهو أن كل ما يقوله العربى أصل من أصول اللغة ؟

لقد كان أوائل اللغويين من الغلو بحيث كانوا يمتدحون العالم يحفظ الكثير من غامض اللغة أو غريبها ، كان الزبيدي يصف يحيى بن يعمر بأنه (كان فصيحاً عالماً بالغريب) ، وكان الغريب بغية الاصمعى من المربد ، وألف فيه كتاباً باسم غريب الحديث والكلام الوحشى ، وعنوا بالنوادر أيضا على أنها الفرائد لا تجرى مجرى المطرد المقيس دائما .

ولكن العقلية البشرية ما لبثت أن ظهرت ممازة عن الدراسات التي نشأت وعاشت فى العراق ، كانت الدراسات اللغوية فى البصرة تختلف اختلافا واضحا عنها فى الكوفة ، فلقد تهيأت الاسباب للثقافة اليونانية أن تأخذ مكانها فى اقليم ميسان قبل أن تبنى فيه مدينة البصرة ، وأتيح للجنس اليونانى أن يعيش هناك ، وتكونت بها جاليات تعمل فى البحرية التجارية ، وكانت هذه الجالية تدين بالمسيحية ، ويصطنع رؤساؤها الجدل تبشيرا بهذا الدين أو دفاعا عنه ، وكثير من الكتب التي ظهرت فى البصرة تشير الى سبق علمى ذهب كثير من العلماء فى تعليله الى أنه أثر من أثر الثقافات التي انتقلت الى البصرة من هندية وهلينية ، وتأثرت بها العقلية البصرية ، ككتاب العين المنسوب للخليل ، وكتاب سيبويه فى النحو ، ومجاز القرآن لأبى

عبدة ، ولقد قام حول هذا الكتاب الاخير اختلاف كبير لأنه آثر الناحية العقلية على الناحية النقلية •

وجد البصريون أن الاحاطة بكل شيء أمر لا يمكن دركه ، فكان أبو عمرو بن العلاء يجمع اللغة تحت كليات مطردة ، حتى سأله سائل : أخبرني عما وضعت مما سميت عريية أيدخل فيه الكلام كله ؟

فقال : لا •

فقال : فما تصنع فيها خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟
قال : أعمل على الاكثر ، وأسمى ما خالفني لغات •

ولكن الكوفيين لم يروا هذا الرأي ، وجوزوا القياس على كل ما سمع من العرب • ولكن لا يجب أن نحمل العقل البشرى فوق طبيعته ، ولا نتنظر حتى من اولئك الذين كانت تسعفهم سليقتهم بأسباب الاستظهار أن يحفظوا العريية كلها ، ولا أن يجمعوا الى الستهم السنة القبائل الاخرى وان تعملوا لذلك أشد العمل •

لقد بدأ جمع اللغة في البصرة ، فحاول الرواة وضع مجاميع لكل موضوع ، وحاول الخليل بن أحمد جمع المستعمل من اللغة كلها في كتاب ، ولم يأت كلام الرواة جميعا متفقا كوقع الحافر على الحافر ، فاستعان أكثرهم بشواهد من كلام العرب ، لم تأت هي الاخرى فوق مستوى الشبهات ، فقد تغير لسان زيد بن كثوة بالرغم من اتخاذ منزله بين البادية والحاضرة ، وكذلك اتهم الفقعسي ، ولأن لسان أبي خيرة ، وكان رؤبة يزخرف الكلام ليونس بن حبيب الى غير ذلك • فاختلفت معايير التوثيق عند العلماء الرواة •

كان أبو عمرو لا يرى الشعر الا للجاهليين ، ولا يحتج بشعر اسلامي وان أعجب بجرير والفرزدق ، وكان الاصمعي يوثق الشاعر ويحتج به ، ولا يراه كذلك فى خصوصية أخرى ، بل لم يكن الشعر الجاهلى متقبلا عنده بصفته المطلقة فلقد عاب عدى بن زيد ، وأبا دؤاد الايادى لأن ألفاظهما ليست بنجدية ، وكان ابن أحمر الباهلى شاعرا جاهليا أدرك الاسلام ، وكان يعيش فى أفصح بقعة من الارض — يذبل والقعاقع — ولكنه أتى بألفاظ غريبة لم تعرف عند غيره . وحار فيها اللغويون فلم يستطيعوا العزوف عنها ، ولا الاسراف فى تناولها — وبسبب نشأته الخالصة العروبة كان ابن جنى يعلل لتوثيقها بقوله « ربما أخذها عنى ينطق بلغة قديمة لم يشارك فى سماع ذلك منه ، واما أن يكون شيئا ارتجله ابن أحمر فان الاعرابى اذا قويق فصاحته ، وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد قبله »

ومثل هذا تجده عند أمية بن أبى الصلت حين كان يأتى فى شعره بألفاظ لا تعرفها العرب ، فلا يستطيعون دفعها لأنه كان أشعر ثقيف — ووقفوا أمامها بين الاعجاب والحيرة فكان الكميث يقول : أمية أشعر الناس قال كما قلنا ، ولم نقل كما قال . وقال الحجاج : ذهب قوم يعرفون شعر أمية . وبسبب الغيبات التى بدت فى شعر أمية كان ابن قتيبة يقول : علماؤنا لا يحتجون بشيء من شعره لهذه العلة .

وفى العصر الاسلامى نجم من الشعراء الفصحاء أمثال بشار ، وأبى نواس أما الاول فكان يملك حسا دقيقا يدرك به خصائص الشعر الجاهلى ، وكانت جلة الرواة تعظمه ، ولكن تأخر أيامه كانت سببا فى توقف بعض الرواة عن الاحتجاج بشعره ، فكان الاصمعي يقول : والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم أما أبو نواس فقد تسلىح بالرواية الغزيرة ، وهو يحكى بعض ذلك فيقول : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة

من العرب منهم الخنساء ، وليلى ، فما ظنك بالرجال » وشهد له الجاحظ فقال : ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبى نواس ، ولا أفصح لهجة مع حلاوة ، ومجانبة للاستكراه ، ولكن يبدو أن ما أشيع عليه من المجون كان سببا فى عزوف رواة اللغة عن شعره .

والشعر — وهو أوسع مصادر اللغة قد دخله الريب — بسبب مملك بعض قائله أنفسهم — حين أحسوا بأن هناك من ينتظرهم ليأخذ شعرهم — قالوا عن الكمية والطرماع أنهما كانا يسألان رؤية وأباه عن الغريب ، ثم يرى هذا الغريب بعد فى أشعارهما فى غير مواضعه ، وقد يرتاب فيه أيضا حين تسمع هذا الخبر عن رؤية وأبيه فتتساءل لماذا تعتمد هذان الرجلان استعمال الغريب والمباهاة به الا أن تكون اللغة قد داخلتها الصنعة ، فكان من صناعات أمثال العجاج ، ورؤية وأمثال الطرماع والكميت حين بدأ الجميع يحرصون على الغريب .

والشعر من وجه آخر ، ليس أمثل المصادر ، فقد يضطر الشاعر الى استعمال كلمة مكان كلمة فتأتى كطلب الوزن والقافية لا كطلب الدلالة التى يرجوها الشاعر ، فقد يستعمل العسل بدل الذوب وهما يختلفان .

والشعر أوسع الابواب لدخول التصحيف فى اللغة ، والمجال هنا أضيق من أن نعدد الامثلة ، وبحسبك هذا المثال ، فالبكرة النخيس هى بكرة من خشب قد اتسع ثقبها من الاستعمال ، فوضعوا فى ثقب البكرة خشبية ، وظل الجوهرى صاحب الصحاح يتردد فيها أهى بجاء مهملة أم بجاء معجمة الى أن سمع صحتها من أعرابى تيمى فضرب على شعر يخالف قول الاعرابى ، وقد يأتى التصحيف بمعنى أجمل ، ولكن هذا الوجه قد يفيد النقد ولكنه يدخل الشوب الى اللغة .

وبسبب الوزن والقافية رخص للشاعر بما لا يجوز في عموم اللغة ،
ومن ثم فلا يجوز ضبط اللغة أو قياسها على شعر شيب بضرورة ، وبعض
هذه الضرورات وصف بالقبح كقول علباء بن أرقم مبدلاً التاء من السين :

يا قبح الله بنى السعلات

عمرو بن يربوع شرار النات

غير اغفاء ولا أكيات

الى غير ذلك من زيادة في بنية الكلمة أو نقصان فيها ، أو خروج على
مألوف جموع التكسير - ونتيجة لذلك ارتابوا في كثير من شواهد
الشعر ، ومن حقهم أن يرتابوا بعد أن رأوا بعضه مصنوعاً ليؤدي غرض
الاحتجاج به ، رأوا شاهداً لحذف الفاء في جواب الامر ، فلما عرضوه
على الأصمعي صححه ، فلما سئل في ذلك وعن الرواية الأولى قال : (ان
النحويين صنعوها) والمبرد ونحن نعلم أنه من شوامخ العريية يختلق
شاهداً من الشعر في مجلس عيسى بن ماهان ، فلما افتضح أمره قال
لعيسى : (أتت أن أرد عليك من العراق ، وذكرى ما قد شاع فأول ما
تسألني عنه لا أعرفه) ولهذا تستطيع القول أن الشعر أوسع أوعية اللغة
وليس أوثقها •

وحديث الأعراب مصدر من أنقى المصادر العريية - ان سلم من
شوب الرواية - فحرص طلاب العريية في البصرة على أسماع الأعراب ،
وملاحظة مخارج الحروف ، وتعلقوا بمن نزل منهم البصرة الى أن قلت ثقة
الطلاب فيهم بطول مكثهم في الحضر ، وتعين عليهم أن يطوفوا في البادية
ليأخذوا عن أهلها •

كانت عادة قديمة ، أن يلتحق الصبيان ببعض القبائل الفصيحة

لينشأوا على ألسنتها ، كان محمد بن ادريس الشافعى يلزم هذيلًا فكانت
الفصحى من مناقب الشافعى ، وكان الامويون يرسلون بأبنائهم الى البادية
ليفصحوا ، وندم عبد الملك أن استثنى الوليد من هذه القاعدة فقال : أضر
بالوليد حبنا له فلم نرسله للبادية ♦

طوف طلاب العريية فى البادية ، وسمعوا من القبائل القريبة فى
البحرين ونجد ، وما لبثوا أن أوغلوا فى الحجاز ، رأوا وسمعوا من
الشيوخ والنساء والولدان جدا وهزلا ، عرفوا أطعمتهم ، وألوانها ،
وأسماءها - رأوا نبت البلاد غب الغيث اذا حنت عليهم الطبيعة ، واذا
حزبتهم فى الشظف والاعصار سمعوا أنسابهم الى آجال بعيدة واستقرت
المثالب فى أذهان الشعوبيين من الرواة فضايقوا بها العرب مشافهة أول
الامر ، وتدوينا من بعد ذلك وتداخل كل ذلك فى رواية اللغة ♦

عادوا بعلم غزير ، وبات رجل كأبى عمرو بن العلاء يضع نتيجة هذا
السعى فى ايجاز شديد بعد أن أحرق كتبه فقال : أفصح الشعراء لسانا
وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث : الجبال المطلة على تهامة مما يلي
اليمن فأولها هذيل وهى التى تلى السهل من تهامة ، ثم بجيلة ، والسراة
الوسطى وقد شركتهم ثقيف فى ناحية منها ، ثم سراة الأزد - أزد شنوءة
وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الازد - وحدد أبو
زيد القبائل التى اختارها فقال : « لست أقول قالت العرب الا اذا سمعته
من هؤلاء : بكر بن هوازن ، وبنى كلاب وبنى هلال أو من عالية السافلة
(نجد) أو سافلة العالية (المدينة) »

وللامثال دور فى مصادر العريية ، والعرب لا يعولون كثيرا على
الكتابة ولذلك فهم فى حاجة الى المؤثرات المقنعة فى مجال المشافهة واللقاء

— والامثال ابلغها تأثيرا فهي كما يحكى أبو هلال « من أجل الكلام وأنبه وأشرفه وأفضله لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها ويسير مئوتتها على المتكلم مع كبير عنايتها وجسيم عائدتها ، ومن عجائبها أنها مع ايجازها تعمل عمل الاطناب ، ولها روعة اذا برزت فى أثناء الخطاب ، والحفظ موكل بما راع من اللفظ وندر من المعنى . لذلك تناولنا الامثال بالقدر الذى تحتله فى مصادر اللغة .

ولدينا مصدر اقتحم على العريية دارها ، ودار فى فلکها ، ونطق به أوائلهم ، جاء منه فى القرآن الكريم ألفاظ اختلف فى أمرها الرواة ، فقالوا عريية ، وقالوا دخيلة ومعربة ، ومنهم من توسط بين القولين فقال عريية بتعريبها القديم دخيلة بغيرتها الاقدم ، فلما رجبت أرض العريية دخل الديوان فى هذه السعة ومعه رجال يزاجون بين اللغات ، ومن الطبيعى أن يدخل من هذا الباب ألفاظ تتصل بالمكايل والموازين والمساحة والزراعة والتجارة مما لم يكن للعرب به عهد . ومع حركة الترجمة التى بلغت ذروتها فى الدولة العباسية دخل الى العريية ألفاظ على هيئتها فى لغاتها الاصلية أو قيست على العريية ولبست ثوبها ، دار جزء من ذلك فى مسامع الناس ، وبعضه دار على السنة المشتغلين بالطب والفلسفة وغير ذلك ولهم فيها معاجم يعودون اليها ويديرون أبحاثهم على أضوائها .

كان من الممكن أن ينتهى كتاب (مصادر اللغة) باتهاء الباب الرابع، ولكن الفصحى سواء ما جاء منها فى التنزيل الكريم ، أو فى مجامع الكلم عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أو فى الشعر هذا الرافد الضخم ، أو كلام الاعراب والمتعربين انما انتهت جميعا الى حصيلة كما تتجمع الروافد لتصبح نهرا كبيرا .

كان هذا النهر الضخم هو المعاجم التى أخذت وجهين فى وقت واحد: هذه المجاميع أو الكراسات التى جمعها الرواة بحسب الموضوعات فى خلق الانسان ، أو الوحوش أو النبات ، أو فى كتب الصفات التى جعلت هذه الرسائل كتيبات فى كتاب كبير كما ظهر فى كتاب الصفات للنضر بن شميل، أو الغريب المصنف لأبى عبيد القاسم بن سلام ، أو كتاب الالفاظ لابن السكيت ، أو مبادئ اللغة للاسكافى وبلغت سعتها عند ابن سيده فى كتاب المخصص .

والوجه الآخر هذه المعاجم التى حاولت احصاء العربية كما ظهرت فى كتاب العين للخليل ، والجمهرة لابن دريد ، والبارع للقالى ، والتهذيب للأزهري ، والصحاح للجوهري ، والقاموس للفيروزبادى ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، فكان من تمام البحث أن نعرف بهذه الحصيلة التى كانت ثمرة الجهود لجمع اللغة .

تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه فجر الاربعاء الحادى عشر من شعبان سنة أربع وتسعين وثلاثمائة وألف من الهجرة الشريفة - الثامن والعشرين من اغسطس سنة أربع وسبعين وتسعمائة وألف .

الباب الأول
القرآن الكريم

الفصل الأول

لَمَّاذَا وَضَعْنَا الْقُرْآنَ أَوَّلَ مَصَادِرِ الرِّوَايَةِ

قد تقف كما وقفنا ، وتتساءل كما تساءلنا هل القرآن سبب من أسباب الرواية اللغوية ، أو مصدر من مصادرها ؟ وإذا كان سببا ومصدرا ولا يمنع أحدهما الآخر فلماذا وضعناه على رأس المصادر وهو يأتي تاريخيا بعد مصادر أخرى •

لقد تحدثنا في كتابنا (رواية اللغة) عن دواعي الرواية وكان على رأس هذه الدواعي ، تأويل القرآن الكريم ، ذلك ان القرآن كتاب المسلمين المقدس جاء بأصول هذا الدين ، وبين مبادئه ، وآدابه ، ونهض علماء المسلمين يستنبطون منه القواعد التي تنظم علاقات المجتمع ، والرسوم الدينية ، فوجدوا أنفسهم أمام اصول عامة عرضها القرآن فجعلوا يفسرونها من وجهة نظرهم ، واستفاضت نواحي التفسير وكان فيصل ما اختلفوا فيه هو مفردات العربية وتراكيبها وأساليبها على النحو الذي جاءت به على السنة العرب • وهو بهذا الوجه سبب من اسباب رواية اللغة •

وحين أصبحت الرواية اللغوية علما يستهدف التعرف على صحيح

العربية كما يستهدف جمعها اعتمدت على ما استطاعوا جمعه من الآثار ،
 واطمأنوا الى الشعر الجاهلى وما صدر من الشعر الاسلامى ، والآثار
 الادبية واللسانية الاخرى التى صدرت عن اعراب خلصت لهم هذه الصفة
 الى نهاية القرن الثانى الهجرى . وهم فى مجال هذا التوثيق وضعوا
 القرآن الكريم فى الذروة من مصادرهم على انه ارفع صور الكلام
 العربى . واذا كان الاستشهاد بالسماع قد انتهى بنهاية القرن الثانى ، او
 هكذا اتفق اكثرهم فان القرآن الكريم سيظل الى ما لا نهاية يسمع
 ويستشهد به على انه سيد الشواهد ولذلك شاعت العبارة (القرآن
 قاموس من لا قاموس له) بل انه الاثر الادبى الوحيد الذى بقيت روايته
 الى الآن ، محاطا بالناية التى تتمثلها فيما تمنحه مشيخة القراء من اجازة
 قراءته .

الامتحان العظيم

لم يتعرض المجادلون فى القرآن الكريم وقت نزوله الى شىء
 يتصل بعربيته ، وهم ان اختلفوا فيه ككتاب دين فلقد اجتمعوا مغلوبين
 امام اعجازه ، نزل على قوم يتصفون بالالسنه الحداد والدد فى الخصام
 - وتحداهم عز وجل ان يأتوا بسورة من مثله - فارهفوا له السمع وودوا
 لو استطاعوا مغالبته ثم استسلموا ضعافا يحاولون وصفه فلا يجدونه من
 فنونهم فما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وهو العربى اللفظ
 والاسلوب . وبقيت الفاظه كما يقول الراغب الاصفهائى (لب كلام العرب ،
 وزبدته وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء فى احكامهم
 وحكمهم ، واليها مفزع الحذاق والبلغاء فى نظمهم وثرهم) (1)

ونحن لا نضعه على رأس المصادر بسبب من قداسته ، ولا نستفتح به

(1) المفردات فى غريب القرآن ص 6 ط الحلبى .

الكتاب تبركا - ولكنه كان فى الحقيقة الى جانب هذا - قد اجتاز امتحانا عظيما امام خصومه من الاعراب ، وليس من التطويل ان أضع أمامك صورا من هذه الخصومة • كما اطمأن قلبى وأنا أضعه فى صدر الكتاب وعلى رأس المصادر لرواية العريسة •

لقد وصل الى شغاف قلوبهم فاستشعروا ضعفهم أمام اسلوبه المعجز وفواصله العذبة ، وبيانه الساحر ، فوضعوا أصابعهم فى آذانهم وتناهوا عن سماعه ، وقالوا قلوبنا فى اكثة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ، وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون - وكتب السيرة مليئة بما يمثل مظاهر تأثير القرآن عليهم - واليك بعض هذه الصور :

اجتمع الوليد بن المغيرة الى ثمر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم : يا معشر قريش : ان العرب ستقدم عليكم ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا ، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ، ويرد قولكم بعضه بعضا •

قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم رأيا نقل به •

قال : بل أنتم فقولوا أسمع •

قالوا : نقول كاهن •

قال : لا والله ما هو بكاهن • لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجمه •

قالوا : فنقول مجنون •

قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه ولا تخالجه ، ولا وسوسته •

قالوا : فنقول شاعر •

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه
ومبسوطه فما هو بالشعر •

قالوا : فنقول ساحر •

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم وعقدهم •
قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس • • ؟

قال : ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناه (ويقال لعذق) وما
أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا عرف انه باطل (1)

وهذا ابو الوليد عتبة بن ربيعة — وكان سيدا فى قومه — يعرض على
قريش ان يقوم الى محمد صلى الله عليه وسلم فى محاولة لصفه عن
غايته فقام اليه قائلاً : يا ابن أخى : انك منا حيث قد علمت من السطة
(المنزل الرفيعة) فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد اتيت قومك
بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفحت به احلامهم ، وعبت به آلهتهم • • • •
الى آخر ما اعدده من حديث — حتى اذا فرغ عتبة قرأ النبى صلى الله عليه
وسلم آيات من سورة فصلت فلما سمعها انصت لها والقى يديه خلف
ظهره فى هيئة المستسلم ، وقام عتبة الى اصحابه بوجه غير الوجه الذى
ذهب به • قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى انى سمعت قولاً
والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسر ، ولا بالكهانة
قالوا : سحرک والله يا أبا الوليد بلسانه (2) •

(1) السيرة لابن هشام 1 : 283

العذق = الكثير العشب ومن رواه غدق فمعناه كثير الماء

(2) السيرة 1 : 313

وهم اذا اجتمعوا حزموا أمرهم على الا يسمعون للقرآن ، حتى اذا تفرقوا نازعتهم. انفسهم الى ساعه فكانوا يتسللون خفية ، فاذا انكشفوا تلاوموا واقتسوا الا يعودوا - ذكروا ان ابا سفيان بن حرب ، و ابا جهل ابن هشام ، والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا . فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا . فلو رأيكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا . حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون . حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وتلاوموا ، وهكذا فى اليوم الثالث حتى اذا جمعهم الطريق للمرة الثالثة قال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد الا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا (1) .

ويصل الامر بالطفيل الدوسى بعد ان استمع لتحريض قریش و ايهامهم اياه بأنه قادم على رجل قوله كالسحر يفرق بين الرجل واهله ان يحشوا اذنه قطنا حتى لا يسمع كلام النبى ، ثم لا يستريح الى ما فعل و يعود الى نفسه فينازعها قائلاً : و اكل أمى - والله انى لرجل لييب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ حتى اذا سمع القرآن شهد الشهادة الحق واسلم (2) .

وكان عمر بن الخطاب من اقوى رجال قریش حتى تمنى النبى صلى الله عليه وسلم ان يسلم فما هو الا ان يسمع آيات من سورة طه حتى

(1) السيرة 1 : 337

(2) السيرة 1 : 408

يذهب الى النبي في مجلسه ويعلن اسلامه (1) وفي رواية اخرى يقول :
فلما سمعت القرآن رق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام (2)

هذه بعض الاخبار التي تصور وقع القرآن في نفوس العرب
ومظاهر تأثيره عليهم ، وحرى بنا بعد هذا الامتحان العظيم ان نضع القرآن
الكريم - الاثر العربي الخالص - على رأس مصادر الرواية ، وللرازي
كلمة في هذا السياق يقول فيها :

(اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول فجواز اثباتها بالقرآن العظيم
اولى ، وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الالفاظ الواردة في
القرآن فاذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به ، وانا شديد
التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا
على صحتها فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان اولي) (3) •

مدى خلوص عربية القرآن

موضوع التأثير والتأثر أمر معروف بين اللغات المختلفة التي ترتبط
بعلاقات تسمح به - والجزيرة العربية كانت ترتبط بالبلاد التي تحيط بها
بسبب الجوار والتجارة فلا غرابة ان تتأثر العربية باللغة الآرامية والحبشية،
والفارسية • فاللغة الآرامية على اختلاف لهجاتها كانت سائدة في كل بلاد
فلسطين ، وسوريا ، وبين النهرين ، وفي بعض العراق • واللغة الفارسية

(1) السيرة 1 : 367

(2) السيرة 1 : 369

(3) تفسير الفخر الرازي 3 : 193

كانت مجاورة للآرامية والعربية فى العراق ، وكان نفوذها قويا فى جزيرة العرب وجنوبها . واللغة الحبشية ومعها اللغة العربية الجنوبية المقاربة جدا للحبشية كانت تجاور العربية الشمالية فى جزيرة العرب نفسها (1)

ولقد ساعدت التجارة على التأثير والتأثر بين هذه اللغات ، فتجار مكة كانوا يتجرون مع الآراميين فى دمشق ، ومع الفرس فى الحيرة والمدائن ومع سبأ وحير فى اليمن - ولقد استطاعت بعض الكلمات اليونانية أو الرومية ان تنفذ الى العربية عن طريق الآرامية ، فال يونانية كانت لغة الادارة فى الدولة التى بسطت سلطانها على الشام وشمال غرب الجزيرة - ولقد تناول الاستاذ برجستراسر هذه القضية فى كتابه (التطور النحوى للغة العربية) وأشار الى بعض الكلمات التى تأثرت بها العربية من اللغات الاخرى - فمن الفارسية اصطلاحات الادارة كالديوان ، والرزق ، والمرزبان ، والدهقان ، والفرسخ ، والتاج - ومنها الفاظ دينية كالدين والجناح ، والمجوس ، والنيروز ، - ومنها أسماء الاشياء الخاصة بالعجم او المجلوبة من عندهم كالصنج ، والصولجان ، والفيل ، والجاموس ، والمسك ، وأسماء أنواع النسائج كالديساج ، والاستبرق ، والابريسم ، والطيلسان ، والقمط ، ومنها غير ذلك كالسراج والخندق (2) ومن الحبشية عربت الكلمات التى تعود الى اشياء تتصل بالدين فمن ذلك الحواريون ، وناقق ، ومنافقون ، وفطر ، ومنبر ، ومحراب ، ومصحف وبرهان (3) وكلمة فطر لم تؤد معنى الخلق فى العربية قبل مجيئها فى القرآن الكريم وهى فى الحبشية مألوقة فى معنى الخلق ، وربما لم يعرفها ابن عباس لهذا السبب فقال : ما كنت أدري ما فاطر السموات والارض حتى أتانى أعرابيان

(1) التطور النحوى للغة العربية 142 ط مصر سنة 1929

(2) المصدر السابق 143 و 144

(3) المصدر السابق 146

يختصمان فى بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها أى أنا ابتدأت حفرها (1) •

ومن الكلمات التى دخلت من الآرامية النباتات التى لا تنبت فى جزيرة العرب كالرمان ، والزيت - ومنها الخمر ، والكبريت ، والمرجان ، والبلور ، والسم - ومنها من أجزاء البيت والآلات الباب ، والقفل ، والزجاج ، والكيس والسكين (2) والسيوف ، والخاتم - ومنها ما يتعلق بإدارة الممالك كالسلطان ، والامة ، والعالم ، والمدينة ، والسوق ، والقسط - ومنها السبيل والساعة ومنها أكثر ما يرجع الى الكتابة والقراءة والتدريس بناء على كون العرب أخذوا الخط نفسه من الاقوام الآراميين ومن ذلك كتب ، وكتاب ، وقرأ ، والنقطة ، والصورة ، والتفسير ، والتلميذ - ومنها كثير من الالفاظ الدينية كرحمن ، وقيوم ، وسكينة ، وفرقان ، وملاك ، وصدى . وصام ، وتاب ، وزكا ، وزكاة ، وكفر ، وعبد ، وصلب ، وصليب . وزنديق ، ورجز . ودجال ... (3)

وبعض الكلمات التى دخلت العربية من الآرامية جاءت منقولة من لغة اخرى فمن ذلك الزنديق فان العرب أخذوا هذه الكلمة من العجم الذين أخذوا من الآراميين • • ويرجح برجستراسر ان كلمة قدوس أصلها آرامى ولكنها نقلت عن الحبشية لكثرة بناء فعول عندهم (4) •

(1) لسان العرب مادة ف ط ر

(2) يبدو ان السكين لم تكن معروفة عند الازد - ويروى ان ابا هريرة لما قدم من دوس عام خيبر لقي النبى صلى الله عليه وسلم وقد وقعت منه السكين فقال له (ناولنى السكين) فالتفت ابو هريرة يمينه ويسرة ولم يفهم ما المراد بهذه اللفظة فكرر له القول ثانية وثالثة وهو يفعل كذلك ثم قال : المدة تريد ؟ وأشار اليها فقبل له نعم فقال او تسمى عندكم سكيناً ؟ ثم قال : والله لم اكن سمعتها الا يومئذ - وذكر اللسان شيئاً مثل هذا فى مادة س ك ن

(3) التطور النحوى 149 (4) المصدر السابق 153

ولقد تناول ابن عباس - وهو من قدامى المفسرين - بيان بعض هذه الكلمات فقال : ان (ناشئة الليل) بلسان الحبشة اذا قام الرجل من الليل قالوا : نشأ . وسئل عن قوله (فرت من قسورة) قال : هو بالعريية الاسد وبالحبشية قسورة الى غير ذلك (1) وبدأ علماء اللغة يختلفون في مدى خلوص عربية القرآن .

عرض ابو عبيد القاسم بن سلام لهذه القضية وأشار الى اختلاف الناس فيها فذكر انه روى عن ابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ، وعكرمة وعطاء وغيرهم من اهل العلم انهم قالوا في أحرف كثيرة أنها بلغت المعجم منها قوله طه ، واليم ، والطور ، والربانيون فيقال انها بالسريانية - والهم اد ، والقسطاس ، والفردوس يقال انها بالرومية - ومشكاة . وكفلين يقال انها بالحبشية - وهيت لك يقال انها بالهورانية - قال : فهذا قول أهل العلم من الفقهاء (2)

وأشار الى فريق آخر يرى ان القرآن ليس فيه من كلام المعجم شيء يتأولون قوله جل ثناؤه (انا جعلناه قرآنا عربيا) ، وقوله (بلسان عربى مبين) قال أبو عبيد : والصواب من ذلك عندي - والله أعلم - مذهب فيه تصديق القولين جميعا وذلك ان هذه الحروف واصولها عجمية كما قال الفقهاء الا انها سقطت الى العرب فاعربت بالسننها وحولتها عن الفاظ المعجم الى الفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فهو صادق (3) .

وعقد ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فصلا فى كتابه فى التفسير

(2) المزهر 1 : 268

(1) تفسير الطبرى 1 : 14

(3) الصحاح 29

(عن الاحرف التى اتفقت فيها الفاظ العرب والفاظ غيرها من بعض أجناس الامم) فذكر أمثلة أسندها الى الفقهاء مما يدل على ان فى القرآن من غير لسان العرب ، ولكنه لا يرى ان اللفظ منقول من لغة اخرى ويقارب بين رأيه هذا وقول الفقهاء بأن بعضهم يقول : (حرف كذا بلسان العجم معناه كذا) (1) ثم يرتب على قول هذا البعض من العلماء أنه (لا يستنكر ان يكون من الكلام ما يتفق فيه الفاظ جميع أجناس الامم المختلفة اللسان بمعنى واحد فكيف بجنسين منها ؟ كما قد وجدنا كثير منه فيما قد علمناه من اللسان المختلفة + + + + مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى ، ونفل ذلك كذلك فى سائر اللسان التى نجهل منطقتها ولا نعرف كلامها + + +) (2) وهو لذلك لا يرى ان احد الجنسين اولى من الآخر بنسبة الاصل اليه الا بخبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صحته - والصواب عند الطبرى (ان يسمى اللفظ عربيا أعجميا أو حبشيا عربيا اذا كانت الامتان له مستعملتين - فى بيانها ومنطقها - استعمال سائر منطقها وبيانها) (3) *

ومحاولة الطبرى الالتزام بأن اللفظ عربى كما هو فارسى او حبشى عن طريق الاتفاق فمردود عليها بأن اللغات - كل اللغات - تقبل التأثير كما تؤثر فى غيرها اذا هيئت لها عوامل الاحتكاك ، والعربية نفسها قد أثرت تأثيرا واضحا فى فترة من الفترات بعد الاسلام فى الفارسية ، والاسبانية والتركية ، اما انها تأثرت باللغات المجاورة فيؤكدده ان الكلمات الدخيلة لم يكن لها وجود فى بيئته العربية ومجالها الجغرافى على النحو الذى فصلناه - والرأى عندى أنه لا يغير من عربية الكلمة أن تكون منقولة فى الاصل

(1) تفسير الطبرى 1 : 15

(2) المصدر السابق 1 : 15

(3) المصدر السابق 1 : 16

عن لغة أخرى ثم عربت واخذت شكل العربية فقبلت خصائصها وخضعت
لاشتقاقاتها كما لا يطعن في عربية القرآن ان استعمل بعض هذه الكلمات
وقد استعملتها العرب وظهرت دلالتها في آثارهم (1) *

العناية بالقرآن منذ أوحى به

القرآن الكريم كمصدر لغوى موثق لا يداينه مصدر آخر من مصادر
اللغة فقد تلقاه صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه على شغف
وانتظار يتابع جبريل في عجلة وتلهف حتى طمأنه الله عز وجل في الآية
الكريمة (لا تحرك به لسانك لتعجل به انا علينا جمعه وقرآنه) وكان
يستدنى الكاتبين فيأمرهم بتدوينه فكتبوه على عصب النخل ، والقصب ،
والرقوق وغير ذلك كما أوصى بقصر التدوين عليه فقال : (لا تكتبوا عني
شيئا سوى القرآن ومن كتب عني شيئا سوى القرآن فليحبه) (2) وحفز
الصحابة الى تعلم القرآن وتعليمه فقال صلى الله عليه وسلم (خيركم من
قرأ القرآن واقراه) و (أشراف أمتي حيلة القرآن وأصحاب الليل)
وجعل ذلك أفضل العبادات وأقرب السبل الى الله تعالى *

عني كثير من الصحابة به . تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفا
حرفا لم يهملوا منه حركة ، ولا سكونا ، ولا اثباتا ، ولا حذفًا ولا دخل
عليهم منه شك ولا وهم ، وكان منهم من حفظه كله ، ومنهم من حفظ أكثره ،
ومنهم من حفظ بعضه كل ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم (3) كما

(1) اقرا رأى ابي عبيدة وغيره وما كتبناه في هذا السباق في فصل
المعرب والدخيل .

(2) المصاحف لابي بكر السجستاني 4

(3) النشر 1 : 6

حفظ كل قطعة منه جماعة يبلغون حد التواتر (1) ثم تفرغ للعناية بكلام الله تفر تسموا بالقراء .

القراء

روى ابو نعيم فى كتابه حلية الاولياء عن مالك بن أنس أنه (كان بالمدينة سبعون رجلا من الانصار. كانوا اذا جنهم الليل آووا الى معلم لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن (2) .

لا يكاد التاريخ يمدنا بالكثير عن هؤلاء القراء نفترض لهم دورا خطيرا لا يقف عند حد استظهار القرآن كما يتبادر الى الذهن وانما كانوا يرمون الى جانب ذلك الى فقهه ، وفهم دقائقه ، واعداد أنفسهم للدعوة به وتعليم مبادئه - لا يكاد التاريخ يمدنا بالكثير عن هؤلاء القراء قبل حادثتى الرجيع وبئر معونة فى السنة الرابعة من الهجرة فقد روى عن قتادة انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عضل والقارة (وهما من الهون بن خزيمه بن مدركة) فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما وخيرا فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرئونا القرآن ويعلمونا شرائع الاسلام فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرا ستة من أصحابه حتى اذا كانوا على الرجيع - وهو ماء لهذيل بناحية من الحجاز - غدروا بهم (3) ووقع مثل هذا الحادث عند بئر معونة وقالوا فيه : قدم أبو براء بن عامر بن مالك بن جعفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض رسول الله

(1) المصاحف لابی بكر السجستاني 4

(2) حلية الاولياء 1 : 123

(3) تاريخ الطبرى 2 : 538

صلى الله عليه وسلم - ودعاه اليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الاسلام وقال:
يا محمد ، لو بعثت رجلا من أصحابك الى أهل نجد فدعوهم الى الله صلى الله عليه وسلم (انسى
رجوت أن يستجيبوا لك • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) انسى
أخشى عليهم أهل نجد (فقال ابو براء : أنا لهم جار فبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم سبعين رجلا فى رواية ، وأربعين فى رواية اخرى فغدروا
بهم (1) •

واذن فان وجود هذه الطبقة فى عهد الرسول مما يشير الى العناية
البالغة بالقرآن الكريم ، والاطمئنان الى سلامة روايته التى بلغت حدا لا
نستطيع ان نضع فى موازنته مصدرا آخر من مصادر الرواية اللغوية اذ
كانت مهمة القراء لا تقف عند مجرد الحفظ والاستظهار بل تتجاوز الى
فقهه وفهم دقائقه فتلك كانت وظيفة القراء ان يقرئوا الناس ويفقهوهم به
حين كان الرسول يبعثهم الى الجهات المختلفة فى الجزيرة من اجل هذه
الغاية •

جمع القرآن

كان القراء ايضا قوام حرب اليمامة ، فلما استحر القتل فيهم فزع
ابو بكر الى عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت فقال لهما (اقعدا (2) على
باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه) (3)

(1) السيرة لابن هشام 3 : 184 وانظر ايضا الطبقات الكبرى لابن سعد
وطبقات القراء ، والحلية لابی نعيم .

(2) اقعدا جمع وهما اثنان وكانت بعض اساليب العرب تجيز ذلك
انظر مجاز القرآن لابی عبيدة .

(3) المصاحف 6

ومن حديث لزيد بن ثابت نلمح كبر هذه المهمة وخوفه منها وتقديسه لها يقول (أرسل الى ابو بكر مقتل اهل اليمامة وكان عنده عمر) فقال : ان هذا اتاني فقال ان القتل قد استحر بالقراء وانسى اخشى ان يستحر القتل بالقراء في سائر المواطن فيذهب القرآن وقد رأيت ان تجمعوه * فقلت لعمر : كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : هو والله خير فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدره ، ورأيت فيه الذى رأى فقال ابو بكر : انك شاب (او رجل) عاقل وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تتهمك فاكته * قال فالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان باثقل على منه - فقلت لهما : كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال ابو بكر وعمر : هو والله خير فلم يزل ابو بكر وعمر يراجعاننى في ذلك حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدرهما ورأيت فيه الذى رأيا فتتبع القرآن انسخه من الصحف والعسب والخاف وصدور الرجال حتى فقدت آية كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها (لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية) فالتصمتها فوجدتها مع خزيمة بن ثابت فأثبتها في سورتها (1)

والى جانب هذه الرواية روايات اخرى تتحدث عن جمع القرآن ولكنها لا تكاد تخطى دور زيد بن ثابت الا الى زميله كاتب الوحي ايام الرسول (أبى بن كعب) *

من ذلك ما يرويه ابو العالية انهم جمعوا القرآن في مصحف في خلافة ابى بكر فكان رجال يكتبون ويملى عليهم أبى بن كعب فلما انتهوا الى هذه الآية من سورة براءة (ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم

(1) المصدر السابق 6 و7

لا يفقهون) ظنوا ان هذا آخر ما انزل من القرآن فقال ابى : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنى بعدهن آيتين (لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) قال فهذا آخر ما انزل من القرآن (1) •

وفى رواية ثالثة عن سالم وخارجة ان ابا بكر الصديق كان قد جمع القرآن فى قراطيس وكان قد سأل زيد بن ثابت النظر فى ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل (1) •

ومن خلال هذه الاخبار نستشعر الرغبة فى سؤال انفسنا هل كان زيد وأبى — وهما من كبار كتبة الوحى لا يحفظان القرآن كله حتى ذهباً يسألان عن هذه وتلك من آيات القرآن ؟ اما أبى فلقد كان من أصحاب المصاحف ذكر ذلك الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى فقال : انهم جمعوا القرآن من مصحف أبى ••• (2) وقد وصف السجستانى هذا المصحف وأفرد له فى كتابه (3) أما زيد فيقول فيه البغوى فى كتابه شرح السنة (ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى وكتبها له — صلى الله عليه وسلم — وقرأها عليه وكان يقرئ الناس بها حتى مات) (4) ولكن الامر كان اخطر من ان يقول كل بعلمه وان يكتفى فى ذلك بما سمع وحفظ وكتب فلم يكن من كتاب الوحى زيد وأبى وحدهما وان كانا فى الذروة منهم ، وحجم الموقف وجلاله يحتاج الى كل توثيق ومساندة والاستعانة بما حصل فى صدور الآخرين الى جانب ما حصلوا فى

(1) المصاحف 9

(2) المصاحف 30

(3) المصاحف 53 وانظر ايضا تاريخ القرآن للزنجانى 50

(4) تاريخ القرآن للزنجانى 17 — 18

صدورهم حين يراد جمع القرآن فى طمأنينة وأناة اشار الى ذلك الاستاذ الخضرى فى كتابه تاريخ التشريع الاسلامى فقال : وكان زيد بن ثابت من حفاظ القرآن وكتبة الوحى ، ومع ذلك لم يكتف بحفظه وكتبه بل استعان بصدور الحفاظ وصحف الكتاب وما كان مكتوباً فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واتم جمعه على مائتين من المهاجرين والانصار (1) .

وعلى هذا فلا يطعن فى تثبيت زيد وحفظه ان يسأل الناس ويستعين فى مهمته الكبرى هذه بأرائهم ، ألم يقل : لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل على منى ، خشية ما يعانى من التأثم والتخرج !

جمع القرآن أيام عثمان

كان لاجازة قراءة القرآن على مشهور السنة القبائل وجهه حين كان مرد ذلك الى الفطرة على الوجه الذى شرحه الشراح حول الحديث المشهور (انزل القرآن على سبعة احرف ٠٠٠) فلما تجاوز رحاب الجزيرة اختلفوا فيه وهم لا يرجعون فى امر هذا الاختلاف الى فطرة فطروا عليها ولا سليقة تسدهم بها طباعهم وانما قرأ الكوفيون عن عبد الله بن مسعود والبصريون عن ابي موسى الاشعري ، والشاميون عن أبى بن كعب والمقداد بن الاسود ، ولما جمعهم الجهاد صار كل منهم يظن انه اصح من صاحبه ولا حظ حذيفة بن اليمان اختلافهم وكان يغازى فى ارمينية واذربيجان ففرع الى عثمان فقال له : يا امير المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا فى الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى فقام عثمان فخطب الناس ونهاهم ان يسندوا قراءتهم الى القراء ثم قال : (فاعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله شىء لما جاء به) .

(1) تاريخ التشريع الاسلامى للخضرى 97

• كان الرجل يجيء بالورقة والادب فيه القرآن حتى جمع من ذلك كثره • ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدتهم : أسعيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملاه عليك ؟ فيقول : نعم • فلما فرغ من ذلك عثمان قال : من اكتب الناس ؟ قالوا : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت • قال : فأى الناس اعرب ؟ قالوا : سعيد بن العاص • قال عثمان : فليسل سعيد وليكتب زيد فكتب زيد • وكتب مصاحف فرقيها فسي الناس (1) وقيل : جمع اثني عشر رجلا من قریش والانصار فيهم أبى بن كعب وزيد بن ثابت (2) •

• الاخبار على اختلافها تكاد تجتمع على ان زيد بن ثابت كان في مقدمة المتنبئين لهذه المهمة الكبرى ومعه سعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعبد الله بن الزبير • وتدخل عثمان بأمره ورأيه حتى لا ينشأ الرأى وتفرق الكلمة فقال : ما اختلفتم انتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فاننا نزل بلسانهم حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف بعث عثمان الى كل اقل بمصحف من تلك المصاحف التي نسخوا وامر بسوى ذلك في صحيفة او مصحف ان يحرق (3) •

• كان عثمان يتعاهدهم فكانوا اذا تدارءوا فسى شيء اخروه • قال محمد : فقلت لكتبه • وكان فيهم فيمن يكتب : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه ؟ قال : لا • قال محمد : فظننت فلنا انسا كانوا يؤخرونها لينظروا احديثهم بالمرسة الاخيرة فكتبوها على قوله • واتهم زيد بن ثابت ورفاقه مهتهم لم يختلفوا الا في كلمة التابوت فرفعوا امرهم الى عثمان فقال اكثبوه (التابوت) فانه يدان قريش • كان زيد يقول (التابوه) •

(1) المصاحف 24

(2) المصاحف 25

(3) المصاحف 19

ومع هذا الذي تراه من حرص رجال الدولة وتمثيل العناصر الم
 لكتابة القرآن وجمعه فلقد كان من علماء المسلمين من يرقب هذا ال
 ويرى فيه رأيه حتى اذا اطمأن الى اتجاه عشان اعلن انه كان احق ب
 الجمع من زيد بن ثابت لا رغبة فى شهرة ، ولا استجابة لهوى ، ولا ج
 لمعارضة ولكن احساسا بأنه اكثر معرفة بالاسلام وبكتابه المقدس ا
 لواء هذه المعارضة الصحابي الجليل ومعلم اهل الكوفة عبد الله بن م
 ويكفيك تعريفا به شهادة النبي صلى الله عليه وسلم اذ يقول : (من
 ان يقرأ القرآن رطبا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد) (1) و
 رأى عمر فى عبد الله بن مسعود من خبر يحكيه الاعمش بسنده قال :

(جاء رجل الى عمر فقال : يا امير المؤمنين جئتك من الكوفة وتر
 بها رجلا يملأ المصاحف عن ظهر قلبه - قال : فغضب عمر وانتفخ حتى
 ان يملأ ما بين شعبتى الرجل قال : من هو ويحك ؟ قال : هو عبد
 ابن مسعود قال : فما زال يطفأ ويتسرى عنه الغضب حتى عاد الى حالته
 كان عليها ثم قال : ويحك والله ما اعلم بقى من الناس احد هو
 بذلك منه) (2) •

وجاء اهل الكوفة يوما الى عمر فأجازهم وفضل اهل الشام عليهم
 الجائزة فقالوا : يا امير المؤمنين تفضل اهل الشام علينا ؟ فقال : يا ا
 الكوفة اجزعتهم ان فضلت اهل الشام عليكم لبعد شقتهم وقد آثرتكم
 ام عبد (3) وقال فيه حذيفة : ما اعلم احدا اقرب سستا ولا هديا ودلا برس
 الله صلى الله عليه وسلم من ابن ام عبد (4) •

(1) المصاحف 137 وحلية الاولياء 1 : 124

(2) المصاحف 137 وحلية الاولياء 1 : 124 .

(3) اعلام الموقعين 1 : 13

(4) طبقات القراء 1 : 459

اما دفاع ابن مسعود وبيان احقيته فى مهمة جمع القرآن فيتضح من خلال كلمات عرفن عنه اذ يقول : لقد رأيتنى سادس ستة ما على ظهر الارض من مسلم غيرنا كنا نتعلم من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات فما نتعلم العشر التى بعدهن حتى نتعلم ما انزل الله فى هذه العشر من العمل — والله الذى لا اله غيره لو اعلم احدا اعلم بكتاب الله منى تبلغنيه الا بل لرحلت اليه .

فلما بلغه انتداب زيد بن ثابت اخذه الغضب وقال فى هيئة المستغرب: قرأت القرآن من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وزيد صبى ، افأترك ما اخذت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . على قراءة من يأمرنى اقرأ ٤٠٠٠ (١) .

ثم خطب الناس وقال : يا معشر المسلمين اعزل عمن نسخ المصاحف وتولاها رجل والله لقد اسلست وانه لفى صلب ابيه كافرا —

وما لبث ان هدأت ثورة ابن مسعود ورضى بما عمله عثمان ، وكان واضحا فى كثير من الاحيان ان القضية التى اثارها ابن مسعود تنحصر فى تقديم زيد بن ثابت بينما ابن مسعود من السابقين فى الاسلام ومن الذين اكثروا من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم — ثم انتهى الامر على جمع الكلمة : ومات عثمان وليس هناك ادنى اختلاف حول جمع القرآن وقال شعبة عن سمع سويد بن عقلة يقول : سمعت عليا يقول : رحم الله عثمان لو وليته لفعلت ما فعل فى المصاحف (٢) ويبدو ان اختيار زيد كان يعود الى انه حضر العرصة الاخيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) المصاحف ١٥ و ١٦

(٢) المصاحف ٢٣

رواية القرآن

نالت رواية القرآن الكريم عناية المشتغلين به ، وظلت روايته ا
آجال متتابعة ظاهرة المعالم ، بينة الاثر يمكن تتبعها متواترة حتى
سندھا بالنبي صلى الله عليه وسلم - ففى حياته صلوات الله عليه
القرآن جمع من الصحابة كان منهم من يحفظ الجزء والجزاء ، ومنه
حفظه كله وحفظ كل قطعة منه جماعة يبلغون حد التواتر (1) ثم تجرد
للقرآن واشتدت عنايتهم بها وتلمذ لهم كثير من الطالبين وتعددت القر
واتفقوا بادیء الامر على سبعة منهم هم :

ابو عمر بن العلاء ، ويعقوب بن اسحق الحضرمی بالبصرة - و-
ابن حبيب ، وعاصم بن ابى النجود بالكوفة - وعبد الله بن عامر الیحد
بالشام - وعبد الله بن كثير بمكة - ونافع بن ابى نعيم بالمدينة وهى
القرن الثالث حذف منهم يعقوب واثبت مكانه الكسائى (2) والذين يعر
بالقراء العشر يضيفون الى هؤلاء يعقوب الحضرمی ، وأبا جعفر یزید
القعقاع ، وأبا محمد خلف بن هشام •

ثم عرفت القراءات الاربع لمحمد بن محیصن المکى ، والاء
الكوفى والحسن البصرى ، ويحيى اليزيدى - والمشهور ان السب
متواترات ، والثلاث آحاد ، والاربع شواذ - ونحن نعرف بالقراء الع
وراويين لكل منهم بايجاز ، وهذا اقصى ما يحتمله البحث لان الذى ير
بعد ذلك عن الراوى يسمونه طريقا ، فيقولون مثلا : هذه قراءة نافع
رواية قالون ، من طريق ابى نسيط ولقد تعددت الطرق حتى جاو
الحصر •

(1) البرهان فى علوم القرآن للزركشى 11 و 541
(2) النشر 1 : 37 وانظر مقدمة ابراز المعانى لابی شامة

نافع بن عبد الرحمن 70 — 169

أخذ عن أبي ميمونة مولى أم سلمة ، وأجمع الناس عليه بعد التابعين .
وانتهت إليه رئاسة الاقراء بالمدينة ، وأخذ عنه مباشرة ورش (1) وقالون (2)

ابن كثير 45 — 120

هو أبو سعيد عبد الله بن كثير . لقي بعض الصحابة وترأس الاقراء
بمكة — حمل قراءته الهزى (3) وقنبل (4)

أبو عمر بن العلاء

هو شيخ الرواة . واستاذ جيله زبان بن العلاء بن عمار التميمي المازني
ولد بمكة وبدأ في طلب العلم صغيرا وقرأ القرآن بمكة والمدينة والكوفة

(1) هو عثمان بن سعيد القبطي المصري . ولد سنة عشر ومائة بمصر
ورحل الى نافع فعرض عليه القرآن عدة ختمات في سنة خمس
وخمسين ومائة ولما عاد الى مصر اتخذ له مقرا سمي مقرا ورش
انتهت اليه رئاسة الاقراء بمصر في زمانه وتوفي سنة سبع
وتسعين ومائة ترجمة رقم 2090 طبقات القراء .

(2) هو عيسى بن مينا الزرقى قارئ المدينة ونحوها . يقال انه ربيب
نافع وقد اختلف به كثيرا . سئل كم قرأت على نافع قال : ما لا
أحصى كثرة الا اني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة ترجمة رقم
2509 طبقات القراء .

(3) هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله : أسلم على يد السائب
ابن أبي السائب المخزومي ، وجلس للاقراء بمكة ومات بها سنة 250 .

(4) هو محمد بن عبد الرحمن بن خالد المخزومي بالولاء — كان اماما
متقنا انتهت اليه مشيخة الاقراء بالحجاز في عصره . ورحل اليه
الناس من الاقطار ، وولى الشرطة بمكة وكان لا يليها الا اهل العلم
والفضل — ولد سنة مائة وخمس وتسعين ، وتوفي بمكة سنة
مائتين وأحدى وتسعين .

والبصرة وسمع من شيوخ هذه البلاد انس بن مالك ، والحسن البصري وسعيد بن جبير وعكرمة مولى بن عباس ، ومجاهد ، وحميد بن الاعرج ، واما العالية رفيع بن مهران الرياحي ، وعاصم بن ابي النضر والحضرمي ، وعبد الله بن كثير المكي ، وعطاء بن ابي رباح ، ويحيى يعمر وغيرهم *

جمع الى قراءة القرآن معرفة واسعة باللغة والادب والنحو وقا يونس : لو كان احد ينبغي ان يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي يؤخذ بقول ابي عمرو بن العلاء - نظر في القرآن على ضوء ما وجمع من العربية ولهجاتها وبدت له بسبب ذلك وجوه من القراءات . لقد حفظت في علم القراءات اشياء لو كتبت ما قدر الاعشار (1) على ولولا ان ليس لي ان اقرأ الا بما قرئت لقرأت كذا وكذا وكذا وكذا وحروفا ولقد دق حسه اللغوي فخير اللهجات وميز بين قبيلة عربية اعرب فقال : (افصح الشعراء لسامنا واعذبهم اهل السروات وهن ذ الجبال المطللة على تهامة مما يلي اليمن فاولها هذيل وهي التي تلى الس تهامة ثم بجيلة السراة الوسطى ولقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ثم الازد - ازد شنوءة - وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن الازدي *) وابو عمرو يربط بين اللغة والدين ربطا شديدا حتى را اكثر من تزندق بالعراق كان لجهلهم بالعربية * وكانت رواية العري ابي عمرو شيئا يستعين به القراء والمحدثون فاذا بابى عمرو يطلبها

(1) هو سليمان بن مهران الاسدي بالولاء - تابعي مشهور اصله الرى ، نشأ وتوفى بالكوفة ، كان عالما بالقرآن والحديث والذى يروى نحو 1300 حديث - قال الذهبي : كان راسا في العلم والعمل الصالح - وقال السخاوي : لم ير السلاطين والملوك مجلس احقر منهم في مجلس الاعمش مع شدة حاجته وفقره

واتجه بها اتجاها منهجيا - يقول شعبة : كنت اختلف الى ابن ابي عقرب فاسأله انا عن الفقه : ويسأله ابو عمرو عن العربية فيقوم وأنا لا احفظ حرفا مما سأل عنه ولا يحفظ حرفا مما سألت عنه - وكان فسي طلبه للغة يمثل العقلية الثقيلة ، اكثر تسليما للعرب لا يرى الشعر الا للقدامى ولا يحتاج الا بهم يقول الاصمعي : جلست الى ابي عمرو عشر حجج ما سمعته يحتاج بيت اسلامي . واذا يعجب بشعر جرير والفرزدق وامثالهما فانه كان يمدح مولدا بالاضافة الى اشعار الجاهليين والمخضرمين (1) روى قراءته الدوري (2) والسوسي (3) عن اليزيدي عنه .

ابن عامر الدمشقي

هو ابو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبي . تابعي لذى وائلة بن الاشعث ، والنعمان بن بشير ويقول يحيى بن الحارث الذمري انه قرأ على عثمان رضى الله عنه - كان امام المسلمين بالجامع الاموى بدمشق فى أيام عمر بن عبد العزيز وقبله وبعده وكان يأتهم به وهو امير وجمع له بين الامامة والقضاء ومشیخة الاقراء بدمشق : ولا زال اهلا

-
- (1) الاصابة 1 : 542 وخزانة الادب 1 : 531 ومعجم الادباء 11 : 156 ترجمة رقم 1283 طبقات القراء .
- (2) هو ابن عمرو حفص بن عمرو بن عبد العزيز البغدادي الضرير امام القراءة وشيخ الناس فى زمانه - اول من جمع الفراءات ، رحل فى طلبها وفرا بسائر الحروف السبعة ، وبالشواذ وسمع من ذلك شيئا كثيرا توفى فى شوال سنة ست واربعين ومائتين ت 1159 طبقات القراء و 60 تاريخ القرآن .
- (3) هو ابو شعيب سالح بن زياد بن عبد الله الرقى اخذ القراءة عرضا وسماعا عن ابي محمد اليزيدي وهو من اجسل اصحابه وذكر الاهوازى انه قرأ على حفص عن عاصم ت 1446 طبقات القراء و 60 تاريخ القرآن .

الشام قاطبة على قراءة ابن عامر تلاوة وصلاة وتلقينا الى قرب الخمسمائة —
ورواياه عن اصحابه هما هشام (1) وابن ذكوان (2) .

عاصم بن أبي النجود

من التابعين ، شيخ الاقراء بالكوفة واحد القراء السبعة ، جمع بين
الفصاحة والاتقان والتجويد وحسن الصوت ، روى عن ابي رمثة التميمي
والحارث بن حسان البكري وكانت لهما صحبة روى قراءته شعبة (3)
وحفص (4) وتوفى سنة سبع وعشرين ومائة .

(1) هو ابو عمار — او ابو الوليد بن نصير السلمى اخذ قراءة ابن عامر
عرضا عن ايوب بن تميم ، وعراك بن خالد المري عن يحيى بن الحارث
الدماري ، عن ابن عامر وكان عالم اهل دمشق وخطيبهم ومفتيهم
ومقريهم ومحدثهم ، ارتحل اليه الناس في طلب القراءة والحديث
منهم ابو عبيد القاسم بن سلام ولد سنة ثلاث وخمسين ومائة
وتوفى سنة خمس واربعين ومائتين ت 3787 ط القراء و 61
تاريخ القرآن .

(2) هو ابو عمرو عبد الله احمد بن بشير الدمشقي اخذ قراءة ابن عامر
عن ايوب بن تميم عن يحيى بن الحارث الدماري ، انتهت اليه
مشيخه الاقراء بعد ايوب بن تميم ولد سنة ثلاث وسبعين ومائتين
وتوفى سنة اثنتين ومائتين تاريخ القرآن 61

(3) هو ابو بكر بن عياش بن سالم الاسدي الكوفي ، عرض القرآن على
عاصم ثلاث مرات وعلى عطاء السائب واسلم المقرئ ، وعمر دهره الا
انه قطع الاقراء قبل موته بمدة ، ولد سنة خمس وتسعين ، وتوفى
سنة ثلاث وتسعين ومائة ت رقم 1321 ط القراء .

(4) هو ابو عمرو حفص بن سليمان بن المغيرة البزاز ، تعلم القرآن
خمسا خمسا كما يتعلمه الصبي من المعلم ، وكان ربيب عاصم ابن
زوجته — نزل بغداد فاقرا بقراءة عاصم ، وجاور بمكة فاقرا بها ،
قال يحيى بن معين : الرواية الصحيحة التي رويت من رواية عاصم
رواية حفص — ولد سنة تسعين وتوفى سنة ثمانين ومائة ت رقم
1158 طبقات القراء .

أبو عمارة حمزة بن حبيب

كان امام الناس بالقراءة بالكوفة بعد عاصم والاعمش ، وكان حمزة قارئاً مجوداً حافظاً للحديث عارفاً بالفرائض والعريية ورعاً زاهداً ، وكان شيخه الاعمش اذا رآه يقول : هذا جبر القرآن ، ويقول حمزة : ما قرأت حرفاً من كتاب الله الا بأثر ، ولد سنة ثمانين وتوفي سنة ست وخمسين ومائة روى قراءته خلف (1) وخلاد (2) .

علي بن حمزة الكسائي

هو ابو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله مولى بنى اسد من ائمة الكوفة فى القراءات والنحو واللغة . قرأ القرآن على حمزة بن حبيب الزيات كما اخذ عن محمد بن ابي ليلى ، وعيسى بن عمر الهمداني - واخذ اللغة عن الخليل ويونس فى البصرة ، والنحو عن معاذ الهراء فى الكوفة ، وعيسى بن عمر فى البصرة ، قال ابو بكر الانباري اجتمعت فى الكسائي امور : كان اعلم الناس بالنحو واوحدهم فى الغريب وكان اوحد الناس فى القرآن فكانوا يكتبون عنه فيجمعهم ويجلس على كرسى ويتلو القرآن من اوله الى آخره وهم يسمعون ويضبطون حتى المبادئ والمقاطع .

(1) ابو محمد خلف بن هشام البرار (بالراء) الاسدى البغدady ، احد القراء العشرة واحد القراء عن سليم عن حمزة . حفظ القرآن وهو ابن عشر وبدا فى الطلب وهو ابن ثلاث عشرة ، وكان ثقة كبيراً زاهداً عالماً وله معرفة بالنحو مات سنة تسع وعشرين ومائتين ترجمة 1235 طبقات القراء .

(2) هو ابو عيسى خلاد بن خالد الشيباني الكوفى ، امام فى القراءة ثقة عارف ، محقق ، استاذ - اخذ القراءة مرضاً عن سليم وهو من اضبط اصحابه واجلهم وروى القراءة عن حسين بن على الجعفى عن ابي بكر ، ومن ابي بكر نفسه عن عاصم وتوفى سنة عشرين ومائتين ت 1238 ط القراء .

روى قراءته ابو الحارث ، (1) والدورى (2)

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي

تابعى جليل اخذ القراءة عن الصحابة وانتهت اليه رئاسة الاقراء بالمدينة فسمى القارئ ، قال أبو الزناد لم يكن بالمدينة أقرأ للسنة من أبى جعفر ، يقال انه قرأ على زيد بن ثابت ، قال الذهبى : ولم يصح - وقرأ على عبد الله بن عياش ، وأبى هريرة ، وعبد الله بن عباس وقرأ عليه نافع ابن أبى نعيم توفى سنة ثلاثين ومائة على أشهر الاقوال روى قراءته عيسى الحذاء (3) وابن جناز (4)

يعقوب الحضرمي

هو يعقوب بن اسحق بن زيد بن عبد الله بن ابى اسحق الحضرمي امام اهل البصرة ومقرئها - اخذ القراءة عرضا عن سلام الطويل ، ومهدى ابن ميمون ، وابى الاشهب الطاردي وآخرين - روى عن سلام حرف ابى عمرو بالادغام ، وسمع الحروف من الكسائى ومحمد بن زريق الكوفى عن

(1) هو الليث بن خالد البغدادي ، عرض على الكسائى وهو من جلة اصحابه وروى الحروف عن حمزة بن القاسم الاحول وعن اليزيدى وروى عنه عرضا وسماعا سلمة بن عاصم صاحب الفراء ومحمد بن يحيى الكسائى الصغير ، والفضل بن شاذان ، ويعقوب بن احمد التركمانى توفى سنة اربعين ومائتين .

(2) سبق التعريف به فى رواية ابى عمرو .

(3) هو ابو الحارث عيسى بن وردان المدني محقق ضابط مرض على أبى جعفر وشيعة ثم عرض على نافع وعرض عليه اسماعيل بن جعفر ، وقالون ، ومحمد بن عمر الواقدي توفى فى حدود سنة ستين ومائة ت رقم 2510 طبقات القراء .

(4) هو أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز الزهرى ، عرض على أبى جعفر وشيعة ، ثم عرض على نافع ، وأقرأ بحرف أبى جعفر ونافع ، توفى بعد السبعين ومائة ت رقم 315 طبقات القراء .

عاصم ، وسع عن حمزة حروفاً يقول أبو حاتم السجستاني : كان يعقوب أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلمه ومذاهب النحو - مات سنة خمسين ومائتين (1) وروى قراءته رويس (2) وروح بن عبد المؤمن (3)

خلف

وقد سبق ان عرفنا به كراو على طريقة حمزة - وروى عن خلف اسحق بن ابراهيم (4) وادريس بن عبد الكريم (5)

- (1) طبعة النشر 11 وت رقم 3891 طبقات القراء .
- (2) هو ابو عبد الله محمد بن المتوكل اللؤلؤ البصري اخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي وهو من احدث اصحابه سئل ابو حاتم السجستاني عن رويس هل قرا على يعقوب ؟ قال : نعم قرا معنا وختم عليه ختمات وعلى روايته اعول - وروى عنه القراءة عرضاً محمد بن هارون التمار ، وابو عبد الله الزبير بن احمد الشافعي - توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين ت رقم 3389 طبقات القراء .
- (3) هو ابو الحسن روح بن عبد المؤمن بن عبده الهذلي ، بصري نحوي من اوثق اصحاب يعقوب روى الحروف عن احمد بن موسى ومعاذ ابن معاذ وابنه عبيد الله ، ومحبوب كلهم عن ابي عمرو ، توفي سنة اربع او خمس وثلاثين ومائتين ت 1273 طبقات القراء .
- (4) اسحق بن ابراهيم بن عثمان المروزي البغدادي وراق خلف وراوى اختياره عنه قرا على الوليد بن مسلم وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين ت رقم 723 ط القراء .
- (5) ادريس بن عبد الكريم الحداد البغدادي قرا على خلف بن هشام روايته وروى القراءة عنه سماعاً ابن مجاهد ، وعرضاً محمد بن احمد بن شنبوذ وابن مقسم وموسى بن عبد الله الخاقاني ومحمد ابن اسحق البخاري وآخرون . سئل عنه الدارقطني فقال : ثقة وفوق الثقة بدرجة . توفي سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ت رقم 717 طبقات القراء .

هذا تعريف موجز باصحاب القراءات العشر وراويين لكل منهم ، ولا
يعنى هذا التعريف حصرا بكل القراء فهم اكثر من هذا ، واذا ذكرنا راويين
مثلا لابي عمرو بن العلاء فقد اشتهر عنه سبعة عشر راويا هم : اليزيدي ،
وشجاع ، وعبد الوارث ، والعباس بن فضل ، وسعيد بن أوس ، وهارون
الأعور ، والخفاف ، وعبيد بن عقيل ، وحسين الجعفي ، ويونس بن حبيب ،
واللؤلؤي ، ومحبوب ، وخارجة ، والبهنسي ، وعصمة ، والاصمعي ، وابو
جعفر الرؤاسي •

واشتهر من روى عن اليزيدي الدوري ، والسوسي ، وابو حمدان ،
ومحمد بن احمد بن جبير ، واوقية ابو الفتح ، وابو خلاد ، وجعفر بن
حمدان سجادة ، وابن سعدان ، واحمد بن محمد اليزيدي ، وابو الحارث
ابن خالد •

ولقد كان في زمان السبعة من ائمة الاسلام الناقلين للقراءات عالم
لا يحصون (1)

واذا تفرع عن الرواة اصحاب الطرق تشعب بنا الحصر ، واطمأن
قلبك لهذا السياج المتين من السند الموثق الذي لا يدانيه سند لنص أدبي
آخر يمكن ان تستند منه العربية أصولها وروايتها الصحيحة •

(1) النشر 1 : 42

الفصل الثاني

العربية من خلال الشروح والقراءات

هل كان كل العرب يفهمون القرآن ويعلمون معانيه؟

يقول ابن خلدون في الفصل الذي عقده في (المقدمة) عن علوم القرآن في التفسير والقراءات : (واما التفسير فاعلم ان القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى اسلوب بلاغاتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جملا جملا وآيات آيات لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع ، ومنها ما هو في العقائد الایمانية ، ومنها ما هو في احكام الجوارح ، ومنها ما يتقدم ، ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له — وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين المجل ، ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منقولاً عنه) • (1)

وهذا الخبر يتضمن قضيتين :

(1) مقدمة ابن خلدون 214 ط مصر سنة 1274 هـ

اولاهما - ان العرب الذين نزل القرآن فيهم كانوا جميعا يفهمونه
بفرداته وتراكيبه اى من ناحية عبارته واسلوبه .
والثانية - ان القرآن كان ينزل متضمنا احكاما دينية يأتى بها مجمدة
فى كثير من الاحيان فكان النبى يفصلها ويبين مجملها الى غير ذلك مما كان
لا بد فيه من بيان الرسول ، فالرسول هو المفسر الاول للقرآن على هذا
الوجه .

فاما ما ذهب اليه ابن خلدون فى المسألة الاولى من ان العرب كانوا
يفهمون القرآن عند نزوله فيبدو انه يريد فهمهم لمجموعه لا لجسيمه ، واذن
فليس يطعن فى الحكم بفهمهم له ان تشذ عن مداركهم او مدارك بعضهم
بعض الالفاظ او العبارات ، واللغة اوسع من ان يحيط بها محيط او يلم
امرؤ بكل مفرداتها مهما بلغ من سعة المعرفة ولا ريب اذن فى ان العرب
- حتى اوسعهم ادراكا - لم يكونوا يملكون الاحاطة التامة بكل الفاظ
القرآن او تبين كل اساليبه على وجه دقيق معين ، فهذا هو ذا ابو بكر
الصديق وهو من افصح قريش يسأل عن قوله تعالى (وكان الله على كل
شئ مقبلا) فيقول : اى ساء تظلمنى واى ارض تقلنى ان قلت فى كتاب
الله ما لم اعلم (1) .

ولقد ذهب صاحب كتاب (مقدمة المباني) الى القول بان ابا بكر
رضى الله عنه عظم فى صدره القرآن وجل قدره عن ان يتكلم فيه لغير
موضع الحاجة التى لا بد منها ، ولم يأمن أنه ان أبدل بهذه اللفظة لفظة
اخرى لعلها لا تقع موقع الأولى فى ابلاغ الوصف .

وقال الزركشى مثل هذا القول فى مناسبة مشابهة فى كتابه (البرهان)
عندما سئل ابو بكر عن كلمة (الأب) فى قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال

(1) مقدمتان فى علوم القرآن . مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية
نشرهما آرثر جفرى ص 183 طبعة السنة المحمدية سنة 1954

قوله السابق - وقرأ عمر بن الخطاب الآية فقال : الفاكهة قد عرفناها فما الأب ؟ ثم قال : لعمرك يا ابن الخطاب ان هذا لهو التكلف . قال الزركشى (وما ذاك بجهل منهما لمعنى (الأب) وانما يحتمل - والله أعلم - أن الأب من الإلفاظ المشتركة فى لغتهما ، أو فى لغات ، فخشيا ان فسراه بسعنى من معانيه أن يكون المراد غيره . ولهذا اختلف المفسرون فى معنى الأب على سبعة أقوال) • (1) .

وأضاف الزركشى وجهين آخرين لتفسير موقف عمر أحدهما أن يكون خفى عليه معناه ، والثاني تخويف غيره من التعرض للتفسير بما لم يعلم .

ومع ما رأيت ، فائنا لا زلنا على رأينا أن العربية أوسع من أن يهيط بها محيط . يدلك على هذا موقف لعمر ايضا حين التبس عليه معنى (الحرج) فقال : ابغوا الى أعرابيا ، واجعلوه من بنى كنانة - مدليجيا فاتى براع من بنى مدليج فقال : ما الحرجة فيكم ؟ فقال : الشجرة التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية . فقال عمر : فكذلك قلب الكافر لا تصل اليه المعرفة والرغبة فى الاسلام كما لا تصل الراعية الى الموضع الذى التفت فيه الشجر . (2)

وسأل عمر مرة أخرى عن قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف) فقام شيخ من هذيل فقال : هذه لغتنا ، التخوف التنقص ، فقال : هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها ؟ قال : نعم شاعرنا أبو كبير يصف لاقته فيقول :

تخوف الرجل منها تامكا قردا

كما تخوف عود النبعة السفن (3)

(1) البرهان فى علوم القرآن للزركشى 295

(2) مقدمتان فى علوم القرآن 187

(3) تفسير البيضاوى الآية 46 من سورة النحل

ولابن عباس - ولا يشك أحد في صدق عريته وهو الذي كان يوصف بالبحر ، وترجمان القرآن ، مواقف متعددة في هذا السياق نذكرها في أماكنها من هذا البحث .

ولم يخلص هذا الأمر في مجموعه وجسيه الا للنبي صلى الله عليه وسلم بتوفيق من الله تعالى ليكون له مكان الصدارة ، وليلحم لواء التوجيه لقومه وهم لد ذوى السنة حداد . لقد كانت معرفته بالعربية تتجاوز القرشية التى نشأ فيها ولغة بنى سعد التى استرضع فيها وفوق ما جمع أولو الخبرة من الأسفار والتجارة ، لقد أوتى علما بلهجات القبائل مع فصاحة فيها ، وعلم غريبها فاستمع الى الوفود على اختلاف ألسنتها وفهم منهم حديثهم ، وأجابهم ، وكتب لهم على طريقته حتى استلفت ذلك نظر على بن أبى طالب فقال له يا رسول الله : نحن بنوا أب واحد ونراك تكلم الوفود بما لم نفهم أكثره . (1)

ولقد أوتى النبي صلى الله عليه وسلم حسن التأويل وصدرت عنه أنماط كانت بمثابة توجيه للصحابة والقائمين بالأمر من بعده أن يحذروا حذوها يقول البراء بن عازب : جاء اعرابى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : علمنى عملا يدخلنى الله به الجنة . قال (لئن كنت أقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة ، اعتق النسمة ، وفك الرقبة) قال : أو ليسا واحدا ؟ قال : (لا . عتق النسمة أن تنفرد بعنقها ، وفك الرقبة أن تعين فى ثمنها) . (2)

ولا يكاد صلوات الله عليه وسلامه يلحق بالرفيق الأعلى حتى تشتد الحاجة الى معرفة التفسير والتأويل ، ويلجأ الناس بادية الأمر الى الصحابة ، ثم الى الشعر ولهجات القبائل يستعينونها فهم ما غمض من القرآن .

(1) العقد الفريد لابن عبد ربه 2 : 31 وما بعدها

(2) مقدمة المبانى 190 .

في مجالس التفسير

التفسير بالمأثور

بدأ التفسير بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم يُلتمس عند الصحابة المقربين كعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل ، وسالم بن معقل ، وزيد بن ثابت كما كان يُلتمس عند القراء اذ كان هؤلاء جميعا أعمق للقرآن فهما وأكثر نفوذا في دقائقه واحاطة بإيماءاته وإشاراته فكان على رضى الله عنه يقول (لو أردت أن أُملى وقر بعير على الفاتحة لفعلت) (1) وقال : (والله ما نزلت آية الا وقد علمت فيم أنزلت ، وأين أنزلت ان ربي وهب لى قلبا عقولا ولسانا سئولا) (2) وقال في خطبة له (.. سلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية الا أنا أعلم أبليّل نزلت أم بنهار أم فى سهل نزلت أم فى جبل ..) (3)

وكان ابن مسعود يقول (لقد تلقيت من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة أحكمتها ...) (4) وذكر ابو عمرو الدانى فى كتاب البيان له باسناده عن عثمان ، وابن مسعود ، وأبى ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها الى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل . (5)

وعلى أيدي هؤلاء وأمثالهم بدأ تفسير القرآن يجتاز الجزيرة العربية منذ أخذت الفتوحات الاسلامية تضرب سلطانها خارج بلاد العرب ، فكان أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري حين أرسل واليا على البصرة من قبل عمر بن الخطاب يتخذ مجلسه فى مسجدّها ويقول لأهلها (ان أمير المؤمنين عمر بعثنى اليكم أعلمكم كتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وأنظف لكم طرقكم) (6)

(1) البرهان فى علوم القرآن 8	(2) حلية الاولياء 1 : 68
(3) تفسير القرطبي 1 : 35	(4) حلية الاولياء 1 : 125
(5) تفسير القرطبي 1 : 39	(6) حلية الاولياء 1 : 257

واتخذ أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي مجلسه في مسجد الكوفة وكان كما يقول علي بن أبي طالب قد (قرأ القرآن ثم وقف عنده وكفى به) (1) وقال مسلم : (والله لا أعلم أحدا تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بكتاب الله من هذا وأشار الى ابن مسعود) (2) وكان أبو الدرداء عويمر بن مالك يتخذ مجلسه في جامع دمشق ومن اقواله المأثورة (انك لا تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوها) وقال : (ان مما أخشى عليكم زلة العالم وجدال منافق بالقرآن ، والقرآن حق وعلمي القرآن منار كمنار الطريق) * (3)

واتخذ معاذ بن جبل مجلسه في حمص ، وكان عذر يشير الى علم معاذ بقوله (لو أدركت معاذ بن جبل ثم وليته ثم قدمت على ربي عز وجل فقال لي : من وليت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قلت : سمعت نبيك وعبدك صلى الله عليه وسلم يقول « معاذ بن جبل بين يدي العلماء طائفة يوم القيامة » * (4)

وكان ابو عبد الله حذيفة بن اليمان يؤدي هذا الدور في المدائن .

وقد اتخذوا من القرآن وبيانه وسيلة الى التعريف بحقيقة الاسلام وسببا الى شحذ العاطفة الدينية كما كان هؤلاء القراء يقومون بالافتاء ، واطلق عليهم : أهل الفتوى — يقول ابن خلدون : ان الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم وانما كان ذلك مختصا بالحاملين للقرآن ، العارفين بناسخه ومنسوخه ، ومتشابهه ومحكمه وسائر دلالاته مما تلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم * (5)

(1) حلية الاولياء 1 : 129

(2) غاية النهاية في طبقات القراء 1 : 459 ت 1914

(3) حلية الاولياء 1 : 211 و 213 و 219

(4) حلية الاولياء 1 : 229

(5) مقدمة ابن خلدون 422 ط بولاق سنة 1320

والذين ادرا لنا لوجوه التفسير عندهم يشوبه النقص الشديد . وبقي
لنا الكثير من التفسير اللغوي الذي بدأ به ابن عباس .

التفسير اللغوي

ابن عباس

لا نكاد نرى قبل ابن عباس من يتجه اتجاهها منهجيا الى التفسير .
وكانت نشأته وتكوينه العقلي يمدانه بسقوماته ويعيناه عليه ، فقد ولد
قبل الهجرة ثلاث سنوات وعاش على مقربة من الرسول صلى الله عليه
وسلم طفلا ومبيا . واتجه الى دراسة هذه الثورة الدينية التي حمل
لواءها ابن عمه محمد صلى الله عليه وسلم وذهب ينمي علمه بها من السنة
الصحابة فروى عن عمر وعلي ومعاذ بن جبل وأبي ذر (1) وعبد الله بن
عمر (2) وكان يقول لمكرمة مولاه (لما قبض رسول الله صلى الله عليه
وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانهم اليوم كثير) (3) ويقول ابو رافع ان ابن عباس كان يأتيه
فيسأل ما صنع النبي يوم كذا ومعه كاتب يكتب له .

وأشهر من تأثر بهم من الصحابة أبو خازجة زيد بن ثابت الانصاري
وكان أعلمهم بالقرآن . وامام أهل المدينة بالفتوى وفصل الخصومات :
من كتبه الوحي ونسخة المصاحف - أعجب ابن عباس بأستاذه ولازمه
وخاصة بعد أن عاد من البصرة عقب موت علي سنة أربعين من الهجرة
وكان يحله ويحترمه حتى كان يأخذ بركابه اذا ركب (4) وظلت صلته به

(1) اسد الغابة 3 : 194 ط جمعه المعارف سنة 1286 هـ

(2) اسد الغابة 3 : 239

(3) الطرقات الكبرى 7 : 367 ط دار صادر

(4) الطرقات الكبرى 7 : 360

الى أن مات سنة خمس وأربعين فتطلع الناس الى ابن عباس أن يكون خلفا
لزيد فقال أبو هريرة اليوم مات حبر هذه الأمة وعسى الله أن يجعل فى
ابن عباس خلفا له •

هذا وجه من علم ابن عباس فى دراسته للملابسات هذا الدين وما
أدركه من النبى صلى الله عليه وسلم وما أثر عنه ووجده عند صحابته وهو
يتصل بالتفسير بالمأثور •

أما الوجه الثانى فهو احاطته بالآثار الادبية المتمثلة فى الشعر وروايته
فقد شب على ثروة ضخمة منه فيما كان يتردد فى المدينة من أصداء الشعر
الذى قيل بعد حرب بعاث بين الأوس والخزرج ، وما قيل على السنة
المسلمين والمشرىكين على السواء بعد ذلك ، فكائنات بيئة المدينة تمد به بما
يشبع هذه النفس المشبوبة المتطلعة الى الأدب ، يعينه على ذلك حافظه
واعية يشير إليها أبو الفرج فيما رواه عن عمر بن أبى ربيعة فقال :

(بينا ابن عباس فى المسجد الحرام ، وعنده نافع بن الأزرق ، وناس
من الخوارج يسألونه - اذ أقبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين مصبوغين
موردين أو مصرىين حتى دخل وجلس فأقبل عليه ابن عباس فقال : أنشدنا
فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائى فمبكر

حتى أنى على آخرها ، فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : الله يا ابن
عباس !! انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال
والحرام فتتناقل عنا ، ويأتىك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيخزى وأما بالعشى فيخسر

فقال : ليس هكذا قال ، •

قال : فكيف قال ؟

فقال : قال :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت

فيضحى وأمس بالعشى فيخصر

فقال : ما أراك الا وقد حفظت البيت •

قال : أجل وان شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها •

قائ : فاني أشاء •

ثم أنشده القصيدة حتى أتى على آخرها - وفي رواية أخرى ان ابن عباس أنشدها من أولها الى آخرها ثم أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة ، ربما سمعها قط الا تلك المرة صفحا) • (1)

وعبر ابن عباس عن هذه الحافظة بقوله : ما سمعت شيئا قط الا رويته واني لأسمع صوت النائحة فأسد أذني كراهة أن أحفظ ما تقول • (2)

ولم تكن البيئة وحدها ، ولا الحافظة الواعية وحدها وانما كان يجمع الى ذلك حساً عريئاً ، وذوقاً أدبياً أشار الى ذلك أبو انقرج ايضا ، فقد أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله :

تشط غدا دار جيرانا

وسكت • فقال ابن عباس :

وللدار بعد غد أبعد

فقال له عمر : كذلك قلت أصلحك الله ، أسمعته ؟

(1) الاغانى 1 : 72 و 73 ط دار الكتب

(2) الاغانى 1 : 73 ط دار الكتب

قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي •

فهل كان لهذه الصفات يستشده عمر بن الخطاب الشعر ؟ أم انه كان يجمع الى رواية الشعر ، وهذه الحافظة ، وهذا الحس الادبي وجهها من حسن الالتقاء أيضا ؟ (1)

ولم يقتصر ابن عباس في تحصيله للادب على الشعر وحده ، وانما كان يحرص على الجمال اللغوي أينما وجده • سمع حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي وهو يقول : (يا بني • انى قد أمجدتكم فى أمهاتكم وأحسنتم فى مهنة أموالكم ، وانى ما جلست فى ظل رجل من ثقيف أشتم عرضه والناكح مغترس فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، والعرق السوء قلما ينجب ولو بعد حين) قال ابن عباس : يا غلام ، اكتب لنا هذا الحديث • (2)

وحاج عمرو بن العاص عند معاوية فى آية فقال عمرو (تغرب فى عين حامية) وقال ابن عباس (حمئة) فلما خرج اذا رجل من الأزد قال له : بلغنى ما بينكما ، ولو كنت عندك أفدتك بأبيات قالها تبع :

فرأى مغار الشمس عند غروبها

فى عين ذى خلب وثأط حرمد

وجاء صاحب مقدمة المباني بهذه القضية فى رواية أخرى وفيها يسأل ابن عباس كعبا ما الخلب ؟ قال : الطين - قال : وما الثأط ؟ قال : الحمئة

(1) يحكى ابن عباس فيقول : خرجت مع عمر فى اول غزوة غزاها فقال لى ذات ليلة : يا ابن عباس انشدنى لشاعر الشعراء - قلت : ومن هو يا امير المؤمنين ؟ قال ابن ابي سلمى فانشدته حتى برق الفجر . فقال : حسبك ، الآن اقرأ القرآن . الاغانى 10 : 291 ط دار الكتب

(2) البيان والتبيين 2 : 67 للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون

قال : وما الحرمد ؟ قال الأسود فدعا رجلا - او غلاما فقال : اكتب ما يقول هذا • (1)

وبهذا القلب العقول واللسان السؤول (2) استطاع ابن عباس أن يجد في الآثار الأدبية ، وفي لهجات القبائل ، وفي طريقة العرب في القول ما يعينه على تفسير القرآن تفسيرا لغويا ، وكانت الأخبار التي رويت عن ابن عباس تشير الى ابتداعه لهذا الوجه من التفسير - اى التفسير اللغوى - وتخرج الناس وشكوكهم فيما ذهب اليه ، يدلك على هذا ما يرويه حميد الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن محمد عن أبيه قال (بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر : قم بنا الى هذا الذى يجترىء على تفسير القرآن بما لا علم له به ، فقاما اليه فقالا : انا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقه من كلام العرب فان الله انما أنزل القرآن بلسان عربى مبين ، فقال ابن عباس : سلانى عما بدا لكما • فقال نافع : أخبرنى عن قول الله تعالى (عن اليمين وعن الشمال عزين) •

قال : العزون : حلق الرفاق •

قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟

قال : نعم أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو يقول :

فجاءوا يهرعون اليه حتى

يكونوا حول منبره عزيئا

(1) الفائق في غريب الحديث 1 : 297 ط دار احياء الكتب العربية سنة

1364 هـ 1945 م

(2) قيل لعبد الله بن عباس : انى لك هذا العلم ؟ فقال : قلب عقول

ولسان سؤول • البيان والتبيين 1 : 84 للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون

ثم استمر يسأله على هذا الوجه مسائل عديدة ، والخبر بتمامه فى
كتاب الاتقان • (1)

ومن الذين كانوا يتخرجون من تفسير القرآن ويتهيون موقفا
كموقف ابن عباس - عبد الله بن عمر اذ جاءه رجل فسأله عن قوله تعالى
(أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) فقال
له : اذهب الى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال أخبرنى - فذهب الى ابن عباس
فسأله ، فقال : كانت السموات رتقا لا تمطر ، والأرض رتقا لا تنبت
ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات ، فرجع الرجل فأخبر ابن عمر فقال : لقد
أوتى ابن عباس علما صدقا هكذا • لقد كنت أقول : ما تعجبنى جرأة ابن
عباس على تفسير القرآن • الآن قد أوتى علمه •

ومن هذا ترى أن نافع بن الأزرق وصاحبه نجدة بن عويمر يذهبان
الى ابن عباس وهما يستغربان موقفه ولا يقتنعان الا أن يأتيهما بمصادق
تفسيره من كلام العرب ، كما ترى ابن عمر يصف ابن عباس بالجرأة على
تفسير القرآن ثم يعجب بعد ذلك أن وفق فيه •

كتاب التفسير المنسوب الى ابن عباس

أول من ينسب له كتاب فى تفسير القرآن هو ابن عباس وقد أشار
ابن النديم فى تسمية الكتب المصنفة فى تفسير القرآن الكريم الى كتاب له
فى التفسير رواية مجاهد عنه فى طرق ثلاث •

(1) الاتقان فى علوم القرآن 1 : 120 ط الحلبي سنة 1370 هـ 1951 م

الاول : طريق حميد بن قيس عن مجاهد •

الثاني : طريق ورقاء عن ابي نجيح عن مجاهد •

الثالث : طريق عيسى بن ميمون عن ابي نجيح عن مجاهد • (1)

ولم يبق لنا من هذه الرواية شئ الا ما نثر منها فى بطون الكتب التى تناولت تفسير القرآن - وهناك رواية ثانية لتفسير ابن عباس وهى رواية السدى عن ابي مالك وثالثة هى رواية السدى عن ابي صالح ، ولكننا لا ندرى ان كانتا او كانت احدهما قد جمعت فى كتاب أم لا كما حدث فى الرواية التى ذكرها ابن النديم - أما الرواية التى بقيت الى اليوم فهى رواية الكلبي عن ابي صالح وقد جمعها الفيروزباده المتوفى سنة 816 هـ فى كتاب باسم (تنوير المقباس من تفسير ابن عباس) (2) وهى تنتظم القرآن كله •

ولكن الباحث لا يستطيع قبول نسبة هذا الكتاب لابن عباس لأسباب عديدة منها :

- تطالعك فى صفحاته الأولى غيبات لا تتفق والوضوح الذى عرف عن وجهة ابن عباس فى التفسير • كأن يقول فى تفسير (بسم الله) الباء بهاء الله ، وبهجته ، وبلاؤه ، وبركته ، وابتداء اسمه بارىء - والسين سناؤه ، وسموه اى ارتفاعه ، وابتداء اسمه سميع - الميم ملكه ، ومجده ومنتته على عباده الذين كانوا يرون فى الكواكب آلهة او مستقر آلهه وبقيت بعد ذلك فى مسلك الباطنيين الذين رأوا للحروف قوى مختلفة ترمز للآلهة أو لقوى الآلهة •

(1) الفهرست لابن النديم ط الرحمانية ص 50

(2) ط الحلبي سنة 1378 هـ - 1959 م

— تجد الكتاب يفسر كل لفظة من ألفاظ القرآن ولو كانت ظاهرة بينة بنفسها لا حاجة الى تفسيرها ، والناس فى هذا العهد المبكر لا يزالون على درجة كبيرة من فطرتهم اللغوية وفى غير حاجة الى تفسير كل المفردات ومنها السهل المعروف •

— تجد بعض التفسير مشوبا بنزعة فارسية كأن يقول فى تفسير قوله تعالى : (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) أن يعيش ألف نيروز ومهرجان وفى قوله (ولقد علموا لمن اشتراه) لمن اختار السحر والنيرنجات •

— جاء بعض التفسير مخالفا لروح العريضة وذوقها كالذى جاء فى قوله تعالى (واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) اذ يقول : وكان حجرا أعطاه الله اياه ، عليه اثنا عشر ثديا كثدى المرأة ، يخرج من كل ثدى نهر اذا ضرب عصاه عليه •

وهو يفسر اللعن بالمسخ فى قوله تعالى (لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم) ثم يقول بدعاء داود فصاروا قردة وبدعاء عيسى بن مريم صاروا خنازير •

الى غير ذلك مما جاء مخالفا لطريقة ابن عباس اذا وضعناه فى مقارنة مع ما نسب اليه من تفسير لقوله تعالى (وثيا بك فطهر) وقوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) بل اننا نذهب الى الشك فى كثير مما وجدناه منسوب الى ابن عباس فى كتب التفسير ومنها تفسير الطبرى •

وهناك عوامل زيفت هذه النسبة منها الملابسات التى داخلت علم التفسير فيما بعد حين مرء فى أدوار كان هم المفسر فيها أن يروج عند العامة فيزخرف ما يحكى بنسبته الى أعلام الصحابة كعلى وابن عباس ، فضلا عن التيارات السياسية والمذهبية التى اتخذت من هذه النسبة سلاحا من أسلحتها التى تدافع بها ، وبذلك جاء كثير من الروايات المنسوبة الى ابن

عباس مضطربا فاسدا كما نجد كثيرا من المفسرين لا يتخرجون عن نقد الكثير منها وتضعيفه والحمل عليه وهم يعلمون أن روايته ضعاف لا تصح روايتهم • والواقع أن كثيرا ممن يؤخذ عنهم تاريخ ابن عباس كالضحاك ، ومقاتل ، وعكرمة ، والسدي ، والكلبي لم يكونوا في الرواية من الثقة في نظر رجال الحديث ونقده الرواة •

وكما ورد إلينا من التفاسير التي نسبت لابن عباس ما لا يتفق وطريقة تكوينه العقلي ، ورد إلينا كذلك ما يشابه منهجه الذي ينحصر في نقطتين بارزتين : ذرأسته لظروف الدعوة الإسلامية ، واعتماده على الآثار الأدبية فيما يعرض له من وجوه التفسير • ومن هذا الوجه الأخير أصاب العربية ثراء جَمٌ نتيجة لروايتها في سياق التفسير يستمدده من طرق ثلاث :

الشعر

وقد ذكرنا أنه كان يروى منه قدرا كبيرا ، يمدد بمدد واسع في تفسير ألفاظ القرآن وتراكيبه وكان يقول في هذا : إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فإن الشعر ديوان العرب • وقال سعيد بن جبير ويوسف بن مهران : سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء من القرآن فيقول فيه كذا وكذا أما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا • وسأله رجل عن قول الله عز وجل (وثيابك فطهر) قال : لا تلبس ثيابك على غدر وتمثل بقول غيلان الثقفي :

فانى بحمد الله لا ثوب غادر

لبست ولا من سوء أتقنع (1)

التعرف على لهجات القبائل

كان يقف عند بعض الألفاظ التي جاءت على غير لهجة قومه السلي أن يصيها عند ألسنة أهلها فمن ذلك قوله : ما كنت أدري ما (فاطر السموات

(1) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 1 : 24 و 25

والارض) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بشر فقال أحدهما : أنا فطرتها (1) اى بدأت حفرها ، وجاء رجل من هذيل فقال له ابن عباس : ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك اربعة من الولد وثلاثة من الورا فقال ابن عباس : (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) قال : ولد الولد (2) •

ومن الفاظ هذيل ايضا كلمة (التخوف) جاءت فى قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف) فكان ابن عباس يقف فيها أيضا الى أن جاءه هذلي يشكو اليه أخاه قائلا :

تخوفنى مالى أخ لى ظالم
فلا تخذلنى اليوم يا خير من بقى

فقال ابن عباس : تخوفك تنقصك ؟ قال : نعم • قال : الله أكبر (أو يأخذهم على تخوف) أى تنقص من خيارهم (3) •

وعن قتادة عن ابن عباس قال : ما كنت ادرى ما قوله (ربنا افتتح بيننا وبين قومنا بالحق) حتى سمعت قول بنت ذى يزن (تعال أفاتحك) تريد أخاصمك ، وقال الزركشى يعنى أقاضيك (4) •

وبقى بعد هذا كلمات يصرح ابن عباس بأنه لا يعرفها ، اخرج ابن جريج عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله تعالى (وحنانا من لدنا) فقال : سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا وأخرج من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : لا والله ما أدرى ما حنانا ، وأخرج الفريابي بسنده عن ابن

(1) الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى 1 : 113

(2) البرهان فى علوم القرآن 293

(3) الامالى للقالى 2 : 112 والمزهر 2 : 311

(4) الاتقان 1 : 113 والبرهان 293

عباس قال : كل القرآن أعلمه الا أربعا : غسلين ، وحنانا ، وأواه ، والرقيم وأخرج عن طريق مجاهد عن ابن عباس قال : ما ادرى ما الغسلين ولكنى اظنه الزقوم (1) وربما انتهى ابن عباس الى هذا التحديد واستطاع حصر ما لا يعرف من الكلمات بعد ان تعرف على الكلمات التى كان يتوقف عندها ويسأل عنها رجال القبائل او يفيد من المناسبات التى تمده بمعانيها • ولم تكن همته قاصرة على ما جاء منها فى القرآن الكريم بل تجاوز ذلك الى ما جاء به الاستطراء ، وسبق أن رأينا يسأل كعبا عن (الخلب) و (الثأط) و (الحرمد) •

تعرفه على الألفاظ القديمة

ومن وجه آخر كان ابن عباس يستحى ما يبدو أنه قديم من اللغة أو جاء على لسان قبيلة بعينها نرى ذلك فى تفسيره لقوله تعالى (... مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) فقد روى عن نافع ابن أبى نعيم ان عبد الله بن عباس سئل عن قوله تعالى (وفومها) قال : الحنطة ، اما سمعت قول أحيحة بن الجلاح وهو يقول :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا

ورد المدينة عن زراعة قوم (2)

وزاد فى رواية أخرى القوم : الحنطة بلسان بنى هاشم • وفى رواية
ثلاثة الحنطة والخبز (2) •

ثم عنى القراء بتفسير القرآن تفسيراً لغوياً حتى كان جل الرواة من القراء وكان القرآن الكريم وتفسيره على هذا الوجه اللغوى على رأس الدواعى لرواية العربية •

(1) الاتقان 1 : 113 والبرهان 293

(2) تفسير الطبرى 1 : 311 ط الحلبى سنة 1954

الرواة وشروح القرآن

عقد ابن النديم فى كتاب الفهرست فى الفن الثالث من المقالة الأولى حديثاً ضمنه أسماء الكتب المصنفة فى علوم القرآن : تفسيره ، ومعانيه ، وغريبه ولغاته (1) ولقد كان علماء اللغة فى البصرة كما فى غيرها من البيئات العلمية علماء بالقرآن قبل كل شىء اذ كان هو الاصل الاول فيما يمارسون من علوم اللغة • فكان يحيى بن يعمر احد قراء البصرة وكان عبد الله بن ابي اسحق الحضرمى قارئاً ، وكان ابو عمرو بن العلاء شيخ علماء اللغة فى عصره من كبار علماء القرآن وهو احد القراء السبعة •

ومن اقدم من كتب فى التفسير من اللغويين أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبى ، ذكر له ابن النديم كتاباً فى معانى القرآن وقال ياقوت انهما كتابان « معانى القرآن الكبير » و « معانى القرآن الصغير » ولم يصل الينا شىء منهما • ومن قدامى اللغويين أيضاً أبو فيد مؤرج بن عمر السدوسى وقد ذكر له ياقوت كتاباً فى غريب القرآن ، ومن كبار اللغويين وأوائلهم أبو عبيدة معمر بن المثنى ذكر له ابن النديم كتاباً فى (مجاز القرآن) و (معانى القرآن) و (اعراب القرآن) ولعل هذه تسميات لكتاب واحد هو (مجاز القرآن) الذى بأيدينا الآن •

مجاز القرآن لابي عبيدة

كتاب المجاز صورة كاشفة عن عقلية صاحبه ، فلم يكن أبو عبيدة عربياً يعتمد على فطرته متأثراً بلسان قبيلة من القبائل ، ولا متخصصاً فى النحو

(1) الفهرست 50 الى 53 ط الرحمانية .

مشدودا الى قواعده وقوانينه ، ولا سلفيا يلتزم بآثار السلف يتقف عند المأثور لا يتعداه كما هو الحال عند كثير من الرواة ولكنه رجل من الموالي ينتسب الى تيم قريش أو تيم بن مرة • أقبل على التحصيل بنهم شديد وبرز في الشعر والغريب والأخبار والأنساب وكان كما يقول يزيد بن مرة (ما يفتش عن علم من العلوم الا كان من يفتشه عنه يظن أنه لا يحسن غيره ولا يقوم بشيء أجود من قيامه به) (1) وذكره الجاحظ فقال (لم يكن فى الأرض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم منه) (2) وربما كان تفوقه هذا يرجع الى شعوبيته ومحاولته تحقيق المجد الادبى واللاحق بالعرب ولقد ترك لنا مؤلفات عديدة تكشف عن هذا الوجه من التحصيل من بينها كتاب مجاز القرآن •

وهو يعنى بالمجاز بيان الأساليب التى يستعملها القرآن فى التعبير عن أعراضه ، وكانت بعض هذه الأساليب لا تتفق اتفاقا دقيقا مع بعض القواعد التى تعتمد على النظر العقلى المنطقى وان كانت تتفق مع أسلوب العريضة الذى ينبغى البيان عنه ، وتتبع شواهد من الآثار الادبية الصحيحة • ذلك أن جزءا كبيرا من اللغة يجرى عليه القياس والاطراد فاخضعه النحاة للتقنين، وبقي من وراء ذلك جزء لا يقبل هذا النظر الرياضى والشكل القياسى فجاء أبو عبيدة يرد الشبه التى تعرض للقرآن عند من ينظرون الى اللغة على أنها شىء يجرى على مقاييس منطقية أو عقلية •

وهو يحكى فى أسباب وضعه لهذا الكتاب فيقول : (أرسل السىء الفضل بن الربيع الى البصرة فى الخروج اليه سنة ثمان وثمانين ومائة

(1) معجم الادباء 19 : 155

(2) البيان والتبيين 1 : 347 ط - لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة

1367 هـ 1948 م

فقدت الى بغداد واستأذنت عليه فأذن لى . . . ثم دخل رجل فى زى الكتاب له هيئة فأجلسه الى جانبى وقال له : أتعرف هذا ؟ قال : لا . قال : هذا علامة اهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا وقال لى : انى كنت اليك مشتاقا وقد سألت عن مسألة افتأذن لى أن أعرفك اياها ؟ فقلت هات . قال : قال الله عز وجل (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) وانما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف . فقلت : انما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرئ القيس :

أيقتلنسى والمشرفى مضاجعى
ومسنونة زرق كانياب اغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان امر الغول يهولهم اوعدوا به فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل ، وعزمت من ذلك اليوم ان اضع كتابا فى القرآن فى مثل هذا وأشباهه وما يحتاج اليه من علمه ، فلما رجعت الى البصرة عملت كتابى الذى سميته المجاز (1) .

واذا كان الاصل الذى بنى ابو عبيدة عليه كتابه هو رد الشبه الواردة على القرآن الى أسلوب العرب فانه لم يقتصر فى كتابه على مواضع الشبه وحدها بل أخذ يفسر القرآن معنيا بالنص على الأساليب العريضة وتنويع معانيه على مقتضى هذه الأساليب . وكذلك لم يقتصر على الأساليب التى لم تطرد مع قوانين النحاة بل جمع فى كتابه بعض هذه وتلك . فمن المجاز الذى أشار اليه النحاة على قلة ، قوله :

— ومن المحتمل من مجاز ما اختصر وفيه مضمحل (وانطلق الملائ منهم أن امشوا واصبروا) فهذا مختصر فيه ضمير مجازه (وانطلق الملائ منهم) ثم

(1) معجم الادباء 19 : 158 — 159

اختصر الى فعلهم وأضمر فيه : وتواصوا ان امشوا • او : تنادوا ان امشوا •
أو نحو ذلك •

— ومن مجاز ما حذف وفيه مضمير (واسأل القرية التي كنا فيها والعير
التي أقبلنا فيها) فهذا محذوف مجازه : واسأل أهل القرية ومن فى العير •
— ومن مجاز ما كف عن خبره استغناء عنه وفيه ضمير (حتى اذا
جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها
خالدين) ثم كف عن خبره •
الى غير ذلك • (1)

اما هذا النوع الذى لم يتفق اتفاقا دقيقا مع قوانين النحاة والذى
يجرى على أساليب العرب وطريقتهم فى القول فقد تتبع شواهد فى مثل
هذا الخبر الذى تناوله فى مجلس الفضل بن الربيع ، وفى مثل تأويله لقوله
تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فقال : مجازه : غير المغضوب
عليهم والضالين • و (لا) من حروف الزوائد لتتميم الكلام والمعنى
القاؤها وتمثل بقول العجاج :

فى بشر لا حور سرى وما شعر

أى فى بشر حور أى هلكه ، واستدل على ذلك أيضا بقول ابى النجم :

فما الوم البيض الا تسخرا

لما رأين الشمط القفندرا

أى فما الوم البيض أن يسخرن ، وكذلك تمثل بيت الأحوص :

ويلجئني فى اللهو ألا أحبه

وللهو داع دائب غير غافل

(1) مجاز القرآن انظر 1 : 8 وما بعدها

والمعنى : ويلهيننى فى اللهو أن أحبه (1) •

وكذلك أشار الى زيادة (ما) فى قوله تعالى (لا يستحيى أن يضرب مثلاً ما بعوضة) وتتبع شاهده فى قول النابغة الذبياني :

قالت ألا ليت ما هذا الحمام لنا

الى حمامتنا ونصفه فقد (2)

وعرض للآية الكريمة (لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله) اذ كانت لا تتفق قواعد النحاة مع هذه الآية فبين ابو عبيدة أنها تتفق مع أساليب العرب وقال : العرب تخرج من الرفع الى النصب اذا كثر الكلام ثم تعود بعد الى الرفع وتمثل بقول خرقق :

لا يبعدن قومى الذين هم

سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك

والطيون معاقد الأزر (3)

وناقش أبو عبيدة الاستفهام التقريرى قبل أن يصبح قضية يبحثها البلاغيون حين ذكر منها ما جاء فى القرآن الكريم فى مثل تناوله لقوله تعالى (أتجعل فيها من يفسد فيها) فقال : جاءت على لفظ الاستفهام ، والملائكة لم تستفهم ربها وقد قال تبارك وتعالى (انى جاعل فى الارض

(1) مجاز القرآن 1 : 25

(2) مجاز القرآن 1 : 34

(3) مجاز القرآن 1 : 142

خليفة) ولكن معناها اى انك ستفعل ، وتمثل بقول جرير لعبد الملك بن مروان :

الستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

وقال : وتقول وانت تضرب الغلام على الذنب : ألسنت الفاعل كذا ؟
ليس باستفهام ولكن تقرير (1) •

ولم يقف جهد أبى عبيدة عند تفسير الغريب وتتبع شواهد فسى
الأساليب العربية وما جاء منها فى القرآن بل كان يستطرد أحيانا الى شرح
التفسير بما يحقق للرواية سعتها فمن ذلك قوله حول الآية الكريمة (ومن
كان فقيرا فليأكل بالمعروف) أى لا يتأثل مالا ، واستطرد قائلا : التأثل :
اتخاذ أصل مال ، والأثلة الاضل • قال الأعشى :

الست منتهيا عن نحت أثلتنا
ولست ضائرها ما أطت الابل

مجد مؤئل : قديم له أصل (2) •

وفى قوله تعالى (واللاتى يأتين الفاحشة) قال : واحدها التى ،
وبعض العرب يقول اللواتى ، وبعضهم يقول : اللاتى وذكر قول الأخطل :

من اللواتى اذا لانت عريكتها
يبقى لها بعده آل ومجلود

ثم استطرد الى تفسير كلمات من شعر الأخطل فقال : آلهما : شخصها ،
ومجلودها جلدها (3) ووصل به الاستطرد الى تفسير اسم شاعر تفسيراً

(1) مجاز القرآن 1 : 35 — 36

(2) المصدر السابق 1 : 117

(3) نفس المصدر 1 : 119

لغويا وذلك فى سياق شرحه لقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة) حيث تمثل بقول ابن الرعاء على وحدة المعنى فى (ميتته) خففت ام ثقلت ثم عاد فقال : (واسم ابن الرعاء كوتى • والكوتى والكوتى يهمز ولا يهمز • والكوتى من الخيل والحمير القصار • قال : فلا ادرى ايكون فى الناس ام لا ، قال : ولا ادرى الرعاء أبوه او أمه) • (1)

ولقد أحدث تأليف هذا الكتاب ضجة فى البيئات العلمية فى البصرة والكوفة على السواء • ففى البصرة كان يترجم الحملة على ابى عبيدة أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ويتهمه بأنه يفسر القرآن برأيه وسئل ابو حاتم السجستاني عن الكتاب فقال : ما يحل لأحد ان يكتبه وما كان شئ أشد على من أن أقرأه قبل اليوم ولقد كان أن أضرب بالسياط أهون على من أن أقرأه لأنه فسر القرآن على غير ما ينبغى (2) •

وقال أبو عمر الجرمى : أتيت أبا عبيدة بشئ منه فقلت له : عمن أخذت هذا يا أبا عبيدة فان هذا تفسير خلاف تفسير الفقهاء ؟ فقال لى : هذا تفسير الأعراب البوالين على أعقابهم •

ويبدو من حديث لأبى حاتم أنه نازعته نفسه لهذا الكتاب فراح يتأمله ويناقش فيه أحمد بن المعدل ويصف ابن المعدل بأنه كان يفهم كتاب أبى عبيدة (2) ثم وصل به الأمر الى روايته وروى عنه أبو سعيد السكرى (3) •

وأكبر الظن أن الاختلاف حول هذا الكتاب فى البصرة كان مظهرا من مظاهر الخصومة بين النزعة العقلية والنزعة النقلية — وكان فى البصرة

(1) مجاز القرآن 1 : 148 — 149

(2) طبقات الزبيدى 194

(3) فهرس ابن خير 60

من يعطى عنايته لهذا الكتاب ويؤلف على منواله ، فقد وضع ابو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش كتابه في معانى القرآن على غرار كتاب المجاز حتى لقد قال ابو حاتم في وصف كتاب الأخفش (أخذ كتاب أبى عبيدة في القرآن فأسقط منه شيئاً وزاد شيئاً وأبدل منه شيئاً) * (1)

أما في الكوفة فمن الطبيعي ان تدفع العصبية واختلاف المنزعة علماءها الى الانكار على أبى عبيدة والتشنيع به فقال الفراء (لو حمل الى أبى عبيدة لضربته عشرين في كتاب المجاز) (2) * وعلى كل حال لم يلبث علماء الكوفة ان تأثروا بهذا الكتاب عن طريق الأخفش الذى التقى بالكسائى في بغداد وقال أبو الحسن في هذه المناسبة :

(وردت بغداد فرأيت مسجد الكسائى فصليت خلفه الغداة فلما انقضى من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والاحمر وابن سعدان سلمت وسألته عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأته فسى جميعها ... فلما فرغت قال لى : بالله أما أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة ؟ قلت : نعم فقام الى وعانقنى وأجلسنى الى جانبه ثم قال : لى أولاد أحب أن يتأدبوا بك ويتخرجوا عليك ... فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألنى أن أؤلف له كتابا فى معانى القرآن فألفته فجعله امامه وعمل عليه كتابا فى المعانى (3) ولكن لم يصل الينا كتاب الكسائى حتى نفتش عن أثر أبى عبيدة أو أثر الأخفش فيه * أما الذى وصل الينا من آثار الكوفة فهو كتاب معانى القرآن للفراء *

(1) طبقات الربيدى 74 — 75

(2) معجم الادباء 159 : 19

(3) المصدر السابق 11 : 227

معاني القرآن للفراء

ابو زكريا يحيى بن زياد الفراء من رؤساء الكوفيين ، ومن أشهر اصحاب الكسائي واعلم الكوفيين بالنحو من بعده ، وكان ابو زكريا قريب الصلة بالبصرة وبالبصريين ، ذكر ياقوت انه تلمذ ليونس بن حبيب فاستكثر منه (1) وأشار ثعلب الى هذه الصلة فقال في مجلسه يوما « مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيويه » وكان كما يقول ثعلب يتفلسف في تصانيفه حتى يسلك في الفاظه كلام الفلاسفة (2) فنزعته اذن نزع عقلية ادنى ما تكون الى النزع البصرية .

وضع الفراء كتاب (معاني القرآن) في بغداد قبيل وفاته بزمان قليل بعد أن صار من رجال القصر في بطانة المأمون بين سنة ٢٠٤ وهي سنة قدوم المأمون العراق وسنة ٢٠٧ وهي سنة وفاة الفراء وقد أورد ياقوت عن ابي بريدة الوضاحي نصا عن هذا الكتاب وعن ظروف وضعه بعد أن فرغ من كتاب الحدود الذي اعدده للخليفة المأمون فقال (...) وبعد أن فرغ من ذلك « أي من كتاب الحدود » خرج الى الناس وابتدأ يملئ كتاب المعاني ، وكان وراقية سلمة بن عاصم ، وابو نصر بن الجهم - قال أبو بريدة : فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا لاملأ كتاب المعاني فلم نضبط عددهم ، ولما فرغ من املأه خزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا به وقالوا : لا نخرجه لأحد الا لمن أراد أن ننسخه له على أن يكون عن كل خمسة أوراق درهم - فشكا الناس الى الفراء فدعا الوراقين وكلمهم في ذلك وقال : قاربوا الناس تنفعوا وتنفعوا فأبوا عليه ، فقال : سأريكم ، وقال للناس :

(1) معجم الادباء 20 : 10

(2) وفيات الاعيان 5 : 228

انى أريد أن أملئ كتاب معان أتم شرحا وأبسط قولاً من الذى أملت قبلاً
وجلس يملئ فأملئ فى الحمد مائة ورقة فجاء الوراقون اليه وقالوا : نحن
نبلغ الناس ما يحبون فنسخوا كل عشرة اوراق بدرهم) * (1)
ولكن السمرى وهو أحد رواة الكتاب يروى خبراً آخر - ولعله
أكثر دقة من سابقه ، وأشار الى أنه بدأ باملاء الكتاب قبل أن يحضر المأمون
من خراسان الى بغداد فقال فى صدر كتاب المعانى (هذا كتاب فيه معانى
القرآن أملاه علينا أبو زكريا يحيى بن زياد القراء يرحمه الله عن حفظه من
غير نسخة فى مجالسه أول النهار من أيام الثلاثاء والجمع فى شهر
رمضان وما بعده من سنة اثنتين وفى شهور سنة ثلاث وشهور من سنة
أربع ومائتين) *

ويحكى ابن النديم فى سبب وضعه لهذا الكتاب أن عمر بن بكر
كان منقطعاً الى الحسن بن سهل فكتب الى القراء ان الامير الحسن بن
سهل ربما سألنى عن الشئ بعد الشئ من القرآن فلا يحضرنى فيه
جواب ، فان رأيت ان تجمع لى أصولاً او تجعل فى ذلك كتاباً ارجع اليه
فعلت) * (2)

ودواعى وضع هذا الكتاب كما ترى تتشابه مع دواعى وضع كتاب
المجاز لأبى عبيدة حين سأله ابراهيم بن اسماعيل وهو من كتاب الفضل بن
الربيع عن الوجه فى قوله تعالى (طلعها كأنها رؤوس الشياطين) مما يدل على
ضعف السليقة حين بسطت العربية سلطانها خارج الجزيرة العربية ، واذا
بدت هذه الظاهرة عند رجلين من الكتاب فهى فى عامة الناس أعم وأظهر
مما يفسر تراجم الطالبين على حلقة القراء ، ومسلك الوراقين فى اختزان
الكتاب للتكسب به *

(1) معجم الادباء 20 : 12 — 13
(2) الفهرست لابن النديم 99 ط الرحمانية

روى كتاب القراء من طريقين ، الرواية الاولى لمحمد بن الجهم السمرى كتابة عن القراء وهى النسخة التى بأيدينا حدد فى صدرها تاريخ الاملاء - اما الرواية الثانية فهى لسلمة بن عاصم الذى كان يجرى بعد ان ينفض الناس من مجلس الاملاء فيأخذ كتابة بعضهم ويعرضها على القراء وهى نسخة نالت تقدير العلماء فكان محمد بن القاسم بن محمد الانبارى يقول (كتاب سلمة أجود الكتب) (1) وهى نسخة مفقودة على ما أعلم .

لم يلتزم القراء تفسير آيات القرآن كلها ، وانما كان يتناول ما اشكل منها ولذلك يطلق على الكتاب اسم آخر غير الاسم الذى ظهر به وهو (تفسير مشكل اعراب القرآن ومعانيه) .

تلمح فى الكتاب الى جانب التفسير المعجمى لبعض اللفاظ دقة عجيبة فى فهم الاسلوب العربى وادراكا لما بين الاساليب والعبارات فى الفروق كما تضمن اعراب القرآن طريقة أداء البدو للقراءة والوجه فى هذا الاداء فمن ذلك كلامه فى (الحمد) حيث يقول :

اجتمع القراء على رفع (الحمد) واما أهل البدو فمنهم من يقول (الحمد لله) بفتح الدال ، ومنهم من يقول (الحمد لله) بكسر الدال ، ومنهم من يقول (الحمد لله) فيرفع الدال واللام - فأما من نصب فانه يقول (الحمد) ليس باسم انما هو مصدر يجوز لقائله أن يقول : أحمد الله فاذا صلح مكان المصدر فعل أو يفعل جاز فيه النصب من ذلك قول الله تعالى (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) يصلح مكانها فى مثله من الكلام أن يقول : فاضربوا الرقاب . ومن ذلك قوله (معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) يصلح أن نقول فى مثله من الكلام : نعوذ بالله ، ومنه قول العرب : سقيا لك ، ورعا لك يجوز مكانه : سقاك الله ، ورعاك الله .

(1) طبقات الزبيدي 150

وأما من خفض الدال من (الحمد) فانه قال : هذه كلمة كثرت على
ألسن العرب حتى صارت كالاسم الواحد فثقل عليهم أن يجتمع في اسم
واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة أو كسرة بعدها ضمة ووجدوا الكسرتين
قد تجتمعان في الاسم الواحد مثل (ابل) فكسروا الدال ليكون على
المثال من اسمائهم *

وأما الذين رفعوا اللام فانهم أرادوا المثال الاكثر من أسماء العرب
الذى يجتمع فيه الضمتان مثل (الحلم) و (العقب) (1) *

وهنا تتضح صفة الفراء كرجل رواية ، يروى قراءات القراء ويبين
الوجه فيها كما يروى أيضا طريقة اداء أهل البدو *

الاستطراد الى شرح الأساليب العربية

وربما اتخذ الفراء الآية سببا للاستطراد وذكر الاساليب العربية التي
يجوز قولها في المناسبة وتخريج بعض القراءات على هذه الاساليب * ففي
قوله تعالى (واذا غدوت من اهلك تبوء المؤمنون مقاعد القتال) يقرؤها
عبد الله (تبوء للمؤمنين) فيقول الفراء : « والعرب تفعل ذلك فيقولون
ردفك ، وردف لك - قال الكسائي : سمعت بعض العرب يقول : نقدت
لها مائة يريدون نقدتها مائة لامرأة تزوجها ، وانشدني الكسائي :

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

والكلام باللام كما قال تبارك وتعالى (واستغفرى لذنبك) أو (فاستغفروا
لذنوبهم) وانشدني :

استغفر الله من جدى ومن لعبى وزرى وكل امرىء لا بد متزر

(1) معانى القرآن للفراء 1 : 3 و 4

يريد لوزرى (1) وفي قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا) يقول
الفراء :

« الكلام العربى هكذا بالباء ، وربما طرحت العرب الباء فقالوا .
اعتصمت بك ، واعتصمتك * قال بعضهم :

إذا انت جازيت الاخاء بمثله وأسيتنى ثم اعتصمت حباليا

فألقي الباء وهو كقولك : تعلقت زيدا ، وتعلقت بزيد وانشد بعضهم :

تعلقت هندنا ناشئا ذات مئزر وانت وقد قارفت لم تدر ما الحلم (2)

وفي قوله تعالى (واللاتى يأتين الفاحشة) قرأها عبد الله (واللاتى يأتين
بالفاحشة) قال الفراء « والعرب تقول : أتيت أمرا عظيما ، وأتيت بأمر
عظيم ، وتكلمت كلاما قبيحا ، وبكلام قبيح وقال فى مريم (لقد جئت
شيئا فريا) و(جئتم شيئا ادا) - ولو كانت فيه الباء لكان صوابا » (3)
والعبارة الاخيرة تشير الى عناية الفراء بالاساليب العربية ولو لم يرد بها
قراءة *

وفي تعاقب (4) الحروف يقول فى (وما تدخرون) هى تفتعلون من
ذخرت وتقرأ (وما تدخرون) خفيفة على تفعلون ، وبعض العرب يقول
تدخرون فيجعل الدال والذال يعتقبان فى تفتعلون من ذخرت ، وظلمت ،
تقول : مظلّم ومظلّم ، ومذكر ومذكر - وسمعت بعض بنى اسد يقول : قد
أثغر وهذه اللغة كثيرة فىهم خاصة وغيرهم قد اثغر * (5)

(1) معانى القرآن 1 : 233

(2) معانى القرآن 1 : 228

(3) معانى القرآن 1 : 258

(4) التعاقب والاعتقاب بمعنى واحد . اللسان ع ق ب

(5) معانى القرآن 1 : 215

ولما كانت هذه القضية ناشئة عن تاء الافتعال فقد أفرد لتاء الافتعال حديثا يقول فيه (فاما الذين يقولون : يدخر ويدكر ومدكر فانهم وجدوا التاء اذا سكنت واستقبلتها ذال دخلت التاء فى الذال فصارت ذالا فكروا أن تصوير التاء ذالا فلا يعرف الافتعال من ذلك فنظروا الى حرف يكون عدلا بينهما فى المقاربة فجعلوه مكان التاء ومكان الذال •

وأما الذين غلبوا الذال فامضوا القياس ولم يلتفتوا الى أنه حرف واحد فادغموا تاء الافتعال عند الذال والتاء والطاء • (1)

ويقول : (ولا تنكرون اختيارهم الحرف بين الحرفين فقد قالوا : ازدجر ومعناها : ازتجر فجعلوا الدال عدلا بين التاء والزاي ، ولقد قال بعضهم : مزجر فغلب الزاي كما غلب التاء - وسمعت بعض بنى عقيل يقول : عليك بأبوال الأطباء فاصعطها فانها شفاء للطحل فغلب الصاد على التاء - وتاء الافتعال تصوير مع الصاد والضاد طاء كذلك الفصيح من الكلام كما قال الله عز وجل (فمن اضطر فى مخرصة) ومعناها افتعل من الضرر • وقال الله تبارك وتعالى (وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها) فجعلوا التاء طاء فى الافتعال • (2)

وعرض الفراء لظاهرة الابدال فى كلام العرب حين تناول قوله تعالى : (وفومها وعدسها وبصلها) معللا لقراءة عبد الله اذ قرأها (وثومها) بالتاء • قال الفراء (فان القوم فيما ذكر لغة قديمة وهى الحنطة والخبز

(1) معانى القرآن 1 : 216

(2) نفس المصدر والصفحة

جميعا قد ذكرا ، قال بعضهم : سمعنا العرب من اهل هذه اللغة يقولون .
فوموا لنا بالتشديد لا غير يريدون اختبزوا ، وهى فى قراءة عبد الله وثومها
ـ بالثاء ـ فكأنه اشبه المعنيين بالصواب لانه مع ما يشاكله من العدس
والبصل وشبهه ويقول :

(والعرب تبدل الفاء بالثاء فيقولون : جدث وجدف ، ووقعوا فى
عاثور شر وعافور شر ـ والاثانى والاثافى ـ وسمعت كثيرا من بنى اسد
يسمى المغاير المغاير) (1) •

والقراء لا يريد ان يقطع بأن ثومها التى قرأ بها عبد الله هى ابدال من
فومها التى ذهب اليها اكثر القراء وذلك لاختلاف المعنى اذا اريد بها الثوم
غير القوم بمعنى الخبز والحنطة فهى عنده أشبه المعنيين بالصواب للمشكلة
مع العدس والبصل ـ والوجه الآخر ان تكون الثوم مبدلة من القوم فهذا
ثانى المعنيين كما تدل على ذلك عبارته : (فكأنه اشبه المعنيين) وقد تحدث
بعد ذلك صراحة عن ظاهرة الابدال فيما جاء فى بقية العبارة •

ومن الفوائد اللغوية التى اتخذ فيها الفاظ القرآن سببا للكلام ما
ذكره فى سياق عرضه لقوله تعالى (فى بروج مشيدة) يقول : يشدد ما كان
من جمع مثل قولك : مررت بشياب مصبغة ، واكبش مذبحة فجاء التشديد
لان الفعل متفرق فى جمع فاذا افردت الواحد من ذلك فان كان الفعل يتردد
فى الواحد ويكثر جاز فيه التشديد والتخفيف مثل قولك : مررت برجل
مشجع ، وبثوب ممزق جاز التشديد لان الفعل قد تردد فيه وكثر •
وتقول : مررت بكبش مذبوح ولا تقل مذبح لا يتردد كتردد التمزق •

(1) معانى القرآن 1 : 41

وقوله (بئر معطلة وقصر مشيد) يجوز فيه التشديد لان التشييد بناء فهو يتناول ويتردد • (1)

وفي قضية التضاد

كان اللغويون يذكرون لفظ (الرجاء) فى الاضداد يأتى بمعنى الامل كما يأتى بمعنى الخوف ذكر ذلك ابو سعيد عبد الملك الاصمعى فى كتابه (٢) وقال ابو حاتم : الرجاء يكون طمعا ويكون خوفا وفى القرآن فى معنى الطمع (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) وفى قوله تعالى (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك) وقوله (واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) كما تمثل بقول كعب بن زهير :

ارجو وآمل ان تدنو مودتها وما أخال لدينا منك تنويل
اراد الطمع • (3)

ثم قال : والرجاء فى القرآن فى معنى الخوف كثير قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه) وقال (الذين لا يرجون لقاءنا) وقوله (وارجوا اليوم الآخر) • (4)

ولكن الفراء اشترط الجحد (النفى) لمجىء الرجاء بمعنى الخوف فقال : قال بعض المفسرين : معنى ترجون تخافون ، ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء الا ومعه جحد فاذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء

(1) معانى القرآن 1 : 277

(2) كتاب الاضداد للاصمعى 23

(3) كتاب الاضداد لابی حاتم 80

(4) كتاب الاضداد لابی حاتم 80 و 81

والخوف • وكان الرجاء كذلك كقوله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) هذه للذين لا يخافون أيام الله وكذلك قوله (ما لكم لا ترجون لله وقارا) لا تخافون لله عظمة وهي لغة حجازية وقال الراجز :

لا ترتجى حين تلاقى الذائدا اسبعة لاقت معاً أم واحدا
وقال الهذلي :

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عوامل

وقال : ولا يجوز رجوتك وأفت تريد خفتك ، ولا خفتك وانت تريد رجوتك (1) وناقش ابو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري هذه القضية وقال : (كلام العرب في الرجاء على ما ذكر القراء) • (2)

ومن اختلاف لهجات الاحياء

يقول حول الآية (الله لا اله الا هو الحي القيوم) الحي القيوم قراءة العامة اى عامة القراء - ، وقرأها عمر بن الخطاب وابن مسعود القيام - وقال : وصورة القيوم التميعول - والقيام الفيعال وهما جميعا مدح واهل الحجاز أكثر شئ قولاً التميعال من ذوات الثلاثة فيقولون للصواغ الصياغ • (3)

وقرئت (ييشرك) بالتخفيف والتشديد فقرأها اصحاب عبد الله فى خمسة مواضع بالتخفيف - فى آل عمران حرفان - وفى بنى اسرائيل -

(1) معانى القرآن للفراء 1 : 286

(2) الاضداد فى اللغة للانباري 10

(3) معانى القرآن 1 : 109

وفى الكهف - وفى مريم والتخفيف والتشديد صواب كما يحكى القراء ويقول : وكان المشدد على بشارات البشراء ، وكان التخفيف من وجهة الافراح والسرور وهذا شيء كان المشيخة يقولونه ، وانشدنى بعض العرب :

بشرت عيالى اذ رأيت صحيفة انتك من الحجاج، يتلى كتابها
وقال بعضهم ابشرت ولعلها لغة حجازية ، وسمعت سفيان بن عيينة (1)
يذكرها يبشر - وبشرت لغة سمعتها من عكل ، ورواها الكسائي عن غيرهم
وقال ابو ثروان بشرنى بوجه حسن ، وانشدنى الكسائي :

واذا رأيت الباهشين الى العلا غبرا اكفهم بقاع محل
فأعنيهم وابشر بما بشروا به واذا هم نزلوا بضنك فانزل

وسائر القرآن يشدد فى قول اصحاب عبد الله وغيرهم (2)

ومن الذوق اللغوي

الكناية عن الشيء بلفظ ارفع ذوقا واكثر تأديبا * اوضح القراء ذلك
فى سياق تفسيره لقوله تعالى (ولكن لا تواعدوهن سرا) فقال : لا يصفن
أحدكم نفسه فى عدتها بالرغبة فى النكاح والاكثر منه ، وروى بسنده عن
ابن عباس انه قال (السر) فى هذا الموضع النكاح وانشد بيت امرئ
القيس :

الا زعمت بسباسة اليوم انسى كبرت والا يشهد السر أمثالى
ومما يراه القراء مع هذا السياق قوله تعالى (أو جاء احد منكم من
الغائط) كناية عن قضاء الحاجة (3) *

(1) ولد بالكوفة ونقله أبوه الى مكة وعده ابن سعد فى الطبقة الخامسة
من اهل مكة

(2) معانى القرآن 1 : 212

(3) معانى القرآن 1 : 153

افتراض المشابهة:

ولم يجد القراء فى بعض القراءات وجها من العربية على جهة القطع فادارها على بعض أساليب العربية على سبيل افتراض المشابهة فمن ذلك قوله فى قراءة بعضهم (وعبد الطاغوت) بضم الباء فقال فان تكن فيه لغة مثل حذر وحذر وعجل فهو وجه - والا فانه اراد - والله اعلم - قول الشاعر:

ابنى لينى ان امكم امة وان اباكم عبء
وهذا فى الشعر يجوز لضرورة القوافى فاما فى القراءة فلا (1) *

التسليم بما قالت العرب

وهو اذ يعتمد احيانا على قواعد النحاة ، والحسن اللغوى فانه كان كبقية الكوفيين يسلم بما قالت العرب ولو جاء خارجا عما ذكره النحاة ، من ذلك ما أورده حول قوله تعالى فى سورة يونس (قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به) قال : وقد ذكر عن الحسن انه قال (ولا ادراكم به) فان يكن فيها لغة سوى دريت وأدريت فلعل الحسن ذهب اليها - واما ان تصلح من دريت أو أدريت فلا لأن الياء والواو اذا افتتح ما قبلها وسكنتا صحتا ولم تنقلبا الى الف مثل قضيت ودعوت - ولعل الحسن ذهب الى طبيعته وفصاحته فهمزها لأنها تضارع درات الحد وشبهه - وربما غلطت العرب فى الحرف اذا ضارعه آخر من الهمز فيهمزون غير المهموز سمعت امرأة من طيء تقول : رثأت زوجى بأبيات * ويقولون : لبأت بالحج ، وحلات السويق فيغلطون لأن حلات قد يقال فى دفع العطاش من الابل ، ولبأت ذهب الى اللبأ الذى يؤكل ، ورثأت زوجى ذهبت الى رثئة اللبن وذلك اذا حلبت الحليب على الرائب (2) *

(1) معانى القرآن 1 : 314 - 315

(2) معانى القرآن 1 : 459

وهكذا يتخذ من خطأ العرب فى همز ما لا يهزم مخرجا لقراءة الحسن رادا ذلك الى طبيعته وفصاحته — والقراء يسلم بما جاء عن العرب ويخرج عليه قراءة الحسن ومن الطبيعى انه لا يخرج على شىء يرفضه •

وفى هذا العرض تتضح صفة القراء يروى قراءات القراء ، ويروى طريقة اداء اهل البدو ثم ينتقل الى الناحية النحوية فيأخذ فى توجيهه صوز الاداء المختلفة ويتتبع النظائر فى القرآن ، وفى المأثور من كلام العرب ولو خالف هذا المأثور قواعد النحاة •

تأويل مشكل القرآن

رأينا فى الكتابين السابقين : مجاز القرآن ، ومعانى القرآن رجلين من الكتاب يستعينان أبا عبيدة والقراء فهم ما غمض من الآيات ، ولكننا فى هذا الكتاب (تأويل مشكل القرآن) أمام لون آخر من الناس اعترضوا كتاب الله بالظن ، ولغوا فيه وهجروا وابتغوا (ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) •

وابن قتيبة — كمعظم العلماء — يدرك العلاقة بين فهم القرآن ومعرفة العربية فيقول (وانما يعرف فضل القرآن من كثر نظره واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب ، وافتنانها فى الاساليب) فجاء كتابه كتاب لغة فى اكثر صفحاته • وكان عليه قبل ان يأخذ فى تفنيد حجج الملاحدة ان يكشف عن اسرار العربية والوجوه التى غدت على أكثرهم ثم يأخذ فى توجيهه معانى القرآن على الوجه الذى تعنيه العرب وطريقتهم فى القول ... ثم عقد باين احدهما لأصول الكلمات والآخر لحروف المعانى ونحن نبسط هذا الایجاز • فمن أساليب العرب :

— انهم قد يفرقون بحركة البناء فى الحرف الواحد بين المعنيين فيقولون : رجل لثَعْنَة (بسكون العين) اذا كان يلعنه الناس فان كان هو الذى يلعن الناس قالوا : رجل لثَعْنَة (بفتح العين) والامر على هذا القياس في قولهم رجل سُبَّة وسُبْبَة ، وهُزْأَة وهُزْأَة ، وسُخْرَة وسُخْرَة ، وضُحْكَة وضُحْكَة ، وخُدْعَة وخُدْعَة (1) .

— وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف فى الكلمة حتى يكون تقارب ما بين اللفظين كتقارب ما بين المعنيين كقولهم للماء الملح الذى لا يشرب الا عند الضرورة شروب ، ولما كان دونه مما قد يتجاوز به شريب *** وكقولهم للقبض بأطراف الاصابع قبض وبالكف قبض وللاكل بأطراف الأسنان قضم وبالفم خضم *** (2) .

— وقد يكتنف الشئ معان فيشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشئ كقولهم من البطن :

للخميص مَبْطَن •

وللعظيم البطن اذا كان خلقه بَطِين •

فاذا كان من كثرة الاكل قيل مَبْطَان •

وللمنهوم بَطِين •

وللعليل البطن مَبْطُون •

ويقولون : وَجَدْتُ الضالَةَ ، ووجدت فى الغضب ، ووجدت فى الحزن ، ووجدت فى الاستغناء ثم يجعلون الاسم فى الضالة وجودا

(1) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 12 ط دار احياء الكتب العربية

1373 هـ 1954 م

(2) تأويل مشكل القرآن 12 و 13

ووجَدانا ، وفى الحزن وَجَدَا ، وفى الغضب مَوَجِدَة ، وفى الاستغناء
مُوجِدَا (1) •

— ومن الكلام العربى واحد يراد به جمع ، جاء ذلك فى قوله تعالى
(يخرجكم طفلا) كما جاء فى قول الشاعر :

هم المولى وان جنفوا علينا وارنا من لقائهم لزور (2)

— ومنه ان يجتمع شيان فيجعل الفعل لأحدهما وهو لهما كقوله تعالى
(واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا إليها) وكقول الشاعر :

نحن بما عندنا وانت بما عن صدك راض والرأى مختلف (3)

— او ان تأمر الواحد ، والاثنين ، والثلاثة فما فوق امرك الاثنين
فتقول : افعل كقوله تعالى (القيا فى جهنم كل كفار عنيد) وكقول الشاعر:

فقلت لصاحبى لا تحبسانا بنزع اصوله ، واجتز شيحا (4)

— وكذلك يقدمون الحرف فى الكلمة وسيله التأخير ، ويؤخرون
الحرف وسيله التقديم فيقولون : جذب وجذب ، وبشر عميقة ومعيقة ،
وأحجمت من الامر وأحجمت •• (5)

— ووقع اكثر المجاز فى الاستعارة ، فالعرب تستعير الكلمة فتضعها
مكان الكلمة للمجاورة او المشاكلة وجاء ابن قتيبة بعدد من امثلة الاستعارة
وما تعوده العرب منها — ومن الاستعارة فى كتاب الله قوله عز وجل (يوم
يكشف عن ساق) قال ابن قتيبة : « اى عن شدة من الامر كذلك قال قتادة ،
وقال ابراهيم : عن امر عظيم ، واصل هذا ان الرجل اذا وقع فى امر عظيم

(1) تأويل مشكل القرآن 13 (2) تأويل مشكل القرآن 219

(3) تأويل مشكل القرآن 222 (4) تأويل مشكل القرآن 224 ،

لان نزع الشيح اسهل من جدور الحطب

(5) تأويل مشكل القرآن 234

يحتاج الى معاناته والجهد فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق فى موضع الشدة ، وقال دريد بن الصمة

كميش الازار خارج نصف ساقه صبور على الجلاء طلاع امجد
وكقول الهذلى :

وكننت اذا جارى دعا لمضوفة

أشمر حتى ينصف الساق مئزرى » (1)

— والمقلوب من اساليب العرب ومنه أن يوصف الشيء بضد صفته للتطير والتنفول كقولهم للتديغ سليم تطيرا من السقم ، وللعطشان ناهل اى سينهل يعنون : يروى ، وللغلاة مفازة اى منجاة وهى مهلكة — وللمبالغة فى الوصف ، كقولهم للشمس : جونة لشدة ضوئها ، وللغراب أعور لحدة بصره • وللاستهزاء ، كقولهم للحبشى أبو البيضاء ، وللأبيض أبو الجون — ومن هذا قول قوم شعيب (انك لأنت الحليم الرشيد) كما تقول للرجل تستجهله : يا عاقل ، وتستخفه : يا حليم • (2)

ومن المقلوب ما ياتى فى العبارة كقولهم : كان الزناء فريضة الرجم أى كان الرجم فريضة الزنا (3)

— ومن اسلوبهم (التضاد) فيسمى المتضادان باسم واحد فيقال للصبح صريم وللليل صريم • قال الله سبحانه (فأصبح كالصريم) أى سوداء كالليل لأن الليل ينصرم عن النهار ، والنهار ينصرم عن الليل — وللظلمة سدفة ، والضوء سدفة وأصل السدفة السترة فكان الظلام اذا اقبل ستر للضوء ، والضوء اذا اقبل ستر للظلام (4)

(1) تأويل مشكل القرآن 104

(2) تأويل مشكل القرآن 142

(3) تأويل مشكل القرآن 233

(4) تأويل مشكل القرآن 143

ولليقين ظن ، وللشك ظن لان فى الظن طرفا من اليقين ، قال الله عز وجل (قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله) اى يستيقنون ، وكذلك (انسى ظننت أنى ملاق حساييه) و (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم واقعوها) و (ان ظنا ان يقيما حدود الله) هذا كله فى معنى اليقين ، وتمثل ابن قتيبة بيت دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بالفى مدجج سرائهم فى الفارسى المسرد
أى تيقنوا باتيانهم اليكم • (1)

وتأتى (وراء) بالمعنيين خلف وقدام يقول ابن قتيبة : « فكل ما غاب عن عينيك فهو وراء كان قدامك او خلفك » • قال الله عز وجل (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) أى امامهم ، وقال (من وراءهم جهنم) أى أمامهم (2)

— ومن أسلوب العرب فى الاختصار حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وجعل الفعل له ما جاء فى القرآن الكريم من هذا الأسلوب قوله تعالى (واسأل القرية التى كنا فيها) أى واسأل أهل القرية ، وقوله فى سورة البقرة (وأشرَبوا فى قلوبهم العجل) أى حبه و (الحج اشهر معلومات) أى وقت الحج (3) •

ومن الاختصار الاضمار لغير مذكور كقوله جل وعز (حتى توارت بالحجاب) يعنى الشمس ولم يذكرها قبل ذلك • وقوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة) يريد على الارض • ومن هذا الاسلوب قول حاتم :

أماوى ما يعنى الشراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
يعنى النفس (4) •

(1) تاويل مشكل القرآن 144

(2) تاويل مشكل القرآن 145

(3) تاويل مشكل القرآن 162 و 163

(4) تاويل مشكل القرآن 174 و 175

ومن الاختصار أن يأتي الكلام مبينا على أن له جوابا فيحذف الجواب اختصارا لعلم المخاطب به كقوله سبحانه (ولو أن قرآنا مسيرت به الجبال أو مَقَطَّتْ به الأرض أو كُلِّمَ به الموتى بل لله الأمر جميعا) أراد لكان هذا القرآن فحذف . وكذلك قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وإن الله رؤوف رحيم) أراد لعذبكم فحذف ، ومن كلام العرب في هذا قول الشاعر :

فأقسم لو شيء آتانا رسوله سواك ، ولكن لم نجد لك مدفعا
أي لرددناه (1) .

ومنه أن تحذف (لا) من الكلام والمعنى اثباتها كقوله سبحانه (تالله تفتئ تذكر يوسف) أي لا تزال تذكر يوسف . ومنه قوله تعالى (يبين الله لكم أن تضلوا) أي لئلا تضلوا . و (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أي لئلا تزولا ومن هذا قول امرئ القيس :

فقلت يبين الله أبرح قاعدا ولو ضربوا رأسي لديك وأوصالي
وقول الآخر :

فلا وابي دهماء زالت عزيزة على قومها ما قتل الزند قادح (2)

— ومن أسلوبهم أيضا زيادة اللفظ اشباعا للمعنى أو توكيدا له كقوله تعالى : (فيها فاكهة ونخل ورمان) والنخل والرمان من الفاكهة فهذا اشباع للمعنى ومنه قول ذي الرمة :

لياء في شفيتها حوة لعل وفي اللثا وفي انيابها شنب
واللعل هو حوة ، واللعل يستحسن في الشفاه

وأما الزيادة في التوكيد كقوله تعالى (يقولون بأفواههم ما ليس في

(1) تأويل مشكل القرآن 165 و 166

(2) تأويل مشكل القرآن 174

قلوبهم) لان الرجل قد يقول بالمجاز : كلمت فلانا ، وانما كان ذلك كتابا
أو اشارة على لسان غيره فأعلمنا أنهم يقولون بألسنتهم وكذلك قوله تعالى
(يكتبون الكتاب بأيديهم) لان الرجل قد يكتب بالمجاز وغيره الكاتب
عنه ، وقال تعالى (فراغ عليهم ضربا باليمين) لان فى اليمين القوة وشدة
البطش وقال الشماخ فى مثل هذا :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين (1)

وقد تزداد (لا) فى الكلام والمعنى طرحها لائباء فى الكلام او جحد
كقول الله عز وجل (ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك) اى ما منعك أن
تسجد ، وعرض ابن قتيبة لحروف الزيادة فذكر منها : الباء ، واللام ،
والكاف ، وعلى ، وعن ، وان الثقيلة ، واذ ، وما ، وواو النسق ومثل لكل
هذا . (2)

حجج الملاحدة

اتبع الملاحدة ظاهر القول فاشاروا الى اختلاف القراءات واحتجوا
بقول الله عز وجل (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)
فأجابهم ابن قتيبة ان القرآن نزل على لهجات العرب ليقرأ كل عربى بلغته
وما جرت عليه عادته فالهذلى يقرأ (عتى حين) يريد (حتى حين) ،
والأسدى يقرأ (تسود وجوه) بكسر التاء و (الم اعهد اليكم) بكسر
الهمزة فى اعهد ، والتميمي يهمز والقرشى لا يهمز ولو ان كل
فريق من هؤلاء امر ان يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طقلا وناشئا
وكهلا لاشتد ذلك عليه . (3)

(1) تأويل مشكل القرآن 186 و 187 و 188

(2) تأويل مشكل القرآن 194 وما بعدها

(3) تأويل مشكل القرآن 30

فلما عادوا الى حديث نسب الى عائشة ، وآخر نسب الى عثمان
يشيران الى وجود اللحن فى القرآن فى مثل قوله تعالى فى سورة طه (ان
هذان لساحران) وفى سورة المائدة (ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون) وفى سورة النساء (لكن الراسخون فى العلم والمؤمنون
يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون
الزكاة) أحالهم ابن قتيبة الى لغات العرب وأساليهم بالاضافة الى آراء
النحاة فمن ذلك لغة بلحارث بن كعب حيث يقولون : مررت برجلان ،
وقبضت منه درهمان ، وجلست بين يديه وركبت علاه وانشدوا :
تزود منا بين أذنائه ضربة دعت الى هابى التراب عقيم
وقالوا :

أى قلوب راكب تراها طاروا علاهن فطر علاها (1)
فكانوا يقلبون الياء الساكنة ألفا اذا انفتح ما قبلها •
وفى قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون) قال :
رفع الصابئون لانه رد على موضع (ان الذين آمنوا) وموضعه رفع ومن
أساليب العرب فى هذا قول ضابئ البرجمى :
فمن يك أمسى بالمدينة رحله فانى وقيار" بها لغريب (2)
وفى نصب المقيمين اسند الى ابي عبيدة قوله : هو نصب على تطاول
الكلام بالنسق ومن أساليب العرب فى هذا قول الخرنق بنت هفان :
لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الازر (2)
وفى باب التناقض والاختلاف رد ابن قتيبة على ما ذكر الطاعنون من
حجج نكتفى منها بما يتصل باللغة كقولهم : ما معنى قوله (كمثل غيث

(1) تأويل مشكل القرآن 36

(2) تأويل مشكل القرآن 38

أعجب الكفار نباته) ولم خص الكفار دون المؤمنين ؟ فقال ابن قتيبة
انما يريد بالكفار هنا الزراع وأحدهم كافر ، وانما سمي كافرا لأنه اذا
ألقى البذر فى الارض كفره أى غطاه ، وكل شىء غطيته فقد كفرته
ومنه قول الشاعر :

يعلو طريقه متنها متواترا فى ليلة كفر النجوم غمامها
اى غطاها • (1)

وقالوا فى قوله تعالى للسماء والارض (اثنيا طوعا أو كرها قالتا أتينا
طائعين) لم يقل الله ، ولم يقولوا وكيف يخاطب معدوما ؟ فتمثل ابن قتيبة
بقول الشاعر يتحدث عن ناقته :

تقول اذا درأت لها وضيئى أهذا دينه أبدا ودينى
أكله الدهر حل وارتحال اما ييقى على ولا يقينى ؟
وهى لم تقل شيئا من هذا ولكنه رآها فى حال من الجهد والكلال
فقفى عليها بأنها لو كانت من تقول لقالت مثل الذى ذكر (2) الى
غير ذلك من أساليب المجاز •

تأويل المشكل

اشكل الامر التبس ... وحرف مشكل مشتبه ملتبس كما يقول
صاحب اللسان • ولقد تناول ابن قتيبة هذا المشكل فيما عرض له من تنفيذ
حجج الطاعنين ، ثم أفرد بابا لسور من القرآن اختار بعض آياتها دون تنظيم
معين ، وربما تكلم فى آيات من سورة واحدة فى اماكن مختلفة ولم
يستوف الكلام الا فى سورة الجن وعلل لذلك بقوله (فى هذه السورة
اشكال وغموض بما وقع فيها من تكرار (ان) واختلاف القراء فى نصبها
وكسرها واشتباه ما فيها من قول الله تعالى وقول الجن فاحتجنا لتأويل
السورة كلها) •

(1) تأويل مشكل القرآن 54

(2) تأويل مشكل القرآن 78 — 79

واتجه ابن قتيبة اتجاهات مختلفة فى علاج هذا المشكل فهو فى أحيان كثيرة يعنى بالامثال - والتمثل شائع فى العربية جاء منه فى القرآن كثير ولعله عنى بهذا الضرب لبيان الوجه فى المثل حتى لا يشتبه تأويله - ومن الامثال ما غمضت عبارته فكان دور ابن قتيبة أن يأخذ بيد القارئ أو السامع حتى يجلى غامضها سواء كان ذلك فى تركيب العبارة أو شرح المفردات - جاء فى سورة الرعد قوله تعالى (انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا راييا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض كذلك يضرب الله الامثال) * يقول ابن قتيبة : هذا مثل ضربه الله للحق والباطل ويقول : الباطل وان ظهر على الحق وعلاه فان الله سيمحقه ويبطله ، ويجعل العاقبة للحق وأهله ، ومثل ذلك مطر جود أسال الأودية بقدرها : الكبير على قدره والصغير على قدره * (فاحتمل السيل زبدا راييا) أى عاليا على الماء كما يعلو الباطل تارة على الحق ، ومن جواهر الأرض التى تدخل الكبر ويوقد عليها يعنى الذهب والفضة للحلية ، والشبه والحديد للآلة حيث يعلوها مثل زبد الماء (فأما الزبد فيذهب جفاء) أى يلقيه الماء عنه فيتعلق بأصول الشجر وبجنبات الوادى ، وكذلك خبث الفلز يقذفه الكبر فهذا مثل الباطل (وأما ما) الماء الذى (ينفع الناس) وينبت المرعى (فيمكث فى الارض) وكذلك الصفو من الفلز يبقى خالصا لا شوب فيه فهو مثل الحق (1) وقد اتبع هذا الوجه فيما جاء من أمثال فى سورة النور (2) والروم (3) والنحل (4) *

(1) تأويل مشكل القرآن 251

(2) الآيات 35 — 40 ص 252 من كتاب تأويل مشكل القرآن

(3) الآية 27 و 28 ص 297

(4) الآية 92 ص 301

وقد يكون للفظ خاصية لغوية فيبينها ويزيل بذلك غموض المعنى .
 جاء في سورة الاعراف قوله تعالى (فمثلته كمثل الكلب ان تحمل عليه
 يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص
 لعلهم يتفكرون) فقال : فكل شيء يلهث فانما يلهث من اعياء أو عطش أو
 علة خلا الكلب فانه يلهث في حال الدلال ، وحال الراحة وحال الصحة
 والمرض وحال الرى والعطش فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته فقال : ان
 وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته وزجرته فسعى
 لهث ، أو تركته على حاله أيضا لهث (1) .

وقد يشير في سبيل تحديد المعنى الى مختلف أقوال الفقهاء ثم يشير
 أيضا الى ما يتخيره منها . من ذلك ما جاء في سورة النحل في قوله تعالى
 (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا
 حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا) فقال : هذا مثل ضربه الله لنفسه ، ولن
 عبداً دونه (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) فهذا مثل من
 جعل آلهها دونه أو معه لانه عاجز مدبر مملوك لا يقدر على تفعل ولا ضر .
 ثم قال (ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون)
 فهذا مثله جل وعز لانه الواسع الجواد القادر الرازق عباده جهرا من حيث
 يعلمون وسرا من حيث لا يعلمون .

وقال بعض المفسرين : هو مثل للمؤمن والكافر ، فالعبد هو الكافر
 والمرزوق هو المؤمن . ثم قال ابن قتيبة : والتفسير الأول أعجب الى وعلل
 ذلك بأن المثل توسط كلامين هما لله تعالى ، أما الاول فقوله (ويعبدون
 من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا
 يستطيعون) (2) فهذا لله ومن عبداً من دونه . واما الآخر فقوله بعد

(1) تاويل مشكل القرآن 286

(2) سورة النحل آية 73 ص 299 تاويل مشكل القرآن

انقضاء المثل (الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون) •

وابن قتيبة يربط بين هذا التفسير وبين نظير مشابه له فى قوله تعالى (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) أى أخرس (لا يقدر على شىء وهو كل على مولاه) أى عيال وثقل على قرابته ووليه (اينما يوجهه لا يأت بخير) فهذا مثل آلهتهم ... ثم قال : (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) فجعل هذا المثل لنفسه •

وهكذا يلجأ ابن قتيبة فى سياق تأويل الامثال الى الفهم والذوق اللغوى وربط الدلالات بنظائرها من القرآن نفسه •

وفى غير ما عرض له من الامثال عرض لآيات اخرى فتتبع فى تأويلها أصل الكلمة اللغوى وما تطور اليه هذا الاصل من دلالة • من هذا ما جاء فى تأويل قوله تعالى من سورة (ص) (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض فليرتقوا فى الأسباب جنداً ما هنالك مهزوم من الأحزاب) (1) يقول ابن قتيبة : أصل الهزم الكسر ، ومنه قيل للنقرة فى الأرض هزيمة أى كسرة وهزمت الجيش أى كسرتهم ، وتهزمت القربة أى انكسرت (2)

وفى سورة (القصص) (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) قال : معاد الرجل : بلده لانه يتصرف فى البلاد ويضرب فى الارض ثم يعود الى بلده ، يقال رد فلان الى معاده أى رد الى بلده (3) • وفى سورة (الزخرف) اشكلت الآية (قل ان كان للرحمن ولد فأنا

(1) الآيات 9 — 11 ص 273 تأويل مشكل القرآن

(2) تأويل مشكل القرآن 273 (3) تأويل مشكل القرآن 329

أول العابدين) للاختلاف فى معنى عبد • اذ تأتى فى العربية على وجهين فالذين يفسرون عبد بمعنى وحّد يقولون : ان الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله عليه السلام : قل للمشركين (ان كان للرحمن ولد) اى عندكم فى ادعائكم (فانا أول العابدين) أى الموحدين • والذين فسروا عبد بمعنى أنفَ وغضب يقولون : العابدون هنا الغضاب الآنفون • (1)

والذى اختاره ابن قتيبة من مشكل الآيات قدر ضئيل بالاضافة الى آيات القرآن وربما حصر المشكل من وجهة نظره هو فى هذا القدر وأعان الطالب بكتب أخرى (2) كتفسير غريب القرآن فقد يحتوى المشكل على غريب اللفظ وقد لا يكون كذلك حين يأتى اشكاله من ناحية الأسلوب الذى غمض على بعض أهل عصره فتتبع ظائره فى أساليب العرب ثم جعل للغريب كتابا ذكره فى كتاب (تأويل مشكل القرآن) فقال (وافردت للغريب كتابا لكى لا يطول هذا الكتاب وليكون مقصورا على معناه خفيفا على من قرأه) (3) ويبدو انه تناول الكتابين فى وقت واحد فإشار هنا الى كتاب الغريب كما اشار فى كتاب الغريب الى كتاب المشكل فقال فى مقدمته (... ثم نبتدىء فى تفسير غريب القرآن دون تأويل مشكله اذ كنا قد افردنا للمشكل كتابا جامعا كافيا بحمد الله) •

أصول الكلمات

قد تقصر الظلال وتطول وتنشكّل بأشكال مختلفة دون أن يخفى ذلك رباطها بالاصل ، وفى العربية كلمات اتسعت مدلولاتها وبقيت واشجة القرابة بالاصل فاختار ابن قتيبة عدة أصول أدار عليها الدلالات القرية

(1) تأويل مشكل القرآن 289

(2) له كتاب اعراب القرآن ، وكتاب القراءات وكتاب معانى القرآن

(3) تأويل مشكل القرآن 25

وتمثل لاكثرها بآيات من القرآن الكريم ونحن نكتفى بأحد هذه الاصول
للتعريف بهذا الوجه من التأليف • فيقول فى (قضى) :

« اصل قضى . حثّم كقول الله عز وجل (فليمسك التى قضى عليها
الموت) اى حثّمه عليها ، ثم يصير الحثم بمعان كقوله (وقضى ربك ألا
تعبدوا الا آياه) أى امرنا لانه لما أمر حثّم بالأمر وكقوله (وقضينا الى بنى
اسرائيل فى الكتاب) أى أعلمناهم لانه لما خبرهم أنهم سيفسدون فى
الأرض حثّم بوقوع الخبر ، وقوله (فقضاهن سبع سموات) أى صنعهن ،
وقوله (فاقض ما أنت قاض) أى فاصنع ما أنت صانع ، ومثله قوله
(فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم افضوا الى)
أى اعملوا ما أنتم عاملون ولا تنظّرون • قال أبو ذؤيب :

وعليها مسرودتان قضاها

داود أو صنع السوابغ تبع

أى صنعها داود وتبع • وقال الآخر فى عمر بن الخطاب رضى الله
عنه :

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها

بوائج فى أكمامها لم تفتق

أى عملت أعمالا — لان كل من عمل عملا وفرغ منه فقد حثمه وقطعه
قيل للحاكم قاض لانه يقطع على الناس الامور ويحتم ، وقيل قضى قضاؤك
أى فرغ امرك ، وقالوا للميت قد قضى أى فرغ — وهذه كلها فروع ترجع
الى أصل واحد • « (1)

(1) تأويل مشكل القرآن 342 — 343 والبوائج جمع بالغة وهى الداهية

وبعد • ترى ما الفارق بين هذا الذى سماه ابن قتيبة الأصل والفروع وبين الحقيقة والمجاز ، فالحقيقة ان تستعمل الكلمة فيما وضعت له عند اهل الاصطلاح الذى وقع به التخاطب ، والمجاز هو الاتساع فى استعمال الكلمة فى غير ما وضعت له فى اصطلاح التخاطب • ومن هنا يخرج تأليف ابن قتيبة عن هذا النسق ، وانما يلجأ الى الاتساع فى التأويل عن طريق الصيرورة أى كان اللفظ بمعنى كذا ثم صار كذا كالمذى فلحظه فى كلمة (الامة) حيث يقول : ان اصلها (الصنف من الناس والجماعة) كقوله عز وجل (كان الناس أمة واحدة) ••• ثم تصير الامة : الجين ، كقوله عز وجل (وادكر بعد امة) ••• ثم تصير الأمة الامام والربانى كقوله تعالى (ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا) أى اماما يقتدى به الناس لانه ومن اتبعه أمة ، فسمى امة لانه سبب الاجتماع ، وقد يجوز أن يكون سمي امة لانه اجتمع عنده من خلال الخير ما يكون مثله فى امة ومن هذا يقال : فلان أمة وحده أى هو يقوم مقام امة ••• (1)

وهذا - فيما أرى - وجه من التأويل (2) قريب من المجاز الذى يعنيه ابو عبيدة معمر بن المثنى فى كتابه (مجاز القرآن) يعنى تأويله ومعناه وتفسيره اى ما يجوز أن تفسر به هذه الكلمة او تلك لا المجاز المقابل للحقيقة والذى شقق فيه الكلام فيما بعد عبد القاهر الجرجاني فى كتابيه دلائل الاعجاز ، واسرار البلاغة •

اما الفروع الشديدة الصلة بالاصل فهى فروع الاشتقاق اللفظى وقد ذكرها ابن قتيبة فى هذا الباب ومنه : اللسن « بتشديد اللام المفتوحة ، وفتح السين » ، واللسن « بتشديد اللام المفتوحة وتسكين السين » ،

(1) تأويل مشكل القرآن 345

(2) انظر قول اللغويين فى مادة ل م فى اللسان وغيره

واللَّسَنُ « بتشديد اللام المكسورة وتسكين السين » كله من اللسان
فَاللَّسَنُ جودة اللسان ، واللَّسَنُ : العذل واللوم ، واللَّسَنُ : اللغة يقال
لكل قوم لسن • (1)

وعرض في هذا الباب أيضا للمشترك فقال :
الضرب - باليد كقوله تعالى (فضرِب الرقاب) وقوله (واهجروهن فى
المضاجع واضربوهن) •
والضرب - المسير قال تعالى (اذا ضربتم فى سبيل الله) وقال تعالى :
(وآخرون يضربون فى الارض)
والضرب - التبيين والوصف • قال تعالى (ضرب الله مثلا) وقال (فلا
تضربوا لله الامثال) اى لا تصفوه بصفات غيره ولا تشبهوه
به • (2)

حروف المعاني

وأفرد ابن قتيبة فى كتاب المشكل بابا فسر فيه حروف المعاني ، وأشبه
الحروف التى لا تنصرف ، أشار الى اكثرها فى القرآن الكريم وتتبع
شواهدا فى أقوال العرب ورجع الى آراء اللغويين السابقين فيها من امثال
الخليل (3) وابى عمرو ، وابى عبيدة (4) ، والاصمعى (5) وسيبويه (6)
والكسائى (7) وابن الاعرابى (8) والقراء (9) وغيرهم •

(1) تأويل مشكل القرآن 370 (2) تأويل مشكل القرآن 379

(3) تأويل مشكل القرآن 401 و 405 و 406 و 421

(4) المصدر السابق 406 (5) المصدر السابق 424

(6) المصدر السابق 403 و 405 (7) المصدر السابق 401

(8) المصدر السابق 404 (9) المصدر السابق 406 و 420 و 421

وكان يشير أحيانا الى لهجات القبائل كقوله فى (لما) « تكون بمعنى (لم) فى قوله (بل لما يذوقوا عذاب) اى بل لم يذوقوا عذاب ، وتكون بمعنى (الا) قال تعالى (وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) اى الا متاع الحياة الدنيا ، (ان كل نفس لما عليها حافظ) اى الا عليها حافظ وهى لغة هذيل مع ان الخفيفة التى تكون بمعنى (ما) « - ومن قرأ (لما) بالتخفيف جعل (ما) صلة واراد : ان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا ، وان كل نفس لعلها حافظ . (1)

وفى هلم - أشار الى طريقة الحجازيين والنجديين فيها - فأهل الحجاز لا يثنونها ولا يجمعونها - وأهل نجد يجعلونها من هلمت فيثنون ويجمعون ويؤثنون . (2)

تبادل حروف الصفات

ولحروف الصفات معانى شائعة جاءت فى جمهرة الكلام ، وبدت كأنها غريبة حين جاءت فى غير استعمالها الشائع وجاء بها القرآن الكريم على وجهيهما . فكان ابن قتيبة - اما لبيان طريقة القول - او لسد الطريق أمام الطاعنين يشير الى هذه الحروف فى القرآن ويتتبع شواهدا فى كلام العرب . من ذلك :

مجيء (فى) بمعنى (على) فى قوله تعالى (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) أى على جذوع النخل قال الشاعر :

وهم صلبوا العبدى فى جذع نخلة
فلا عطست شييان الا بأجدعا (3)

(1) المصدر السابق 413

(2) المصدر السابق 421

(3) المصدر السابق 426

ومجىء (الباء) مكان (عن) فى قوله تعالى (فاسأل به خيرا) أى
عنه • قال علقمة بن عبدة :

فان تسألونى بالنساء فأننى
بصير بأدواء النساء طيب
أى عن النساء (1) وجمع من ذلك قدرا جعله فى آخر الكتاب •

وهكذا جاء كتاب تأويل مشكل القرآن كتاب لغة فى مجموعته وان
اتخذ الحاجة سببا اليه •

الطبرى وكتابه (جامع البيان عن تأويل آى القرآن)

كتاب أبى جعفر من أوسع الكتب التى تناولت تفسير القرآن الكريم،
فلم يكتف ككثير من المفسرين واللغويين ببيان مشكله وانما فسر القرآن
كله • والسعة التى نلاحظها فى كتاب (جامع البيان عن تأويل آى القرآن)
ليست كلها خالصة للتأويل كما انها ليست كلها خالصة للدراسات العربية
وانما تعود فى جزء كبير منها الى الأسانيد العديدة التى عنى بها الطبرى
وخاصة فى سياق التفسير بالمأثور •

ولقد تسلم الطبرى لمهمته فى التفسير اللغوى بدراسة وافية فى الشعر
والنثر واللغة والنحو - ونالت الدراسة اللغوية جزءا كبيرا من عناية الطبرى
جاء بعضها كمقالات قدم بها لكتابه ، واكثرها فى نطاق التفسير • وتضمنت
هذه المقالات قضايا « البيان عما فى آى القرآن من المعانى التى من قبلها

(1) تأويل مشكل القرآن 427

يدخل اللبس على من لم يعان رياضة العلوم العربية ولم تستحكم معرفته
بتصاريف وجوه منطق الألسن السليقية الطبيعية » • (1)

فتكلم عن اعجاز القرآن وفضل المعنى الذى باين به سائر الكلام -
والقول فى البيان عن الأحرف التى اتفقت فيها الفاظ العرب والفاظ غيرها
من بعض أجناس الأمم - ثم عقد مقالا مطولا عن اللغة التى نزل بها القرآن
تناول فيه مختلف الآراء حول حديث النبى صلى الله عليه وسلم (أنزل
القرآن على سبعة أحرف ...) وفى مقال آخر تكلم عن الوجوه التى من
قبلها يوصل الى معرفة تأويل القرآن عرض فيه لقوله تعالى فى سورة آل
عمران (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب ،
وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم
يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب) فقال :

(ان مما أنزل من القرآن على نبيه صلى الله عليه وسلم ما لا يوصل
الى علم تأويله الا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم • وذلك تأويل جميع
ما فيه من وجوه أمره وواجبه ، وندبه ، وارشاده ، وصنوف نهيه ، ووظائف
حقوقه وحدوده ومبالغ فرائضه ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض وما اشبه
ذلك من احكام آيه التى لم يدرك علمها الا ببيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأمته ، وهذا وجه لا يجوز لاحد القول فيه الا ببيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم له تأويله بنص منه عليه ، او بدلالة قد نصبها ، دالة
أمته على تأويله •

وان منه ما لا يعلم تأويله الا الله الواحد القهار وذلك ما فيه من
الخبر عن آجال حادثة واوقات آتية كوقت قيام الساعة ، والنفخ فى الصور ،

(1) تفسير الطبرى 1 : 7 ط دار المعارف (تراث الاسلام)

وقزول عيسى بن مريم وما أشبه ذلك فان تلك أوقات لا يعلم أحد حدودها ولا يعرف أحد من تأويلها الا الخبر بأشراتها لاستتثار الله بعلم ذلك على خلقه ...

وان منه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن وذلك اقامة اعرابه ، ومعرفة المسميات باسمائها اللازمة غير المشترك فيها والموصوفات بصفاتھا الخاصة دون سواھا (...) (1)

وتلمح فيما تناوله الطبرى من التفسير انه :

— يفسر القرآن كله

— يعنى بالمأثور ويأتى بأسانيدھ

— يعنى بالتفسير اللغوى ويتتبع شواهدھ من كلام العرب

وقد يجتمع فى مادة واحدة تفسير بالمأثور ، وتفسير لغوى ، وقد يوثق هذا بذلك كما يناقش سابقه فى هذه المادة . فمن ذلك كلامه فى قوله تعالى (الرحمن الرحيم) حين افترض من يسأله : اذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤد عن معنى الآخر ؟ — واذا كان لكل كلمة منهما معنى فما المعنى الذى انفردت به كل واحدة منهما ؟ قال الطبرى :

أما من جهة العربية

فلا تمانع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل : (الرحمن) عن ابنية الاسماء من « فَعِلَ — يَفْعَلُ » اشد عدولا من قوله « الرحيم » ولا خلاف مع ذلك بينهم ان كل اسم له اصل فى « فَعِلَ — يَفْعَلُ » —

(1) تفسير الطبرى 1 : 73 — 75

ثم كان عن أصله من « فَعِلَ - يَفْعَلُ » أشد عدولا - أن الموصوف به مفضل على الموصوف بالاسم المبني على أصله من « فعل - يَفْعَلُ » اذا كانت التسمية به مدحا او ذما • فهذا ما فى قول القائل (الرحمن) من زيادة المعنى على قوله (الرحيم) فى اللغة •

وأما من جهة الأثر والخبر:

ففيه بين أهل التأويل اختلاف - ثم نقل عن السرى بن يحيى التميمى بسنده عن العزمى قوله : « الرحمن » - بجميع الخلق « الرحيم » بالمؤمنين •

كما نقل بسنده عن ابى سعيد الخدرى قوله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان عيسى ابن مريم قال : الرحمن : رحمن الآخرة والدينا - والرحيم رحيم الآخرة •

وقال الطبرى : فهذان الخبران قد انبأ عن فرق ما بين تسمية الله جل ثناؤه باسمه الذى هو « رحمن » - وتسميته باسمه الذى هو « رحيم » واختلاف معنى الكلمتين - وان اختلفتا فى معنى ذلك الفرق فدل أحدهما على أن ذلك فى الدنيا ودل الآخر على أنه فى الآخرة • •

مناقشة اللغويين القدامى :

وبعد أن ناقش الأقوال المأثورة وذكر أسانيدھا قال : (وقد زعم أيضا بعض من ضعفت معرفته بتأويل أهل التأويل ، وقلت روايته لأقوال السلف من أهل التفسير أن « الرحمن » مجازة : ذو الرحمة - و « الرحيم » مجازة : الراحم ثم قال : قد يقدران اللفظين من لفظ والمعنى واحد وذلك لاتساع الكلام عندهم • قال : وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا : ندمان ونديم ثم استشهد ببيت برج بن مسهر الطائى :

وندمان ، يزيد الكاس طيبا سقيت وقد تغورت النجوم

واستشهد بأبيات نظائره فى « النديم » و « الندمان » ففرق بين معنى « الرحمن » و « الرحيم » فى التأويل لقوله : الرحمن : ذو الرحمة والرحيم : الراحم ، وان كان قد ترك بيان تأويل معنيهما على صحته ثم مثل ذلك باللفظين يأتیان بمعنى واحد مع اختلاف الالفاظ * (1)

والطبرى يعنى أبا عبيدة معمر بن المثنى فلقد جاء ذلك فى كتابه مجاز القرآن (2) * والرأى عندى ان الحملة التى أثارها الطبرى على أبى عبيدة لا محل لها - ووصفه له بضعف المعرفة بتأويل أهل التأويل ، وقلة روايته ، امر ينفيه صفته العلمية التى أشاد بها أكثر الرواة ، ومؤلفاته العديدة فى اللغة ومنها كتاب المجاز * والفرق بين الطبرى فى كتابه (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) وأبى عبيدة فى كتابه (مجاز القرآن) هو الوجه الذى اختاره كل منهما فى التأليف - فالطبرى يفسر القرآن كله ، ويحاول استقصاء الجانب اللغوى ، واسانيد التفسير بالمأثور ومنهج أبى عبيدة محصور فى سبب وضعه لكتاب المجاز حيث عنى ببيان المشكل وتتبع شواهد فى اساليب العرب على النحو الذى بيناه فى تعريفنا بكتاب المجاز ففرق بين معنى الرحمن والرحيم فى التأويل لقوله : الرحمن : ذو الرحمة ، والرحيم : الراحم وتمثل بشاهدين لكل من الندمان والنديم كدليل على استعمال العرب للصيغتين فعلاان وفعل دون التعرض للفرق الدقيق بينهما *

(1) تفسير الطبرى 1 : 126 - 132
(2) مجاز القرآن 1 : 21 ط الخانجى سنة 1954

وعرض لقوله تعالى (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فناقش زيادة
(الا) فى رأى أبى عبيدة كما جاء فى كتاب المجاز ، كما ناقش الفراء فيما
أورده فى كتاب (معانى القرآن) وانتصر للفراء * (1)

وفسر قوله تعالى (يخادعون الله والذين آمنوا) ثم أخذ فى مناقشة
صيغة يفاعل مؤكدا ضرورة حدوثها من فاعلين - ثم عرض بابى عبيدة على
تنقص وان لم يصرح باسمه فقال : « قال بعض المنسويين الى العلم بلغات
العرب أن ذلك حرف جاء بهذه الصورة - اعنى يخادع - بصورة يفاعل
وهو بسعنى يفعل *** نظير قولهم : قاتلك الله بمعنى قتلته الله (2) »
والفرق بين الرجلين ايضا أن أبا عبيدة يعنى بالأسلوب كما جاء عن العرب
متهديا بالذوق اللغوى ، وأن الطبرى يحاول رد الشاذ عن القياس الى
الكليات التى قاسها النحاة وان تأول لها وجها فيقول : (وليس القول فى
ذلك عندى كالذى قال . بل ذلك من التفاعل الذى لا يكون الا من اثنين **
وذلك : ان المنافق يخادع الله جل ثناؤه بكذبه بلسانه *** والله تبارك
اسمه خادعه بخذلانه عن حسن البصيرة بما فيه نجاة نفسه فى آجل
معاده ***)

واكثر المناقشات اللغوية دارت حول آراء الفراء الكوفى وأبى عبيدة
البصرى وان لم يصرح باسميهما مكتفيا بعبارة : ويزعم بعض نحويى
الكوفة ، او - يزعم بعض البصريين - والمعروف ان لكل من الرجلين
كتابا فى هذا السياق أولهما كتاب المجاز لابى عبيدة والثانى كتاب معانى
القرآن للفراء وقد عرفنا بالكتابين *

(1) تفسير الطبرى 1 : 189 وما بعدها

(2) انظر تفسير الطبرى 1 : 274 ، وكتاب المجاز 1 : 31

وقد اتجهت عناية الطبرى الى الدراسات اللغوية فى سياق التأويل
فكان :

يعنى المفردات

فيفسرها ويتتبع شواهد هذا التفسير فى كلام العرب كما يشير الى
معان اخرى يحتملها اللفظ ، فقد فسر كلمة الرب فى قوله تعالى (الحمد
لله رب العالمين) وبعد أن استوفى وجوه التأويل عقب بقوله (وقد ينصرف
أيضا معنى الرب فى وجوه غير ذلك) (1) - وقد يستطرد الى شرح الشاهد
نفسه فيفسر مفرداته ويشير الى وجوه اللغوية - فسر قوله تعالى (لا ريب
فيه) بأنه لا شك فيه وتمثل لذلك بقول ساعدة بن جؤية الهذلى :

فقالوا تركنا القوم قد حصروا به

فلا ريب أن قد كان ثم لحيم

وقال : « ويروى حَصَرُوا وحَصِرُوا ، والفتح اكثر والكسر جائز ... أن
قد كان ثم لحيم يعنى قتيلا • يقال قد لحم اذا قتل » • (2)

ومن الكلمات ما اتخذت مدلولاً فى العصر الاسلامى لا يتفق اتفاقاً
تماماً مع المدلول اللغوى ، من ذلك كلمة الصلاة فهى فى كلام العرب : الدعاء ،
بين ذلك أبو جعفر وتمثل بقول الأعشى وهو يصف الخمر :

لها حارس لا يبرح الدهر بيتها

وان ذبحت صلى عليها وزمما

يعنى بذلك : دعا لها ثم قال : « وأرى أن الصلاة المفروضة سميت صلاة لأن

(1) تفسير الطبرى 1 : 142

(2) تفسير الطبرى 1 : 229

المصلى متعرض لاستنتاج طلبته من ثواب الله بعمله مع ما يسأل ربه من حاجات تعرّض الداعى بدعائه ربه استنتاج حاجاته وسؤله « (1) - وأصل الزكاة نماء المال وتثميته ومن ذلك قيل زكا الزرع اذا كثر ما أخرج الله منه ، وزكت النفقة اذا كثرت ، فاصبحت الكلمة تعنى فى العصر الاسلامى اداء الصدقة المفروضة •

والفسق: فى أصله اللغوى هو الخروج عن الشيء ، يقال منه: فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها ، ومن ذلك سميت الفأرة فويسقة لخروجها عن جحرها فاستدل بذلك على أن المنافق والكافر فاسقان لخروجهما عن طاعة ربهما ، ذكر ذلك أبو جعفر فى تأويل قوله تعالى (وما يضل به الا الفاسقين) - وقال جل ذكره فى صفة ابليس (الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه) يعنى خرج عن طاعته واتباع امره • (2)

وبالأساليب

التي نكتفى منها ببعض الأمثلة ، من ذلك القلب المعنوى وقد جاء ذلك فى قوله تعالى (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء) فيكون المعنى للمنعوق به ، والكلام خارج على الناعق كما قال نابغة بنى ذبيان :

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتى

على وعل فى ذى المطارة عاقل

والمعنى : حتى ما تزيد مخافة الوعل على مخافتى - وكما قال الآخر :

(1) تفسير الطبرى 1 : 242 و 243

(2) تفسير الطبرى 1 : 409

كانت فريضة ما تقول كما
كان الزناء فريضة الرجم

وكقولك : اعرض الحوض على الناقة وانما تعرض الناقة على
الحوض (1) ومن أساليبهم مجيء (أو) بمعنى الواو فالشائع أن (أو)
تدخل في الكلام على وجه الشك من المخبر فيما أخبر عنه ، ولكن مجيئها
في قوله تعالى (أو كصيب من السماء) يخالف هذا الاستعمال ، وغير جائز
في الله جل ثناؤه أن يضاف إليه الشك في شيء - قال الطبري : ان كانت
- أى أو - في بعض الكلام تأتي بمعنى الشك فانها تأتي دالة على مثل
ما تدل عليه الواو اما سابق من الكلام قبلها ، واما بما يأتي بعدها وتمثل
بشعر لثوبة بن الحمير ، وشعر لجريير - ولشاعر آخر يقول :

فلو كان البكاء يرد شيئا
بكيت على بجير او غفاق
على المرأين اذ مضيا جميعا
لشأنهما بحزن واشتياق

فقد دل بقوله : على المرأين اذ مضيا جميعا ان بكاءه الذى اراد ان
يكيه لم يرد ان يقصد به احدهما دون الآخر بل اراد ان يكيهما جميعا

(1) تفسير الطبري 3 ، 311 و 312 و 4 : 287 ومجاز القرآن 1 : 63
وفيه (هذا القميص لا يقطعنى) و (ادخلت القنسوة فى رأسى)
وفى القرآن (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة) .

فكذلك ذلك فى قول الله جل ثناؤه (او كصيب من السماء) • (1)

ومن اساليب العرب انهم لا يمنعون مجيء الاعمام بمعنى الآباء -
وجاء مثل هذا فى قوله تعالى (اذ قال لبيه ما تعبدون من بعدى قالوا
نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق) وكان اسماعيل عما
ليعقوب ، ولهذا الأسلوب دخل اسماعيل فيمن ترجم به عن الآباء (2) وفيها
قال ابو عبيدة : والعرب تجعل العم والخال أبا (3) •

وبالخصائص اللغوية

فيتناول المشترك اللفظى فى تأويله قوله تعالى : (ثم استوى الى
السماء فسواهن سبع سموات) جمع أبو جعفر من معانى الاستواء فى
كلام العرب :

— انتهاء شباب الرجل وقوته ، فيقال اذا صار كذلك : قد استوى
الرجل •

— استقامة ما كان فيه اود من الامور والاسباب ، يقال منه : استوى
لفلان امره اذا استقام بعد اود •

— الاقبال على الشيء ، يقال استوى فلان على فلان بما يكرهه
ويسوءه بعد الاحسان اليه •

— الاحتياز والاستيلاء كقولهم استوى فلان على المملكة بمعنى
احتوى عليها وحازها •

— العلو والارتفاع كقول القائل : استوى فلان على سريره يعنى به
علوه عليه (4) كما تناول مثل هذا المشترك فى اماكن كثيرة (5) •

(1) تفسير الطبرى 1 : 336 (2) تفسير الطبرى 3 : 99

(3) مجاز القرآن 1 : 57 (4) تفسير الطبرى 1 : 430

(5) تفسير الطبرى 1 : 321 و 322

والإبدال • فقد تناوله فى أعقاب تأويله لقوله تعالى (واذا قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) فذكر ان قراءة عبد الله بن مسعود (ثومها) بالشاء وقال : فان كان ذلك صحيحا فانه من الحروف المبدلة كقولهم : وقعوا فى عاثور شر وعافور شر وكقولهم للأثافي أثافى • وللمغافير مغاثير وما اشبه ذلك مما تقلب الشاء فاء والفاء ثاء لتقارب مخرج الفاء من مخرج الشاء • واقتبس اكثر ما جاء فى هذه المناسبة من كتاب الفراء (1) والاضداد - فقال بعد تأويل قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) ان العرب قد تسمى اليقين ظنا والشك ظنا نظير تسميتهم الظلمة : سدفة والضياء سدفة - والمغيث صارخا والمستغيث صارخا وما أشبه ذلك من الاسماء التى تسمى الشئ وضده ، وتتبع شواهد الظن بمعنى اليقين فى شعر دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألقى مدجيج

سراتهم فى الفارسى المسرد

يعنى ذلك : تيقنوا القى مدجيج تأتيكم ، وقول عميرة بن طارق :

بأن تغتزوا قومي واقعد فيكم

واجعل منى الظن غيبا مرجما

يعنى : وأجعل منى اليقين غيبا مرجما ، كما استشهد بأية اخرى تأولوا الظن فيها بمعنى اليقين وهى قوله (ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها) • (2)

(1) تفسير الطبرى 2 : 130 ومعانى القرآن 1 : 41

(2) تفسير الطبرى 2 : 18 و 19

وباللغات غير الشائعة

من ذلك زوج وزوجة لامرأة الرجل - والزوجة بالهاء أكثر في كلام العرب منها بغير الهاء ، وقيل ان الزوج لغة لازد شنوءة (1) والاصمعي يراها بغير الهاء دوما فقال : زوج لا غير واحتج بقول الله عز وجل (اسكن انت وزوجك الجنة) * (2)

الى غير ذلك من المباحث اللغوية التي استفاضت في كتاب الطبري *

القراءات واللهجات

من حديث عمر بن الخطاب قال : سمعت هشام بن حكيم بن خزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها - وفي رواية - على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكادت أساوره في الصلاة ، فتصبرت حتى سلم فلبسته بردائه فقلت : من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال : أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم * فقلت : كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت ، فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله انى سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرأنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أرسله) ، اقرأ - فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هكذا أنزلت) ثم قال لى : (اقرأ) فقرأت فقال (هكذا أنزلت ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرأوا ما تيسر منه) *

(1) تفسير الطبري 1 : 514

(2) اللسان مادة زوج ، وزعم الكسائي عن القاسم بن معن انه سمع من ازد شنوءة بغير الهاء

والذى عليه اكثر الشراح ان الحديث يعنى لغات القبائل ولهجاتهم حتى يستطيع كل عربى أن يقرأه على لحن قومه ، كما ان الشراح أيضا لا يرون فى كلمة (سبعة) تحديدا لمنطوق العدد بل كان الرجلان من قبيلة واحدة يقرآن على اختلاف لهجتيهما كما فهمنا من قصة عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم وكلاهما قرشى ، ويشير القرآن الكريم الى هذه الرخصة فى قوله تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر) *

ومن الكتب التى أشارت الى هذه اللهجات (كتاب اللغات فى القرآن) أخبر به اسماعيل بن عمرو المرقى عن عبد الله بن الحسين بن حسن بن باسناده الى ابن عباس (1) كما عقد السيوطى فصلا فى كتاب الاتقان ذكر فيه ما وقع فى القرآن بغير لغة الحجازيين الى غير ذلك مما جاء فى كتب القراءات والشروح *

والمصاحف التى كتبت فى عهد عثمان تسمح بالمختار من القراءات اذ كانت مجردة من النقط والشكل فشرطوا للقراءة الصحيحة موافقتها للعربية ولو بوجه ، وموافقتها احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا ، وصحة السند * ووضعوا القراء السبعة انفسهم تحت هذا الضابط فقال أبو شامة رحمه الله فى كتاب المرشد الوجيز (.. فلا ينبغي ان يغتر بكل قراءة تعزى الى واحد من هؤلاء السبعة ويطلق عليها الصحة ، وان هكذا أنزلت الا اذا دخلت فى ذلك الضابط فان الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف لا عن تنسب اليه فان القراءات المنسوبة الى كل قارىء من السبعة وغيرهم مقسمة الى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة

(1) حققه صلاح الدين المنجد وطبع فى مطبعة الرسالة سنة

1365 هـ - 1946 م

الصحيح المجتمع عليه فى قراءاتهم ترُكّن النفس الى ما ثقل عنهم فوق ما
ينقل عن غيرهم (1) •

وبقى من وراء هذا الجهد المتأنى فى قراءات القرآن الكريم ما لا
يوجد فى غيره من الآثار المعول عليها فى مصادر الرواية اللغوية ، كالأظهار ،
والادغام ، والتفخيم ، والترقيق ، والامالة ، والاشباع ، والمد ، والقصر ،
والتخفيف ، والتشديد ، والهمز ، والتسهيل الى غير ذلك •

⁷ واصلاح المنطق وبيان مخارج الحروف عصب من أعصاب اللغة
وصلب من أصلابها لا أحسب اللغة جمعت او فلسفت الا معتمدة عليه •
قد يجد الرواة فى مآثور الكلام مترادفا ، ومشتركا ، ومتضادا ، ومبدلا ،
ومقلوبا فيجولون فيه - متفقين أو مختلفين - الا أن يجدوا له شبيها من
القرآن الكريم يهديهم اليه صوت القارئ مشيرا الى لهجته التى قرئ بها
فيرون فيه القول الفصل واداء معبرا عن ماضى العريضة الصحيحة ، ونحن
تفصل القول فى القراءات وشواذها من وجهتنا اللغوية •

القراءات

تناولت القراءات بالاضافة الى الدراسات اللغوية التى سبق بيانها فى
كتب التفسير والمعانى - طرق الاداء الصوتى - واصبح من اليسير للذى
يسمع القرآن مرتلا على وجوه القراءات أن يقول : هذه رواية الحجازيين ،
او هذه قراءة التميميين ، أو هذه الآية قرئت باداء الاعاجم الذين لم

(1) النشر 1 : 10

يستطيعوا التخلص من طباعهم فى اداء لغتهم الأصلية (1) •

والامالة والفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على السنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم — فالفتح لغة أهل الحجاز ، والامالة لغة عامة أهل نجد من تميم واسد وقيس (2) •

وليس الفتح والامالة مستحدثات أتت بها القراءات وانما كانت لغات تأصلت من قبل ، ويقولون فيها ان الاصل هو الفتح ، ولما كان الأداء الصوتى ينحو دائما الى الأسهل فان الامالة كانت تدرجا من الفتح لأن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالامالة ، والانحدر أخف على اللسان من الارتفاع فلهذا أمال من أمال ، وأما من فتح فانه راعى كون الفتح أمتن أو الأصل (3) •

ومن الأداء المعبر عند العرب ما أشارت به القراءات من المد فى مثل قوله تعالى (لا اله الا الله) (لا اله الا هو) (لا اله الا انت) وهو مد يسمى مد المبالغة او التعظيم — قال ابن مهران فى كتاب المدات له « انما سمي مد المبالغة لانه طلب للمبالغة فى نفي الهية سوى الله سبحانه —

(1) يقول ابن الجزرى فى كتاب النشر ضمن ما كتبه عن الفتح والامالة (... والفتح هو فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده الف اظهر ، ويقال له ايضا التفخيم وربما قيل له النصب ، وينقسم الى فتح شديد وفتح متوسط ، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف ، ولا يجوز فى القرآن بل هو معدوم فى لغة العرب وانما يوجد فى لفظ عجم الفرس ولا سيما اهل خراسان ، وهو اليوم فى اهل ما وراء النهر ايضا . ولما جرت طباعهم عليه فى لغتهم استعملوه فى اللغة العربية وجروا عليه فى القراءة ووافقهم على ذلك غيرهم وانتقل ذلك عنهم حتى فشا فى اكثر البلاد وهو ممنوع منه فى القراءة ... وهذا هو التفخيم المحض) النشر

29 : 2

(2) النشر 2 : 29 والاتقان 1 : 91

(3) النشر 2 : 35

وهذا معروف عند العرب لأنها تمتد عند الدعاء وعند الاستغاثة وعند
المبالغة» (1) •

الهمز

وقد احتل الهمز مكانا بارزا في الدراسات اللغوية منذ بدأت الرواية
— فقد عمل كتاب في الهمز مما أملاه ابن أبي اسحق (2) • وتناظر في الهمز
ابن ابي اسحق ، وابو عمرو بن العلاء حين جمع بينهما بلال بن أبي بردة —
ثم كتب فيه كل من قطرب ، والاصمعي ، وابو زيد •

وكانت القراءات من عوامل الانتباه الى الهمز اذ كانت من الفوارق
الواضحة بين لهجة الحجاز ولهجة تميم ، فكانت هذيل واهل مكة والمدينة
والحجاز بصفة عامة لا ينبرون وأشار الى ذلك ابن الجزري فقال (• • •) ولما
كان الهمز أثقل الحروف نطقا وأبعدها مخرجا تنوع العرب في تخفيفه
بأنواع التخفيف كالنقل ، والبدل ، وبين بين ، والادغام وغير ذلك وكانت
قريش واهل الحجاز اكثرهم له تخفيفا ، ولذلك اكثر ما يرد تخفيفه من
طرقهم كابن كثير من رواية ابن فليح وكنافع من رواية ورش وغيره وكأبي
جعفر من اكثر رواياته ولا سيما رواية العمري عن اصحابه عنه فانه لم يكد
يحقق همزة وصل ، وكان محيصن قارئ اهل مكة مع ابن كثير وبعده ،
وكأبي عمرو فان مادة قراءته عن اهل الحجاز ، وكذلك عاصم من رواية
الأعشى عن أبي بكر من حيث أن روايته ترجع الى ابن مسعود (3) •

وعلى طريقة الحجازيين قرأ ابن كثير (انها لحدى الكبر) وقرأ سالم
ابن عبد الله بن عمر (فمن تعجل في يومين فلثم عليه) وقراءة الجماعة (فلا
ائم عليه) الا انه حذف الهمزة البتة فالتقت الف (لا) وئاء (الاثم) ساكنين
فحذف الألف من اللفظ لالتقاء الساكنين (4) •

(2) المزهر 2 : 398
(4) المحتسب 1 : 120

(1) النشر 1 : 344 — 345
(3) النشر 1 : 428 — 429

وكثير من القراءات الشاذة كانت منجذبة الى لهجات مختلفة ، حكى
المبرد بسنده عن ابي زيد سعيد بن أوس أنه سمع عمرو بن عبيد يقرأ
(فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان) قال أبو زيد فظننت قد لحن
الى أن سمعت العرب تقول : شأبة ، ومأدّة ، ودأبة وعليه قول كثير :
إذا ما العوالى بالعبيط احمارّت (1)

وقال عباس : سألت ابا عمرو عن الشجرة (بكسر الشين) فى قوله
تعالى (ولا تقربا هذه الشجرة) فكرها وقال : يقرأ بها برابر مكة
وسودانها - وقال هارون الأعور عن بعض العرب تقول : الشجرة وقال
ابن ابي اسحق انها لغة بنى سليم (2) •

وفى هذا المجال وجد ابن جنى السياق موافقاً لفرق بين الأصل والبدل
فى كلمة الشيرة وهى الشجرة فروى عن أبى الفضل الرياشى قوله : (كنا
عند أبى زيد وعندنا أعرابى فقلت له : انه يقول (الشيرة) فسأله فقالها •
فقلت له : سله عن تصغيرها ، فسأله • فقال : (شيرة) وأنشد الأصمعى
لبعض الرجاز :

تحسبه بين الاكام شيرة

قال ابن جنى : اذا كانت الياء فاشية فى هذا الحرف كما ترى فيجب
ان تجعل أصلاً يساق الجيم ولا تجعل بدلاً من الجيم لأمرين :
احدهما : ثبات الياء فى تصغيرها فى قولهم : شيرة ولو كانت بدلاً من
الجيم لكانوا خلطاء اذا حقروا الاسم ان يردوها الى الجيم ليدلوا
على الأصل •

(1) المحتسب : 1 : 47 وانظر اللسان ج ن وفيه قول كثير :
وانت ابن ليلى خير قومك مشهدا اذا ما احمارت بالعبيط العوامل
(2) المحتسب : 1 : 74

والآخر : ان شين شجرة مفتوحة ، وشين شيرة مكسورة ، والبدل لا تفسر فيه الحركات انما يوقع حرف موضع حرف (1) و (2)

وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ، وابو الطفيل ، وعبد الله بن ابي اسحق ، وعاصم الجحدري ، وعيسى بن عمر الثقفي (هدى) فى قوله تعالى من سورة البقرة (فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) قال ابو الفتح : هذه لغة فاشية فى هذيل وغيرهم أن يقلبوا الألف من آخر المقصور اذا اضيف الى ياء المتكلم ياء • (3)

وقرأ علقمة ، ويحيى بن وثاب ، والاعمش (ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) بكسر الراء وهى لغة لبنى ضبة • (4)

وقرأ محمد بن السميع فى سورة آل عمران (ان يمسسكم قرَح) بفتح القاف والراء فقال ابو الفتح : ظاهر هذا الامر ان يكون فيه لغتان : قرَح بسكون الراء ، وقرَح بفتح الراء كالحلب والحلب ، والطرْد والطرْد ، والشل والشلل • ومع ان بعض العلماء يميل الى التعليل بفتح ما قبل الحاء لانها من حروف الحلق الا أن أبا الفتح يرجح فى النهاية ان القرَح (بفتح الراء) لغة • (5)

وفى سورة الكهف (فكان ابواه مؤمنين) وقرئت (فكان ابواه مؤمنان) (6) وفى سورة طه (ان هذان لساحران) قرأها ابو عمرو

(1) المحتسب 1 : 74

(2) اللسان شرح ر (3) المحتسب 1 : 76

(4) اتحاف فضلاء البشر 1 : 266 ، البحر المحيط 5 : 323

(5) المحتسب 1 : 166 و 167

(6) البحر المحيط 6 : 272

بتشديد النون فى (ان) وهذين بياء ساكنة - وقرأ غير ابى عمرو
بتشديد النون فى (ان) وهذان بالالف فقال الزجاج بسنده عن ابى عبيد
عن ابى الخطاب انها لغة كثانة يجعلون الف الاثني فى الرفع ، والنصب ،
والخفض على لفظ واحد فيقولون : اتانى الزيدان ، ورأيت الزيدان ،
ومرت بالزيدان وكذلك روى اهل الكوفة انها لغة بنى الحارث بن
كعب - وقال ابو عبيد : كان الكسائي يحكى هذه اللغة عن بنى الحارث
ابن كعب ، وخيشم ، وزبيد ، وأهل تلك الناحية وقال ابو جعفر
النحاس : هذا الوجه من أحسن ما حملت عليه الآية اذ كانت هذه اللغة
معروفة قد حكاهما من يرتضى علمه وصدقه وأماته منهم أبو زيد الانصارى
- وقال غيره : هى لغة بنى العنبر ، وبنى الهجيم ، ومراد ، وعذرة -
وبعضهم يفر من الياء مطلقا فى التثنية والاسماء الستة وعليها قول الراجز :

اي قلو ص راكب تراها

طاروا علاهن فطر علاها

ان أباهها ، وأبأ أباهها

قد بلغا فى المجد غايتها (1)

ومن ازد السراة من يسكن الهاء المضمرة اذا وصلها فيقول : مررت
به° أمس ، فخرج أبو الفتح قراءة ابن عباس (ونادى نوح ابنه°) بجزم
الهاء على هذه اللغة . (2)

التميمية والحجازية

وكثير من القراءات جاءت على لهجة تميم فكان أبو الفتح يشير الى
هذه اللهجة او يقارن بينها وبين لهجة الحجازيين . فمن ذلك :

(1) إبراز المعاني. 397 ط الحلبي سنة 1349 هـ

(2) المحتسب 1 : 323

كانت تميم تكسر أول المضارع اذا كان ثاني ماضيه مكسورا نحو :
 علمت : تعلم (بكسر التاء) وانا اعلم (بكسر الهمزة) وهى تعلم (بكسر
 التاء) وتقل الكسرة فى الياء استثقالا للكسرة فيها - وكذلك ما فى اول
 ماضيه همزة وصل مكسورة نحو (يوم تسود وجوه وتبيض وجوه)
 وعلى ذلك قراءة من قرأ (فتمسكم النار) بكسر التاء * (1)

والصنوان - بالضم لتمييم وقيس ، وبالكسر لاهل الحجاز * (2)

وقرأ نفر من القراء (ربيون) بضم الراء فعزاها ابو الفتح للغة
 تميم (3) وكان ابو الفتح يرى لغة الحجازيين أمثل من غيرها - جاء ذلك
 فى اكثر من مناسبة فى كتاب المحتسب فقد قرأ الحجازيون فى سورة
 البقرة : يعلمهم ، ويلعنهم (الآية 129 و 159) - وقرأها التميميون
 مخففة بتسكين الميم والنون فقال ابو الفتح : اما الثقل فلا سؤال عنه ولا
 فيه - لأنه استيفاء واجب الاعراب - لكن من حذف فعنه السؤال ، وعلته
 توالى الحركات مع الضمات فيثقل ذلك عليهم فيخففون باسكان حركة
 الاعراب ، وعليه قراءة ابى عمرو (فتوبوا الى بارئكم) فيمن رواه بسكون
 الهمزة * (4)

وقرأ الحسن ، وقتادة ، وابو رجاء ، والجحدري ، وسهيل بن شعيب
 (نثرا) فى سورة الاعراف بضم النون وجزم الشين ، وهو تخفيف
 (نثرا) فى قراءة العامة وهى لغة الحجازيين * قال ابو الفتح : والثقل
 افصح لانه لغة الحجازيين ، والتخفيف فى نحو ذلك لتمييم (5) فيقولون فى
 كلمة : كلمة بتسكين اللام ، وفى كبد : كبد بتسكين الباء ، وخرج ابو

(1) المحتسب 1 : 330	(2) المحتسب 1 : 351
(3) المحتسب 1 : 173	(4) المحتسب 1 : 109
(5) المحتسب 1 : 255	

الفتح قراءة الحسن وابى رجاء ، ومجاهد (فنظرة الى ميسرة) بتسكين
الطاء على هذا الوجه بينما قراءة الجماعة بكسر الطاء * (1)

وقرأ الحسن ، وابراهيم ، ويحيى بن وثاب (وانتم حرّم) باسكان
الراء وهى تميّمة ايضا * (2)

وأكثر ما جاء التخفيف فى المكسور والمضموم — أما ما جاء من ذلك
فى المفتوح فشاذا لا يقاس عليه لأن المفتوح لا يخفف ، ولذلك رفض ابن
جنى ان يكون (مرّض) بسكون الراء فى قوله تعالى (فى قلوبهم مرض)
مخففا عن مرّض * (3)

ومع ما رأيت من شيوع التخفيف عند التيسيمين فانه لم يكن صفة
دائمة عندهم ، ولا التثقل صفة دائمة عند الحجاز انهم يخففون خمس
عشرة لا يحركون الشين ، وتميم تثقل وتكسر الشين (4) وأهل الحجاز
يخففون الهدى يجعلونه كالرمى ، وتميم يشددونه يقولون : الهدى
كالعشى والشقى * (5)

فلسفة ابن جنى فى بعض القراءات الشاذة.

اول من كتب فى تبين وجوه القراءات الشاذة هو ابو الفتح عثمان
ابن جنى وكان استاذ ابو على الفارسى قد وضع كتاب الحجة فى الاحتجاج
 للقراءات السبع ، وهم بوضع كتاب آخر فى الاحتجاج للقراءات الشاذة
 فلم يتيسر له ما اراد *

(2) المحتسب 1 : 205

(4) الزهر 2 : 275

(1) المحتسب 1 : 143

(3) المحتسب 1 : 53

(5) الزهر 2 : 277

ولم تكن وجهة ابن جنى فى كتابه (المحتسب) تلمس وجه من العربية للقراءة الشاذة ، ولم تكن القراءة الشاذة عنده بأقل من تلك التى اجمعوا عليها ، بل لعل بعض ما جاء من هذا الشاذ - او كثير منه - (مساو فى الفصاحة للمجتمع عليه • نعم ، وربما كان ما تلطف صنعته) فكان عليه ان يناقش هذا الوجه من القراءة حتى لا يظن ظان ان العدول عن هذا الوجه هو غض منه أو تهمة له •

يقول ابن الجزرى فى اختلاف القراءات (...) ان معنى اضافة كل حرف من حروف الاختلاف الى من أضيف اليه من الصحابة وغيرهم انما هو من حيث انه كان اضبط له ، واكثر قراءة واقراء به ، وميلا اليه - لا غير ذلك وكذلك اضافة الحروف والقراءات الى ائمة القراءة ورواتهم المراد بها ان ذلك القارئ وذلك الامام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة حسبما قرأ به ، فأثره على غيره ، وداوم عليه ، ولزمه حتى اشتهر وعرف به ، وقصد فيه ، واخذ عنه فلذلك اضيف اليه من القراء ، وهذه الاضافة اضافة اختيار ودوام ولزوم - لا اضافة اختراع ورأى واجتهاد (1) •

ولقد اعان ابن جنى على ما هو بسبيله معرفة واسعة باللغة ، واستبطن لاسرارها ، وتذوق لطعومها كأنه نقع فى ينابيع العربية نقعا ، فانجذب طبعه لها ، ودق حسه ، ولطف تناوله لها •

لاحظ ابو الفتح تقارب بعض الحروف فى المخرج او الصفة فأخى بينها ، وأحل بعضها مكان بعض ، ووضع اللفظ مكان اللفظ ، وسلط عليها التأمل والصنعة حتى انقادت لهذا التآخى •

جاء فى سورة هود (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا) وقرأها

(1) النشر 1 : 51 — 52

ابن عباس ، وايوب السخيتاني (فأكثر جدلنا) فقال ابو الفتح وهو
يعرض للقراءة الاخيرة : الجدل اسم بمعنى الجدل والمجادلة ، وأصل
ج د ل فى الكلام القوة منه قولهم :

غلام جادل : اذا ترعرع وقوى

وركب فلان جديلة رأيه : اى صمم عليه ولم يلن فيه

ومنه الاجدل : للصقر وذلك لشدة خلقه

وكذلك الجدل انما هو الاقتواء على خصمك بالحجة ، قال الله عز
وجل (وكان الانسان اكثر شىء جدلا) اى مغالبة وتقويا ، ونحو منه
لفظا :

طلبى شادن اى قد قوى واشتد ، ثم اخذ ابو الفتح يعرض ملاحظته
فقال : الشين اخت الجيم ، والنون اخت اللام يعنى : الشين والنون فى
شادن ، والجيم واللام فى جادل • ونحو منه : عطوت الشىء اذا تناولته ،
وقالوا : اتيت عليه اذا ملكته واشتملت عليه • والعين اخت الهمزة ، والطاء
اخت التاء ، والواو اخت الياء (1) وهو يعنى العين ، والطاء ، والواو فى
عطوت - والهمزة ، والتاء والياء فى أتيت ، وهذه قضية من قضايا الفلسفة
اللغوية التى اشاعها ابن جنى فى كتبه - تعتمد على جرس الحروف
والمشابهة الصوتية لها وكأنه يعلل لظواهر القلب والابدال فى العربية •

فالشين اخت الجيم فكلتاها مفتوحة منخفضة وان افرقا فى الصفات
الاخرى فالشين مهموسة رخوة ، والجيم مجهورة شديدة ، وقد تبادلنا فى:
مدمج ، ومدمش وهو احكام القتل فى رقة • قال الشاعر :

اذ ذاك اذ جبل الوصال مدمش

فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى (2) •

(1) المحتسب 1 : 321 — 322

(2) اللسان د م ج

والنون اخت اللام فكلتاهما مجهورة متوسطة الشدة مفتوحة
منخفضة ذلقية وقد جاء فى اول كتاب (القلب والابدال) لابن السكيت
عن الاصمعى :

— هتنت السماء ، وهتلت •

— والسدول ، والسدون : ما جلل به الهودج •

— والكتل ، والكتن : التلجج ولزوق الوسخ بالشيء •

— ولعاعة ، ونعاعة لبقل ناعم •

— وبغير رقل ، ورقن اذا كان سابغ الذيل •

— وطبرزل ، وطبرزن للسكر •

وعن ابى عبيدة : يقال للحرة

— نوبة ولوبة ، ومنه قيل للأسود : لوبى ونوبى

ولابى زيد : الدحن من الرجال : العظيم الباطن ، وقال الاصمعى : هو

الدحل باللام (1) •

والعين اخت الهمزة ، كلتاهما مجهورة مفتوحة منخفضة حلقية ، جاء

عن الاصمعى :

— آديته على كذا ، وأعديته أى قويته وأعنته ، ويقال : أستاذيت

الأمير على فلان ، واستعديته •

— وموت زؤاف ، وزعاف •

وقال الفراء : سمعت بنى نبهان من طيء يقول : دأنى يعنى دعنى (2)

والطاء اخت التاء تتفقان مخرجا وصفة ، يقال :

— طعنه فقطره ، وقتره : القاه على احد جانبيه ، كما يقال :

— الغلط ، والغلت (3) •

(1) القلب والابدال لابن السكيت اول الكتاب

(2) القلب والابدال 22 ، وكتاب الابدال لابی الطيب 2 : 552

(3) القلب والابدال 46

والياء اخت الواو كلتاهما مجهورة متوسطة الشدة مفتوحة منخفضة
فمن الممكن ان يتحقق بينهما التبادل ، ومن ذلك الوجه ايضا قرأت هذيل
(عتى حين) وعلل لها ابو الفتح بأن العرب تبدل احد هذين الحرفين من
صاحبه لتقاربهما فى المخرج كقولهم : (يحثر ما فى القبور) اى (بعثر) (1)
وضبعت الخيل أى ضمحت *

وقد احال ابن جنى على كتابه (الخصائص) حيث افرد لهذه الظاهرة
بابا عجيبا (2) لم يمنعنا من الاسترسال فى الاشارة والتعليق عليه الا التزاما
بما جاء منه فى صدد القراءات *

ومن التخاريج الفلسفية لابن جنى ايضا ان (اليأس) ، (والتبئين)
لغتان جاءت بهما القراءات * ففى الآية الكريمة (افلم ييأس الذين آمنوا
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) قرأها على عليه السلام ، وابن عباس ،
وابن ابي مليكة ، وعكرمة ، والجحدري ، وعلى بن حسن ، وزيد بن على ،
وجعفر بن محمد ، وابو زيد المدنى ، وعلى بن بديمة ، وعبد الله بن يزيد
(افلم يتبين الذين) فخرجها ابو الفتح على لغة (هبيل) وهو فخذ من
(النخع) لقول شاعرهم :

الم ييأس الاقوام أنى أنا ابنه

وان كنت عن أرض العشيرة فائيا

وقول سحيم بن وثيل :

اقول لأهل الشعب اذ يأسرونى

الم تياسوا انى ابن فارس زهدم

أى ألم تعلموا *

وكان من الممكن ان يكتفى ابن جنى بما بينه من ان اليأس هو العلم

(1) المحتسب 1 : 343

(2) الخصائص 2 : 145 (باب فى تصاقب الالفاظ لتصاقب المعانى)

— بلغة هبيل لا سيما وان الفراء ، و ابا عبيدة ذكرا ذلك ونسباه الى هذيل ،
والى النخع (1) الا ان الرجل — كما قلنا — كان شديد التأمل ، حفيا بأسرار
العربية اخذ يقارب بين المعنيين ، وهو يدرك ان العامة ، وفيهم عامة المتعلمين
يرون الفارق بين اليأس بمعنى القنوط أو عدم الرجاء ، وفيهم عامة المتعلمين
فقال :

(ويشبه عندي أن يكون هذا راجعا أيضا الى معنى اليأس ، وذلك
أن المتأمل للشئ المتطلب لعلمه ذاهب بفكره فى جهات تعرفه اياه ، فاذا
ثبت يقينه على شئ من أمره اعتقده وأضرب عما سواه ، فلم ينصرف اليه
كما ينصرف اليأس من الشئ عنه ، ولا يلتفت اليه) ثم يقول (وهذه
اللغة هكذا طريق صنعتها وملاءمة اجزائها وضم ثمرها وشتاتها • فان لم
تطبّن لها ، وتلاق بين متهاجراتها بدّت فرقا ، وكانت حرية — لو لا طفتها —
بالتعاق والالتقاء ••) (2) •

وقرأ عاصم الجحدري فى سورة المائدة (وعزّرتهم) خفيفة فقال
ابو الفتح : عزّرت الرجل ، اعزّره عزرا : اذا حطته وكفّته — وعزّرت
(بالتشديد) : فخمت امره وعظّمته • ثم قال : وكأنه لقربه من الازر وهو
التقوية معناه أو قريبا منه ، ونحوه عزّر اللبن وحزر : اذا حمض واشتد ،
فانظر الى تلامح كلام العرب واعجب (3) •

(1) تفسير القرطبي 9 : 319 ، والذين فسروا اليأس بمعناه المعروف
وهو القنوط قالوا : افلم ييأس الذين آمنوا من ايمان هؤلاء الكفار
لعلمهم أن الله تعالى لو اراد هدايتهم لهداهم ، لان المؤمنين تمنوا
نزول الآيات طمعا فى ايمان الكفار • تفسير القرطبي 9 : 319

(2) المحتسب 1 : 358

(3) المحتسب 1 : 208

واتخذ ابن جنى بعض القراءات سبيلا الى القول فى فلسفة العريية
 فمن ذلك : الفرق بين - فرقنا (مشددة الراء - وبينها مخففة الراء) فقال
 ابو الفتح حول قراءة الزهرى (واذا فرقنا بكم البحر) مشددة • يعنى
 فرقنا : جعلناه فرقا - ومعنى فرقنا (مخففة) شققنا بكم البحر - وفرقنا
 (المشددة) اشد تبعيضا من فرقنا • وقوله تعالى (فكان كل فرق كالطود
 العظيم) يحتمل أن يكون فرقين ، ويحتمل ان يكون افراقا (1) •

والرجل هنا وهو يميز القراءة بالتشديد ، ويستعين بتخريج آية من
 سورة البقرة (2) بنظير من سورة الشعراء (3) على أن التشديد أكثر
 تبعيضا ، يميز قراءة الجماعة بالتخفيف على انه للتكثير أيضا لدلالة الفعل
 على مصدره ، وعلى هذا خرج قراءة ابن محيصن (يَذْبَحُونَ ابناءكم)
 بفتح الياء ، وسكون الذال ، وفتح الباء وقال : والمصدر اسم الجنس ،
 وحسبك بالجنس سعة وعموما (4) •

وقرأ على عليه السلام ، وابو رجاء ، وجؤية بن عائذ (ولا تناسوا
 الفضل بينكم) فقال ابو الفتح : الفرق بين تنسوا ، وتناسوا ان تنسوا نهى
 عن النسيان على الاطلاق : أنسوه أو تناسوه - فأما تناسوا فانه نهى عن
 فعلهم الذى اختاروه كقولك : قد تغافل ، وتصام ، وتناسى اذا أظهره من
 فعله ، وتغاطاه ، وتظاهر به - وأما تفعل فانه تعمل الامر وتكلفه كقوله :

ولن تستطيع الحلم حتى تحلما

أى حتى تكلفه •

(1) المحتسب 1 : 82

(2) الآية 50

(3) الآية 63

(4) المحتسب 1 : 81

ويعزو أبو الفتح حسن هذه القراءة لسبيين :

أولهما : أنك انما تنهى الانسان عن فعله هو ، والتناسى من فعله *
فأما النسيان فظاھر أنه من فعل غيره فكأنه أنسى نفسه ، قال الله سبحانه
(وما أنسانيه الا الشيطان) *

والثاني : ان المأمور هنا جماعة — وتفاعل — لائق بالجماعة كتقاطعوا ،
وتواصلوا وتقاربوا ، وتباعدوا * (1)

وعرض ابن مجاهد لرواية المفضل عن الاعمش عن يحيى وابراهيم
وأصحابه (الا تقسطوا) بفتح التاء بينما قراءة الجماعة بضمها — وقال ابن
مجاهد : لا أصل له — ولكن ابن جنى بين لها وجهها مستقيما من العربية
حين فرق بين فعل ، وافعل من (قسط) مع زيادة (لا) فقال :

هذا الذى انكره ابن مجاهد مستقيم غير منكر وذلك على زيادة (لا)
حتى كأنه قال : وان خفتم ان تقسطوا فى اليتامى — اى تجوروا — يقال :
قسط اذا جار وأقسط اذا عدل ، قال الله جل وعلا (وأما القاسطون فكانوا
لجهنم حطباً) وزيادة (لا) قد شاعت عنهم واتسعت * * * (2)

والقول فى الكلام والكلم حول قراءة الاعمش (يسمعون كلم الله)
قال ابو الفتح :

« الكلام : كل ما استقل برأسه ، اعنى الجمل المركبة * * * فأما الكلم
فلا يكون أقل من ثلاث وذلك انه جمع كلمة * * * ولذلك ما اختاره صاحب
الكتاب (اى سيبويه) على الكلام فقال : هذا باب علم ما الكلم من
العربية ، ولم يقل ما الكلام ، وذلك لأن الكلام كما قد يكون فوق الاثنين

(1) المحتسب 1 : 127 — 128

(2) المحتسب 1 : 180 — 181

فكذلك ايضا قد يكون اثنين ، وسيبويه انما أراد هنا ثلاثة أشياء : الاسم والفعل والحرف فترك اللفظ الذى قد يكون أقل من الجماعة الى اللفظ الذى لا يكون الا جماعة * (1)

وقرأ الحسن ، وعمرو الأسوارى (أصيب به من أساء) بالسین * فقال ابو الفتح « هذه القراءة أشد افصاحا بالعدل من القراءة الفاشية التى هى (من أشاء) لان العذاب فى القراءة الشاذة مذكور علة الاستحقاق له وهو الاساءة ، والقراءة الفاشية لا يتناول من ظاهرها علة اصابة العذاب له وان ذلك لشيء يرجع الى الانسان * وان كنا قد أحطنا علما بأن الله تعالى لا يظلم عباده ، وانه لا يعذب أحدا منهم الا بما جناه واجترمه على نفسه ، الا أنا لم نعلم ذلك من هذه الآية بل من أماكن غيرها * وظاهر قوله تعالى (من أشاء) بالسين المعجمة ربما أوهم من يضعف نظره من المخالفين انه يعذب من يشاء من عباده - أساء أو لم يسئ » * (2)

وهنا نراه بالاضافة الى حسه اللغوى ، رجلا يحس بالمسئولية الدينية فيقيم حاجزا منيعا أمام الذين يقرأون القرآن ابتغاء الفتنة واساءة التأويل * وحذف المضاف شائع عند العرب فخرج عليها ابو الفتح قراءة يزيد بن القعقاع فى سورة النساء (بما حفظ الله) بالنصب بينما قرأها الجمهور بالرفع كانه قرأ : بما حفظ دين الله ، وشريعة الله وقال : ان حذف المضاف فى القرآن والشعر وفصيح الكلام فى عدد الرمل سعة * ومما جاء منه فى القرآن الكريم : (ان تنصروا الله ينصركم) اى دين الله ... وربما حذفت العرب المضاف بعد المضاف مكررا أنسا بالحال ودلالة على موضوع

(1) المحتسب 1 : 93 — 94

(2) المحتسب 1 : 261

الكلام كقوله عز وجل (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أى من أثر حافر
فرس الرسول * (1)

وعلى حذف المضاف ايضا قراءة من قرأ (وأتبع الذين ظلموا) بضم
الهمزة واسكان التاء وكسر الباء * وتقديره عند أبى الفتح : اتبع الذين
ظلموا جزاء ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين : أى جزاء ما أترفوا فيه وأجرموا
فلم يشكروا * بل اترفوا فيه مجرمين ظالمين * (2)

وعلى ذكر المحذوف ، فمن جمال حذف المفعول قوله تعالى (ووجد
من دونهم امرأتين تذودان) أى تذودان ابليهما * قال أبو الفتح : ولو نطق
بالمفعول لما كان فى عذوبة حذفه ولا فى علوه ، أشد ابو على للحطية :

منعمة تصون اليك منها
كصونك من رداء شرعى

أى تصون الحديث وتخزنه ، وعلى هذا النحو خرج ابو الفتح قراءة
من قرأ (يرتع ويلعب) بضم الياء وكسر التاء فى الفعل الأول أى يرتع
مطيته فحذف المفعول * (3)

وقرأ الاعمش فى سورة آل عمران (ومن يرد ثواب الدنيا يوته منها
ومن يرد ثواب الآخرة يوته منها وسنجزى الشاكرين) بالياء فيهما فأضمر
الفاعل لدلالة الحال عليه * أى يوته الله يدل على ذلك قراءة الجماعة
(نؤته منها) بالنون * (4)

وقرأ يحيى وابراهيم فى سورة المائدة (فيرى الذين فى قلوبهم مرض)

-
(1)	المحتسب 1 : 188	(2)	المحتسب 1 : 331
(3)	المحتسب 1 : 333	(4)	المحتسب 1 : 170

بالياء • اى فيرى رائيهن أو متأملهن ... فأضمر الفاعل لدلالة الحال عليه • (1)

وقرأ مجاهد (زَيْن للناس حبُّ الشهوات) بفتح الزاى والباء على حذف فاعل هذا الفعل ، وهو ابليس ودل عليه ما يتردد فى القرآن من ذكره نحو قول الله تعالى : (يعدهم ويمنيهم) فى سورة النساء • (2)

حمل ظاهر اللفظ على معناه

ومن القراءات ما كشف عن طريقة العرب فى حمل ظاهر اللفظ على معقود المعنى ففى قوله تعالى فى سورة البقرة (واتقوا يوما ترجعون فيه) قرأها الحسن (واتقوا يوما يرجعون فيه) بياء مضمومة • فعللها ابو الفتح بترك الخطاب الى لفظ الغيبة كقوله تعالى (حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) غير انه تصور فيه معنى مطروقا هنا فحمل الكلام عليه • • • كآته قال : واتقوا يوما يرجع فيه البشر الى الله فأضمر على ذلك فقال : يرجعون فيه الى الله • (3)

وقد تناول هذه الظاهرة ابو الفتح فى كتاب الخصائص ، وضرب لها الامثال من القرآن الكريم ، ومن فصيح الكلام منشورا ومنظوما كتأنيث المذكر ، وتذكير المؤنث ، وتصور معنى الواحد فى الجماعة ، والجماعة فى الواحد الى غير ذلك •

فمن امثلة تذكير المؤنث قوله تعالى (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربه) أى هذا الشئ المرئى • وقوله تعالى (فمن جاءه موعظة من ربه) لأن الموعظة والوعظ واحد • وفى قوله تعالى (ان رحمة الله قريب من

(2) المحتسب 1 : 155

(1) المحتسب 1 : 213

(3) المحتسب 1 : 145

المحسنين) قالوا : أراد بالرحمة هنا المطر ... ومن كلام العرب فى هذا قول الحطيئة :

ثلاثة أنفس ، وثلاث ذود لقد جار الزمان على عيالى

ذهب بالنفس الى الانسان فذكر •

وحكى الاصمعى عن ابى عمرو انه سمع رجلا من اهل اليمن يقول :
فلان لغوب ، جاءته كتابى فاحتقرها ، فقلت له : تقول جاءته كتابى ؟ فقال :
نعم اليس بصحيفة • فأنت المذكر حملا على معنى الصحيفة •

وخرج ابو الفتح على هذا الوجه قراءة مجاهد (ان تُعَفَّ عن طائفة
منكم) بالتاء المضمومة (تعذب طائفة) فقال : الوجه يعف بالياء لتذكير
الظروف ... لكنه حمل على المعنى فأنت (تعف) حتى كأنه قال : ان
تسامح طائفة او ان ترم طائفة • وزاد فى الانس بذلك مجيء التأنيث يليه
وهو قوله (تعذب طائفة) • (1)

ومن باب الواحد والجماعة ما جاء فى قوله سبحانه (ومن الشياطين
من يغوصون له) فحمل على المعنى • وقال (بلى من اسلم وجهه لله وهو
محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فأفرد على لفظ
(من) ثم جمع من بعد •

وبعد :

فلا مراء ان العربية مدينة فى خلودها الى القرآن الكريم • ومهما
قلبت صفحات التاريخ فلن تجد رابطا استطاع ان يربط بين شعب ولغة
ودين بقدر ما ربط القرآن الكريم بين الامة الاسلامية ولغتها • فاللغات
كما نعلم كالكائنات الحية تولد ، وتشب ، وتشيب ، وتهزل ، وتموت ،

(1) المحتسب 1 : 298

وتتأثر بغيرها من اللغات وتلد جديدا على انقراض قديم ، وكان من الممكن ان تكون العربية كذلك لولا هذا السند المتين : القرآن الكريم •

لقد نزل بلغة قريش فى مجموعه ، وكانت قريش قد استصفت لهجات العرب حين كانوا يأتونها حاجين او متاجرين ، واذن لهم ان يقرأوه بلهجاتهم كما تطوع به السنتهم ، بل كان القرآن يتناول احيانا بعض الالفاظ تأتى على لهجة الحجازيين مرة وعلى لهجة التميميين مرة حين يتطلب النظم ذلك • فأهل الحجاز يقولون : انا منك براء ، وتميم وسائر العرب : انا منك برىء واللغتان فى القرآن (1) وقريش يقولون : اسريت ، وغيرهم يقولون : سريت واللغتان فى القرآن ايضا (2) فضيق القرآن فوارق اللهجات ، وجمع المسلمين على سطور وآياته يقيمون به صلاتهم ويجدون أصول معاملاتهم فيه ، وهو فوق هذا أصل ما فى العربية ذوقا وبيانا فلم يلبث ان اجتذب كل المسلمين ونفرا من غيرهم كل يتلمس فيه بغيته : المسلم لاصول دينه ، والاديب يشبع منه حاسته اللغوية ، والملحد ليتلمس سقطا او يجادل فيه ابتغاء الفتنة فأفادت العربية من كل هذه الوجوه حتى من الملاحظة •

لقد ذهب من مصادر رواية اللغة ركن له خطره بذهاب القرن الثانى وهو السماع (3) وما جاء منه بعد ذلك كان شيئا يسيرا يجرى بعضه

-
- (1) قال تعالى فى سورة الزخرف (واذا قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون) الآية 26 • وقال تعالى فى سورة الانعام (قل انما هو اله واحد واننى برىء مما تشركون) الآية 19 وانظر كذلك الآيات 78 من سورة الانعام و48 من الانفال ، و41 من يونس ، و35 و54 من هود و216 من الشعراء و16 من الحشر •
- (2) الآية الاولى من سورة الاسراء ، والآية الرابعة من سورة الفجر
- (3) اتفق علماء اللغة على ذلك • وان سمع ابن جنى من بعض بنى عقيل فى القرن الرابع

مجرى التقليد ، ويتأرجح البعض الآخر فى مجال التوثيق • وكان من السماع ما لا يحصره تفعيد النحاة لأنه لا يذهب مع الكليات التى حصروا أنفسهم فى دائرتها - وما كان لهم ان يفعلوا غير ذلك - فحفظ القرآن من النظائر التى جاءت وفق اساليب العرب بحكم حاستهم اللغوية الشئ الكثير • صحيح ان القرآن الكريم لم يجمع بين صفحاته كل اللغة مقيسها ومسموعها ، ولكنه خلد من المسموع الذى لا يجرى مع منطق النحاة (1) ما يمكن ان نقيس عليه ، مع فارق بينه وبين بقية مصادر الرواية من شعر ونثر وهو التوثيق الذى صاحب جمعه وكتابته ، وروايته ، وتفسيره •

ولم تستطع فئة من المستشرقين - ولهم نزعاتهم - اخفاء اعجابهم وهم يشيرون الى اثر القرآن الكريم فى اللغة • فالعالم يوهان فك يستفتح كتابه (العربية • دراسات فى اللغة واللهجات والاساليب) بقوله : لم يحدث حدث فى تاريخ اللغة العربية أبعد أثرا فى تقرير مصيرها من ظهور الاسلام • ففى ذلك العهد قبل اكثر من 1300 عام عندما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بنى وطنه بلسان عربى مبين تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد •

وفى الفصل الذى كتبه عن (عربية الدولة ولغة الشعب فى اوائل العصر العباسى) علل لبقاء العربية بالرغم مما اصاب الدولة بأن « لغة القرآن قد صارت فى شعور كل مسلم أيا كانت لغته الأصلية جزءا لا ينفصل من حقيقة الاسلام » • (2)

ويقول المستشرق ارنست رينان فى كتابه « التاريخ العام للغات

(1) انظر ما جاء من ذلك فى مقدمة كتاب المجاز لابی عبيدة

(2) العربية ص 50

السامية» : (اذا لم يكن الانسان فى حل من ان يقول : ان شبه جزيرة العرب من بين جميع الاقطار هى التى تناقض اكثر من غيرها جميع القوانين التى يمكن تطبيقها على نمو الفكر البشرى ... واذا نظرنا الى تلك الظواهر التى يقدمها لنا هذا الظهور الفجائى لوعى جديد لدى البشرية وجدنا انه ربما كانت اللغة العربية نفسها اغربها واعصاها تفسيراً فهذه اللغة لم تكن معروفة من قبل تظهر لنا بغتة فى ابهى كمالها بما تتمتع به من مرونة وثراء عريض الى حد انه لم يطرأ عليها اى تغيير جوهري منذ ذلك الوقت حتى عصرنا هذا . فهى لم تمر كغيرها بدور طفولة وشيخوخة ، ولكنها لم تكد تظهر وتستتب لها هذه الفتوح الرائعة حتى بدت كاملة — ولست ادري اذا كنا نستطيع ان نجد مثلاً آخر للهجة شقت طريقها فى العالم دون أن تمر بمرحلة بدائية ومراحل وسطى ودون تعثر) * (1)

ولا وجه للغربة ، ولا لعصيان التفسير اذا وضع رينان امام دهشته هذه نزول القرآن الكريم باسمى صور العربية وبقائه على افواه المسلمين * ومبلغ القول انها ستزداد اتساعاً بما تكتسبه من جديد عن طريق التعريب الصحيح دون ان تفقد حرفاً واحداً ورد فى القرآن الكريم *

الباب الثاني

الحديث في مصادر من مصادر اللغة

الفصل الأول

رواية الحديث

مدى العناية برواية الحديث

جاء القرآن الكريم بتعاليم الدين الاسلامي مجملا ، ففصل القول فيه ، وبينه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعنى المسلمون بالكتاب والسنة عناية بالغة . اما الكتاب فقد ذكرنا طرفا من وجوه عنايتهم به : جمعا ، وحفظا ، وتفسيرا ، وشرحا ، وقراءة ، واعرابا الى غير ذلك . واما السنة فقد عنى بها أئمة المسلمين ، بدأ بذلك الصحابة رضوان الله عليهم فحفظوا عن نبيهم اقواله ، وافعاله ، فأتقنوا وتثبتوا وهم يعلمون ان من الحديث ما هو تفصيل للقرآن ، وبيان لمجمله ، وتوضيح لغريبه - ولقد عرّف ابو البقاء الحديث بأنه اسم من التحديث ، وهو الاخبار - ثم سمي به قول أو فعل ، او تقرير تُسبب الي النبي صلى الله عليه وسلم . (1)

(1) قواعد التحديث 61 للقاسمي ط الحلبي سنة 1961

والصحابية على رأس الثقة فى الرواية ، لم يرم واحد منهم بكذب أو وضع قال النووى فى التقريب (الصحابة كلهم عدول) وبهذا قال الحافظ الدمشقى الذهبى وان لمحنا فى كلامه ترددا كأن فى نفسه من هذا رأى شيئا ويود لو استثنى منهم فقال (وأما الصحابة رضى الله عنهم فبساطهم مطوى وان جرى ما جرى وان غلطوا ما غلط غيرهم من الثقة فما يكاد يسلم من الغلط احد لكنه غلط نادر لا يضر ابدا اذ على عدالتهم وقبول ما نقلوا العمل) • (1)

وفى مجال الوثيق كان لا بد من تعريف الصحابى المحدث ، فقد ذهب بعض رجال الحديث الى القول بأن الصحابى هو من صحب النبى صلى الله عليه وسلم او رآه من المسلمين • قال بذلك البخارى فى صحيحه • وكان انس بن مالك يفرق بين الرؤية والصحبة ، روى شعبة عن موسى السيلانى قال : اتيت أنس بن مالك فقلت : هل بقى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احد غيرك ؟ قال : بقى ناس من الأعراب قد رأوا ، فأما من صحبه فلا • أما الاصوليون فانهم يقصرون هذا اللقب على من طالت صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم وكثرت مجالسته له على طريق التبعية له والاخذ عنه — وكان سعيد بن المسيب يرى هذا رأى ولا يعد الصحابى الا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة او سنتين وغزا معه غزوة او غزوتين • (2)

والتابعون ايضا صادقون فى مجموعهم ، استنادا على ان ما ندر غلظه فى جنب ما قد حمل احتمال ، ومن تعدد غلظه وكان من اوعية العلم اغتفر له ايضا ونقل حديثه وعمل به على تردد (3) ثم اختلف المحدثون ورأوا فى التابعين الافضل والفاضل ، كان احمد بن حنبل يقول : افضل

(1) قواعد التحديث 187

(2) مقدمة ابن الصلاح 146 ، والتقريب للنوى 34

(3) قواعد التحديث 187

التابعين سعيد بن المسيب ف قيل له فعلقمة والاسود ؟ فقال : سعيد بن المسيب وعلقمة والاسود (١) ثم قال مرة اخرى : لا أعلم فى التابعين مثل ابى عثمان النهدي ، وقيس بن ابى حازم • وقال ايضا : افضل التابعين قيس ، وابو عثمان ، وعلقمة ، ومسروق ، هؤلاء كانوا فاضلين ومن عليّة التابعين • (2)

الاسناد

واتجهت المفاضلة احيانا الى نزعة اقليمية فأهل المدينة يقولون : سعيد بن المسيب ، وأهل الكوفة يقولون : أويس ، وأهل البصرة يقولون : الحسن البصرى ثم بدأ علماء الحديث فوضعوا رواته تحت النقد الشديد وعنوا بدراسة السند كما عنوا بدراسة المتن ، وكان السؤال التقليدى بعد سماع الحديث — اين سنده ؟ او عن من ؟ حتى ضج بعض العلماء بهذا السؤال ، سأل حفص بن غياث — الاعمش عن اسناد حديث فأخذ بحلقه وأسنده الى حائط وقال : هذا اسناده (3) ، وحدث الحسن البصرى بحديث ف قيل له : يا أبا سعيد عن من ؟ قال : وما تصنع بعن من يا بن أخى ؟ اما انت فنالتك موعظته ، وقامت عليك حجته • وقال رجل للحسن : يا أبا سعيد اذك تحدثنا فتقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت تسنده لنا الى من حدثك ؟ قال الحسن : ايها الرجل ، ما كذبنا ، ولا كذبنا ، ولقد غزونا غزوة الى خراسان ومعنا فيها ثلاثمائة من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم • (4)

(1) كان علقمة والاسود يبلغهما الحديث عن عمر رضى الله عنه فلا يقنعهما حتى يخرجوا الى عمر فيسمعانه منه ، مقدمة ابن الصلاح

(2) مقدمة ابن الصلاح 152 — 153

(3) العقد الفريد 1 : 4 (4) قواعد التحديث 142

وكانت هناك الظروف السياسية التي جعلت رجلا كالحسن البصري يمسك عن ذكر السند خوفا من بطش الامويين كما يبدو من هذا الخبر : قال يونس بن عبيد سألت الحسن قلت يا أبا سعيد انك تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لم تدركه ، فقال : يا بن أخي ، لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، اني في زمان كما ترى - وكان في زمن الحجاج - كل شيء سمعته اقول له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو عن علي بن ابي طالب غير انسى في زمان لا استطيع أن أذكر عليا . (1)

وكان ابن حجر يعطى هذا الحق للسائلين ويرى ان معرفة الاسناد من فروض الكفاية ، وقال عبد الله بن المبارك : الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء (2) وقال احمد بن حنبل : طلب الاسناد العالي سنة عن سلف لان اصحاب عبد الله كانوا يرحلون من الكوفة الى المدينة في زمان لا استطيع أن أذكر عليا . (3)

وظل الاسناد يؤدي دورا هاما في مجال الرواية الموثقة ، فقد قسموا الحديث الى صحيح ، وحسن ، وضعيف (4) وعرفوا الصحيح بأنه المسند الذي يتصل اسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط الى منتهاه ، ولا يكون شاذا ولا معللا (5) واقتدى رجال اللغة برجال الحديث في ضرورة البحث عن السند وقالوا ان اللغة أداة تفسير الحديث ، وان

(1) قواعد التحديث 143 (2) قواعد التحديث 174

(3) قواعد التحديث 202

(4) للحديث اقسام اخرى كالمسند ، والمتصل ، والمرفوع ، والموقوف ، والمقطوع ، والمرسل ، والمنقطع ، والمعضل ، والشاذ ، والمنكر الى غير ذلك لسنا بحاجة الى تفصيل القول فيها في مجالنا اللغوي

(5) مقدمة ابن الصلاح 8

الاستناد من شروط النقل الصحيح ، وطالب به ابن الانباري وقال : لولا
الاستناد لأدى أن يروى كل من أراد ما أراد * (1)

الجرح والتعديل

وبلغت الدقة بعلماء الحديث أن قسموا المحدثين من حيث الدقة في
الرواية الى فئات ووضعوا لهم الاقيسة والشروط التي تضع الواحد منهم
في مكانه الصحيح - فاذا قيل للمحدث انه ثقة أو متقن فهو ممن يحتج
بحديثه - فاذا قيل انه صدوق او محله الصدق او لا بأس به وضع في
المرتبة الثانية وحينئذ يكتب حديثه وينظر فيه وفرق عبد الرحمن بن
مهدى بين المنزلتين حين حدث فقال : حدثنا ابو خلدة فقل له : اكان ثقة
فقال : كان صدوقا ، وكان مأمونا ، وكان خيرا - او قال خيارا - الثقة
شعبة وسفيان - فهو هنا يضع شعبة وسفيان وأمثالهما في المرتبة الاولى ،
والصدوق والمأمون والخير في مرتبة بعدهم - واذا قيل للمحدث شيخ
فهو في المرتبة الثالثة فاذا قيل صالح الحديث وضعوه في المرتبة
الرابعة * (2)

واما الفاظهم في الجرح فهي على مراتب ايضا يضعون في اعلاها
(لين الحديث) سأل حمزة بن يوسف السهمي ابا الحسن الدارقطني : اذا
قلت : فلان لين الحديث ايش تريد منه ؟ فقال : لا يكون ساقطا متروك
الحديث ولكن مجروحا بشيء لا يسقط عن العدالة - ثم يطلقون على
المحدث دون هذه الدرجة (ليس بقوى) ثم (ضعيف الحديث) ثم
(متروك الحديث) او (ذاهب الحديث) او (كذاب) حيث يجمعون على
ترك حديثه * (3)

(1) الاغراب في جمل الاعراب 47 ط الجامعة السورية سنة 1957

(2) مقدمة ابن الصلاح 58 وما بعدها

(3) الكفاية في علم الرواية 21 للخطيب البغدادي ط حيدر آباد سنة

1357 هـ

كتابة الحديث

لم ينشط الصحابة الى تدوين الحديث نشاطهم فى تدوين القرآن ، بل كان توقعهم عن هذا التدوين يعود فى اكثره الى القرآن نفسه حتى لا يكون للمسلمين كتاب غيره - كان هذا رأى عمر ، وابن مسعود ، وزيد ابن ثابت ، وابى موسى الاشعري ، وابى سعيد الخدرى الذى روى عنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « لا تكتبوا عنى شيئا الا القرآن ومن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمححه » * (1)

الا ان الاخبار تشير الى مسلك لعبد الله بن عمرو بن العاص حين كان يحرص على تدوين الحديث ويكتب كل ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال له بعض الناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم فى الغضب فلا تكتب كل ما تسمع فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : (اكتب * فوالذى نفسى بيده ما خرج من بينهما الا حق) يعنى شفتيه ، وأشار ابو هريرة الى مسلك عبد الله فقال : لم يكن احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم احفظ منى الا عبد الله بن عمرو فانه كان يكتب بيده ويعى بقلبه ، وكنت اعى بقلبى ولا اكتب بيدي * (2)

والرأى عندى ان النهى عن كتابة الحديث ، والاذن به لعبد الله بن عمرو بن العاص لا يخلق تعارضا - اذ كان النهى يستهدف توحيد كتاب المسلمين فلا يشارك القرآن كتاب آخر - وكان عبد الله يكتب لنفسه ليستعين بذلك على الحفظ والاستظهار كما يفهم من اشارة ابى هريرة فى قوله (كان يكتب بيده ويعى بقلبه) ويدلك على ذلك موقف ابى شاة اليمنى حين التمس من النبى صلى الله عليه وسلم ان يكتب له شيئا سمعه من خطبته عام فتح مكة فقال صلى الله عليه وسلم (اكتبوا لابى شاة)

(1) مقدمة ابن الصلاح 88 ، المصاحف للسجستانى 4

(2) قواعد التحديث 62

ولهذا إباح الكتابة قوم ، منهم على بن أبى طالب وابنه الحسن ، وأنس وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأكثرهم كان يكتب لنفسه ليستعين بهذه الكتابة على الحفظ - ولم ينشطوا لتدوين الحديث على سبيل الجمع الا فى نهاية المائة الاولى للهجرة عندما أرسل عمر بن عبد العزيز الى أبى بكر بن محمد بن حزم والى المدينة أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنته فاكتبه ، فانى أخاف دروس العلم وذهاب العلماء ، وكتب بمثل هذا الى محمد بن شهاب الزهرى •

وفى اواخر عصر التابعين قام فريق بتدوين الآثار منهم الربيع بن صبيح ، وسعيد بن أبى عروة الى ان جاء الامام مالك فصنف الموطأ وتوخى فيه القوى من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم - كما صنف ابن جريج بمكة ، وابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى بالشام ، وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى بالكوفة ، وابو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة ولم يصل إلينا حديث مدون قبل موطأ مالك - وعلى رأس المائتين صنف المسانيد جماعة منهم : عبيد الله بن موسى العيسى الكوفى ، ومسدد بن مسرهد البصرى ، واسد بن موسى الاموى ، ونعيم بن حماد الخزاعى • ثم اقتفى الائمة اثرهم فقل امام من الحفاظ الا وصنف حديثه على المسانيد كالامام أحمد بن حنبل ، وأسحق بن راهويه ، وعثمان بن شيبه ، ولقد تلمذ البخارى لاسحق بن راهويه الذى حبب اليه جمع الحديث الصحيح ، وفى زمانه صنف مسلم بن الحجاج القشيرى مسنده الصحيح وبقيت هذه الكتب الثلاثة موطأ مالك ، وصحيح البخارى ، وصحيح مسلم تمثل الذروة فى صحيح الحديث •

وكان على الكتّابين أن يعارضوا كتبهم حتى يطمئنوا الى سلامتها ، ذكر هشام بن عروة ان اياه قال له : كتبت ؟ قال : نعم • قال : عارضت ؟

قال : لا • قال : لم تكتب • وقال معمر : لو عورض الكتاب مائة مرة ما
كاد يسلم من أن يكون سقط - أو قال خطأ • (1)

ولقد كان تدوين الحديث ضرورة فرضتها اتساع الرقعة الإسلامية
والابتعاد عن موطن العربية في الجزيرة زمانا ومكانا - وكان رواة الحجاز
امثل رجال السند من امثال مالك ، والشافعي ، وابن حنبل - ثم انتشر
ناقلو الحديث في البصرة ، والكوفة وشرق العراق ، والشام ، ومصر
- غرب وغير عرب - وبالرغم من العناية الفائقة في استخلاص الحديث
المدون بمعارضة كتبه فانه تعرض لآفات في المجال اللغوي منها :

- الرواية بالمعنى •

- التصحيف •

- الوضع •

رواية الحديث بالمعنى

ورد في حديث مرفوع رواه ابن منده في (معرفة الصحابة)
والطبراني في (الكبيرة) من حديث عبد الله بن سليمان بن اكثم الليثي
قال : قلت يا رسول الله اني اذا سمعت منك الحديث لا أستطيع أن أرويه
كما أسمع منك ، يزيد حرفا - او ينقص حرفا فقال : (اذا لم تحلوا حراما
ولم تحرّموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس) (2) وقال ابن سيرين (كنت
أسمع الحديث من عشرة ، المعنى واحد والالفاظ مختلفة) وجعل رجل
يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف في الحديث على لفظه ، فقال له
يحيى : يا هذا ليس في الدنيا أجلّ من كتاب الله تعالى قد رخص للقراءة
بالكلمة على سبعة أحرف • فلا تتشدد • (3)

وهذا الترخيص فيما يبدو انما جاء لاعتماد القوم على المحافظة في

(1) مختصر جامع بيان العلم وفضله 38 ط الموسوعات سنة 1320

(2) قواعد التحديث 222

(3) قواعد التحديث 221 - 222

جزء كبير من رواية الحديث ، وكان السلف الأول على فطرتهم يصيبون المعنى فتمدهم عربيتهم به فى غير لبس كما يبدو فى قول حذيفة (انا قوم عرب نورد الحديث فنقدم ونؤخر) (1) وحيث اختلف الناس فى هذا الأداء بدا أن بعض الرواة أحسن رواية من بعض حتى قال رجل للحسن : يا أبا سعيد ، انما تحدثنا بالحديث أنت أحسن له سياقاً ، وأجود تحييراً ، وأفصح به لساناً منه اذا تحدثنا به ، فقال : اذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك .

ولقد رخص فى سوق الحديث جماعة منهم : على بن أبى طالب ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبو الدرداء ، ووائل بن الأسقع ، وأبو هريرة — ومن التابعين الحسن البصرى ، والشعبى ، وعمرو بن دينار ، وإبراهيم النخعى ، ومجاهد ، وعكرمة — وكان أكثر رواة السلف يقصدون الصدق ويقولون : الكذب على من تعمد ، وكان سفيان الثورى يصرح فى ثقة بأنه يروى الحديث بالمعنى فيقول : ان قلت لكم انى احديثكم كما سمعت فلا تصدقونى ، انما هو المعنى (2) وقال ابن المبارك : علمنى سفيان الثورى اختصار الحديث • (3)

ومن حججهم فى الاطمئنان الى هذا المذهب الاجماع على شرح الشريعة للأعاجم بلسانهم للعارف به — فاذا جاز ذلك بلغة اخرى فجوازه بالعربية أولى ، قال بذلك الحافظ بن حجر فى شرح النخبة ، وأباح ذلك فى المفردات دون المركبات ولمن يستحضر اللفظ ليتمكن من التصرف فيه ، لمن كان يحفظ الحديث فنسى لفظه وبقي معناه مرتسماً فى ذهنه فله أن يروى بالمعنى لمصلحة تحصيل الحكم منه بخلاف من كان مستحضراً لفظه • (4)

(1) قواعد التحديث 223

(2) الاقتراح 20 للسيوطى ط كلكتا

(3) العقد الفريد 2 : 233

(4) قواعد التحديث 221

وكان من المعروف أن هذه الرخصة ليست عامة ولا مطلقة ، وإنما هي مشروطة بعلم الراوى بالعربية وأشار الى ذلك ابن الصلاح فى مقدمته بقوله (ان الراوى اذا أراد رواية ما سمعه على معناه دون لفظه فان لم يكن عالما عارفا بالألفاظ ومقاصدها خيرا بما يحيل معانيها بصيرا بمقادير التفاوت بينها فلا خلاف انه لا يجوز له ذلك وعليه ألا يروى ما سمعه الا على اللفظ الذى سمعه من غير تغيير) - ولكن هذه الشروط وكلها تؤكد ضرورة المعرفة بالعربية يصعب تحقيقها كلما تقدم الزمن ووهنت السليقة ونأت الديار برجال الرواية عن موطن العربية فى الجزيرة •

التصحيف

التصحيف من عيوب الكتابة فى جميع الآثار الادبية ، لاحظ الرواة ذلك فى الأدب والشعر وكرهوا الرواية عن الصحف خشية التصحيف ، وقد وقع فيه جماعة من الأجلاء من أئمة اللغة وأئمة الحديث حتى قال الامام أحمد بن حنبل (ومن يعرى من الخطأ والتصحيف ١٩) (١) وترجع هذه الآفة الى جملة أسباب منها :

ان الكتابة العربية قديما لم تكن تميز بين الحروف المتفقة فى الشكل كالجيم والحاء والخاء ، والدال والذال ، والسين والشين ، والصاد والضاد الى غير ذلك فكان القارئ ينطق بالحرف مجتهدا احيانا وراء سياق المعنى فوق التصحيف من هذا الوجه قبل أن تميز الحروف بالنقط • وقد وقع المحدث الكبير شعبة بن الحجاج فيه حين التبتت عليه السين والشين • يقول الاصمعى : كنت فى مجلس شعبة فروى الحديث فقال (تسمعون جرش طير الجنة) بالسين فقلت : جرس • فنظر الى وقال : خذوها منه

(١) الزهر 2 : 354

فانه أعلم بهذا منا (1) وهو يشير بهذا الى تمرس الأصمعى باللغة وادراكه لمفرداتها التى حصلها عن طريق الرواية والمشافهة •

ومن هذا الوجه أيضا ما وقع فيه علماء اللغة أنفسهم فاستشرت هذه الآفة ولم تجد ضابطا لمضطربها وكان من حقهم أن يتجادلوا بحسب ما سمع كل عن شيخه ولكن العربية نفسها أخذت تعاني منه الى حد بعيد ، من ذلك مثلا ما يحكيه محمد بن سلام الجمحى قال : قلت ليونس بن حبيب ان عيسى بن عمر قال : صحف ابو عمرو بن العلاء فى الحديث (اتقوا على اولادكم قمحة العشاء) فقال بالفاء وانما هدف بالقاف - فقال يونس : عيسى الذى صحف ليس ابا عمرو وهى بالفاء كما قال ابو عمرو لا بالقاف كما قال عيسى (2) • وأخبر ابو معمر عبد الوارث قال : كنا ياب بكر بن حبيب فقال عيسى بن عمر فى عرض كلام له قمحة العشاء (بالقاف) فقلنا لعلها فحمة العشاء فقال : هى قمحة (بالقاف) لا يختلف فيها فدخلنا على بكر بن حبيب فحكيناها له فقال : هى فحمة العشاء بالفاء لا غير اى فورته ، ولم يملك رجل كابن منظور الا ان ينقل هذه الاخبار دون أن يرجع واحدة على اختها • (3)

ومن هذه الاسباب ان بعض الحروف المتماثلة فى الخط والمختلفة فى النقط تتبادل فلا يتغير معناها المعنى ، ذكر من ذلك صاحب اللسان : أسود قاحم : شديد السواد كفاحم • (4)

ومن التصحييف ما استقامت قراءته مع السياق العام للمعنى أو أخذ

(1) الزهر 2 : 354

(2) الزهر 2 : 360

(3) اللسان مادة ف ح م

(4) اللسان مادة ق ح م

وجهاً جديداً من التفسير فلم يبعد عن الغرض واطمأن قارئه الى ما قرأ ،
رأينا أمثلة من ذلك فى النصوص الأدبية • (1)

ومما جاء منها فى القرآن الكريم ما أشار اليه السيوطى حين صحف
حماد بن الزبرقان ثلاثة الفاظ فى القرآن لو قرئ بها لكان صواباً • اللفظ
الأول (وما كان استغفار ابراهيم لاييه الا عن موعدة وعدها) أباه
- والجمهور : اياه • واللفظ الثانى (بل الذين كفروا فى « غرة » وشقاق)
والجمهور عزة - واللفظ الثالث (لكل امرئ منهم يومئذ شأن) يعنيه
- والجمهور يعنيه • (2)

ومما جاء من ذلك فى الحديث ما رواه الأعمش فى حديث عبد الله
ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخولنا بالموعظة مخافة
السامة وكان أبو عمرو بن العلاء حاضراً عنده فقال له أبو عمرو : يتخولنا
- وفى التصحيف والتحريف للعسكرى : قال الأصمعى : قد ظلمه أبو
عمرو ، يقال : يتخولنا ، ويتخولنا فمن قال يتخولنا يقول : يستصلحنا
ومن قال يتخولنا قال : يتعهدنا (3) - ونسب ابن الأثير الى أبى عمرو بن
العلاء لفظاً ثالثاً وهو يتحولنا - بالحاء - أى يطلب الحال التى ينشطون
فيها للموعظة فيعظم فيها ، ولا يكثر عليهم فيملوا •

وبالرغم من أن التصحيف قد وقع فى الآثار الأدبية فلم يمنع من
الاحتجاج بها الا أن اللغويين يجعلون التصحيف فى الحديث مبرراً لعدم
الاحتجاج به - ولقد رجحوا رأيهم الاخير فيما يبدو - لان رواية الحديث
كان أكثرهم من الأعاجم •

(1) اقرأ فى هذا موضوع التصحيف والتحريف فى كتاب المزهر
للسيوطى 2 : 353

(2) المزهر 2 : 368 - 369

(3) المزهر 2 : 373 وانظر اوائل الجزء الثانى من كتاب النهاية فى
غريب الحديث والاثار لابن الاثير

الوضع

كان عمر رضوان الله عليه يدعو الى الاقلال من الرواية ، ولا نكاد نعرف من أسباب ذلك الا ما يشير اليه ابن عبد البر من أنه كان يخشى الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولأن ضبط من قلت روايته أكثر من ضبط المستكثر ، ولم يكد ينتهى عصر الراشدين حتى توزعت الأهواء بين عثمانية وعلوية ، وهاشمية وأموية ، ومضرية ويمينية ، وبين شيعيين وخوارج الى غير ذلك حاولت كل فرقة ان تسمو على اختها فاتخذت الحديث من اسلحتها •

واشتهرت بيئة العراق بوضع الحديث فسميت دار الضرب ، وغمزهم رجال الحجاز فقالوا : يخرج الحديث من عندنا شبرا فيعود فى العراق ذراعا - وقال هشام بن عروة اذا حدثك العراقى بألف حديث فالتق تسعمائة وتسعين وكن من الباقي فى شك (1) وتركز الوضع فى الكوفة ، أشار الى ذلك القرطبى فى التنبيه على الأحاديث التى وضعها جماعة اختلفت اغراضهم فذكر قوما من الزنادقة مثل المغيرة بن سعيد الكوفى ، ومحمد بن سعيد الشامى المصلوب فى الزندقة وغيرهما ، ومما رواه محمد بن سعيد هذا عن انس بن مالك فى قوله صلى الله عليه وسلم (اننا خاتم الانبياء لا نبي بعدى) الا ما شاء الله فزاد هذا الاستثناء لما كان يدعو اليه من الالحاد والزندقة • ودخل غياث بن ابراهيم على المهدي فوجده يلعب بالحمام فساق فى الحال اسنادا الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : (لا سبق الا فى نصل أو خف أو حافر) أو جناح فزاد فى الحديث - أو جناح - فعرف المهدي أنه كذب لأجله • (2)

وجرت بعض الأحاديث الموضوعة على السنة القصاص وقد عرفوا الأسانيد الصحيحة فقدموا بها لأحاديثهم الموضوعة ، من ذلك ما ذكره

(1) قواعد التحديث 81

(2) قواعد التحديث 151

جعفر بن محمد الطيالسي فقال : صلى احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة فقام بين أيديهما قاص فقال : حدثنا احمد بن حنبل ، ويحيى بن معين قالا : أنبأنا عبد الرزاق قال : أنبأنا معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا ، فجعل ينظر احمد الى يحيى ، ويحيى ينظر الى احمد ، فلما فرغ من قصته سأله يحيى وكشف له عن نفسه وعن أحمد بن حنبل ، قال القاص : كأنه ليس فى الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ كتبت عن سبعة عشر احمد ابن حنبل غير هذا •

ومن مسلك أصحاب الفرق فى وضع الحديث ما يشير اليه ابن لهيعة وقد سمع شيخا من الخوارج تاب ورجع فجعل يقول : ان هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فانا كنا اذا هويانا أمرا صيرناه حديثا (1) وفى ابواب الاعتقاد ، وعامة ابواب الدين وقع الوضع فى الأحاديث بعضه باطل لا يجوز أن يقال فضلا عن أن يضاف الى النبى صلى الله عليه وسلم - وبعضه كلام قاله بعض السلف وكان مما يسوغ فيه الاجتهاد فيعزى الى النبى صلى الله عليه وسلم • ومن العلماء من وضع الحديث ترغيبا فى الدين ، وجره حسن المقصد الى تبرير الوضع - قيل لابي عصمة بن ابي مريم المروزي : من اين لك عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة ، وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ قال : انى رأيت الناس أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقهاء أبي حنيفة ومغازى ابن اسحق فوضعت هذا الحديث حسبة • (2)

(1) اللآلئ المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة 2 : 468

(2) قواعد التحديث 156 ، اللآلئ المصنوعة 2 : 470 — وجاء فى الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 1 : 78 ومقدمة ابن الصلاح 81 انه قيل لميسرة بن عبد ربه : من اين جئت بهذه الاحاديث : من قرا كذا فله كذا ، ومن صام كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها ارغب الناس فيها

وكان الغزالي حين رأى المتصوفة يبيجون الوضع فى الترغيب والترهيب يقف فى الجانب المعارض وينكر على المتصوفة مسلكهم قائلاً :
ان فى الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ورد من الآيات والأخبار كفاية
عن غيرها • (1)

وهناك فئة أخرى لا تتهم بوضع الحديث ولكنها تتهم بترويض الأحاديث الموضوعة عن غير قصد ، اشار اليهم الامام مسلم فى مقدمة صحيحه • فروى عن يحيى بن سعيد القطان قال : (لم نر الصالحين فى شئ اكذب منهم فى الحديث) وفى رواية (لم نر أهل الخير فى شئ اكذب منهم فى الحديث) قال مسلم : يعنى أنه يجرى الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب ، وقال النووي موضحاً هذا الوجه (لكونهم لا يعانون صناعة أهل الحديث فيقع الخطأ فى روايتهم ولا يعرفونه ، ويروون الكذب ولا يعلمون أنه كذب) • (2)

وكان أول من أفرد للأحاديث الموضوعة - على ما نعلم - الحافظ الحسين بن ابراهيم الجوزقانى المتوفى سنة ٥٤٣ هـ حيث أخرج كتاب الأباطيل ، ثم كتب أبو الفرج بن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧ هـ كتاباً يعتبر أشهر ما كتب فى الأحاديث الموضوعة ، ثم وضع الصغانى اللغوى المتوفى سنة ٦٥٠ رسالتين فى ذلك ، وللسيوطى كتب جعلها تعقيباً على كتاب ابن الجوزى اشهرها كتاب الكلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة •

وبعد - فلقد كانت رواية الحديث بالمعنى ، وتعرضه للتصنيف

(1) قراعد التحديث 113

(2) قواعد التحديث 152

والوضع على رأس الاسباب التي جعلت أكثر رجال اللغة يتوقعون عن
الاحتجاج به ، ولو أنهم عرضوا له كما عرضوا للقرآن الكريم حين خرجوا
للقراءة الشاذة كما فعل القراء في كتابه معاني القرآن ، وابن جنى في كتابه
المحتسب لخلص لهم من هذا الوجه أكثر الحديث •

الفصل الثاني

موقف رواة اللغة من الحديث

لم يكن رواة اللغة يكتفون بالتحصيل في البيئات العلمية في العراق فكانوا يذهبون الى البادية القريبة يستمعون الى الاعراب ويوثقون ما حصلوا في بيئات العراق او يضيفون الى علمهم جديدا ، فلما قلت ثقتهم بالاعراب اطول مكثهم في الحضر او البادية القريبة من الحضر توجهوا الى قلب الجزيرة العربية يأخذون عن اعرابها الخالص ، وقد يصادفون امرأة او صبيا ، او مجنونا فلا يجدون غضاضة في الرواية عنه طالما كانت بغيتهم تلقى العربية القائمة على السليقة والفطرة ، ولا يشك احد ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل الذروة من الآثار الأدبية فسا بال الرواة قد اخذوا عن عامة الاعراب وتوقفوا امام احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

لقد كانت شوائب الرواية - رواية الحديث - هي السبب في توقف اللغويين عن الاحتجاج بالحديث ، ولقد ذكرنا من ذلك : التصحيف

وكانوا يكرهون الرواية عن الصحف بصفة عامة - ثم رواية الحديث بالمعنى قد اوقع بدوره الشك في نفوس رجال اللغة فلم يصل اكثرهم الى حد الثبوت من أن هذا اللفظ او ذلك قد صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فرواية الحديث بالمعنى جائز عند اكثر المحدثين لأنها تؤدي الغرض المقصود من الحديث وهو التبصرة بالدين ، ولكنها لا تؤدي غرض اللغويين الذين يحرصون أشد الحرص على الثبوت من عريية اللفظ ، وخصوص عريية قائله وقد علموا أن رواية الحديث قد شارك فيها العربى وغير العربى •

والوضع فى الحديث من اشد آفات الرواية ، ومن الوضامين من عرف الاسانيد الصحيحة فركب عليها أحاديث من وضعه •

ونتيجة لشوائب الرواية وردت بعض الأحاديث ماحوثة - وبديهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن ، فكان بعض الرواة وأصحاب المعرفة بالعربية يقيمون اعرابه ويصاحون ما فيه من لحن ، من ذلك ما يرويه النضر بن شميل وهو من رجال اللغة ومن رجال الحديث قال : دخلت يوما على المأمون ... فجرى بنا الحديث فسى ذكر النساء فقال المأمون : حدثنا هشيم بن بشير قال : مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أينا رجل تزوج امرأة لدينها وجمالها كان فى ذلك سداد من عوز) بفتح السين - قات يا أمير المؤمنين : صدق هشيم ، حدثنا عوف بن ابى بجيلة الاعرابى عن الحسن عن على ابن أبى طالب عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أينا رجل تزوج امرأة لدينها وجمالها كان فى ذلك سداد من عوز) بكسر السين • قال : وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا ثم قال يا نضر ، كيف قال هشيم (سداد) بفتح السين واسم يقل (سداد) بكسر السين ، وما الفرق بينهما ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين السداد بفتح السين : القصد فى الدين

والسبيل ، والسداد بالكسر : من الثغر والثلمة ، وكل ما سددت به شيئاً فهو فى سِداد (بالكسر) ، قال وتعرف ذلك العرب ؟ قلت : نعم ، قال الشاعر ، وهو العرجى :

اضاعونى وأى فتى اضاعوا
ليوم كزيهة وسِداد ثغر

فقال : قبح الله اللحن

قلت : يا أمير المؤمنين ، انما لحن هشيم وهو لحانة فاتبع أمير المؤمنين لفظه (1)

وقال النضر بن شميل : كان هشيم لحانا فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة — يعنى بالاعراب • (2)

ولا ادرى جهد النضر فى تتبع هشيم — هل فى هذا الحديث وحده الذى اورده صاحب انباه الرواة — ام فى جملة من الحديث كما يفهم من الخبر الذى حاء فى قواعد التحديث وأصبح فى نظر النضر لحانا •

وكان الاوزاعى يوصى باصلاح الحديث ويقول : اعربوا الحديث فان القوم كانوا عربا • • ولا بأس باصلاح اللحن والخطأ فى الحديث • (3)

والشعبى الذى كان يمثل الفئة المحافظة فى الكوفة يصرح بتغير شكل الحديث ليستقيم اعرابه ، سأل جابر : اسمع الحديث بغير اعراب فأعربه ؟ قال : نعم لا بأس فى ذلك — ولا بأس عند الشعبى ايضا ان يقرأ الحديث يأخذ بعضه ويترك بعضه فى سبيل تجنب اللحن ويقول : لأن أقرأ وأسقط أحب الى من أقرأ وألحن • (4)

(1) انباه الرواة 3 : 349 — 350

(2) قواعد التحديث 211

(3) جامع بيان العلم وفضله 78

(4) معجم الادباء 1 : 79

ولكن بقيت فئة من الرواة لم تسترح نفوسهم لتغيير الحديث او رواية جزء منه وترك الجزء الآخر ، (١) فرووه ملحونا ، قال سفيان بن عيينه عن اسماعيل بن امية : كنا نرد نافعا (مولى ابن عمر) نسأله اقامة اللحن فى الحديث فيأبى - وكان ابو معمر يقول : انسى لاسمع الحديث لحننا فألحن اتباعا لما سمعت ، وكان ابن سيرين يسمع الحديث ملحونا فيحدث به على لحنه وبلغ ذلك الاعمش فقال : ان كان ابن سيرين يلحن فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن * (٢)

ومن الممكن ان نرد عزوف الاصمعى عن الخوض فى الحديث الى هذه الوجوه بالاضافة الى ما عرف عنه من التأثم والتخرج حين يعرض للحديث ، يقول نصر بن على : حضرت الاصمعى وقد سأله سائل عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم (جاءكم اهل اليمن وهم ابضع نفسا) ما معنى ابضع ؟ قال : يعنى : اقتل ، ثم اقبل متندما على نفسه كاللائم لها فقلت له لا عليك ، فقد حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك - فكأنه قد سرى عنه (٣) جاء فى معجم العين وهو أول المعاجم العربية فى مادة ع ه ر : العهر الفجور * واحتج بالحديث (الولد للفراش وللغاهر الحجر) وفى ع ر ق (ليس لعرق ظالم حق) وهو الذى يغرس فى ارض غيره *

ولكن الامر فى الاحتجاج بالحديث لم يترك جبلة ، فقد احتج ابو

(١) كان بعض الرواة يجيز رواية جزء من الحديث اشارة الى ذلك الحافظ بن حجر فى شرح النخبة ، والنووى فى شرح مسلم * وكان مجاهد يقول : انقص من الحديث ما شئت ولا ترد حرفا

(٢) معجم الادباء 1 : 79

(٣) نزهة الالباء 170

زكريا الفراء لتأنيث معا — مفرد امعاء — بالحديث (المؤمن يأكل في معا واحدة) ، وتأنيث ضلع بالحديث (ليس في أقل من خمس ذود صدقة) لمجيء العدد مذكرا في كل كما جوز كسر همزة (ام) اذا سبقتها ياء او كسرة بقول من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم (اوصى امرءا بامه) بكسر الهمزة • (1)

واحتج سيبويه بالحديث (ما من ايام أحب الى الله فيها الصوم من عشر من ذى الحجة) الكتاب 1 : 232

(وكل موالود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه) نفس المصدر 1 : 396

وكذلك احتج ابن قتيبة بالحديث في تفسير كلسة (عرض) فقد فسرہ ابو على القالى بأنه واد باليمامة ، وكل واد يقال له عرض — والعرض ايضا : الريح ، والعرض ما ذم من الانسان او مدح ، واختلف فيه ، فقال ابو عبيد : عرضه : اباءه واسلافه • وقال ابن قتيبة عرضه : جسده واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم في صفة أهل الجنة (لا يبولون ولا يتغوطون انما هو عرق يجري من اعراضهم مثل المسك) يعنى من أبدانهم • (2)

وفسر أبو على القالى الغيم بالعطش ، وروى عن أبي بكر بن الانبارى قول النبي صلى الله عليه وسلم (نعوذ بالله من الأيمة ، والعيمة ،

(1) معانى القرآن للفراء 1 : 5 — 6

(2) الامالى للقالى 1 : 118

والغيمة ، والكزم ، والقرم) وقال الغيمة : العطش • (1)

وكان أحمد بن فارس يستشهد بالحديث ويشير الى بعض غريبه •
فمن الغريب : ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في كتابه الى
الاقبال العاهلة (على التبعة شاه ، والنيمة لصاحبها • وفي السيوب
الخمس لا خلط ولا وراط ولا شناق ولا شغار • من أجبي فقد أربى)
ذكر ذلك ابن فارس وهو يشير الى ثريب العربية فيما جاء من القرآن
والحديث والشعر والامثال الى غير ذلك • (2)

واحتج لحرف اللام بمعنى بعد بقوله صلى الله عليه وسلم (صوموا
لرؤيته) أى بعد رؤيته (3) وفي باب الاستثناء يشير الى قول بعض
النحويين : المستثنى خرج مما دخل فيه ويقول ابن فارس : وهذا مأخوذ
من الشنا ، والشنا : الامر يثنى مرتين واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم
(لا ثنا فى الصدقة) يعنى لا تؤخذ فى السنة مرتين (4) واحتج لكلمة
(بيد) بمعنى (غير) بقوله صلى الله عليه وسلم (نحن الآخرون السابقون
يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، وأوتيناه من بعدهم) أى غير
أنهم (5) واحتج للأمر بمعنى الوعيد بالحديث (اذا لم تستح فاصنع ما
شئت) (6) وفي سياق القول بأن لبعض الفاظ العربية خصائص ومعان لا
يجوز نقلها الى غيرها عرض لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما يحملكم
على أن تتابعوا فى الكذب كما يتتابع الفراش فى النار) فقال : قال ابو

-
(1) الامالى للقالى 1 : 160	(2) الصحابى فى فقه الله 41
(3) المصدر السابق 85	(4) المصدر السابق 106
(5) المصدر السابق 118	(6) المصدر السابقة

عبيد : هو التهافت ولم نسمعه الا فى الشر • (1)

وبعد :

فلقد كان اعتماد اللغويين على الحديث فى سياق الرواية اللغوية اعتمادا قليلا يصل الى حد الندرة : ولم يسلم المتأخرون من النحاة من أمثال ابن خروف ٦٠٩ هـ وابن مالك ٦٧٣ هـ (2) من النقد الشديد ، وكان ابن جساة ممن أخذ عن ابن مالك فقال له يوما وكأنه لا يرى رأيه : يا سيدى هذا الحديث رواية الاعاجم ووقع فيه من روايتهم ما نعلم انه ليس من لفظ الرسول ، فلم يجب بشىء • (3)

ومع هذا فقد أثرت العربية من خلال الشروح والتفسيرات التى تناولت الحديث ونحن نعقد لذلك الفصل القادم •

(1) المصدر السابق 222

(2) كان يرى ان القرآن هو اوثق المصادر اللغوية - ثم الحديث - ثم

كلام البدو ، فوات الوفيات 2 : 288 والبغية 55

288 : 2 والبغية 55

(3) الخزانة 1 : 25

الفصل الثالث

مَا أَفَادَتْهُ الْعَرَبِيَّةُ مِنَ الْحَدِيثِ

غريب الحديث

تتبعت الرواية مصادر العربية حيثما كانت ، فى سوق المربد لمشافهة
الاعراب الوافدين اليها ، وفى الجزيرة العربية للاستماع الى الاعراب
والتعرف على الدارات والجبال والنبات والحيوان واسماء المعانى
— وعادت الرواية بأوعية تحمل هذه الاسماء ، بعضها آثار أدبية كالاشعار
والامثال والحكم ، وبعضها فى صورة حكايات عن رجال ونساء وأطفال
ومجانين حيث كانت بغية الرواية حصر ما يمكن حصره من الفاظ العربية
وتركيبتها — وكما ذكرنا كان من الممكن ان يكون الحديث على رأس
مصادر الرواية لولا شوائب روايته التى فصلنا القول فيها •

وأصبحت هذه الحصيلة من الاسماء والتراكيب عدة اللغويين والرواة
يحفظونها فى صدورهم الواعية ، أو يدونون ما يقع منها تحت أصل واحد

فى كتاب ، كالتبات ، والوحوش ، والقوس ، والقداح . والانواء الى غير ذلك — أو يضعون هذه الحصىلة فى خدمة الآثار الأدبية الضخمة كالقرآن والحديث والشعر . وهنا نجد الرواية التطبيقية تسد العرىة بشرة ضخمة من خلال التفاسير والشروح .

ورجال الحديث بدورهم كانوا يدركون أنهم يروون أثرا عربيا له خطره يجب أن يتخلص من شوائب العجمة واللحن كما يجب أن يتضح غريبه ، فكانوا يذهبون الى رجال اللغة يعرضون عليهم الحديث . يقول أبو حاتم السجستاني : كان عفان بن مسلم يجرى الى الاخفش والى أصحاب النحو يعرض عليهم الحديث يعربه . قال له الاخفش : عليك بهذا — يعينى — وكان بعد ذلك يجرى الى "حتى عرض على" حديثا كثيرا . وكان ابن منذر الشاعر من العارفين باللغة وكلام العرب . وكان سفيان بن عيينة من اعلام المحدثين يسأله عن معانى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فيخبره بها ويقول له : كذا وكذا مأخوذ من كذا وكذا فيقول سفيان : كلام العرب بعضه يأخذ برقاب بعض — ولقد كان سفيان يدرك هذه الصفة فيه فيحرم على الافادة منها وربما كتب عنه ما يجده عونا على مسلكه فى الحديث او يقوى به سببه فى تفهيمه وادراك غريبه — حدث احمد بن سليمان بن ابى شيخ قال : حدثنى شيخ من اهل الكوفة يقال له عوام قال : سمعت سفيان ابن عيينة وقد تكلم بكلام استحسن فسأله مجاهد بن منذر ان يبله عليه . فتبسم سفيان وقال له : هذا كلام سمعتك تتكلم به فاستحسنته فكتبته عنك — قال وعلى ذلك أحب أن تمليه على فانى اذا رويته عنك كان أتفق له من أن انسبه الى نفسى (1) ثم وجه بعض اللغويين جزءا من عنايتهم للتعريف بغريب الحديث .

(1) الاغانى 17 : 9

وللمحدثين تقسيمات فى غريب الحديث فيضعون الغريب ، والعزيز ، والمشهور فى نسق ويتجهون فى هذا التقسيم الى طرق الرواية ، وليس هذا مجال بحثنا (1) والمقصود هنا بغريب الحديث هو ما وقع فى متون الاحاديث من الفاظ غامضة ، وكان يتخرج من الكلام فيه كبار رجال الحديث ، بل كبار رجال اللغة ، سئل احمد بن حنبل عن حرف من غريب الحديث فقال : سلوا أصحاب الغريب ، وسئل الاصمعي ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (الجار أحق بسقه) فقال : اننا لا أفسر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن العرب تزعم أن السقب : المزيق * (2)

وأول من كتب فى غريب الحديث النضر بن شميل وأبو عبيدة (3) معسر بن المنى ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب * وقال ابن الجزرى وهو يستفتح كتابه (النهاية فى غريب الحديث والاثار) ان هذه الكتب كانت فى أوراق ذوات عدد - يشير الى صغرها - الى أن جاء ابو عبيد القاسم ابن سلام فوضع كتابا فى غريب الحديث جمعه فى أربعين سنة فرغب فيه أهل الحديث ، والفقه ، واللغة لاجتماع ما يحتاجون اليه فيه - بل كان رجال الحديث يستقرئونه عليه سعيا الى معرفة اللغة بخاصة - سأل يحيى ابن معين فى جماعة من المحدثين ان يقرأ عليهم غريب الحديث الذى اعدده للسأمون ، فجعل ابو عبيد يقرأ الاسانيد ويدع تفسير الغريب فقالوا له : دعنا والاسانيد ، نحن أحذق بها منك * (4)

(1) انظر فى هذه التقاسيم كتاب الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى * ومقدمة ابن الصلاح

(2) مقدمة ابن الصلاح 137

(3) الفهرست لابن النديم 77 ط الرحمانية ، 79 من الفهرست

(4) تاريخ بغداد 12 : 408

ثم صنف ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة كتابا فى غريب الحديث هذا فيه حذو ابى عبيد ، ولم يودعه شيئا من الأحاديث المودعة فى كتاب ابى عبيد الا ما دعت اليه حاجة من زيادة شرح وبيان أو استدراك أو اعتراض وأشار فى مقدمته الى أنه تكملة لكتاب أبى عبيد فقال (... وقد كنت زمانا أرى أن كتاب أبى عبيد قد جمع تفسير غريب الحديث وأن الناظر فيه مستغن به ثم تعقبت ذلك بالنظر والتفتيش والمذاكرة فوجدت ما ترك نحو ما ذكر فتنبعت ما أغفل وفسرته على نحو ما فسر وأرجو ألا يكون بقى بعد هذين الكتابين من غريب الحديث ما يكون لاحد فيه مقال) * (1)

ومن الذين ألفوا فى غريب الحديث شمر بن حصدويه ، وأبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بشعلب ، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد ، وأبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، وأحمد بن الحسن الكندي ، وأبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بعلام ثعلب ، وأبو سليمان حمد بن محمد ابن أحمد الخطابي البستي الذى نهج نهج أبى عبيد ، وابن قتيبة ، فكانت هذه الكتب الثلاثة أمثل الكتب ، يعنى كتاب أبى عبيد ، وكتاب ابن قتيبة ، وكتاب البستي .

وجمع ابو عبيد أحمد بن محمد الهروى غريب القرآن والحديث فى كتاب مقفى على حروف المعجم ووجه عنايته الى التعريف بالكلمة الغريبة لغة واعرابا ومعنى . وصف ابن الاثير كتاب الهروى فقال (... فلما كان زمن أبى عبيد أحمد بن محمد الهروى صاحب الامام أبى منصور الازهرى اللغوى ، وكان فى زمن الخطابي وبعده وفى طبقته صنف كتابه المشهور

(1) النهاية فى غريب الحديث 1 : 5

المسائر فى الجمع بين غريب القرآن العزيز ، والحديث ، ورتبه مقمى على حروف المعجم على وضع لم يسبق فى غريب القرآن والحديث اليه . فاستخرج الكلمات اللغوية الغريبة من أماكنها ، وأثبتها فى حروفها وذكر معانيها ، اذ كان الغرض والمقصد من هذا التصنيف معرفة الكلمة الغريبة لغة واعرابا ومعنى ، لا معرفة متون الاحاديث والآثار وطرق اسانيدھا وأسماء رواتها ... ثم انه جمع فيه من غريب الحديث ما فى كتاب أبى عبيد ، وابن قتيبة وغيرهما ممن تقدمه عصره من مصنفى الغريب ، مع ما أضاف اليه مما تتبعه من كلمات لم تكن فى واحد من الكتب المصنفة قبله فجاء كتابه جامعا فى الحسن بين الأحاطة والوضع ... فانتشر كتابه بهذا التسهيل والتيسير فى البلاد والامصار) .

وكتاب الهروى فى مجموعه معجم لغة افرد لغريب القرآن وغريب الحديث ، يقول الهروى فى مقدمة كتابه (فان اللغة العربية انما يحتاج اليها لمعرفة غريبى القرآن وأحاديث الرسول عليه السلام ، والصحابة والتابعين، والكتب المؤلفة فيها جملة وافرة ، وفى كل منها فائدة ، وجمعها متعب ، وحفظها عن آخرها معجز ... وكنت أرجو أن يكون سبقنى الى جمعهما ، وضم كل شىء الى لفظه منهما على ترتيب حسن واختصار كاف ، سابق، فكفانى مؤونة الدأب وصعوبة الطلب ، فلم أجد أحدا عمل ذلك الى غايتنا هذه فاستخرت الله - عز وجل وتقديس - فيه وسألته التوفيق له ليكون تذكرة لنفسى مدى حياتى ، وأثرا حسنا لى بعد وفاتى ... وكتايبى هذا لمن حمل القرآن ، وعرف الحديث ، ونظر فى اللغة ثم احتاج الى معرفة غرائبهما) . (1)

(1) كتاب الغريبين لاحمد بن محمد الهروى 1 : 6 بتحقيق محمود محمد الطناحى ط المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

وكتب الزمخشري كتاب (الفائق في غريب الحديث) رتب غريبه على حروف المعجم فكتاب الهمزة يبدأ بالهمزة مع الباء ، ثم بالهمزة مع التاء الى آخر الحروف على هذا النسق الا ان الاستطراد اللغوي كان عنده اوسع ، كان يذكر الحديث ، ويفسر الكلمة التي اشار اليها الباب ثم يأخذ في الكلام عن بقية الحديث فيتناول فيه الفاظا أخرى ثم يستطرد الى نظائر لها في أحاديث أخرى •

وأفاد من هذه الكتب ابن الاثير الجزري ووضع كتاب النهاية في غريب الحديث والاثار وعنى فيه ببيان الفاظ الحديث ومعانيه وجعل الالفاظ مقدمة في الرتبة على المعاني ، وقسم الالفاظ الى مفردة ومركبة ، والمفردة الى عام يشترك في معرفته الجمهور ، وخاص يشتهل على العريب الحوشي وهو اولى بالعناية من غيره - وجاء من بعده جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فليخص كتاب ابن الاثير وسماه (كتاب الدر الشير) •

لهجات القبائل

وثمة مطلب آخر ، هو الكشف عن الوجه الاقليسي لبعض الالفاظ والعبارات ، واذا كانت الفوارق بين الحجازية والتميمية قليلة نسبيا فان الفوارق بين اليمنية والنزارية كانت أكثر تفاوتاً حتى قال ابو عمرو بن العلاء : (ما لسان حمير وأقاصى اليمن بلساننا ولا عريبتهم بعريبتنا) • (1) وهو رأى ابن جنى ايضا حيث يقول: (لسنا نشارك في بعد لغة حمير ونحوها عن لغة ابني نزار) (2) ويدلل على ذلك بخبر يقول فيه : (دخلت يوما على ابي

(1) طبقات فحول الشعراء 11

(2) الخصائص 1 : 386

على — رحمه الله — خاليا في آخر النهار. فحين رآني قال لي : أين أنت ؟ أنا أطلبك • قلت وما ذلك ؟ قال : بما تقول فيما جاء عنهم من حَوْرٍيت ؟ فحُضنا معا فيه ، فلم نحل بطائل منه ، فقال : هو من لغة اليمن ومخالف للغة ابني نزار (1) والاصمعي يحكى أن رجلا من العرب دخل على ملك ظفار ، فقال له الملك : (ثب) فوثب الرجل ، واندقت رجلاه ، فقال الملك : ليست عندنا عرييت ، من دخل ظفار حمّر • (2)

اما ما جاء من ذلك في الحديث ففي مثل رد النبي صلى الله عليه وسلم على وفود اليمن — فقد جاء مالك بن نمط في وفد همدان فقال :

(يا رسول الله ، نصية من همدان ، من كل حاضر وباد ، اتوك على قلص نواج ، متصلة بجبائل الاسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مخلاف خارف ، ويام ، وشاكر • عهدهم لا ينقض عن سنة ماحل ، ولا سوداء عنقفير ما أقام لعلع ، وما جرى اليعفور بصلع) • (3)

فكتب النبي صلى الله عليه وسلم (هذا كتاب من محمد رسول الله الى مخلاف خارف وأهل جناب الهضب ، وحفاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه أن لهم فراعها ووهاطها وعزازها

(1) الخصائص 1 : 387

(2) الخصائص 2 : 28

(3) القلص النواج = الابل السريعة — والماحل = الساعى بالنميمة ، والمحل = السعاية من ناصح وغير ناصح ، وهو ايضا المكر والكيد — والعنقفير = الداهية من دواهي الزمان . لعلع = اسم جبل ، اليعفور = الظبي الذي لونه كلون العفر وهو التراب وقيل الظبي عامة ، صلح = الصلحاء من المال ما ليس فيها شجر ، وقيل هي الارض الجرداء عامة .

ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ياكلون غلاها ويرعون غفاها ، لنا من دفنهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والأمانة ، ولهم من الصدقة الثلب ، والناب ،
والفصيل ، والفارض الداجن ، والكبش الحورى ، وعليهم الصالغ ،
والقارح (1) واليك ما أثبتته القلقشندي فى شرح غريبه :

(الفراع بالكسر : جمع فرعة ، وهو ما ارتفع من الارض -
والوهاد : جمع وهطة وهو ما اطنأ من الارض - والعلاف بالكسر جمع
علف كجبل وجبال ، والمراد ما تغلفه الدواب من نبات الارض - والعزاز :
ما صلب من الارض واشتد وخشن ويكون ذلك فى أطرافها - والعفاء
العافى : وهو ما ليس لأحد فيه ملك ، من قولهم : عفا الأثر اذا درس -
والدفع : تناج الابل وما ينتفع به منها سمي دفعا لأنه يتخذ من أوبارها
ما يستدفا به ، والمراد هنا الابل والغنم - والصرام : النخل ، وأصله قطع
الثمرة - والثلب من ذكور الابل : الذى هرم وتكسرت أسنانه - والناب
المسنة من اناثها - والفصيل من أولاد الابل : الذى فصل عن أمه من
الرضاع - والفارض : المسن من الابل ، والمراد أنه لا يؤخذ منهم فى
الزكاة - والداجن : الشاة التى يعلفها الناس فى منازلهم - والكبش الحورى :
منسوب الى الحور وهى جلود تتخذ من جلود الضأن ، وقيل : هو ما
دبح من الجلود بغير القرظ - والصالغ : بالصاد المهملة والغين المعجمة :
وهو من البقر والغنم الذى كمل وانهى ويكون ذلك فى السنة السادسة
ويقال بالسين بدل الصاد - والقارح : الفرس الذى دخل فى السنة
الخامسة) • (2)

(1) العقد الفريد 2 : 32 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

(2) صبح الاعشى للقلقشندي 6 : 375

وكتب صلى الله عليه وسلم الى وائل بن حجر ، وأهل حضرموت :
(من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة من أهل حضرموت باقامة
الصلاة وإيتاء الزكاة • على التبعة الشاة ، والتيمة لصاحبها ، وفي السيوب
الخمسة ، لا خلط ولا وراط ، ولا شناق ، ولا شغار ، ومن أجبي فقد
أربى ، وكل مسكر حرام) •

وذكر القاضي عياض فى (الشفاء) أن كتابه لهم :
(الى الاقيال العباهلة ، والارواح المشاييب ، وفى التبعة شاة لامقورة
الأياط ، ولا نساك ، وأنطوا الشبعة ، وفى السيوب الخمسة ، ومن زنى
مم بكر فاصقعه مائة واستوفضوه عاما ، ومن زنى مم ثيب فضرجه
بالاضاميم ، ولا توصيم فى الدين ، ولا غمة فى فرائض الله تعالى ، وكل
مسكر حرام ، ووائل بن حجر يترفل على الاقيال • (1)

واليك ما جاء فى شرح غريبه مما ذكره القلقشندي ، وما جاء منه فى
جمهرة اللغة لابن دريد ولسان العرب لابن منظور :

الاقيال : جمع قيل وهو الملك ، وقيل هم ملوك حمير بخاصة ، والتبعة
اسم لأدنى ما تجب فيه الزكاة من الحيوان كالخمس من الابل ، والأربعين
من الغنم ، والتيمة : الشاة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة
الآخرى ، وقيل هى الشاة التى تكون لصاحبها فى منزله يحلبها وليست
بسائمه ، والسيوب : الركاز اخذا من السيب وهو العطاء قاله ابو عبيدة
ويقول ابن دريد : هو العطاء ثم كثر حتى سميت الكنوز سيوبا ، وقيل هى
عروق الذهب والفضة التى تسبب فى المعدن ، وقال الزمخشري : هى جمع
سيب ، يريد به المال المدفون فى الجاهلية ، أو المعدن لأنه من فضل الله

(1) صبح الامشى 6 : 371

تعالى على من أصابه - والخلاط : مصدر خالط ، والمراد أن يخلط الرجل
أبله بابل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حق الله تعالى فيها -
والوراط : أن تجعل الغنم في وهدة من الأرض لتخفى على المصدق مأخوذ
من الورطة وهى الهوة من الأرض - والشناق : المشاركة فى الشئ
(بفتح النون) وهو ما بين الفريضتين من كل ما تجب فيه الزكاة •

وفى أجبى : قيل هو بيع الزرع قبل بدو صلاحه ، وقيل هو أن يغيب
أبله عن المصدق أخذاً من أجباته إذا واريته ، وقيل : هو أن يبيع من الرجل
سلعة بثمن معلوم الى أجل معلوم ثم يشتريها منه بالنقد بأقل من الثمن
الذى باعها به - والمشاييب : السادة الرؤوس ، الزهر الألوان ، الحسان
المناظر ، واحدها مشبوب - والمقورة الألياط : المسترخية الجلود لهزالها .
والألياط : جمع ليط وهو قشر العود - والضناك : السمين الكثير اللحم ،
والمراد أنه لا تؤخذ المقرطة فى السمن كما لا تؤخذ الهزيلة وأنطوا : لغة
فى أعطوا ، لغة اليمن - الثبجة : الوسط ، ليست من خياره ولا من
رذالته ، وثبجة التافة ما بين الكاهل الى الظهر •

ومم بكر، جرى فيه على لغة اليمن حيث يدلون لام التعريف ميمًا -
والأضاميم : هى الحجارة ، واحدها اضمامة ، والمراد : ارجموه بالحجارة
والتوصيم : الفترة والتوانى - ويطرفل : أى يسود ويطرأس ، استعارة من
ترفيل الثوب وهو أسباغه وارساله •

وقد تلحظ فى بعض الكلمات صياغتها على طريقة أهل اليمن كإبدال
النون من العين فى أنطوا - أى أعطوا - وإبدال لام التعريف ميمًا كما
فى قوله مم بكر وكما جاء فى حديث آخر (ليس من امبر امصيام فى
امسفر) • نقول الى جانب هذه الخواص فى لغة اليمن فان الكلمات التى

أخذت سميتها فى العربية عامة ، يبدو أنها كانت يمنية الاصل ايضا ، يدلك على ذلك وقوف علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه امام كلمات النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى نهد وقوله له (نحن بنو أب واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لا تفهم أكثره) (1) ، وكذلك كان اللغويون الذين عرفوا بغريب هذه الاحاديث كانوا يحتجون لاكثرها بما ورد منها فى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم كما هو واضح فى جمهرة ابن دريد ، ولسان العرب لابن منظور ولو جاءت وافرة فى الشعر العربى لاحتجوا به كعادتهم •

وفى هذه النماذج نلمح من غريب الالفاظ ما لا يصل الى حد الفصل بين النزارية واليسنية كما يبدو فى حديث أبى عمرو بن العلاء ، وانما يقربنا الى مفهوم آخر هو انه خلاف بين اللهجتين يصعب معه التفاهم بين نزارى ويمنى ، أو يفهم بعضه ويستغلق بعضه •

والرأى عندى يحتاج الى بيان وجوه ثلاثة :

- اولا — اولئك الذين خرجوا من اليمن وعاشوا فى الشمال •
- ثانيا — الذين استقروا فى بلاد اليمن فى ظل حكومة ثابتة •
- ثالثا — سكان المناطق المتطرفة فى حضرموت ، والشحر ، وجزيرة سقطرة •

فأما الذين خرجوا الى الشمال كالأوس والخزرج وقضاة وطىء الى غير ذلك فقد تحدثوا العربية التى يتحدثها أهل الشمال ، وشب شبابهم ، وتعاقت عليهم الاجيال ولم تختلف لغاتهم عن لغات أصحابهم الا بما يفرضه

(1) النهاية فى غريب الحديث والاثر 3

التأثر والجوار مع لغات أخرى ، وهذا ما يعنيه الجاحظ بقوله (العرب كلهم شيء واحد ، لأن الدار والجزيرة واحدة ، والاخلاق والشيم واحدة ، واللغة واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابه والاتفاق في الاخلاق وفي الاعراق ، ومن جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ، ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التربة ، وطباع الهواء والماء . فهم فسى ذلك بذلك شيء واحد في الطبيعة واللغة والهمة والشمائل ، والمرعى والراية ، والصناعة والشهوة) • (1)

والقرطبي عندما يعرض لتفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه) يقول : قال قوم هي سبع لغات في القرآن ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن ، وبعضه بلغة اليمن (2) . فاليمن كما ترى قسيمة القبائل العربية الاخرى ، والتي نزل القرآن بلغاتها •

وذكر الشعر عند عبد الملك فقال : اذا أردتم الشعر الجيد فعليكم بالزرق من بنى قيس بن ثعلبة ، وهم رهط أعشى بكر ، وبأصحاب النخل من يثرب - يريد الاوس والخزرج - وأصحاب الشعب من هذيل (3) وهكذا جمع عبد الملك ربعة ممثلة في الزرق من بنى قيس بن ثعلبة ، واليمن في الاوس والخزرج ، ومضر في أصحاب الشعب من هذيل •

ولدينا من قبائل اليمن كبار الشعراء واللغويين من أمثال امرئ القيس ، وعمرو بن معد يكرب ، ويزيد بن مفرغ الحميري ، ودحية الكلبي ،

(1) البيان والتبيين 3 : 247 بتحقيق السندوبى ، 3 ، 291 بتحقيق

عبد السلام هارون

(2) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 1 : 43

(3) العقد الفريد 5 : 273

وجميل بن عبد الله بن معمر صاحب بشينة من بنى عذرة من قضاة ، وحاتم الطائي ، وزيد بن مهلهل الطائي المعروف بزيد الخيل ، والمندر بن حرملة الطائي ، وكثرة وافر من الشعراء • ومن اللغويين الخليل بن احمد الفراهيدي ، وابن دريد الازدي • وعلى هذا فأبو عمرو لا يعنى هؤلاء الذين خرجوا من اليمن وعاشوا فى انحاء متفرقة من الجزيرة •

الذين استقروا في بلاد اليمن

من المعروف أن اليمن كانت أكثر استقرارا وتحضرا من الحجاز ونجد ، فتكونت فيها الحكومات ، وثبتت فيها اللهجات تبعاً لاستقرار الحكم ، فسادت لهجة السبئيين أولاً بعد انتصارهم على دويلات اليمن ، وظلت كذلك بعد أن انتزع الاحباش الحكم سنة ٣٧٥ م لأن الاحباش لم تساندتهم فى تثبيت حكمهم ديانة تستند الى لغة معينة ، وظلت السبئية تقاوم الغزو الحبشى حتى سنة ٤٠٠ م اذ تولى الحكم والسيطرة على البلاد أسرة حميرية يلقب ملوكها بالنبابعة ، وبالرغم من عودة الاحباش مرة ثانية ابان حكم ذى يزن ، ثم تغلب الفرس على بلاد اليمن فان الحميرية ظلت باقية وسط هذه التقلبات • هذه الحميرية كانت تتأثر بالعربية وخاصة بعد ظهور الدعوة ، على تفاوت ، بالنسبة للمناطق الجغرافية فتلك التى يسهل الوصول اليها غير تلك المناطق المحصورة التى بقيت بعيدة عن التأثير العربية وان اعتنق اهلها الاسلام •

والامر أكثر من هذا بالنسبة للمناطق النائية على حدود اليمن فاللهجة الحضرمية السائدة حول حضرموت قريبة من العربية الا انهم يقلبون كاف الخطاب شيئا فيقولون قلمش وكتابش فى قلمك وكتابك ، ويستعملون الباء قبل الفعل المضارع للدلالة على زمن المستقبل ، فيقولون : غذا باذهب ، بدلا من سوف اذهب ، ويقلبون الجيم ياء أحيانا فيقولون ريال وهم يقصدون رجال •

وفى منطقة شرقى حضرموت تسود اللهجة المهرية ، وشرق المنطقة
المهرية توجد لهجة الشحر. كما توجد اللهجة السقطرية فى جزيرة سقطرة
وكلها تبعد عن العربية .

والهمدانى الذى كان يقيس فصاحة لهجات القبائل بقربها أو بعدها
عن لهجة قریش يقول : فأهل الشحر ، والاسعاء ليسوا بفصحاء - ومهرة
غتم يشاكلون العجم - وحضرموت ليسوا بفصحاء وربما كان فيهم
الفصيح ، وسرو حبير وجعدة ليسوا بفصحاء وفى كلامهم شىء من
التحجير ، وأهل عدن مولدة ردية ... وسافلة المعافر غتم ، وجبلان فى
لغتهم تعقد . (1)

وبعد

فهذا حديث النبى صلى الله عليه وسلم - اذا توقف اللغويون عن
الاحتجاج به لشوائب روايته ، واشتراك الاعاجم فيها ، فانه لم يخل من
نفع جليل للعربية بما منحها من سعة فى سياق شروحه ، وحسبك من تثبت
أن تجد اكثر الشارحين للحديث هم من كبار اللغويين منهم : ابو عبيدة ،
والنضر بن شميل ، وقطرب ، وابو عبيد القاسم بن سلام - وكان من تمام
النفع أن نجد انفسنا - ونحن نعمن النظر فى حديثه صلى الله عليه وسلم
الى الوفود - نجد انفسنا مستطردين الى الكلام عن لغات اليمن والفروق
بين جهاتها القريبة من بلاد ابني نزار ، وما نأى عنها وبعد .

(1) تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد على 2 : 279

البَابُ الثَّالِثُ
الشَّعْرُ

الفصل الأول

الشعرُ الجاهلي

دور الشعر والشاعر في الجاهلية

كانت القبيلة وحدة العالم العربى القديم ، مجموعة من أفراد يرتبطون بالقرابة ، وهى بذلك اسرة كبيرة لها نظامها الذى يجعل منها وحدة سياسية كما هى وحدة اجتماعية ، يصرف شئونها سيد من ساداتها ، معروف بخبرته وشهامته وكرمه ينزل من نفوسهم منزلة الأب لا الحاكم فضلا عن سلطانه المطلق فى ادارة شئون القبيلة ، يدينون له بالطاعة تحت شعارهم المألوف : انصر أخاك ظالما او مظلوما ، او كما يعبر عنه أحدهم بقوله :

وهل انا الا من غزية ان غوت
غويت ، وان ترشد غزية أرشد

وبالجملة ، فقد كانت العصبية هى الدعامة الكبرى التى تركز عليها مقومات القبيلة *

وعلى هذه الصورة البعيدة عن التعقيد كانت حياة العرب فى جاهليتهم ، وكانت الكتابة لا تلح عليها ضرورة طبيعية فى ذلك النظام الاجتماعى ، فالكتابة تسير فى خط مطرد مع التحضر ، فهى الوسيلة الى تنظيم الدواوين ، وتقسيم الارزاق ، وجباية المكوس ، وحصر التجارة وارباحها ، وتقيد الاحداث ، وتقنين الظواهر ، ولذلك ترى قلب الجزيرة لا يعتمد اعتمادا أصيلا على الكتابة فى الوقت الذى كانت فيه معروفة عند التبابعة جنوبا والمناذرة والغساسنة فى الشمال .

وبالرغم من ان المكين كانوا يصطنعون التجارة يرحلون بسببها الى أطراف الجزيرة مكتسبين حظا من المعرفة ، وبالرغم من وجود المدارس عند يهود المدينة ، فان الكتابة ظلت قاصرة على بضعة عشر انسانا من قريش ، وقلة من الأوس والخزرج ، ولم ترتق الكتابة الى الدرجة التى نعول عليها فى استكنه الشعر الجاهلى .

وحيث عزت الكتابة ، كانت المشافهة والرواية هى السبيل الى الحفاظ على ما وصل الينا من الشعر الجاهلى ، ومن حسن الحظ ان فن القول قد احتل مكانا هاما فى نفوس العرب حتى كانت الحاسة اللغوية من أدق حواسهم وأرهفها ، وكان الشعر اصبر هذه الفنون على البقاء بسبب وزنه وقافيته .

وكان اصحاب الشعر من منثييه ، ورواته ، ومتذوقيه يشلون الطبقة المستتيرة فى القبيلة ، والشاعر على رأس هؤلاء جميعا يتبوأ من القبيلة مكانا رفيعا ، ويحس فى نفسه - وقد اعطى العقل والشاعرية - انه من أمثالهم وعقلائهم ، وخير ما يصور لنا هذه المنزلة ما يحكيه صاحب السيرة عن الطفيل بن عمرو الدوسى حين حذره رجال قريش من سماع النبى صلى الله عليه وسلم حتى لا يتأثر بما يسمع ، قال الطفيل :

«... فوالله ما زالوا بى حتى اجمعت الا اسمع منه شيئا ، ولا أكلمه ، حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا (الكرسف هو اللطن) فرقا من ان يبلغنى شىء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه . قال : فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة ، قال : فقمته منه قريبا ، فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله ، قال : فسمعت كلاما حسنا ، قال : فقلت فى نفسى : واثكل أمى ، والله انى لرجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن اسمع من هذا الرجل ما يقول ، فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته ، وان كان قبيحا تركته ..» (1) فانظر كيف يستمد الثقة من صفته كشاعر .

والاقوال فى بيان مكانة الشاعر فى القبيلة كثيرة معادة لعل أكثرها استلغافات للنظر ما يروى من انهم كانوا اذا نبغ فيهم شاعر أقاموا المآدب ، وجاءت افراد القبائل الاخرى مهتلة ، وقامت النسوة يضربن بالمزاهر والدفوف (2) ولا تعجب أن ترى الشاعر يتبوأ فى القبيلة مكان الرياسة بعد الشيخ ، أو يكون هو الشيخ بذاته ، فقد كان يحمل على كتفيه عبء الذود عن القبيلة من اشادة بها أو امتهان اعدائها اذا كانت محتربة وكثيرا ما تكون كذلك ، وهو أيضا صوتها المعبر ، وهاديتها ومضلها ، احتربت أو سالمته .

وبسبب من مكانة الشاعر تطلع أبناء القبيلة الى هذه المنزلة فتلمذوا لشاعرها ولازموه ، ونجح منهم من اوتى الموهبة ونماها بالدربة والمران . يروى شعره كأنه النسخة الثانية من كتاب القبيلة ، وتدور فى مسامع الالفاظ ، ثم لا يقتصر امر الرواية على الشاعر والرواية الذى كان يلزمه ، وانما الى

(1) السيرة لابن هشام 1 : 407 — 408 ط حجازي سنة 1937

(2) المزهر للسيوطى 2 : 473

جانب ذلك أفراد من القبيلة يهفون الى ترديد الشعر قصدا للمتعة الفنية، ثم من وراء ذلك جمهور القبيلة المستحسن المتذوق الذى يسمع هذا الفن فيطرب له أو يهتز ويردده ان شاء أو يكتفى بسماعه وكأن الشعر شغلهم الشاغل فى جدهم الجاد المتجهم وفى لهوهم المرح الهازل ، وهم ان استحسنوا قطعة منه أو قصيدة من القصائد تعبر عن امجادهم وغلبهم توارثوها فى الاعقاب ورددها خالف عن سالف • انشأ عمرو بن كلثوم التغلبى قصيدة ينذر فيها عمرو بن هند لميله الى بكر ، ويوعدهم بالبكرين وثوب بنى تغلب عليهم ، وكانت غاية فى الفخر ، وظل بنو تغلب يعظمونها فيرونها صغيرهم وكبيرهم حتى القرن الثانى لظهور الاسلام فقال أحد الشعراء يهجوهم :

ألهى بنى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة" قالها عمرو بن كلثوم
يفخرون بها منذ كان أولهم
يا للرجال لفخر غير مستوم (1)

ولقد كان هذا التجاوب بين الشاعر وأفراد القبيلة من الحوافز الى قول الشعر ثم الى روايته والحفاظ عليه داخل القبيلة، وكما أعد شعر الفخر لتحسيس شباب القبيلة فقد أعد ايضا لسمعه افراد القبائل الاخرى ليؤتى غرضه فى الفخر وتسمو به القبيلة على اعدائها ، والى جانب هذا اللون شعر آخر يقصد به ذكر مثالب الاعداء ، وكانت القبائل تحرص على اذاعته خارج القبيلة وتتمسك لذلك مناسبة كموسم الحج أو الاسواق •

وكانت الاسواق تعمر بالبائعين لأسباب المعيشة فلا يكاد يجمعهم

(1) الاغانى 12 : 54 ط دار الكتب

السوق حتى يأخذ الفن مكانه فيها وليس لهم كما نعلم فن أرقى من فن القول فتراهم يشبعون نزوعهم اليه بقصيدة يفخرون بها أو يهجون بها أعداءهم ، أو يعرضون هناك ما جادت به قرائحهم أو يتخاصمون أو يتنافرون أمام حكم يحكم بينهم أيهم أشعر - وقد أشارت كتب النقد الى مواقف متقدمة فى هذا الفن أخذت تثير إعجاب المظمئن الى الشعر الجاهلى كما أخذت تثير الشكوك عند غيرهم ، فلقد استبعد النقاد رواية ابى الفرج فيما ذكره النابغة الذبياني لحسان بن ثابت عندما أنشده :

لنا الجففات الغر يلمعن بالضحى
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق
فأكرم بنا خلا وأكرم بنا ابنما

قال النابغة : انك لشاعر ، لولا أنك قللت عدد جفانك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك - وفى رواية أخرى - أنك قلت الجففات فقللت العدد ، ولو قلت الجفان لكان أكثر ، وقلت يلمعن فى الضحى ولو قلت يبرقن بالدجى لكان أبلغ فى المديح لان الضيف بالليل أكثر طروقا وقلت يقطرن من نجدة دما فدللت على قلة القتل ولو قلت يجرين لكان أكثر لانصباب الدم • (1)

ولدينا أحكام تشير الى مثل هذا المبلغ من النقد صدرت عن أم جندب حين احتكم اليها زوجها امرؤ القيس فيما تبارى فيه مع علقمة بن عبدة فقالت : قولاً شعراً تصفان فيه الخيل على روى واحد ، وقافية واحدة فقال امرؤ القيس :

خليلىّ مرا بسى على أم جندب
لنقضى حاجات الفؤاد المعذب
وقال علقمة :

ذهبت من الهجران فى كل مذهب
ولم يك حقا كل هذا التجنب

ثم انشدها جميعا ، فقاتت لامرئ القيس : علقمة أشعر منك ، قال
وكيف ذاك ؟ قالت : لانيك قلت :

فللسوط الهوب وللحاق درة
وللزجر منه وقع أخرج مهذب
فجهدت فرسك بسوطك ، ومريته بساقلك ، وقال علقمة :
فأدركهين ثانيا من عنانه
يمر كمن الرائح المتحلب (1)

فأدرك طريدته وهو ثان من عنانه لم يضربه بسوط ، ولا مرام بساق
ولا زجره (2) ولكن المنهج العلمى والتعليمى الذى سلكه الشعر العربى
فى الجاهلية وظهور الحكمة فى شعر زمير ، والمعانى الرقيقة فى اعتذاريات
النابعة ، والمنطق الرصين فى معلقة طرفة بن العبد مع حداثة سنه ، كل
اولئك قد يعينك على فهم المنزلة التى احتلها الشعر الجاهلى ، والتى لا
يبعد معها أن ترى نقدا رفيعا كنقد النابعة لأبيات حسان ، وأم جندب
لشعر امرئ القيس .

(1) الرائح المتحلب = السحاب المتتابع

(2) الشعر والشعراء 1 : 170 — 171

ومن الاخبار التي تدل على عناية الجاهليين بمدارسة الشعر ،
والتلمذة لاوائل الشعراء وأماثلهم ما يقوله القاضي الجرجاني في كتاب
الوساطة « وقد كانت العرب تروى وتحفظ ويعرف بعضها برواية شعر
بعض كما قيل ان زهيراً كان راوية أوس ، وان الحطيئة راوية زهير ، وان
أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جويرية فبلغ هؤلاء في الشعر حيث تراهم » (1)

وربما علقّت - بسبب هذا الاتصال - أو تسلسل الرواية - بعض
معاني السابطين فلم تجد فكاً كما من هذا الاسار فيما يصدر من الاشعار
فجاءت كلها أو بعضها في قصيدهم فمن ذلك قول امرئ القيس :

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسي وتحسل

فظهر في معلقة طرفة بن العبد على النحو التالي :

وقوفا بها صحبى على مطيهم
يقولون لا تهلك أسي وتحجلد

وقال امرؤ القيس يصف فرسا :

ويخطو على صم صلاب كأنها
حجارة غيل وارسات بطحلب

فأخذه النابغة الجعدي فقال :

كأن حواميه مدبرا
خضِبْنِ وان كان لم يخضب
حجارة غيل برضاضة
كسين طلاء من الطحلب

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه 15 ط مصر سنة 1945

وقال امرؤ القيس يصف فرسا :
سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا
له حجيات مشرفات على الفال
فأخذه كعب بن زهير فقال :

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا
كأن مكان الردف من ظهره قصر
كما اقتبس النجاشي أو عاق بذهنه فقال :
أمين الشظا عارى الشوى شنج النسا
أقب الحشا مستذرع الندفان (1)

وعدد ابن قتيبة أمثلة على هذا النحو أفاد منها زهير ، وطرفة . وزيد
الخليل ، والنجاشي ، والنابعة الجعدى (2) وهذا لا يتأتى الا نتيجة
دراسة ، ورواية ، وروية ، واختيار المحسن من الاشعار ، ولقد عبر الرواة
عن سبق امرئ القيس وإفادة الشعراء من شعره فقال ابو عبيدة : (هو
أول من قيد الأوابد يعنى فى قوله (قيد الاوابد) فتبعه الناس على ذلك)
وقال غيره هو اول من شبه الشعر فى لونه بشوك السيلال فقال :

منابته مثل السدوس ولونه
كشوك السيلال وهو عذب يفيص

فاتبعه الناس ، وأول من قال (فعادى عداء) فاتبعه الناس ، وأول
من شبه الحمار (بمقلاء الوليد) وهو عود القلة و (بكر الاندرى) وشبه
الطلل (بوحى الزبور فى العسيب) والفرس (بتيس الحلب) (3) *

(1) اى سريع رجع اليدين

(2) الشعر والشعراء 1 : 77 — 82

(3) الشعر والشعراء 1 : 82 — 83 قال الاصمعى : لا أدرى ما يفيص .

قال ابن برى يفيص يبرق وقيل يتكلم . يقال فاص لسانه بالكلام
أبانه (اللسان)

ومن الذين سبقوا فى المعانى وأزادوا بها لاحقهم أوس بن حجر ،
وزهير ، والنابعة ، والمسيب بن علس . وطرفه وغيرهم • (1)

والذين يقرأون هذا الاقتباس والذي صدر فى مؤلفات تحت اسم
السرقات الشعرية لا بد وأن يسألوا انفسهم : ماذا كانت لغة الشعر
الجاهلى ؟ هل كانت تتجاوز لهجات القبائل ؟

الفرض القريب انها كانت اللغة الخاصة التى كانت تلقى فى الاسواق
فيفهمها العرب على اختلاف لهجاتهم ، ويفهمون دقائقها ، ويدركون وجوه
الجمال فيها على النحو الدقيق الذى ظهر فى نقد النابعة وأم جندب •

وكانت الاسواق تعقد على مدار السنة فلا تكاد تنفض سوق حتى
تعبس أخرى ، ويجتمع الناس من كل حذب وصوب ومن كل قبيل ، بعضهم
للبيع والشراء ، وأكثرهم لأغراض شتى ، والصور التى تخبرك بها كتب
الادب عن عكاظ تدلك على أن فن القول قد احتل النصيب الأوفر فى
السوق • (2)

— رجل يخطب ويعظ بشر مسجوع وقصيد عذب والناس آذنون
له وقد استحوذ على حواسهم ومشاعرهم وهو يقول :

(أيها الناس : اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل
ما هو آت آت — ليل داج ، وساء ذات ابراج ، بحار تزخر ، ونجوم
تزهر ، وضوء وظلام ، وبر وآثام ، ومطعم ومشرب ، وملبس ومركب ،
مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ، أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا

(1) انظر الشعر والشعراء على التوالى 158 — 95 — 120 — 127 —

(2) راجع ما كتبناه عن الاسواق فى كتابنا (رواية اللغة) ص 41 وما
بعدها

فناموا؟ واله قس بن ساعدة ما على وجه الارض دين أفضل من دين قد
أظلكم زمانه ، وأدرككم أوانه ، فطوبى لمن أدركه ، وويل لمن خالفه ، ثم
أنشأ يقول :

فى الذاهبين الاوال بين من القرون لنا بهائر
لما رأيت موارد للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها يسضى الاصاغر والأكابر
أيقنت أنى لا محال لة حيث صار القوم صائر (1)

— ورزئت الخنساء بفقد والدها عمرو بن الشريد وبأخويها صخر
ومعاوية فلم تجد عزاءها الا أن تنزل الى السوق فى كل عام تعظم العرب
بمصيتها فى شعر يفتت الأكباد .

— وأنشأ عمرو بن كلثوم التغلبي قصيدته :

الا هبى بصحنك فاصبحينا

وأراد لها أن تسير فى الناس فألقاها فى عكاظ ثم فى موسم الحج . (2)

— وقد يتوعد الشاعر صاحبه بالقاء أهاجيه فى عكاظ كما فعل أمية
ابن خلف الخزاعى بحسان بن ثابت حين أنشد :

الا من مبلغ حسان عنى
مغلغلة تدب الى عكاظ
اليس ابوك فينا كان قينا
لدى القينات فسلا فى الحفاظ (3)

(1) الاغانى 4 : 14 ط التقديم

(2) الاغانى 4 : 210 وما بعدها

(3) المعلقات 25 ط حجازى سنة 1353 هـ

فيحييه حسان :

أتانى عن أمية زور قول

وما هو بالمغيب بذى حفاظ

سأنشر ان بقيت لهم كلاما

يفرق فى المجامع من عكاظ (1)

هذه لمحات مما كان يجرى فى الاسواق لم نشأ أن نستوفى صورها، ولم تعتمد ذكرها لطرافتها ، وانما لنسب القول بأن لغة الشعر هى اللغة الادبية المنتقاة الخالية من اللهجات الخاصة ، مثلها فى ذلك كمثل عريتنا الفصحى فى ايامنا هذه والتي يلتقى عندها العراقى ، والحجازى ، والشامى ، والمصرى ، والمغربى فيدرك أحدهم قول صاحبه ، ويتعرف وجوه الجمال فيه ويضعه فى الدرجة المناسبة من الفصاحة فاذا تكلم كل بلهجته الخاصة استغلق الامر .

ولقد وجد الاستاذ نلينو فى اذاعة الاشعار بين القبائل سببا من اسباب وحدة اللغة فقال : (ولولا الشعر الذى نشأ فى نجد ، ثم شاع فى سائر انحاء جزيرة العرب الشمالية لما تهيأت قبل الاسلام وحدة اللغة الادبية مع اختلاف شعوب العرب وقبائلهم وتباين لهجاتهم) (2) ولهذا كان القصيد العربى فى العصر الجاهلى من أهم الموارد التى استقى منها اللغويون مادة العربية .

(1) ديوان حسان 65 ط مصر سنة 1332 هـ

(2) تاريخ الاداب العربية لكارل نلينو 78

تاريخ الشعر

نؤمن بوجود حقبة طويلة عفى عليها الزمن استنادا الى منطق الاشياء :
فالآثار الأدبية التى وصلت إلينا حين استطاعت الرواية أن تتعقبها .
وصلت كاملة مبنى ومعنى وهذا الكمال لا يتأتى الا نتيجة تطور على مدى
آجال بعيدة ، وعبر عن ذلك المستشرق الايطالى كارل نلينو عند تفسيره
للعصور الادبية فبدأها بالعصر الجاهلى وعرفه بأنه المنتهى من زمان لا
تدرك أوائله الى ظهور الاسلام وهو عصر عربى صريح لغة وأدبا وبلادا .

ويتصور ابن رشيق وهو ينسطق لمولد الشعر بأن الكلام كله كان
منشورا فاحتاجت العرب الى الغناء بـسكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها
لتهز انفسها الى الكرم ، وتدل ابناءها على حسن الشيم ، فتوهموا أعاريض
جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سنوه شعرا لأنهم قد شعروا به
أى فطنوا (1)

وابن رشيق حين تصور نشأة الشعر العربى على هذا الوجه لم
يشارك اولئك الذين جهدوا فى تأريخه ، ولم يشر الى الزمن الذى توهم
فيه العرب هذه الأعاريض التى جعلوها موازين الكلام ، ولم يفتق وجوه
الاحتمالات كما صنع نلينو حين سأل هذه الاسئلة :

— كيف نشأ الكلام الموزون المقفى ؟

— آكان الشعر اولاً ذا وزن معين وقافية ؟

— وما أصل الوزن والقافية ؟

(1) العمدة 1 : 5 ط القاهرة سنة 1925 م

— وكيف توصل العرب الى اختراع القصيدة على نمطها الكامل
المتن ؟

— ولماذا جعلوا النسيب أول القصيدة ؟

— وهل كانت لغة الاشعار لغة واحدة ؟

— وكيف تكونت هذه اللغة ؟

— وعلى أى وجه وصلت أشعار الجاهلية إلينا ؟ أيجوز لنا أن نثق
بصحة روايتها ؟ ، وأن نعتد على الحكايات المروية لشرح
الآيات القديمة ؟ (1)

لم نجد فيما كتبه ابن رشيق ما يساعدنا على اجابة اسئلة وشكوك
المستشرق نلينو الا ما فهنا من أن الشعر كان توها لأعاريض جعلوها
موازين الكلام حين احساسوا أنهم بحاجة الى التعبير عن شئ غير عادى .
وكان ابن سلام قد وضع اماننا بداية تصلح لمجرد التأمل واعمال الفكر
فسن ذلك اشارته لأول شعر مكتوب كان عند النعمان بن المنذر فيه اشعار
الفحول وما مدح هو وأهل بيته به ، وأنه صار الى بنى مروان أو صار
منه (2) وجاء مثل هذا الخبر فيما نقله ابن جنى بسنده عن حماد الراوية
قال : (أمر النعمان فنسخت له أشعار العرب فى الطنوج - يعنى
الكراريس - فكتبت له ثم دفنها فى قصره الابيض فلما كان المختار بن
أبى عبيد قيل له : ان تحت القصر كنزا فاحتفزه فأخرج تلك الاشعار) (3)

(1) تاريخ آداب اللغة العربية 55.

(2) طبقات فحول الشعراء 23 ط دار المعارف

(3) اللسان مادة ط ن ج

اما محتويات هذا الديوان وهذه الطنوج فظلت لى عالم الظنون . واسم
نستفد من هذه الاخبار ان صحت — الا وجود آثار شعرية مكتوبة الى
عهد النعمان بن المنذر ، وقد توفى النعمان سنة 28 قبل الهجرة وبالطبع
فان الاشعار التى لم تدون كانت قبل ذلك بكثير ولا زال تاريخ الشعر
الجاهلى يحتاج الى تنقيب .

يقول ابن سلام الجهمى ايضا (ولم يكن لأوائل العرب من الشعر
الا الايات يقولها الرجل فى حادثة ، وانما قصدت القصائد وطول الشعر
على عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف ويذكر من قديم الشعر قول العنبر
ابن عسرو بن تميم وكان جاور فى بهراء فراه ريب فقال :

قد رابنى من دلوى اضطرابها
والناى فى بهراء واغترابها
الا تجىء ماذى يجىء قرابها

ومن قديم الشعر أيضا — كما يقول الجهمى — ما كان بين سعد
ومالك — ابنى زيد مناه بن تميم — فقد تزوج مالك النوار بنت جل بن
عدى ، فلما اهتداها مالك اى اعرس بها ، خرج سعد فى الابل ثم أورها
لظمها ، ومالك فى صفرة فاراد القيام فمنعته امرأته من القيام ، فجعل
سعد وهو مشتمل يزاول سقيها ولا يرفق فقال مشيرا الى أخيه :

يظل يوم وردها مزغفرا

وهى خناطيل تجوس الخضرا

ف قالت النوار لما لك : الا تسمع ما يقول أخوك ؟ أجبه . قال : فما
اقول ؟ قالت : قل :

اوردها سعد وسعد مشتمل

ما هكذا تورد يا سعد الابل

الى غير ذلك من مقطعات قصار لا تشير الى اكثر من قول ابن سلام
(لم يكن لاوائل العرب من الشعر الا الابيات يقولها الرجل في حادثة) (1)
ولا زالت بقية الاسئلة التي طرحها نلينو تدور في ذهن الباحث حول
اولوية الشعر الجاهلي ، لا نملك من اسبابها الا مجرد الظن والتقريب ،
وكذلك الامر في تقدير عر الشعر .

والذين حاولوا تأريخ الشعر تباينت آراؤهم شأن اي قضية ينقصها
التدوين الموثق ، فالاصمعي يرد رواية الشعر الى اربعمائة سنة في الجاهلية
ويقول : وأول من يروى له كلمة تبلغ ثلاثين بيتا من الشعر مهلهل ، ثم
ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم ، ثم ضمرة رجل من كنانة ، والاضبط
ابن قريع - قال : وكان بين هؤلاء وبين الاسلام اربعمائة سنة ، وكان امرؤ
القيس بعد هؤلاء بكثير) (2)

وكان الجاحظ يرى الشعر حديث المولد ، صغير السن ويرده الى
عهد امرئ القيس والمهلهل ، ويحدد فترته في الجاهلية بمائة وخمسين
عاما ، وبمائتي عام اذا استظهرنا بغاية الاستظهار ، ونص عبارة الجاحظ :
(... وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السن ، أول من نهج سبيله ،
وسهل الطريق اليه امرؤ القيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة ، وكتب
ارسطاطاليس ومعلمه افلاطون ، ثم بطليوس ، وديمقراطس ، وفلان وفلان
قبل بدء الشعر بالدهور قبل الدهور ، والاحقاب قبل الاحقاب ، ويدل
على حداثة الشعر قول امرئ القيس بن حجر :

(1) طبقات فحول الشعراء 23 — 27

(2) الزهر 2 : 477 عن أمالي ثعلب

ان بنى عوف ابتنوا حسبا
 ضيعة الدخلون اذ غدروا
 ادوا السي جارهم خفارته
 ولم يضع بالمغيب من نصروا
 لا حميرى وفى ولا عدس
 ولا است غير يحكها الثفر
 لكن عوير وفى بدمته
 لا قصر عابه ولا عور

فانظر كم كان عمر زرارة ، وكم كان بين موت زرارة ومولد النبى
 عليه الصلاة والسلام فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له الى ان جاء الله
 بالاسلام خمسين ومائة عام ، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فبأنتى عام (1)
 وحين نضع هذه الاقوال موضع التأمل والاختبار ، نرى الاصمعى
 يحدد الرواية بأربعمائة سنة قبل الاسلام ، بل ربما كان يعنى أكثر من هذا
 لان نص الاصمعى يشير الى من يروى له ثلاثون بيتا ، وكأن هناك من
 يروى له مقطعات أو أبيات تقل عن الثلاثين قد سبقوا هؤلاء ، ولكننا حين
 نؤرخ لهذه الاسماء التى ذكرها الأصمعى فاننا نرتاب فى هذا التحديد الا
 أن يكون الأصمعى قد أراد بهذا العدد (أربعمائة عام) مجرد التكثير
 والدلالة على طول الفترة ولا يعنى التحديد التاريخى بمفهوم الارقام لأننا
 لو عاودنا النظر وحسبنا الأجيال التى كانت بين مهلهل والاسلام وجدناها
 لا تبعد عن مائة وخمسين سنة كما افترض الجاحظ ولقد تتبعنا فى هذا
 تقسيم الاستاذ ا. ب. كوسان دى برسفال فيما كتبه عن تاريخ العرب قبل
 الاسلام ووجدنا أنه يؤرخ لمهلهل سنة 460 م (2) ولو أن هذا التاريخ لا

(1) الحيوان للجاحظ 1 : 74 ط الحلبي

(2) A. P. Caussin de Perceval : Essai sur l'histoire des Arabes avant l'islamisme

يعطى كل الحقيقة الا ان طريقته كانت مسألة جدولية مفترضا لكل جيل خمسة وعشرين عاما ، كان مهلهلا وهو خال امرىء القيس لا يبعد عن ابن أخته بكثير •

اما الاحكام التى وردت فى نص ابن سلام الجمحي حين ذكر من قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم :

قد رابنى من دلوى اضطرابها

فلا تعدو أيضا فى تأريخها مائة وخمسين سنة قبل الاسلام – فالعنبر ابن عمرو بن تميم هو الجد الخامس لغاضرة بن سمرة بن عمرو بن قرط ابن جندب بن العنبر الذى بعثه النبى صلى الله عليه وسلم على الصدقة كما كان سمرة والد غاضرة هذا قد استخلفه خالد بن الوليد على اليمامة (1) الا اذا كان فى رواية ابن سلام سقط أو اختصار •

اما رواية الجاحظ فقد ناقشها الاستاذ كارل نالينو وقال ان شعر امرىء القيس الذى ذكره الجاحظ لا يعنى أنه أول الشعر ولا دلالة فيه على سابقة تلك الايات لغيرها ، وأن الجاحظ اغتر بقول العلماء الذين يروون أن مهلهلا وهو خال امرىء القيس أول من قصد القصائد وأعاد نلينو ما رده العلماء وكثير من الباحثين بأن الشعر وقد وجد فى صورة تامة فانه لا يمكن أن يكون صغير السن وانما وصل الى درجة الاكتمال على مراحل زمنية طويلة تسبق عهد مهلهل وامرىء القيس ، وافترض لصواب رأى الجاحظ أنه اراد بهذا التحديد الزمنى ما وصل اليه من الاشعار القديمة •

(1) انظر طبقات فحول الشعراء 33

وإذا كان الطريق الى تلمس أولوية الشعر ، وكيفية نشأته قد غم علينا الا من ظنون افترضها السابقون فقد تعلقنا بتأريخ ما وصلنا منه وتكاد كل النصوص الذاهبة الى تقديره تلتقى حول المائة وخسين سنة السابقة للهجرة ولا يبعد هذا عن رأى الاستاذ نلينو الذى يقول :

(لم ينقل الينا بيت عربى غير مرتاب بصحته أقدم من اواخر القرن الخامس للمسيح ، أعنى سابقا للهجرة بأكثر من مائة وثلاثين سنة) (1) •

ويبدو أن الاستاذ طه حسين قد تلقف عن استاذة نلينو هذه الشكوك ، وهذا الارتباب فى رواية الشعر الجاهلى — لا الشعر الجاهلى نفسه — فيما وراء مائة وثلاثين سنة سابقة للهجرة فأعمل فكره واضعا الشك امام خاطره على مذهب ديكرت ليخلص الى ان الشعر القديم من صنع الاسلاميين — والحقيقة أن الدكتور طه حسين قد دافع عن وجهات نظره أشد المدافعة ، وأغرق فى ذلك أشد الاغراق ، وحاول تطويع النصوص وال اخبار لترويح فكرته حتى حولها عن وجهتها الاولى ، وضخم الفروق بين اليمينية والنزارية ليثبت افتعال الاشعار حين وجدها منسوبة الى النزاريين واليمينيين بلغة واحدة وكاد يخرج بهذه النظرية فى كتابيه (فى الشعر الجاهلى) و (فى الادب الجاهلى) لولا أن أدلى العساء بدلهم فى هذا المضطرب وأغرقوه بحثا وتفصيلا حتى كادت رائحة الشياطين تتجاوز دور النضوج ولا زال فى الكتائب علم غزير عن الشعر الجاهلى ، لم يغير من ذلك طريقة الرجل فى معالجة شكوكه فى الشعر الجاهلى ، كما لم يغير من ذلك نقد الناقد لطيقة ومسلكه مع ايماننا بأن الشعر الجاهلى قد صدر عن الجاهليين بلا مرء •

(1) تاريخ آداب العربية لكارل نلينو 52

الفصل الثاني

الشعرُ في صدر الإسلام

تمهيد

تصورت وأنا أبدأ هذا الفصل أن هناك من يسألني هل تؤرخ للأدب العربي ؟ وهل يدخل هذا في موضوع الكتاب مصادر الفصحى ؟

الحقيقة . أنني لا أؤرخ للأدب العربي في صدر الإسلام ، كما أنسى لم أؤرخ له في الفصل السابق في العصر الجاهلي ولكنني أعد بحثاً عن بضاعة الرواة، وعن المصادر التي ذهبوا إليها وهم يبحثون في توثيق اللغة . والتأريخ للشعر الإسلامي لا يبعد عن بحث يحاول أن يلقي الضوء على ملامسات الشعر الإسلامي ، وإذا كنا قد التزمنا الإيجاز فيما كتبناه عن الشعر الجاهلي فلأنه كان في أكثره ، إلا أن يكن كله ، صريح العروبة ، وكان عمر ما وصلت إليه الرواية - كما بينا - لا يتجاوز القرن من الزمان أو أكثر بقليل ، والذين حاولوا التشكيك فيه كالدكتور طه حسين ، فانه كان

يجرى على طريقة من طرق البحث العلمى لا يبتغى من ورائها — على ما
أظن — انكار عروبة النص ، والذين نقضوا كتابه (فى الشعر الجاهلى)
قد اشبعوا الموضوع نضجا وتوثيقا •

وفى النية الا نكتفى بمثل هذا الايجاز الذى أوجزناه فى الفصل
السابق بل ننوى أن نطيل الكلام نوعا فى الشعر الاسلامى • وفى سبيل
ما نرجوه من توثيق نجد امامنا عدة قضايا تحتاج الى ابطاء الخطا والتمهل
لتفهمها أو التعليل لها ويثير تلك القضايا عديد من الأسئلة أهمها :

— لقد كان فى الجاهلية منزعان السى قول الشعر : العصبية دفاعا
عن القبيلة ، والنزوع الى الاشباع الفنى تعبيرا عن الذات ، فما اثر هذين
المنزعين فى الاسلام ؟

— هل تأثرت البادية كما تأثرت القرى بالدعوة الاسلامية ؟

— وهل تأثر القرى فى الحجاز يجرى على نسق واحد مطرد ؟

ولنا ان تتصور وفرة الشعر بسبب الدواعى الجديدة الى قوله ،
معارضة للدعوة أو تأييدا لها ، وهجرة الى موطن اكثر أمنا ، وطمأنينة
أكثر من سابقتها ، وحربا تدور بين العرب والعرب ، وبين العرب وغيرهم ،
ورثاء للقتلى ، ووفودا تأتي مستكشفة أمر هذا الدين ، ووفودا تأتي
مؤمنة به أو متحدية له ، ووفودا لا همى مؤمنة ولا متحدية وانما تأتي
مادحة تلتبس العطاء ، ومشركين يهجون المسلمين اليوم ثم يسلسون غدا
يفرحون بما أوتوا ويندمون على ما كان • ومرتين يخرجون من الاسلام،
الى غير ذلك من الاحداث والتطورات التى يتصورها الباحث وتمر امام
خاطره •

ومع هذا التصور من وفرة الشعر فأنك لا شك بحاجة الى التمهّل

وأنت تقرأ خبراً ينسب إلى عمر رضى الله عنه يقول : (لقد كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه) ثم تجد تعقيباً لمحمد بن سلام الجمحي يقول : (فجاء الاسلام ، فتشاغلت عنه العرب ، وتشاغلوها بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام ، وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالأمصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير) (1) ولعلنا نجد توضيحاً لهذه القضايا حين نعرف بالشعر في البيئات المختلفة •

الشعر في القرى

في تأريخ هذه الفترة ، وفي بدايتها يتساءل الباحث ماذا كان موقف المكيين بالنسبة للتيارات الروحية ، وأثر ذلك على الشعر عامة حين ظهرت الدعوة الإسلامية ؟

كانت الكعبة في مكة مثابة العرب ، يأتونها من كل مكان حاجين ومعتسرين ، وتقاسمت قريش شرف الولاية على البيت ، وأقرت لها العرب بهذه الصفة الدينية ، فكان أى تغيير روحى يصطدم بعارضة شديدة مخافة أن تهتز أمكنتهم التى تبوأها أشrafهم والذى أخذوا يزيدون فيها ويغالون فى واجباتها حتى خرجت عن مألوف المناسك • وقبيل الاسلام ابتدع المكيون أشياء تزعمها ديناً ، اما لتأكيد رئاستهم ، أو لتحقيق مغاير مادية يجبرون الحجيج على ادائها وهى (رأى الحمس) كما ذكرها صاحب السيرة — والحمس من الحساسة — أى اشتدوا فى دينهم فقالوا : نحن بنو ابراهيم ، وأهل الحرمه ، وولاية البيت ، وقطان مكة وساكنيها فليس لأحد

(1) طبقات فحول الشعراء للجمحي 22

من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ، ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا . ومن ثم رأوا أن يلزموا العرب بقيود يأتونها ، أو يمتنعون عنها في مناسكهم ، كترك الوقوف على عرصة والافاضة منها وهم يعرفون أنها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ثم قالوا : لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا من طعام جاءوا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاءوا حجاجا أو عمارا ، ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا في ثياب الحس ، فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة الى غير ذلك (1) وقد ترى أن مثل هذا المجتمع يصعب معه التصريح نثرا أو شعرا بأى تغيير روحى .

وقبيل الاسلام ظهرت طائفة أطلق عليهم اسم المتحنفين لحظوا أن الله فوق ما يعتقد جماعتهم فبدأوا يرون رأيهم سرا مخافة بطش المكين بهم ، ويشير اليهم ابن اسحق فى حديث له فيقول :

(واجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه ، وينحرون له ، ويعكفون عنده ، ويدبرون به - وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما - فخلص منهم أربعة نفر نجيا ، ثم قال بعضهم لبعض : تصادقوا ، وليكنتم بعضكم على بعض ، قالوا : أجل . وهم : ورقة بن نوفل بن عبد العزى ، وعبيد الله بن جحش ، وعثمان بن الحويرث ، وزيد بن عمرو بن نفيل . فقال بعضهم لبعض : تعلموا ، والله ما قومكم على شىء . لقد انطأوا دين أبيهم ابراهيم ، ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ، ولا يضر ولا ينفع . يا قوم التمسوا لأنفسكم فانكم والله ما أنتم على شىء . ففترقوا فى البلدان بلبتسون الحنيفية دين ابراهيم (2) .

(1) السيرة 1 : 219

(2) السيرة 1 : 242

والكتمان ، وممارسة التفكير سرا فيما يتعلق بالدين مسألة طبيعية
فى بلد ارتضتها العرب جميعا محجة دينية ، واستقر لسادتها من قریش
مغنم المادة وشرف الولاية على البيت - والكتمان وممارسة التفكير سرا
يتنافى مع الجهر بالشعر وروايته اذا تعلق الامر بالدين والخوض فيه -
على عكس الطائف ويشرب ، فقد ظهر فى الطائف رجل كأمية بن أبى
الصلبت رأى رأيا فى الدين فجهر به نثرا وشعرا وقال للناس عنه حين أغرب
فى شعره الدينى : انه قرأ كتاب الله - عز وجل - الاول ، فكان يسمى الله
عز وجل فى شعره : التغرور ، ومرة أخرى : الساطيط ، وكان كما يحكى
أبو الفرج قد نظر فى الكتب ، وقرأها ، ولبس المسوح تعبدا ، وكان ممن
ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم الخمر ، وشك فى الأوثان ،
والتنس الدين ، وطمع فى النبوة • ويبدو أنه أنشأ شعرا غزيرا فى هذه
الناحية الروحية فقال فيه الأصمعى (ذهب أمية فى شعره بعامية ذكر
الآخرة ، وقال الحجاج يوما على المنبر (ذهب قوم يعرفون شعر أمية) (1)

والأمر فى يشرب كذلك ، فقد ظهر فيها فى نفس الفترة رجل من بنى
النجار هو أبو قيس صرمة بن أنس فترهب ، ولبس المسوح ، وفارق
الأوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهم
بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذة مسجدا لا تدخله عليه فيه
طامث ولا جنب وقال : أعبد رب ابراهيم حين فارق الأوثان وكرها حتى
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأسلم وحسن اسلامه وهو
شيخ كبير (2) • وللرجل قصائد فى الجاهلية وفى الاسلام تكشف عن
اتجاه روحى يخالف به عامة الجاهلية •

(1) الإغاني 4 : 12 وما بعدها

(2) السيرة 2 : 130

ولك أن تتصور بعد هذه المقارنة فى مدن الحجاز توقف الشعر فى مكة بدء الدعوة الاسلامية التى أخذتهم أخذة رابية ، فما كادوا يذيعون رأى الحمس قبيل الدعوة الاسلامية كما أسلفنا القول يبتغون به غلوا على الحجيج أو التماسا لثراء حتى جاء الاسلام مبطلا له ، بل قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم أبطل ما ابتدعه الحمس قبل نزول القرآن ، وجاء القرآن فأبطلها بأمر صريح للمكيين : (ثم افيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) وبالنسبة لما حرموا على الناس من طعام ولباس جاء قوله تعالى (يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين * قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون) (1) *

ولعلك تدرك فى تزيد المكيين وحمل العرب الحاجين والمعتنرين على غرم يغتنمه المكيون ان الدين عندهم نزع الى الناحية العصبية ولما كان الشعر هو سلاح العصبية كما نعلم تساءلنا عن الشعر اين هو ؟ ، والرأى عندى ان هذه النزعة ما كادت تظل برأسها حتى دهمتها الدعوة التى دعت على الفور الى اعادة المناسك الى ما كانت عليه ، وبدأ القرشيون يواجهون حركة أكبر ، ودعوة أعمق الى المساواة ، ولو كانت العصبية وحدها هى التى تحكم المجتمع المكى لآزروا الدعوة التى بدأت تخرج من عندهم الى الناس كافة ، ولكن كانت مصالح اثريائهم تعاني الضعف أمام المثل التى جاء بها القرآن فلا هم بمستطيعين نقضها شعرا لان النبى واحد منهم ، ولا هم بمستطيعين الحفاظ على مصالحهم بعد أن حددها الدين الجديد وبدا لكبارهم أن المسألة لا تحتاج الى أكثر من الاتجاه الى قتل النبى صلى الله

عليه وسلم وينتهي الامر عند ذلك ويخلو لهم دينهم الذي ارتضوا من قبل، ومصلحهم التي ينعم بها اثرياً وُهم ، واجتمعوا وتشاوروا وتعددت وسائلهم الهادفة الى النيل من صاحب الدعوة حتى أسلمهم الغضب الى ما يمكن تصوره وما لا يسكن تصوره فمشوا الى أبي طالب بادية الامر راجين أن يكف عنهم ابن أخيه متذرعين بأنه سب آلهم ، وعاب دينهم ، وسفه أحوالهم . فلما بسط حمايته على النبي ذهبوا يناقشونه في أمر قد لا يصدر الا عن نفس مكدودة وعقل كليل مرهق ، ذهبوا يبادلون النبي بفتى من فتيانهم ، وكانت قسمة ضيزى - أبو طالب يرعى فتاهم ، وهم يأخذون النبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه ، مسألة تجاوزت أقصى التصور ، استمع الى ابن اسحق يحكى حكايتهم فيقول :

(... ثم ان قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مشوا اليه بعمارة بن الوليد فقالوا له - فيما بلغنى - يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى في قريش وأجمله ، فخذ به فلك عقله ونصره (1) واتخذ ولداه فهو لك ، وأسلم اليك ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحوالهم فنقتله فانما هو رجل برجل . فقال : والله لبئس ما تسوموننى ، أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيكم ابنى تقتلونه ! ؟ هذا والله لا يكون أبداً . فتنابذ القوم ، وأخذ أبو طالب يعرض بالمطعم بن عدى ، ويعم من خذله من بنى عبد مناف ، ومن عاداه من قبائل قريش ، ويذكر ما سألوه ، وما تباعد من أمرهم فى قصيدة طويلة (2) .

(1) يحتمل المعنيين ان يفيد بعقله ، او له عقله بمعنى ديته اذا قتل

(2) السيرة 1 : 279

هنا بدأ الشعر يظهر من جانب واحد ، وربما من شخص واحد هو
عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وسترى أيضا عندما تتوالى الاحداث أن
الشعر لفترة معينة يكاد يكون لأبى طالب وحده ، فالى جانب القصيدة
التي عرض فيها بالمطعم بن عدى وزملائه أخذ يمدح من وافقه على موقفه ،
ويشيد بـبـكـانـة عبد مناف وهاشم والنبي من قريش :

إذا اجتمعت يوما قريش لمفخر
فعبد مناف سرها وصميمها
فان حصلت أشرف عبد منافها
ففى هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا
هو المصطفى من سرها وكريمها

الى آخر القصيدة ، وحفظت الرواية قصيدة طويلة لأبى طالب يتودد
فيها لأشرف عشيرته ، ويمدح النبي صلى الله عليه وسلم ذكر منها صاحب
كتاب السيرة أربعة وتسعين بيتا ، وتناولها الرواة ووضعوها تحت الدرس
والنقد ، وبدا لبعضهم انها طولت حتى لا يكاد يعرف منتهاها ، يقول محمد
ابن سلام الجمحي : (وكان ابو طالب شاعرا جيد الكلام ، وابرع ما قال
قصيدته التي مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهي :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه
ربيع اليتامى عصمة للأرامل

وسألنى الأصمعي عنها فقلت صحيحة جيدة ، قال : أتدرى أين
منتهاها ؟ فقلت : لا أدري (1) •

(1) طبقات فحول الشعراء 204

وهاجرت جماعة من المسلمين الى الحبشة فرارا من أذى الكفار ،
وأحسوا بالأمان فى جوار النجاشى فأنشأ عبد الله بن الحارث بن قيس
ابن عدى قصيدة يعبر فيها عن هذا الامان ، وأخرى يعاتب فيها بعض قومه
من قريش (1) ولعثمان بن مظعون قصيدة يعاتب فيها ابن عمه وكان يؤذيه
أن أسلم • (2) واستشعر أبو طالب وهو فى مكة أن القرشيين يحاولون
اجتذاب النجاشى الى صفوفهم ، ويوغرون صدره على المهاجرين فأرسل
اليه قصيدة يرجوه أن يدفع عن المهاجرين أذى قريش (3) فكان هذا
الاتجاج الشعرى بسبب الهجرة الى الحبشة •

ثم نفست قريش على الذين هاجروا أمنهم وقرارهم فتعاقدت على بنى
هاشم وبنى المطلب على الا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم ولا
يبتاعوا منهم فأنشأ أبو طالب قصيدة فى هذه المقاطعة (4) فلما نقض
الصحيفة بعض أمائل قريش امتدحهم أبو طالب بقصيدة يقول فيها :

جزى الله رهطاً بالحجون تتابعوا

على ملا يهدى لحزم ويرشد

ويعنى بهم الخمسة الذين اتفقوا على نقض الصحيفة وهم هشام بن
عمرو بن ربيعة ، وزهير بن أبى أمية ، والمطعم بن عدى ، وأبو البختري
ابن هشام ، وزمعة بن الأسود (5) •

(1) السيرة 1 : 353

(2) السيرة 1 : 355

(3) السيرة 1 : 356

(4) السيرة 1 : 373

(5) السيرة 1 : 400

وكان الذين حملوا لواء العصيان والمقاومة هم أثرياء قريش بينما كانت الطبقة التي تليهم تهفو قلوبهم الى الدعوة وصاحبها فكان ذلك من أسباب الحد من حصيلة الشعر . وسبب آخر في توقف المشركين عن الشعر وهو أهم الاسباب وأقواها ، هو الاحساس بضعفهم امام القرآن الكريم ، فقديما كانت تقارع الحجة بالحجة وكان الشعراء يتحاكمون امام فحل من الفحول فيحكم لواحد منهم أو عليه ولكن أنى لهم بمعارضة القرآن الكريم وقد شهدوا على أنفسهم بالضعف أمام سوره وآياته ولا نريد فى هذا المكان الذى نرجو له الايجاز والاختصار أن نقدم لك الصور العديدة التى حفلت بها كتب السيرة والتى تشير الى ضعفهم وحيرتهم ، وحسبك هذه الأمثلة ففىها غناء عن بقية الأخبار .

فسنها : هذا النقاش الذى يديره الوليد بن المغيرة ، حين تفرقت الكلمة ، وانشقت العصا ، وذهب كل فريق يبحث عن مؤيدين . اجتمع الوليد بن المغيرة بنفر من قريش يأتسون بصاحب الدعوة صلوات الله عليه ، فقال لأصحابه : يا معشر قريش ، ان وفود العرب ستقدم عليكم فى موسم الحج ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا .

قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقل به .

قال : بل انتم فقولوا أسمع .

قالوا : نقول كاهن .

قال : لا والله ما هو بكاهن ، لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكهان

ولا سجمه .

قالوا : فنقول مجنون .

قال : ما هو بسجنون ، لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا
تخالجه ولا وسوسته •

قالوا : فنقول شاعر •

قال : ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر •

قالوا : فنقول ساحر •

قال : ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا
عقدهم •

قالوا : فما نقول يا أبا عبد شمس ؟

قال : والله ان لقوله لحلاوة ، وان أصله لعذق ، وان فرعه لجناة
(ويقال لعذق والغدق الماء الكثير) وما أنتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف
أنه باطل وان أقرب القول فيه لأن تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر
يفرق به بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء
وعشيرته ، فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدم
الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره (1)

وخبر آخر أكثر دلالة من سابقه وأشد تصويرا لذهولهم أمام بلاغه
القرآن ، وأوضحه اعترافا بعبوديته وميلهم الشديد الى سماعه على كره
منهم في غير مكابرة •

قال ابن اسحق ، وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه
حدث : أن أبا سفيان بن حرب ، وأبا جهل بن هشام ، والأخنس بن شريق
ابن عمرو بن وهب الثقفي حليف بنى زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول

(1) السيرة 1 : 283 — 284

الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض : لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم فى نفسه شيئا ، ثم انصرفوا . حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى اذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى تتعاهد الا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا (1)

فهؤلاء نفر - كما ترى - يقيمون حسهم ، ويجاهدون انفعالهم ، وما لبث ان انقرط عقدهم كما يصوره هذا اللقاء بين ابي الوليد عتبة بن ربيعة وبين النبی صلى الله عليه وسلم ، على التفصيل التالى :

قال عتبة يوما وهو جالس فى نادى قريش : يا معشر قريش : الا أقوم الى محمد فأكلمه ، وأعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه ايها شاء ويكف عنا . . . فقالوا : بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلمه ، فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا بن أخى ، انك منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة والمكان فى النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل يا أبا الوليد أسمع) قال : يا بن أخى ان كنت انما تريد بما جئت

به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذى ياتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال (أقد فرغت يا أبا الوليد ؟) قال : نعم . قال (فاستمع منى) قال : أفعل . فقال (بسم الله الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه) ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة ، أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال : (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك) فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال : ورائى أنى سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة يا معشر قريش : أطيعونى ، واجعلوها بى ، واخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فقالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه (1)

ولا يستطيع الشعر - فيما أرى - ان ينشأ ويروى فى هذه البيئة التى وقعت أسيرة الخوف والاعجاب بعد أن قرعت آذانهم آيات القرآن الكريم ، وأميل الى القول أن الشعر قد توقف برهة فى مكة ، ولكن لم يطل وقوفه ، فما لبثوا أن أفاقوا من غشيتهم ، واستجمعوا قوتهم للمكابرة .

(1) السيرة 1 : 313

الهجرة الى المدينة

وهاجر المسلمون الى المدينة ، وكانت أصداء الشعر الذى قيل بعد حرب بعاث وما دار بين الاوس والخزرج لا زال يتردد فى جوانبها ، وكانت بيثة شاعرة عبر عنها أنس بن مالك بقوله : قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى الانصار بيت الا وهو يقول الشعر (1)

ولم تنته العداوة بين الفريقين بهذه المهاجرة ، فالمسلمون امام مهمتهم المقدسة نشر الدعوة ، والمشركون من قريش يبتغون القضاء عليها ، كل يضمم التربص بصاحبه ، وفى موقعة بدر الكبرى دارت الدائرة على المشركين فسكتت سنتهم بادىء الامر الا من مقطوعات قلائل حين من الرسول صلى الله عليه وسلم على بعض الاسرى • فمنهم من شكر ومنهم من غدر ، فقد توسل أبو عزة الجمحى بعياله وحاجته فمن الرسول صلى الله عليه وسلم عليه وأطلقه فأنشأ أبو عزة يقول :

من مبلغ عنى الرسول محمدا

بأنك حق والمليك حميد

وأنت امرؤ تدعو الى الحق والهدى

عليك من الله العظيم شهيد

وأنت امرؤ بوئت فىنا مباءة

لها درجات سهلة وصعود

فانك من حاربتك لمحارب

شقى ، ومن سالتك لسعيد

ولكن اذا ذكرت بدرا وأهله

تأوب ما بى حسرة وقعود (2)

(1) العقد الفريد 5 : 283

(2) السيرة 2 : 305

وأطلقوا سراح صيفى بن أبى رفاعة المخزومى على أن يبعث اليه
بفدائه ، وحث فى وعده ، فهجاه حسان بأبيات يقول فيها :
وما كان صيفى ليوفى أمانة
قفا ثعلب أعيا ببعض الموارد

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البختري يوم بدر
لأنه كان يكف القوم عن رسول الله فى مكة ، وكان ممن قام فى نقض
الصحيفة التى كتبت قريش على بنى هاشم ، وبنى المطلب • فلقية المجذر
البلوى ، ومع أبى البختري زميل له قد خرج من مكة وهو جنادة بن
مليحة ، فأبى المجذر ترك زميل أبى البختري ، فقال أبو البختري : لا والله
أذن لأموتن أنا وهو جميعا وأخذ يرتجز :

لن يسلم ابن حرة زميله
حتى يموت أو يرى سبيله
وقال المجذر حين قتل أبا البختري :
أما جهلت أو نسيت نسبى
فأثبت النسبة انى من بلى
الطاعنين برماح اليزنى
والضارين الكبش حتى ينحنى
الى آخر القصيدة (1) •

وتكتست قريش مصيبتها حتى لا يشمت بها المسلمون ، وتهون فى
نفوس العرب ، وتواصوا الا ييكى أحد قتلاه ، ولكن أتى لهم أن يصبروا
وفى أفئدتهم جزع الفراق وحرقة • لقد عاشت صدورهم كالمراجل تهتز

(1) السيرة 2 : 270 — 271

من الغليان تحاول أن تنفث مكنونها. كان الأسود بن عبد يغوث قد أصيب له ثلاثة من ولده : زمعة بن الاسود وعقيل بن الاسود ، والحارث بن الاسود - أو الحارث بن زمعة كما يحكى صاحب كتاب السيرة ، وكان يتوق الى البكاء على بنيه فيينا هو كذلك اذ سمع نائحة من الليل فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر أحل النجيب ، وهل بكت قريش على قتلها فان جوفى قد احترق ، قال : فلما رجع الغلام اليه قال : انما هى امرأة تبكى على بعير لها أضلته فقال متعجبا ، وقد وجدها مبررا للقول والبكاء :

أنبكى ان يضل لها بعير
ويمنعها من النوم السهود
فلا تبكى على بكر ولكن
على بدر تقاصرت الجودود
على بدر سراقه بنى هصيص
ومخزوم ورهط أبى الوليد
وبكى ان بكيت على عقيل
وبكى حارثا أسد الاسود
وبكيهم ولا تسمى جميعا
فما لابی حكمة من نديد
الا قد ساد بعدهم رجال
ولولا يوم بدر لم يسودوا (1)

ولم يطل الوقت حتى عاد كل الى فطرته ، المسلمون يفخرون بيوم بدر ، والمشركون يجيبونهم : وأذن الرسول لحسان بن ثابت أن يهجو

(1) تاريخ الطبرى 2 : 161 والسيرة 2 : 291 والاغاني 4 : 209

القوم ، ودارت النقائض بين الفريقين فكان من أشهر شعراء المسلمين بالاضافة الى حسان - عبد الله بن رواحة ، وكعب بن مالك - ومن جانب المشركين ضرار بن الخطاب الفهري وعبد الله بن الزبيري ، والحارث بن هشام ، وعقد صاحب كتاب السيرة حديثا واسعا عن الشعر الذي قيل في بدر (1) شارك فيه غير ما ذكرنا : على بن أبي طالب ، وطالب بن أبي طالب ، وحمزة بن عبد المطلب ، وعبد بن الحارث بن المطلب وهند بنت أثاثة ، ومعاوية بن زهير ، وهند بنت عتبة ، وصفية بنت مسافر ، وقتيلة بنت الحارث ، الى غير هؤلاء .

وناح أمية بن أبي الصلت على قتلى بدر ، وهو رجل من ثقيف أو مانا اليه قبل قليل وبيننا سعيه في الحصول على النبوة ، وأخذ يحرض قريشا في قصيدة طويلة ذكرها ابن هشام وأشار اليها أبو الفرج في الأغاني وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن روايتها (2) . ولأمية قصيدة في رثاء زمعة بن الأسود (3) . كما كان في مؤازرة المشركين أيضا كعب بن الأشرف الذي شبب بنساء المسلمين وقتل بأمر النبي صلى الله عليه وسلم (4) .

وصور هذه المعركة كعب بن مالك الانصاري :

فلما لقيناهم وكل مجاهد
لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر

-
- (1) السيرة 2 : 368 وما بعدها
(2) الأغاني 4 : 123 وطبقات فحول الشعراء 221
(3) السيرة 2 : 407
(4) طبقات فحول الشعراء 238

وقد عريت ييـض خفاف كأنها
مقاييس يزيها لعينك شاهر
بهن أبدنا جمعهم فتبددوا
وكان يلاقى الحين من هو فاجر
فكـب ابو جهل صريعا لوجهه
وعتـبة قد غادرته وهو عائر
فأمسوا وقود النار فى مستقرها
وكل كفور فى جهنم صائر
وكان رسول الله قد قال : أقبـلوا
فولوا ، وقالوا : انما أنت ساحر
لأمر اراد الله ان يهلكوا به
وليس لأمر حمه الله زاحر

وفى رثاء قتلى بدر انشئت القصائد وكانت أحرها قصائد هند بنت
عتبة بن ربيعة (1) وقتيلة بنت الحارث فى رثاء أخيها النضر ، وقيل ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه شعرها قال : (لو بلغنى هذا قبل قتله
لمنت عليه) (2) •

ويوم أحد

اصيب المسلمون جزاء ما خالفوا من تعاليم الرسول ، ومنوا بخسارة
فى رجالهم لحكمة عنده سبحانه ، فعلا من أصوات القرشيين ما خفت ،
ودبت فيهم روح الثأر ، وتشفوا ليوم بدر فطالت ألسن ابن الزبيرى ،

(1) السيرة 2 : 414 ، 415 ، 416

(2) السيرة 2 : 421

وضرار بن الخطاب الفهرى وعمرو بن العاص ، وهند بنت عتبة ، وهيرة
ابن أبى وهب المخزومى ، وتصدى لهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ،
وعبد الله بن رواحة ، وهند بنت أثاثة ، والحجاج بن علاط ، وصفية بنت
عبد المطلب ، وأفرد ابن هشام حديثا عن الشعر فى يوم احد وكان يربو
على ما قيل يوم بدر أو يزيد ، ولا اخالى بحاجة الى بيانه وقد طفحت به
كتب السيرة ، والتواريخ ، والمغازى ولعلك تجد منه ما تريد فى سيرة ابن
هشام ، وفى تاريخ الطبرى ، وأضعك الآن امام منظر يغنيك عن الاغراق
فى التصور ولك بعدها أن تدرك حصيلة الشعر فى المدينتين بعد أحد •

كانت هناك بنت عتبة تغلى بالغضب منذ فقدت اباه عتبة بن ربيعة ،
وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وما كاد يسقط حمزة رضى الله عنه
حتى ذهبت الى جثته ، وبقرت بطنه ، وفتشت عن كبده فأكلتها ليبرد جوفها
المحترق ثم اعتلت صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها :

نحن جزيئناكم ييوم بدر
والحرب بعد الحرب ذات سَعْر
ما كان عن عتبة لى من صبر
ولا أخى وعمه وبكرى
شفيت نفسى ، وقضيت نذرى
شفيت وحشى غليل صدرى

ثم عادت تقول :

شفيت من حمزة نفسى بأحد
حين بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد
من لدعة الحزن الشديد المعتمد

والحرب تعلقكم بشؤبوب برد
تقدم اقداما عليكم كالأسد (1)

فما برئت من دائها ، وظلت تندب أباه ، وعمها ، وأخاها ما وجدت
لذلك سببا أو أثارها مناسبة ، لقد بلغها أن الخنساء كانت تسوم هودجها
فى الموسم ، وتعظم العرب بمصيتها بأبيها عمرو بن الشريد ، وبأخويها
صخر ومعاوية ، فقالت هند : انا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمريت
بهودجها فسوم براية ، وشهدت الموسم بعكاظ فقالت : اقرنوا جملى بجمل
الخنساء ففعلوا ، فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : من أنت يا أخية ؟
قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة وقد بلغنى أنك تعاضين
العرب بمصيتك فبم تعاضينهم ؟ فقالت الخنساء : بعمر بن الشريد .
وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وبم تعاضينهم انت ؟ قالت : بأبى عتبة بن
ربيعة ، وعمى شبة بن ربيعة ، وأخى الوليد . . . فلما سمعت رثاء
الخنساء فى اهلها انفجرت هند تجيها :

أبكى عيد الابطحين كليهما
وحاميها من كل باغ يريد
أبى عتبة الخيرات ويحك فاعلمى
وشية والحامى الذمار وليدها
اولئك آل المجد من آل غالب
وفى العز منها حين ينمى عديدها
ثم قالت :
من حس لى الأخوين كال
فصنين أو من رآهما

(1) السيرة 3 : 41 — 43

قمرمانه لا يتظالمسا
 ن ولا يرام حماهما
 ويلى على ابوى والـ
 قبر الذى وراهما
 لا مثل كهلى فى الكهو
 ل ولا فقى كفتاهما

الى آخر القصيدة . وبعض الاخبار ومنها الأغاني تشير الى ان التقاء
 السيدتين كان بعد بدر وليس بعد أحد ، والخبر على الوجهين دليل على
 تعطش هند الى القول والانشاد فى أكبر محفل فى الجزيرة - فى عكاظ -
 كما يدل على رغبة فئة الى الاستماع والرواية وهو ما نهدف الى بيانه فى
 بحثنا هذا اذا رأينا أن الدعوة لم تعوق الشعر ولا روايته .

وحادثان تقشعر لهما الابدان ، يوم الرجيع ، وبئر معونة . ففى
 يوم الرجيع جاء نفر من عضل ، والقارة - من الهون بن جذيفة بن مدركة -
 فقالوا : يا رسول الله ان فينا اسلاما قابض معنا نفرا من اصحابك يفقهوننا
 فى الدين ، ويقرءوننا القرآن ، ويعلموننا الشرائع . فبعث رسول الله صلى
 الله عليه وسلم نفرا ستة من اصحابه وقيل عشرة حتى اذا كانوا على
 الرجيع ، وهو ماء لذيذ بناحية الحجاز غدروا بهم واستصرخ المسلمون
 بنى لحيان من هذيل فلم يفلحوا فأثأ حسان بن ثابت أربع قصائد ييكى
 فيها خبيب بن عدى وأصحابه ، وست قصائد يهجو فيها هذيل (1)

وكان من حديث بئر معونة أن قدم أبو عامر بن مالك على رسول
 الله صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاه الرسول الى الاسلام فلم يسلم ولم
 يبعد عن الاسلام وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل

(1) السيرة 3 : 160 وما بعدها

تجد فدعوهم الى امرك رجوت أن يستجيبوا لك • فبعث النبي صلى الله عليه وسلم أربعين نفرا من أصحابه فلما نزلوا بئر معونة بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سليم بعثوا بكتاب رسول الله الى عامر بن الطفيل وانهى الامم بالغدر بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك يحرضان بنى ابي براء على عامر بن الطفيل ، ولحسان قصيدة في رثاء شهداء بئر معونة ، ولعبد الله بن رواحة قصيدة اخرى (1) .

غدر اليهود

وفي سنة اربع - تأمر بنو النضير على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم ، ثم اذن لهم بالرحيل ومعهم أموالهم الا السلاح ، فأنشأ القيم العبسي قصيدة يشيد فيها بالنبي وبالمسلمين ، كما ذكر صاحب كتاب السيرة قصيدة تنسب لعلى بن أبى طالب يذكر فيها غدر اليهود ورحيلهم ، ومقتل كعب بن الأشرف يقول فيها :

فيا أيها الموعدوه سفاها

ولم يأت جورا ولم يعنف

الستم تخافون أدنى العذاب

وما أمن الله كالأخوف

وان تصرعوا تحت اسيافه

كمصرع كعب ابى الاشرف

كما أنشأ كعب قصيدة مماثلة، واجاب على القصيدتين سالك

اليهودى (2)

(1) السيرة 3 : 184 وما بعدها

(2)' السيرة 3 : 191 وما بعدها

والشيء العجيب فى هذا الحادث هو أمر العباس بن مرداس ، فلقد سبق أن رأيناه مسلما مجاهدا مع النبى صلى الله عليه وسلم فما بال هواه مع بنى النضير ، يمدحهم ويعز عليه هذا الاجلاء ويقول فيهم :

ولو ان أهل الدار لم يتصدعوا

رأيت خلال الدار ملهى وملعبا

فانك عمرى هل اريك ظعائنا

سلكن على ركن الشطة فتيا (1)

عليهن عين من ظباء تبالة

أوانس يصبين الحليم المجربا

إذا جاء باغى الخير قلن فجاءة

له بوجوه كالدنانير ، مرحبا

وأهلا ، فلا ممنوع خير طلبته

ولا أنت تخشى عندنا ان تؤنبا

فلا تحسبني كنت مولى ابن مشكم

سلام ، ولا مولى حبي بن أخطبا

ثم دارت على هذه البداية مناقضة شعرية اذ أجابه خوات بن جبير أخو بنى عمرو بن عوف بقصيدة بدأها بقوله :

تبكى على قتلى يهود وقد ترى

من الشجو لو تبكى أحب وأقربا

فهلا على قتلى يبطن أرينق

بكيت ولم تعول من الشجو مسهبا

إذا السلم دارت فى صديق رددتها

وفى الدين صدادا وفى الحرب ثعلبا

(1) الشطة وتيا ب مكانان

الى آخر القصيدة التى رد عليها العباس ، وأجاب على قصيدة العباس
الأخيرة كعب بن مالك أو عبد الله بن رواحة • (1)

ولم ييأس يهود ، فقد تحزبت ، وحزبوا معها قريشا ، وجبوا اليهم
وثبتهم فنزل فيهم قوله تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب
يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقواون للذين كفروا هؤلاء أهدي من الذين
آمنوا سبيلا • أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا (2)
ثم حزبوا معهم غطفان أيضا ضرب الرسول الخندق على المدينة •

في غزوة الخندق

ومن الطريف أن تجد الرجز عدة العاملين فى حفر الخندق ، كهذه
الصورة التى تراها بين عمال الإبنية وهم يستجمعون نشاطهم على نغمات
الأناشيد كان ذلك أيضا فى حفر الخندق حول المدينة ، قال ابن اسحق :
وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال
له جعيل سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرا فقالوا :

سماه من بعد جعيل عمرا

وكان للبائس يوما ظهرا

فاذا مروا بعمر (أى بكلمة عمرو) قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : عمرا ، واذا مروا بظهر (أى بكلمة ظهر) قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : ظهرا (3) ولم تعد - بعد غزوة الخندق - مسكة لقريش ولا

(1) السيرة 3 : 208

(2) سورة النساء آية 51 و 52

(3) السيرة 3 : 232

ليهود ، فلما انصرف أهل الخندق عن الخندق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم) فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو الذى يغزوها حتى فتح الله تعالى عليه مكة .

وفى غزوة الخندق ومعاقبة بنى قريظة القيت القصاص من الجوانب المختلفة تعبيراً عن اتجاهاتها فلقد بدأ عمرو بن عبد ود يناجز المسلمين ، وخرج يوم الخندق معلماً ليرى مكانه قائلاً : من يبارز ؟ قال له على بن أبى طالب : انى ادعوك الى الله والى رسوله والى الاسلام . قال : لا حاجه لى بذلك . قال : فانى ادعوك الى الزال . فقال له : لم يابن أخى؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له على : ولكنى والله أحب أن أقتلك ... فتنازلا وتجاولا فقتله على رضى الله عنه وأنشد فى ذلك :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه

ونصرت رب محمد بصوابى

فصدت حين تركته متجنّدا

كالجذع بين دكادك وروابى

وعففت عن أثوابه ولو اننى

كنت المقطر بزّنى أثوابى (1)

لا تحسبن الله خاذل دينه

ونبيه يا معشر الاحزاب (2)

ودارت حول مقتل عمرو بن عبد ود عدة قصائد بين الفريقين فكاه من

(1) يقول انى قتلتك ولم اسلبه اثوابه ، ولو كنت المقطر لسلبنى اثوابى

(2) السيرة 3 : 242

جانب المشركين : ضرار بن الخطاب الفهري ، وعبد الله بن الزبير
ومسافع بن عبد مناف ، وهيرة بن أبي وهب في عدة قصائد نقضها عليهم
كعب بن مالك ، وحسان بن ثابت في عدة قصائد أيضا وكانت من الكثرة
بحيث أفرد لها ابن اسحق حديثا عما قيل من الشعر في أمر الخندق وبني
قريظة •

ولا تكاد هذه الحصيلة من الشعر تقل عما قيل في فتح مكة وقد
شارك في ذلك حسان ، وانس بن زعيم ، وبديل بن عبد مناف ، وبجير بن
زهير ، وعباس بن مرداس ، وجعدة بن عبد الله الخزاعي ، ونجيد بن
عمران الخزاعي • (1)

ولم تكن المعارك وحدها مثار ألسنة الشعراء ، وإنما كانت الدعوة
تأتي بالعديد من اسباب الشعر ، فهذه وفود تأتي مستكشفة امر هذا
الدين ، وهذه تأتي معلنة اسلامها ، وبعضها جاء يفاخر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، وبعضها جاء يعلن تأييده على أن يكون له الامر بعد
الرسول ، وهذا يشكو نصيبه من الفء • واليك بعض هذه الامثلة لا
نبتغي حصرها جئنا بها لنبين دورها في الشعر •

هذا ابو قيس بن الأسلت ، رجل من الأوس ، لم يسلم ، ولكنه كان
يأتي أعمال المسلمين ، ويحضر على التآخي واجتناب القتال ، فقد كان
صهرا لقريش وعنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصي ، وكان يقيم
عندهم السنين بامراته وهو بهذا له أقارب في مكة ، وأقارب في المدينة ،
هو أوسى ، وامراته قرشية • يستطيع ان يجد آذانا صاغية عندما ينادى

(1) السيرة 4 : 43 وما بعدها

بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومن جهوده في هذا الاتجاه قصيدته :

يا راكبنا اما عرضت فبلغن
مغلغلة عنى لؤى بن غالب
يقول فيها :

أقيموا لنا ديننا حنيفا فأنتم
لنا غاية قد يهتدى بالذوائب
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة
تؤمّثون والاحلام غير عواذب
وأنتم اذا ما حصل الناس جوهر
لكم سرّة البطحاء شم الأراب (1)

كان ذلك في العام الاول للهجرة ، وأقبل يريد النبي صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال له عبد الله بن أبي : خفت والله سيوف الخزرج قال : لا جرم ، والله لا أسلم حولا ، فمات في الحول (2)

ومن الذين أسلموا وأخذوا يورعون أقوامهم عما أجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم حكيم بن أمية بن حارثة السلمى وكان شريفا مطاعا ، فأوعز اليهم بأنه سيسلم مهما تعرض للوم الصديق •

وأسلم وجهى للاله ومنطقى
ولو راعنى من الصديق روائع (3)

(1) السيرة 1 : 300

(2) تاريخ الطبرى 2 : 122 ، طبقات فحول الشعراء 190

(3) السيرة 1 : 309

من الوفود

وهذا وفد تميم من سبعين أو ثمانين رجلا ، يأتى المدينة ويقف من وراء الحجرات قائلا : أخرج إلينا يا محمد فقد جئنا نفاخرك وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا وقام فيهم الزبرقان بن بدر يقول :

نحن الملوك فلا حصى يقاربنا
منا الملوك ، وفينا يؤخذ الربع (1)
تلك المكارم حزناها مقارعة
إذا الكرام على أمثالها اقترعوا
كم قد نشدنا من الأحياء كلهم
عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحمر الكوم عبطا فى منازلنا
للنازلين إذا ما استطعموا شبعوا
وفحن نطعم عند المحل ما أكلوا
من العبيط إذا لم يظهر القزع (2)
ونصر الناس تأتينا سراثمهم
من كل أوب فتضى ثم تتبع

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حسان بن ثابت فأمره أن يجيبه فأشيد قصيدته المشهورة :

إن الذوائب من فهر واخوتهم
قد بينوا سنة للناس تتبع

(1) كان من عادة الجاهلية إذا غلب فريقهم أخذ رئيسهم ربع الغنيمة

(2) القزع : السحاب

ذكر منها أبو الفرج ستة عشر بيتا يقول فيها :

أكرم يقوم رسول الله قائدهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحى قلب يؤازره
فيما أراد لسان حائك صنع
فأنهم أفضل الأحياء كلهم
أن جد بالناس جد القول أو شمعوا

ثم قام عطار بن خالد فقال :

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا
إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم
بأننا فروع الناس فى كل موطن
وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

فأجابه حسان :

منعنا رسول الله من غضب له
على رغم أنف من معد وراغم
هل المجد إلا السؤدد والندى
وجاه الملوكة ، واحتمال العظام

فقال الاقرع بن حابس : والله ان هذا الرجل لمؤتى له ، والله
لشاعره أشعر من شاعرنا ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولأصواتهم أرفع
من أصواتنا ، ثم أسلم وقد بنى تميم (1) *

(1) الاغانى 4 : 146 وما بعدها .

وكان الشعر سلاحا قويا من أسلحة الدعوة في جوابها المختلفة ،
وها هو ذا حسان بن ثابت يستل الضغينة من صدور مزينة حين جاء
وفدهم وفيهم خزاعي بن عبد نهم فبايعه على قومه مزينة *** ثم ان خزاعيا
خرج الى قومه فلم يجدهم فطمأنه الرسول صلى الله عليه وسلم ودعا
حسان بن ثابت فقال (اذكر خزاعيا ولا تهجه) فقال حسان :

الا أبلغ خزاعيا رسولا
بأن الذم يغسله الوفاء
وأنت خير عثمان بن عمرو
وأسنها اذا ذكر الوفاء
وبايعت الرسول وكان خيرا
الى خير وأدالك الثراء
فما يعجزك أو ما لا تطقه
من الاشياء لا تعجز عدا

وعدا بطن منها الخزاعي ، فقام خزاعي فقال : يا قوم ، لقد خصكم
شاعر الرجل فانشدكم الله * فقالوا : فانا لا ننبو عنك ، وأسلموا *
فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء مزينة يوم الفتح الى خزاعي
وكانوا يومئذ ألف رجل (1) *

ومنهم من عاش في أخيلته ، وكاد خياله يسلبه ، ويسلبنا معه الى
غيبات لا نملك من أمرها مقنعا ، حين يأتيه الجن فيسمعه أبياتا من الشعر
في ترك الاصنام واتباع الدعوة ، يروي أبو الفرج عن العباس بن مرداس
قوله :

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد ج 3 : 292 ط دار صادر

كان لأبى - أبى العباس - صنم اسمه ضمّار ، فلما حضره الموت أوصانى به وعبادته والقيام عليه فعمدت الى ذلك الصنم فجعلته فى بيت ، وجعلت آتية فى كل يوم وليلة مرة ، فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سمعت صوتا فى جوف الليل راعنى فوثبت الى ضمّار فاذا الصوت فى جوفه يقول :

قل للقبائل من سليم كلها
هلك الأئیس وعاش أهل المسجد
ان الذى ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قریش مهتدى
أودى الضمار وكان يعبد مرة
قبل الكتاب الى النبى محمد

قال : فكتمت الناس ذلك فلم أحدث به أحدا حتى انقضت غزوة الأحزاب ، فبينما أنا فى ابلى فى طرف العقيق وأنا نائم اذ سمعت صوتا شديدا فرفعت رأسى فاذا أنا برجل على حىالى بعمامة يقول : ان النور الذى وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء مع صاحب الناقة العضباء (اسم ناقة النبى صلى الله عليه وسلم) فى ديار بنى أخى العنقاء . فأجابه طائف عن شماله لا أبصره فقال : بشر الجن وأجناسها أن وضعت المطى أحلاسها (المجلس : كساء تحت البرذعة) فوثبت مذعورا وعرفت أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصطفى فركبت فرسى وسرت حتى انتهيت اليه فبايعته ، وانصرفت الى ضمّار فأحرقتة بالنار (1)

وللطبرى حديث آخر يرويه بسنده عن أسماء بنت أبى بكر ، وقد

(1) الاغانى 14 : 303 وما بعدها ط دار الكتب ، 13 : 62 ط الاستقامة

جاءها نفر من قريش يسألون عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر .
قالت ومكثنا ثلاث ليال لا ندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغنى بأبيات من الشعر
غناء العرب والناس يتبعونه ويسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلا
مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلها بالهدى واغتدوا به
فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد (1) .

فعلمنا أنه توجه الى المدينة .

ومن الناس من مال كل الميل الى الاسلام ، ومنهم من نازعته نفسه
فاتبع المشركين يوما ثم ذهب الى المسلمين يوما آخر ، ومنهم من عاد وارتد
ولهم فى ذلك أشعار ملأت كتب الأدب والتاريخ ، لقد فزعت زوجة العباس
ابن مرداس حين بلغها اسلام زوجها ، فقوضت بيتها وارتحلت الى قومها
وقالت تؤنبه :

ألم ينه عباس بن مرداس انسى
رأيت الورى مخصوصة بالفجائع
أتاهم من الأنصار كل سميع
من القوم يحمى قومه فى الوقائع

(1) الطبرى 2 : 104 — 105

بكل شديد الوقع غضب يقوده
الى الموت هام المقربات البراقع
لعمري لئن تابعت دين محمد
وفارقت اخوان الصفا والصنائع
لبدت تلك النفس ذلا بعزة
غداة اختلاف المرفقات القواطع
وقوم هم الرأس المقدم فى الوغى
وأهل الحجا فينا وأهل الدسائع
سيوفهم عز الذليل وخيلهم
سهام الأعادى فى الأمور الفظائع (1)

ومن الذين بدأوا مشركين وشاركوا فى المقاومة ، ثم انتهوا مسلمين
وشاركوا فى الدعوة عبد الله بن الزبير ، وكان من الالسة الحداد فى
جانب قریش ، وظل معهم يوم أحد فقال ينتصف لبدر :

ليت أشياخى ببدر شهدوا
ضجر الخرج من وقع الأسل
حين ألفت بقناة بركها
واستحر القتل فى عبد الأشل
فقبلنا النصف من سادتهم
وعدلنا ميل بدر فاعتدل

فلما أسلم ابن الزبير عام الفتح مدح النبى صلى الله عليه وسلم
واعتذر اليه بقوله :

(1) الاغانى 14 : 306 — 307

يا رسول المليك ان لسانى
 راتق ما فتقت اذ انا بور
 اذ أجارى الشيطان فى سنن الع
 ى ومن مال ميله مشور
 آمن اللحم والعظام بما قد
 ت فنفسى القدى ، وأنت النذير
 وله قصيدة أخرى بنفس المعنى وفى نفس المصدر (1) ولما كان
 الاسلام يجب ما قبله لم أدهش حين رأيت اسمه متبوعا بكلمة (رضى
 الله عنه) •

وكذلك كان كعب بن زهير فلقد ناوأ الدعوة قبل أن يسلم وكان
 يذم أخاه بجيرا ويعاتبه أن أسلم ووجه اليه عتابا قائلا :
 الا ابلفا عنى بجيرا رسالة
 على أى شىء ويب غيرك دلكا
 على خلق لم تلف أما ولا أبا
 تليه ولم تدرك عليه اخا لكا
 سقاك ابو بكر بكأس روية
 فأهلك المأمون منها وعلكا
 ويروى المأمور (2) ثم أسلم وأنشأ قصيدته المشهورة :
 بانث سعاد فقلبي اليوم متبول
 متيم أثرها لم يفد مكبول
 وصار من خيار المسلمين ، وأصفى الدعوة شعره •

(1) طبقات فحول الشعراء للجمحى 202 ط دار المعارف
 (2) الاغانى 15 : 142 ط الاستقامة

وكان مالك بن عوف النصرى قائد المشركين فى حنين ، وأشدّهم
خطرا على المسلمين ثم أسلم فقال يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :
ما ان رأيت ولا سمعت بمثله
فى الناس كلهم بمثل محمد (1)

ومن وراء هذه الامور الرتيبة التى يمكن افتراض حدوثها أمور
أخرى يأتى بها تداخل الاحداث أو ملاسبات الدعوة وتستمد منزعا من
أصل اجتماعى ساد يوما فى جاهليتهم وأثارها المناسبة فى وضعهم الجديد
وعبرت الالسنه عن ذلك شعرا على طريقتهم . كنا نعرف عادة من عاداتهم
فى الجاهلية ان رئيسهم حين يقود الغارة أو يأمر بالغزو يتحدد نصيبه
بربع الغنائم ويطلقون عليه كلمة المربع ، ويفخرون بذلك فى أشعارهم
تذكيرا بانتصاراتهم فى وقائعهم ، ولقد أشار الى ذلك الزبرقان بن بدر حين
جاء مع قومه لمفاخرة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

نحن الملوك فلا حى يقاربنا
منا الملوك وفينا يؤخذ الربع

ولمحا صورة اسلامية عليها تعود الى هذا الاصل عندما وجد العباس
ابن مرداس نصيبه من العطاء يقل عن زميله الاقرع بن حابس ، وعيينة بن
حصن ، فغضب وذهب محتجا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأنشده :

وكانت نهايا تلافيتها
بكرى على المهر فى الاجرع
وايقاظى الحى أن يرقدوا
اذا هجع القوم لم أهجع

(1) السيرة 4 : 138

فأصبح نهبى ونهب العبيد
 مد بين عيينة والاقرع (1)
 وقد كنت فى الحرب ذا تدراء
 فلم أعط شيئا ولم أمنع
 وما كان حصن ولا حابس
 يفوقان مرداس فى مجمع
 وما كنت دون امرئ منهما
 ومن تضع اليوم لا يرفع (2)

ولكن يبدو ان اعتبارات توزيع العطاء فى الجاهلية لم تكن هى السائدة فى الاسلام اذ كان النبى صلى الله عليه وسلم يتألف قلوب البعض ليرسخ قدمهم فى الاسلام ، يبدو هذا من حديث رجل قال للنبى صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن ، والاقرع بن حابس مائة ، وتركت جعيل بن سراقة الضمرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما الذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الارض كلهم مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس ، ولكنى تألفتهم ليسلما ، ووكلت جعيل بن سراقة الى اسلامه - وظهرت مثل هذه النزعة عند حسان ابن ثابت يوما حين أعطى النبى صلى الله عليه وسلم ما أعطى فى قريش وقبائل العرب ، ولم يعط الانصار ، وتحدثت الانصار فى هذا حتى خطبهم النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا * (3)

وحين لحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى جادت قريحة حسان بن ثابت بأربع قصائد من عيون الشعر العربى *

(1) العبيد = فرس العباس بن مرداس

(2) الاغانى 14 : 308 ط دار الكتب

(3) السيرة 4 : 148

الشعر في عصر الراشدين

والراشدون لم تلههم أعباء الخلافة وتبعات الحكم والفتح-عن النظر في الشعر واستنشاد الشعراء ، وشاركت الاحداث أحيانا ومناسبات الغزو في قول الشعر ، ورأوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يستعمله كسلاح يواجه به المشركين ويقول لحسان بن ثابت : سن الفطاريف على بنى عبد مناف ، فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غلس الظلام وتحفظ بيتي فيهم (1) *

وكان يهش الى سماعه ولقد اتسع صدره لسمع من شعر أمية بن أبى النعمان مائة قافية وهو يقول : هيه هيه كأنه يستزيد منشده (2) ونحن نعرفه واقف لأمية كان فيها الى جانب المشركين *

ويقول جابر بن سمرة جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الأشعار فى المسجد وأشياء من أمر الجاهلية فربما تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم (3) *

ويروى ابو الفرج بسنده عن ابن عائشة قوله : أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قول عنتره :

ولقد أبيت على الطوى وأظله

حتى أنال به كريم المأكّل

فقال صلى الله عليه وسلم : ما وصف لى أعرابى قط فأجبت أن أراه

الا عنتره (4) *

(1) العقد 5 : 277 جـ لجنة التأليف والترجمة والنشر

(2) الاغانى 4 : 129 ، العقد 5 : 277

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد 2 : 95 — 96

(4) الاغانى 8 : 243 ط دار الكتب

ويقول أنس بن مالك : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس ليس فيه الا خزرجى ، ثم استنشدهم قصيدة لقيس بن الخطيم
يعنى قوله :

أتعرف رسما كاطراد المذاهب

لعمرة وحشبا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم اياها فلما بلغ الى قوله :

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا

كأن يدى بالسيف مخراق لاعب

التفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (هل كان كما

ذكر ؟) فشهد له ثابت بن قيس بن شماس (1) .

وقالت عائشة رضوان الله عليها : دخل على رسول الله صلى الله

عليه وسلم وأنا أتمثل بهذين البيتين :

ارفع ضعيفك لا يحربك ضعفه

يوما فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثنى عليك وأن من

أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال صلى الله عليه وسلم : ردى على قول اليهودى قاتله الله ! لقد

أتانى جبريل برسالة من ربى : أيما رجل صنع الى أخيه صنيعة فلم يجد له

جزاء الا الشناء عليه والدعاء له فقد كافأه (2) .

وقال صلى الله عليه وسلم ، وذكر عنه امرؤ القيس بن حجر : هو

قائد الشعراء ، وصاحب لوائهم (3) .

(1) الاغانى 3 : 7

(2) الاغانى 3 : 117 ، العقد 5 : 275

(3) العقد 5 : 270

وأنشد الرسول صلى الله عليه وسلم قول طرفة :
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالاخبار من لم تزود
فقال : هذا من كلام النبوة (1)

ويروى يزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعي عن أبيه عن جده قال :
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ومشد ينشده قول سويد بن عامر
المصطلقى :

لا تأمن وان أمسيت فى حرم
ان المنايا بجنبى كل انسان
فاساك طريقك تمشى غير مختشع
حتى تلاقى الذى منى لك المانى
فكل ذى صاحب يوما مفارقه
وكل زاد وان أبقيته فانى
والخير والشر مقرونان فى قرن
بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لو أدرك هذا الاسلام لأسلم (2) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتأثر بالقول الصادر من اعماق
الشعراء وهم يستعطفونه فى بعض ما يلهم بهم ، فلقد أنشدته قتيلة بنت
الحارث ترثى اخاها النضر بالقصيدة التى اولها:
يا راكبا ان الأئيل مظنة

(1) العقد 5 : 271

(2) العقد 5 : 276

فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشعر قال : لو بلغنى قبل قتله ما قتلته (1) •

ومن حديث زياد بن طاروق الجشمي قال : حدثني ابو جرول الجشمي وكان رئيس قومه قال : أسرنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبينما هو يميز الرجال من النساء اذ وثبت فوقفت بين يديه وأنشدته :

امنن علينا رسول الله في حرم
فانك المرء نرجوه وننتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها
يا أرجح الناس حلما حين يختبر
انا للشكر للنعمى اذا كفرت
وعندنا بعد هذا اليوم مدخر

فذكرته حين نشأ في هوازن وأرضعوه فقال صلى الله عليه وسلم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لله ولكم • فقالت الانصار : وما كان لنا فهو لله ولرسوله فردت الانصار ما كان فى أيديها من الذرارى والاموال (2) •

وقدم ابو ليلى النابغة الجعدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشده شعره الذى يتول فيه :
بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا

وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : الى اين يا أبا ليلى ؟ فقال : الى الجنة يا رسول الله بك — فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الى الجنة ان شاء الله ، فلما انتهى الى قوله :

(1) المقد 5 : 279

(2) المقد 5 : 279 — 280

ولا خير في معلم اذا لم تكن له
 بوادر تحمى صفوه أن يكدرها
 ولاخير في جهل اذا لم يكن له
 حلیم اذا ما أورد الامر أصدرها

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يفضض الله فاك (1) •

وحصل كعب بن زهير — بعد أن آمنه الرسول صلى الله عليه وسلم
 على برد اشتراه منه معاوية بعشرين الفا بعد أن سمع منه قصيدته (بانت
 سعاد) كما أثاب العباس بن مرداس بحلة (2) •

وقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سفر : أين حسان بن ثابت،
 فقال حسان : لييك يا رسول الله وسعديك ، قال : أحّد ، فجعل ينشد
 ويصغى اليه النبي صلى الله عليه وسلم ويستمتع ، فما زال يستمتع اليه ...
 حتى فرغ من نشيده فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لهذا أشد عليهم
 من وقع النبيل) (8) •

وبعد • فالأدلة على استحسان النبي صلى الله عليه وسلم للشعر
 أكثر من أن تحصى ، ولدينا من الاخبار ما يشير الى أن النبي صلى الله
 عليه وسلم ربما تجاوز مضسّون الشعر الى دوافعه وكنهه ، سأل عبد الله
 ابن رواحة يوما ، أخبرني ، ما الشعر يا عبد الله ؟ قال : شيء يختلج في
 صدري فينطق به لساني • قال : فأشدني • فأشده :

فثبت الله ما آتاك من حسن

قموت عيسى باذن الله والقدر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : وإياك ثبت الله ، وإياك ثبت

الله (4) •

(1) العقد 5 : 276 (2) العقد 5 : 291

(3) الاغانى 4 : 143 ' (4) العقد 5 : 278

وكان صلوات الله عليه وسلامه يعرف أجواء الشعر ، والمحيط الذى
يفتقر منه الشاعر والأخيلة التى يصدر عنها ، ولا يفضب من الشاعر يأتى
فى شعره بما يتنافى مع النسك ونهاية التقوى ، روى ابو هريرة قال : كنا
مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر وحاد يحدو :

طاف الخيالان فهاجا سقما
خيال لبنى ، وخيال تكتما
قامت تريك خشية أن تصرما
ساقا بخنداة ، وكعبا أدرما

والنبى صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر ذلك (1) .

وهكذا كان نزوع العرب جميعا الى قول الشعر وروايته نزوعا قويا
كما يقول صلوات الله عليه : لن تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين ،
وحديث الشعر عند الراشدين لا يختلف عن هذا الأصل .

فأبو بكر

كان شاعرا (2) وذكر ابن رشيق بعض شعره فى كتاب العمدة (3)
كما نسب له صاحب كتاب السيرة بعض الاشعار (4) وطبيعة الشعر فى
عصره لا تختلف عن الصورة التى رأيتها فيما قرأت من احداث الدعوة .
فقد تولى أمر المسلمين والاعراب فى البوادي يضمرون العودة الى ماضيهم
والتحلل من الارتباط بالحكومة القائمة فى يثرب يهولهم أمر الزكاة ،

(1) الاغانى 21 : 58 ط الاستقامة

(2) العقد 5 : 283

(3) العمدة 1 : 13 ط هندية سنة 1925

(4) السيرة 2 : 225

ويرون في أدائها انتقاصا من قيمهم حتى لقد عرض بعضهم أن يقيم الصلاة ولا يؤتى الزكاة . وادعى بعضهم النبوة ، وأدرك الخوف بعض الصحابة حتى زين لأبي بكر أن يتألف قلوب الناس حرصا على تماسك الأمة ومنهم عمر بن الخطاب . ولكن أبا بكر قابل الامر بالحزم والشدة وواجه عمر أشد المواجهة وقال له : رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك ، جبارا في الجاهلية خوارا في الاسلام ! بماذا عسيت أن أتألفهم ؟ بشعر مفتعل ؟ أو بسحر مفترى ؟ هيهات هيهات ، مضى النبي صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى ، والله لأجاهدكم ما استمسك السيف في يدي ، والله لو منعوني عقلا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها .

واستغلظ أمر مسيلمة ، وطليحة الأسدي ، واجتمع على طليحة عوام طيء واسد وترددت هوازن فقدمت رجلا واخرت اخرى وكذلك فعلت أفناء من بنى سليم وغيرها . ولكن اكثر هؤلاء طأطأوا رؤسهم عندما دهمهم خالد بن الوليد الذي خرج يريد القطاع بعد أن استبرأ أسدا وغطفان وطيثا وهوازن ، ولم يبق في بلاد بنى حنظلة الا مالك بن نويرة ومن لاذ به وانتهى الامر بقتل مالك . وفي الردة والمرتدين حديث طويل لا نريد أن نجشمك مشقته فمقالنا يستهدف الكشف عن مكان الشعر في هذه الحقبة ونحن نقصر حديثنا عليه .

كان مالك بن نويرة اليربوعي شاعرا ، شريفا في قومه ، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم - وأسلم - فاستعمله على صدقات قومه ، فلما علم بموت النبي صلى الله عليه وسلم فرق ما في يده من ابل الصدقة ، ونصح الأقرع بن حابس ، والقعقاع بن معبد أن يتأنى في أمره فقال لهما: اراى الله بالنعم المندي

ببرقة رحرحان وقد أراى

ثمشى يابن عوذة فى تميم
وصاحبك الأقيرع تلحيانى

وقال معللاً لما فعل :

وقلت خذوا أموالكم غير خائف
ولا ناظر فيما يجىء من الغد
فان قام بالامر المخوف قائم
منعنا ، وقلنا : الدين دين محمد

فلما قتل مالك - فى خبر طويل - ذهب أخوه متمم بن نويرة ، ومعه
بعض الشعراء ، الى أبى بكر يشكون ما فعله خالد فقال ابو نمير السعدى :

ألا قل لحي أوطئوا بالسنايك
تطاول هذا الليل من بعد مالك
قضى خالد بغيا عليه بعرضه
وكان له فيها هوى قبل ذلك
فأمضى هواه خالد غير عاطف
عنان الهوى عنها ولا متمالك
فأصبح ذا أهل وأصبح مالك
الى غير أهل ، هالكا فى الهولك

وصلى متمم بن نويرة مع أبى بكر الصبح ، ثم أشد :
نعم القليل اذا الرياح تناوحت
تحت الازار قتلت يابن الأزور
أدعوت به بالله ثم قتلته
لو هو دعائك بذمة لم يغدر

فقال ابو بكر : والله ما دعوته ولا قتلته فقال :

لا يضر الفحشاء تحت ردائه
حلو شائله غفيف المئزر
ولنعم حشو الدرع ألت وحاسرا
ولنعم مأوى الطارق المتنور

ومن عيون الشعر العربى ، ومن أجمل المراثى قصيدة متمم فى رثاء
أخيه

لعمري وما دهرى بتأين مالك
ولا جزع مما أصاب فأوجعا
لقد كفن المنهال تحت ردائه
فتى غير مبطان العشيات اروعا
وسعه عمر بن الخطاب وهو يقول من هذه القصيدة :
وكنا كندمانى جذيمة حقة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

قال عمر : هذا والله التأين ، ولوددت انى أحسن الشعر فأرثى أخى
زيدا بثل ما رثيت به أخاك (1)

ولم يكن عمر وحده الذى يعجب بقصائد متمم فى أخيه مالك ،
ولكن يبدو أن صدق حزنه على أخيه قد طير مراثيه الى آفاق بعيدة ،

(1) الاغانى 14 : 67 — 68 ط الاسنقمة

وثناقلتها الرواة ، وحبب الى الكثيرين سماع متمم بن نويرة - الا يكن
 بشخصه فبالرواية عنه ، روى ابو الفرج بسنده قال : بينا طلحه والزبير
 يسيران بين مكة والمدينة اذ عرض لهما أعرابي ، فوقفا ليمضى فوقف ،
 فتعجلا يسبقاه فتعجل ، فقالا : ما أعجلك يا أعرابي ، تعجلنا لنسبقك
 فتعجلت ، فوقفنا لتمضى فوقفت . فقال : هباني خفت الضلال فأحببت أن
 استدل بكما ، أو خفت الوحشة فأحببت أن أستأنس بكما . فقال طلحة :
 من أنت ؟ قال : أنا متمم بن نويرة فقال طلحة : واسوأناه لقد مللنا غير
 مملول . هات بعض ما ذكرت في اخيك من البكاء . فزوجوه أم خالد فيينا
 هو واضع رأسه على فخذهما اذ بكى فقالت : لا اله الا الله ، أما تنسى
 أخاك ، فأنشأ يقول :

أقول لها لما نهتنى عن البكا
 أفى مالك تلحينى أم خالد
 فان كان اخوانى اصابوا وأخطأت
 بنى أمك اليوم الحتوف الرواصد
 فكل بنى أم سيمسون ليلة
 ولم يبق من أعيانهم غير واحد (1)

ولقد ظلت رواية الشعر تبحث عن قصائد متمم آجالا طويلة ، فكانت
 ميراثا لأحفاد متمم ، أخبر بذلك محمد بن سلام الجمحي فقال : أخبرنى
 أبو عبيدة ان ابن داود بن متمم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما قدم
 له البدوى في الجلب والميرة ، فنزل النحيت فأتيته أنا وابن نوح العطاردى
 فسألناه عن شعر أبيه متمم (يقصد جده) وقمنا له بحاجته ، وكفيناه ضيعته
 فلما نفذ شعر أبيه جعل يزيد فى الاشعار ويضعها لنا ، واذا كلام دون كلام

(1) الاغانى 14 : 69 ط الاستقامة

متمم والوقائع التي شهدها ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله (1) وأبو
عبدة كما نعلم أحد ثلاثة يعتبرون عصب الرواية في تاريخ الرواية كلها .

وقلما تجد انتاجا أدبيا في غير قرى الحجاز الا وهو صادر عن عصبيتهم
الماضية ، وحسرتهم عليها وهذه صورة بدت في شعر ابن بقللة وهو عمرو
ابن عبد المسيح حين أخضع خالد بن الوليد رؤساء الحيرة فقال يتحسر على
ماضيه :

أبعد المنذرين أرى سواما
تروح بالخورنق والسدير
وبعد فوارس النعمان أرعى
قلوصا بين مرة والحفير
فصرنا بعد هلك أبى قبيس
كجرب المعز في اليوم المطير
تقسمنا القبائل من معد
علائية كأيثار الجزور
وكنا لا يرام لنا حريم
فنحن كضرة الضرع الفخور
نؤدى الخرج بعد خراج كسرى
وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال
فيوم من مساء أو سرور (2)

الى غير ذلك من الاحداث التي صدرت في عهد ابي بكر .

(1) طبقات فحول الشعراء 40 ط دار المعارف

(2) تاريخ الطبرى 2 : 566

وفي عهد عمر

كان عمر رضى الله عنه من علماء الشعر ، يعرف جيده ، ويتحسس الجمال فيه ، ويتعرف على طعومه ، ويلذ لاستماعه ولا يكاد يعرض له أمر الا أنشد فيه بيت شعر (1) ويحكى ابن عباس فيقول : خرجت مع عمر في أول غزوة غزاها فقال لى ذات ليلة: يا ابن عباس ، أنشدنى لشاعر الشعراء . قلت : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبى سلمى . قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لانه لا يتبع حوشى الكلام ، ولا يعاقل من المنطق ، ولا يقول الا ما يعرف ، ولا يمتدح الرجل الا بما يكون فيه ، اليس الذى يقول كذا وكذا . أنشدنى له . فأنشدته حتى برق الفجر (2) .

وهو يعجب بشعر النابغة ويتخير منه أبياتا يحفظها . سأل نقرأ من غطفان ، من الذى يقول :

أتيتك عاريا خلقا ثيابى

على خوف تظن بى الظنون

قالوا : النابغة .

قال : ذاك أشعر شعرائكم .

وقال يوما : من أشعر الناس ؟

قالوا : أنت أعلم يا أمير المؤمنين .

قال : من الذى يقول :

الا سليس ان اذ قال الاله له

قم فى البرية فاحدها من القند

وخبر الجن أنى قد اذنت لهم

بينون تدمر بالصفاح والعمد

(1) البيان والتبيين 1 : 241

(2) الأغاني 10 : 290 — 291

قالوا : النابغة •

قال : فسن الذى يقول :

حلقت فلم أترك لنفسك ريبة

وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عنى خيانة

لمبلغك الواشى أغش وأكذب

ولست بمستبق أخا لا تلمه

على شعث - أى الرجال المهذب

قالوا : النابغة •

قال : فهو أشهر العرب (1) •

ولقى عذر بعض ولد هرم بن سنان فاستنشدته شعر زهير فى أبيه

فأنشده فقال له : انه كان ليحسن فيكم القول • قال : ونحن والله ان كنا

لنحسن له العطاء فقال : لقد ذهب ما أعطيتموه ، وبقي ما أعطاكم (2) •

وهو يوصى بتعلم الشعر وروايته ويكتب الى ابي موسى الاشعري

(مر من قبلك بتعلم الشعر فانه يدل على معالى الاخلاق وصواب الرأى

ومعرفة الانساب) (3) ، ويصف الشعر فيقول : الشعر جزل من كلام العرب

يسكن به الغيظ ، وتطفأ به الشائرة ، ويتبلغ به القوم فى ناديتهم ،

ويعطى به السائل (4) •

وكل ما حاوله عذر هو الوقوف أمام نوع واحد من الشعر . هو شعر

الهجاء • ورأى فيه شيطانا للفرقة بعد أن جمع الله أمر المسلمين فنهى الناس

(1) الاغانى 11 : 4 ، العقد 5 : 281

(2) الاغانى 1 : 304 (3) العمدة 1 : 10

(4) العقد 5 : 281

أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الانصار ومشركى قريش وقال : فى ذلك شتم
الحى بالميت وتجديد الضعائن وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء فى
الاسلام (1) •

وكان عمر فى هذا يتطلع الى تماسك رعيته وجمع الناس على رأى
واحد ، وحاول عمر أن يهدر قيم الهجاء حتى يفقد أثره فى اذن السامع
ويتعطل هذا اللون من الشعر جاءه وفد من بنى العجلان يشكون اليه لسان
النجاشى وقد هجاهم بقوله :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة

فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : انه دعا عليكم ولعله لا يجاب •

فقالوا : انه قال :

قبيلة لا يقدرون بذمة

ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليتنى من هؤلاء • وظل يحاورهم على هذا النحو الى أن

ضججوا ،

فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا

فقال : ما أسمع ذلك

فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت • فسأله فقال حسان : ما هجاهم ولكن

سلح عليهم (2) •

وتكرر موقف عمر هذا حين جاءه الزبرقان بن بدر يشكو الحطيئة

لقوله فيه :

(1) الاغانى 4 : 140

(2) العمدة 1 : 23 طه هندية سنة 1925

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فقال عمر : ما أرى به بأسا
قال الزبرقان : والله يا أمير المؤمنين ما هجيت بيت قط أشد على
منه .

فبعث الى حسان بن ثابت وقال : انظر ان كان هجاء ، فقال : ما هجاء
ولكن سلح عليه (1) .

ولم يكن عمر يجهل موضع القسوة فى هذا الشعر ، ولكنه كان ييغى
خلع قيم شعر الهجاء حتى لا تعود الامة شيئا كما كانت فى الجاهلية ،
وحاول أخذ الهجائيين بالشدة والتقى بالحطيئة فى غياهب السجن لولا أن
استعطفه بضعفه وضعف عياله بكلمات تذيب القلب يقول فيها :

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغضر عليك سلام الله يا عمر
أنت الامام الذى من بعد صاحبه
ألقي اليك مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها اذ قدموك لها
لكن لانفسهم كانت بها الاثر (2)

ومع هذا الجهد الذى بذله عمر فانه لم يصب نجاحا فى محو شر.

(1) العقد 5 : 293

(2) العقد 5 : 293

الهجاء ولا التقليل منه اذ كان هذا اللون من الشعر يستمد دعامته وقوته من طبيعة البيئة ، ولم يستطع عمر نفسه أن يقاوم رغبة حسان في الثأر الأدبي كما يبدو من رواية أبي الفرج على الوجه التالي :

« نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئا من مناقضة الانصار ومشركى قریش وقال : فى ذلك شتم الحى باليت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الاسلام ، فقدم المدينة عبد الله بن الزبيرى السهمى ، وضرار بن الخطاب القهرى ثم المحاربى فنزلا على أبى أحمد بن جحش وقالوا له : نحب أن ترسل الى حسان بن ثابت حتى يأتيك فننشده وينشدنا مما قلنا له وقال لنا ، فأرسل اليه فجاءه فقال له : يا أبا الوليد ، هذان أخواك ابن الزبيرى وضرار قد جاءا يريدان أن يسمعاك وتسمعهما ما قالاك وقلت لهما . فقال ابن الزبيرى وضرار : نعم يا أبا الوليد ان شعرك كان يحتمل فى الاسلام ولا يحتمل شعرنا وقد أحببنا أن نسمعك وتسمعنا . فقال حسان : افتبدآن أم أبدا ؟ قالوا : نبدأ نحن . قال : ابدآن ، فأنشده حتى فار فصار كالمرجل غضبا ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب فقص عليه قصتهما وقصته ، فقال له عمر : لن يذهب عنك بشىء ان شاء الله وأرسل من يردهما ، وقال له عمر : لو لم تدركهما الا بمكة فارددهما على . »

وخرجا . . . فأقاما بالروحاء . . . حتى وافاهما رسول عمر فردهما اليه فدعا لهما بحسان ، وعمر فى جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لحسان : أنشدتهما مما قلت لهما ، فأنشدهما حتى فرغ مما قال لهما فوقف . فقال له عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . فقال له : أنشدك فى الخلاء ، وأنشدتهما فى الملاء (1) .

(1) الأغاني 4 : 140

ونستطيع ان نتصور موقف الشعر وموقف الشعراء فى عهد عسر من
المثال السابق ، ومن جرأة حسان على الخليفة فى موقف آخر عندما مر عليه
وهو ينشد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتهره عسر ،
فقال حسان : لقد أنشدت فيه من هو خير منك ، فانطاق عسر (1) .

وحفلت أيام عمر بالفتوح ، وفى هذا الباب وحده سيل من الشعر
والرجز لا يدرکه الحصر ، ونكتفى منه بمثالين فى حرب القادسية سنة ١٦
من الهجرة * يقول قيس بن المكشوح المرادى فى هذه الواقعة :

حلبت الخيل من صنعاء تردى
بكل مدجج كالليث سام
وجئنا القادسية بعد شهر
مسومة دوابرنا دوام
فناهضنا هناك جمع كسرى
وأبناء المرازبة الكرام
فلما أن رأيت الخيل جالت
قصدت لموقف الملك الهمام
فأضرب رأسه فهوى صريعا
بسيف لا أفلّ ولا كهام
وقد أبلى الاله هناك خيرا
وفعل الخير عند الله نام (2)
وفى ذات الواقعة يصفها بشر بن ربيعة فيقول :
تذكر هداك الله وقع سيوفنا
بياب قديس والمكر ضرير

(1) الاغانى 4 : 143

(2) فتوح البلدان 261 ط ليدن

عشية ود القوم لو أن بعضهم
يعار جناحى طائر فيطير
إذا برزت منهم إلينا كتيبة
أتونا بأخرى كالجبال تمور
فضاربهم حتى تفرق جمعهم
وطاغت انى بالطمان شهير

وأمثال هذا الشعر كثير تجده فى كتاب فتوح البلدان للبلاذرى ، وفى
تاريخ الطبرى وفى أخبار متفرقة من كتاب الاغانى . وبحسبك من انواع
الشعر المختلفة فى هذه الفترة فرائد حسان قيدها لطرافتها ، وكأنى أستريح
من قضية تحقيق الشعر فى صدر الاسلام الى حديث الادب والحديث ذو
شجون .

كان أبو محجن عبد الله بن حبيب الثقفى يشرب الخمر فى الجاهلية .
وكان رجلا شاعرا يردد من ذاكرته ما يساء تفسيره ، فأقام عمر بن الخطاب
عليه الحد مرارا ، وكتب الى سعد بن أبى وقاص بحبسه ، فلما كان يوم
القادسية سأل أبو محجن امرأة سعد ان تعطيه فرس سعد ، وتحل قيده
ليقاتل المشركين فان استشهد فلا تبعة عليه ، وان سلم عاد حتى يضع رجله
فى القيد ، فاعطته الفرس ، وخلت سبيله وعاهدها على الوفاء فقاتل فأبلى
بلاء حسنا الى الليل ثم عاد الى حبسه وهو يقول :

لقد عدت ثقيف غير فخر
بأننا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعا سابغات
وأصبرهم اذا كرهوا الوقوفا

وأنا رفدهم فى كل يوم
 فان جحدوا فسل بهم عريضا
 وليلة قادم اسم يشعروا بى
 ولم أكره لمخرجى الزحوبا
 فان أحبس فقد عرفوا بلائى
 وان اطلق اجرعهم حتوبا
 فقالت له سلمى : يا أبا محجن ، فى أى شىء حبسك هذا الرجل ؟
 فقال : أما والله ما حبسنى بحرام أكلته ولا شربته ، ولكنى كنت صاحب
 شراب فى الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لسانى فينفثه أحيانا
 فحبسنى لانى قلت :
 اذا مت فادفنى الى أصل كرمة
 تروى عظامى بعد موتى عروقا
 ولا تدفنى فى القلعة فانسى
 أخاف اذا ما مت ألا أذوقها (1)
 وفى هذا - زيادة على طرافة الخبر - دليل على أن السنة الشعراء
 تعيش فى ماضيها ، وفى وجدانها لا تقصد من قول الشعر الا قول الشعر
 أحيانا ، ولقد سمع عمر قول أبى محجن يوما :
 وانى لذو صبر وقد مات اخوتى
 ولست عن الصباء يوما بصابر
 رماها أمير المؤمنين بحتفها
 فخلانها يكون حول المعاصر

(1) الاغانى 21 : 138 وما بعدها ط التقديم

فقال عمر : قد أبديت ما فى نفسك ولأزيدك عقوبة لاصرارك على شرب الخمر ، فعارضه علىّ عليه السلام قائلاً لعمر : ما يجوز ان تعاقب رجلاً قال لأفعلن وهو لم يفعل وقد قال الله فى الشعراء (وانهم يقولون ما لا يفعلون) •

ولسرع الخطا مع عثمان وعلىّ فالسار يكاد يكون متماثلاً رتبياً ، والاحداث متشابهة وألسن الشعراء تشارك فى كل صغيرة وكبيرة •

بويح لعثمان بن عفان بالخلافة سنة أربع وعشرين ، وقبل أن تتم البيعة واجهته قضية عبيد الله بن عمر ، فلقد شهد نعر من الناس أن الهرمزان ، وجفينة كانا شريكى أبى لؤلؤة فى قتل عمر ، فامسك بسيفه وقتلها ، وانتظر المسلمون كيف يخرج عثمان من هذه الازمة ، كيف يأمر بقتل عبيد الله بن عمر ودم والده لم يجف بعد - أو كيف يصفح فيضع سابقة فسى قضاء الخلفاء - قيل أن عثمان أمر بدفع الديات وتحملها هو ، وبقيت الواقعة تداعب أذهان الناس ، وعرض لها بعض الشعراء فكان كلما تقابل زياد بن ليلى البياضى مع عبيد الله بن عمر ذكره بفعلته قائلاً :

الا يا عبيد الله ما لك مهرب
ولا ملجأ من ابن أروى ولا خفر
أصبت دماً والله فى حله
حراماً وقتل الهرمزان له خطر
على غير شىء غير أن قال قائل
اتتهمون الهرمزان على عمر
فقال سفيه والحوادث جمة
نعم اتهمه قد أشار وقد أمر
وكان سلاح العبد فى جوف بيته
يقلبها والامر بالامر يعتبر

فشكاه عبيد الله الى عثمان ، فقال زياد فى عثمان أيضا :

أبا عمرو ، عبيد الله رهن فلا تشكك بقتل الهرمزان
فأنك ان غفرت الجرم عنه وأسباب الخطا فرسا رهان
لتعفو اذ عفوت بغير حق فما لك بالذى تخلى يدان (1)

وفى عهد عثمان استمرت الفتوح والغزوات والتصدي لاعداء المسلمين ، فقد نقضت الاسكندرية عهدها فعزاها عمرو بن العاص سنة ٢٥ ، وتم فتح أفريقية على يد عبد الله بن سعد بن أبى سرح سنة 27 وتسم فتح قبرص على يد معاوية بأمر عثمان فى سنة 28 ، وفى عهده قامت الدعوة التى حمل لواءها أبو ذر حين أخذ يدعو للاشتراكية ويحرض الفقراء على الاغنياء وشارك الشعر فى هذه الاحداث ومثيلاتها .

وكان على شاعرا ذكر له صاحب كتاب العمدة شعرا يوم صفين يذكر فيه همدان ونصرهم اياه (2) وذكر صاحب العقد بسنده عن سعيد بن المسيب ان ابا بكر كان شاعرا وكان عمر شاعرا ، وكان على أشعر الثلاثة (3) وكان اذا اراد المبارزة فى الحرب انشأ يقول :

أى يومى من الموت افر
يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم لا يقدر لا أرهبه
ومن المقدور لا ينجو الحذر
ويعجب بأرض الكوفة فاذا سار فيها ارتجز بقوله :

(1) تاريخ الطبرى 3 : 302 — 303

(2) العمدة 1 : 14 ط هندية 1925

(3) العقد 5 : 283 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر

يا حيذا السير بأرض الكوفة
أرض سواء سهلة معروفة
تعرفها جمالنا المعلقة (1)

ومن قوله يوم صفين :

لمن راية سوداء يخفق ظلها
إذا قيل قدمها حصين تقدما
يقدمها في الصف حتى يزيها
حياض المنايا تقطر السم والدم
جزى الله عنى والجزاء بكفه

ربيعة خيرا ما أغف وأكرما (2)

وكان يطرب لسماع الاشعار ويثيب عليها - وقف عليه أعرابي وشكا
حاجته فأذن لعلامه قنبر أن يدفع اليه حلة من حلله ، فلما أنشده شعرا قال
على : يا قنبر اعطه خمسين دينارا ، وتلفت الى الاعرابي قائلا : اما الحلة
فلسألتك واما الدنانير فلأدبك (3) .

وكانت وقعة الجمل سنة ثلاثين وست ، وصبر الفريقان بعضهم لبعض ،
وحمل على نفسه وقاتل حتى اثنى سيفه ، وخرج فارس أهل البصرة
عمرو بن الأشرف لا يخرج اليه احد من أصحاب على الا قتله وهو يرتجز :

يا أمنا يا خير أم نعلم
والأم تغذو ولدها وترحم
الا ترين كم جواد يكلم
وتختلى هامته والمعصم

ولم تهدأ المعركة بالسيف واللسان الا بعد ان كشفوا عرقوب الجمل

بالسيف (4) .

(1) العقد 5 : 287 (2) العقد 5 : 283 (3) العقد 5 : 274

والارشاد القومى

(4) الاخبار الطوال 152 لابی حنيفة الدينورى ط وزارة الثقافة

فلما نزل على الكوفة فى نفس العام حرّضه الشنّى على السير
للشام بقوله :

قل لهذا الامام قد خبت الحر
ب وتمت بذلك النعماء
وفرغنا من حرب نكث العهد
سد، وبالشام حية صماء
تنفث السم ، ما لمن نهشته
فارمها قبل أن تعض شفاء (1)

وتوالى الاحداث ، وكانت وقعة صفين فى السنة التالية حين وفد
على معاوية رجل تسمى بالحجاج بن خزيمة بن الصمة أخذ يحرضه بقوله :

ان بنى عمك عبد المطلب
هم قتلوا شيخكم غير الكذب
وأنت أولى الناس بالوثب فثب
وسر مسير المحزئ للتلثب
فضاق معاوية بما اتاه به الحجاج وانشأ قصيدته الطويلة :
اتانى أمر فيه للناس غمة
وفيه بكاء للعيون طويل

القصيدة (2)

وأحداث هذه الفتنة مليئة بالاتفاعلات التى صورها الشعراء ، والتى
لهم نجد ضرورة فى نقلها مكتفين بالاشارة اليها • (3)

(1) الاخبار الطوال 152 (2) الاخبار الطوال 155 — 156

(3) راجع تاريخ الطبرى ، وكتاب الاخبار الطوال

الشعر في البادية

رأيت فيما قرأت شعرا يرتبط بالدعوة على وجه من الوجوه ، لها أو عليها أو حولها ، وتستطيع أن تعتبر الدعوة محورا جديدا يدور حوله هذا اللون من الشعر نضيفه الى منزعين عرفا في الجاهلية هما : العصبية : واشباع النزوع الفنى . ولقد عاش هذان التياران في البادية ، ولم تتأثر البادية بالدعوة الاسلامية في كثير ، فالاعراب كما يصفهم القرآن الكريم (أشد كفرا ونفاقا ، وأجدر الا يعلنوا حدود ما أنزل الله على رسوله) .

ولقد تسألنى عن الأعشى وقد أعد قصيدته المعروفة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، وهم بالخروج اليه ليعلن اسلامه كما تحكى الأخبار وكتب الأدب ، فالرأى عندى أن الاعشى لم يتأثر بالاسلام ، وكان مجيئه استمرارا لمسلكه فى الجاهلية فالشعر عنده متجر يتجر به ، ولابن رشيق كلام فى هذا يحكيه فى كتاب العمدة فيقول : (كانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهاة او مكافأة عن يد لا يستطيع على اداء حقها الا بالشكر اعظاما لها . . . حتى نشأ النابغة الذبياني فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر . . . وتكسب زهير بن أبى سلمى يسيرا مع هرم بن سنان ، فلما جاء الاعشى جعل الشعر متجرا يتجر به نحو البلدان (1)

والمشهور فى قصة الاعشى انه خرج الى النبى صلى الله عليه وسلم فى المدة بين صلح الحديبية وفتح مكة ليعلن اسلامه ووجهته الى يثرب كما يقول فى البيت الثامن :

الا أيهذا السائلى أين يمت

فان لها فى أهل يثرب موعدا

(1) العمدة 1 : 49 ط هندية سنة 1925

فالتقت به قريش ، وكرهوا اليه الاسلام فعاد الاعشى راجعا الى
اليمامة ، ومات من عامه . والذي يمعن النظر في القصيدة يرى أن الاعشى
جاء يطلب عطاء الرسول ، لأن الاعشى كما يدعى لاقى الكثير من تقلب
الدهر ولذلك أمضى عمره في جمع المال :

شباب وشيب وافتقار وثروة
فلله هذا الدهر كيف ترددا
وما زلت أبغى المال مذ أنا يافع
وليدا وكهلا حين شبت وأمردا

وتأتى الدعوة الاسلامية والاقتناع بها في المرتبة الثانية أو الثالثة ،
يدلك على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم في نظره رجل ذهب صيته في
كل مكان ، وهو يغمر الناس بصدقاته ولا يمنعه عطاء اليوم أن يعطى فى
الغد :

نبى يرى ما لا ترون وذكره
اغار لعمري فى البلاد وانجدا
له صدقات ما تنب ونائل
وليس عطاء اليوم مانعه غدا

ولو كان الرجل صادق الايمان لما رضى بمائة من الابل ثمنا لرجوعه .
لقد كان الاعشى فى سبيل المال لا يفرق بين نبى ومتنبىء ، وكان على
استعداد لأن يهجو الكريم الذى اعطاه واكرمه اذا وجد من هو اكرم منه .
والاعشى أعد قصيدته فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم فلما وجد من
عجل اليه بالعطاء ترك قصده الأول ، وهذه لا تختلف فى كثير مع ماضيه ،
ويحكى أبو الفرج خبرا تدرك منه هذه الدلالة :

أتى الاعشى الاسود العنسى ، ونحن نعرف أن الاسود واسمه
 عبهلة بن كعب كان كاهنا مشعوذا ، وادعى النبوة ، أتى اليه الاعشى
 ومدحه فاستبسط جائزته ، فقال : ليس عندنا عين ، ولكن نعطيك عرضا ،
 فأعطاه خمسمائة مثقال دهن ، وبخمسائة حللا وعنبرا . فلما مر ببلاد بنى
 عامر خافهم على ما معه فأتى علقمة بن علاثة فقال له : أجرنى ، فقال : قد
 أجرتك . قال : من الجن والانس ؟ قال : نعم . قال : ومن الموت ؟ قال : لا .
 فأتى عامر بن الطفيل فقال : أجرنى . قال : أجرتك . قال : من الجن والانس ؟
 قال : نعم . قال : ومن الموت ؟ قال : نعم ، قال : وكيف تجيرنى من الموت ؟
 قال : ان مت وأنت فى جوارى بعثت الى اهلك بالدية . فقال : الآن علت
 أنك قد أجرتنى من الموت فمدح عامرا وهجا علقمة (1) .

وقصارى ما يقال فيه أنه أعرابى من وصفهم القرآن الكريم بالكفر
 والنفاق .

وهذا فارس من فرسان العرب يذهب لمقابلة النبى صلى الله عليه
 وسلم لا ايمانا بالدعوة ولكن ليكون له الامر من بعد الرسول . كان عامر
 ابن الطفيل من فرسان العرب ومن شياطينهم حتى خافه عرو بن معد
 يكرب ، فقال يوما : ما أبالى من لقيت من فرسان العرب ما لم يلقنى
 حرّاها وهجيناها يعنى بالحرين عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث بن
 شهاب ، وبالعبدين عنترة ، والسليك ابن السلكة (2) .

سمع عامر بن الطفيل بالدعوة الاسلامية وتابع أخبارها فهالته منزلته
 النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم ير فى الدعوة الا صورة من الملك والعزة
 المانعة ، فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله أن يسلم هو وقومه .

(1) الاغانى 9 : 120 — 121

(2) الاغانى 8 : 246 ط دار الكتب

على أن يكون له الأمر بعد الرسول فقال : يا محمد ما لي أن أسلمت ؟
فقال : لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين
قال : أتجعل لي الأمر من بعدك ؟
قال : ليس ذلك لك ولا لقومك
قال : أفتجعل لي الوبر ولك المسدر ؟
قال : لا ، ولكن أجعل لك أعنة الخيل فانك امرؤ فارس
قال : أو ليست لي ؟ لأملأنها عليك خيلا ورجلا (1) .

ومن العرب من أسلم كما يسلم الناس بعد أن أحاطت به الدعوة من كل
جانب . كان ابن أبيّ بن مقبل جافيا في الدين يبكي أهل الجاهلية في شعره
ف قيل له : تبكي أهل الجاهلية وأنت مسلم ؟ فقال :

وما لي لا أبكي الديار وأهلها
وقد زارها زوار عك وحميرا
وجاء قطا الأجباب من كل جانب
فوقع في اعطائنا ثم طيرا (2)

وإذا فتشت في أفئدة الناس وجدت هواهم مع قبائلهم - عصبية
أعمتهم عن الهدى - ففى غزوة حنين جمع مالك بن عوف النصري هوازن
وثقيف ... واشتدت الحملة على المسلمين - قال ابن اسحق : فلما انهزم
الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل
مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن
حرب : لا تنتهى هزيمتهم دون البحر ... وصرخ جبلة بن الحنبل (قال ابن
هشام : كلدة بن الحنبل) وهو مع أخيه صفوان بن أمية : ألا بطل السحر

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد 3 : 310 ط دار صادر

(2) طبقات فحول الشعراء 125 ط دار المعارف

اليوم • فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لان يربنى رجل من قريش أحب الىّ أن يربنى رجل من هوازن (1) •

فاسلام أبى سفيان لم يصدر عن عقيدة أو ايمان ، وانما أسلم حين وجد نفسه فى قلة ، وأسلم بلسانه ، وظل قلبه يرجو الهزيمة للمسلمين — وأما كلدة أو جبلة بن الحنبل فقد رأى رأى السابقين من الجاهليين انه السحر ، وقد بطل اليوم ، وأما صفوان فانه لا يريد النصرة للنبي ايماناً برسالته ولكن فرارا من هوازن ، وخير عنده أن يجد ربا من قريش بدلا من هوازن •

وامتنعت ثقيف عن المسلمين ، وامتنعهم عيينة بن حصن ووصفهم بقوله : مجدة كراما ، فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة : أتمدح المشركين بالامتناع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى والله ما جئت لاقاقل ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتطئها لعلها تلد لى رجلا (2) •

وما رأيك فى منظور بن زبان وهو رجل فى ذروة الشرف وسيد قومه، من بنى فزارة يتزوج مليكة بنت سنان زوج أبيه ، لقد كانت هذه العادة مباحة على كراهية فى الجاهلية فما بال الرجل يقتربها فى الاسلام ، وما عذره الا هوان دينه عليه — لقد تزوجها ولم تزل معه الى خلافة عمر ، وكان يشرب الخمر ايضا فرفع امره اليه فأحضره وسأله عما فعل فاعترف به وقال : ما علمت انها حرام ، فحبسه الى وقت صلاة العصر ثم أحلفه انه لم يعلم ان

(1) السيرة 4 : 73

(2) السيرة 4 : 130

الله جل وعز حرم ما فعله فحلف — فيما ذكر — أربعين يميناً فخلى سبيله
وفرق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنك حلفت لضربت عنقك •
قال ابن الكلبي في خبره : اتنكح امرأة أبيك وهي أمك ؟ او ما علت
أن هذا نكاح المقت ؟ وفرق بينهما فتزوجها محمد بن طلحة فلما طلقها أسف
عليها وقال فيها :

ألا لا أبالي اليوم ما صنع الدهر
إذا منعت منى مليكة والخمر
فإن تلك قد أمست بعيداً مزارها
فحيّ ابنة المرّى ما طلع الفجر
لعمري ما كانت مليكة سوءة
ولا ضم في بيت على مثلها ستر
وقال أيضاً :

لعمري أبى — دين يفرق بيننا
وبينك قسراً — انه لعظيم
وهو لا يقصد بالعظيم كلمة التبجيل ، فلقد رآها مرة وهي تمشي في
الطريق فقال : يا مليكة ، لعن الله ديناً فرق بيني وبينك (1) •
ولاحظ الأستاذ كارل نلينو في قصيدة كعب بن زهير (بابت سعاد)
والتي قيلت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة من الهجرة
أنها تجري على طريقة أهل البادية في مدح ساداتهم لولا الايات التي يقول
فيها :

نبئت أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
قرآن فيه مواعىظ وتفصيل
ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول (1)

والحقيقة أن محبوبته قد استحوذت وحدها على سبعة وثلاثين بيتاً
قبل أن يقول : نبئت أن رسول الله

ولم يكن الحطيئة بأحسن من الاعشى مسلوكا ، فكلاهما تكسب
بالشعر ، الاعشى بالمديح ، والحطيئة بالهجاء ، وكان الحطيئة كصاحبه على
استعداد لأن يهجو الكريم اذا وجد من هو اكرم منه ، لقد لقي الزبرقان بن
بدر فسأله الاخير عن وجهته فقال الحطيئة : العراق ، وددت أن أصادف بها
رجلا يكفينى مؤونة عيالى وأصفيه مدحى أبدا . فقال له الزبرقان : قد
أصبتة فهل لك فيه يوسعك لبنا وتمرا ويجاورك أحسن جوار وأكرمه ؟
فقال له الحطيئة : هذا وأبيك العيش وما كنت أرجو هذا كله - ثم أرسله
الى أهله وأوصى بالاحسان اليه ، فبلغ ذلك بغيض بن عامر بن شماس وكان
على خلاف مع الزبرقان بن بدر فذهب ومعه قومه من بنى أنف الناقة الى
الحطيئة وألحوا عليه فأجابهم ، فضربوا له قبة وربطوا بكل طناب من أطنا بها
جلة هجرية (الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر) وراحوا عليه
ابلهم ولم يلبث أن هجا الحطيئة الزبرقان بن بدر وناضل عن بغيض
فى قصيدة طويلة يقول فيها للزبرقان :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

(1) تاريخ الاداب العربية لكارل نلينو 89

وكاد عمر يفتك به لولا أن استعطفه بأبياته المشهورة :
ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ
زغب الحواصل لا ماء ولا شجر
القيت كاسبهم فى قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر
فلما أطلقه قال له : اياك وهجاء الناس ، قال الحطيئة : اذا يموت عيالى
جوعا ، هذا مكسبى ومنه معاشى !! (1)

وللحطيئة حادثان هما أشد من هذا الخبر دلالة على أعرابيته المتمردة
الجافية لقد سمع بموت النبي صلى الله عليه وسلم وخلافة أبى بكر رضى
الله عنه فلم يطل به الوقت حتى ارتد مع المرتدين وقال متهمكا على خليفة
المسلمين :

أطلعنا رسول الله اذ كان بيننا
فيا لعباد الله - ما لأبى بكر
أيورثها بكرا اذا مات بعده
وتلك لعمر الله قاصمة الظهر (2)

وغل خبيثا بالرغم من تصنعه العودة الى الاسلام يدلك على ذلك هذا
الحدث الثانى حين حضرته الوفاة ، فقد اجتمع اليه قومه يستوصونه فكانت
وصيته أخبت وضية سمعنا بها ونحن نربأ بهذا الورق أن يلتاث بها مكتفين
بالاشارة اليها (3) .

(1) الاغانى 2 : 179

(2) الاغانى 2 : 157

(3) الاغانى 2 : 195 - 197

ومالك بن نويرة من الذين قالوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبهم،
وقصة مالك كقصة هؤلاء الاشراف من الاعراب الذين رأوا فى دفع الزكاة
انتقاصا من أقدارهم ، وحدّا من حريتهم وكانوا قبل فى الجاهلية يصرفون
أمورهم وفق مشيئتهم ، قدم مالك بن نويرة على النبى صلى الله عليه وسلم
فولاه صدقات قومه من بنى يربوع فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم
فرق ما فى يده من ابل الصدقة وهان الاسلام فى نظره وكأنه لم يخش فى
الاسلام الا قوة النبى كحاكم ، وأن الدين هو دين محمد فاذا انتهى أمر
محمد فقد انتهى أمر الدين أيضا فى نظره ، يقول حين أخذ يوزع أموال
الصدقة :

وقلت خذوا أموالكم غير خائف
ولا ناظر فيما يجيء به الغد
فان قام بالامر المخوف قائم
منعنا - وقلنا : الدين دين محمد

فالرجل قد وزن الامر بسيزانه ، ورأى أنه سيسأل عما فعل ، ولماذا
خالف أمر الجماعة وفرق أموال المسلمين فأوعز اليه شيطانه بحجة يقولها
حين يسأل عن ذلك وهى أن الدين دين محمد ، وكنا ندين له - أى نطيعه -
ونحن الآن نمنع زكاة محمد عن القائم مقامه - ولم يستمع الى نصح
الأقرع بن حابس المجاشعى ، والقعقاع بن معبد الدرامى فقال يعتب عليهما :

أرانى الله بالنعم المندى
ببرقة رحرحان وقد أرانى
تمشى يابن عوذة فى تميم
وصاحبك الأقيرع تلحيانى

ويعود سبب قتله الى ثقافته أيضا ، والمشهور فى هذا أن اجابته على

خالد بن الوليد كانت تتضمن سطحية الايمان * راجعه خالد فيما فعل فقال :
انى آتى بالصلاة دون الزكاة فقال خالد بن الوليد : أما علمت أن الصلاة
والزكاة معا لا تقبل واحدة دون أخرى ؟ فقال مالك : قد كان صاحبك يقول
ذلك *

قال خالد : وما تراه لك صاحباً ؟ والله لقد هممت أن أضرب عنقك ،
ثم تجاولا بالكلام الطويل فقال له خالد : انى قاتلك * قال : أوبذلك أمرك
صاحبك ؟

قال : وهذه بعد تلك والله لأقتلنك (1) ، *

الصعلكة كصورة بدوية

بقيت صورة الصعلكة كما كانت فى الجاهلية لم يغير من ذلك أن
العرب قد أصبحوا يدينون بدين سماوى يحرم الاغتصاب ، وتحت ظل
حكومة ترعى الحقوق وتؤمن اصحابها ، ولا تكاد تجد اختلافا بين قصيدة
لأبى النشاش النهشلى الذى كان يعيش فى العصر الاموى وبين قصيدة فى
نفس الغرض لعروة بن الورد الجاهلى *

يقول عروة مثلاً :

اقلنى على اللوم يابنة منذر
ونامى فان لم تشتهى النوم فاسهرى
ذرينى وقسى أم حسان انسى
بها قبل ألا أملك البيع مشترى
أحاديث تبقى والفتى غير خالد
اذا هو أمسى هامة تحت ضير

(1) الاغانى 14 : 63 وما بعدها فى اخبار متمم ومالك والفقرة الاخيرة
من لفظ ابن خلكان ، وانظر طبقات فحول الشعراء للجمحى 171

ذرينى أطوف فى البلاد لعلى
أخليك أو أغنيك عن سوء محضر

الى أن يقول :

ولله صعلوك صفيحة وجهه
كضوء شهاب القابس المتنور
فذلك ان يلقى المنية يلقها
حميدا ، وان يستغن يوما فأجدر (1)

ويقول ابو النشاش اللص الذى كان يعترض القوافل فى شذاذ
من العرب بين الحجاز والشام :

وسائلة أين الرجيل وسائل
ومن يسأل الصعلوك أين مذهب
وداوية يهماء يخشى بها الردى
سرت بأبى النشاش فيها ركائبه
ليدرك ثأرا أو ليدرك مغنما
جزىلا وهذا الدهر جم عجائبه
إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح
سواما ولم تعطف عليه أقاربه
فللموت خير للفتى من قعوده
فقيرا ، ومن مولى تاب عقاربه

(1) الاصحيات 37 — 39

ولم أر مثل الهم ضاجعه الفتى
ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فمت معدما ، أو عش كريما فأننى
أرى الموت لا ينجو من الموت هاربه
ولو كان شئ ناجيا من منية
لكان اثير " يوم جاءت كتائبه (1)

فهل ترى كبير اختلاف بين هذه القصيدة وتلك بالرغم مما جاءت به
الدعوة من مثل تناهض هذا المسلك الجاهلى ؟
وستجد حين تتحدث عن الشعر فى العصر الاموى انه قد عاد - أو
أعيد - فى أكثره الى العصبية الجاهلية .

(1) الاصمعيات 125 - يرجح الاستاذ عبد السلام هارون شارح
الاصمعيات ، ان اثيرا هو اثير بن عمرو السكونى الطبيب الذى
دعى لعلاج على بن ابي طالب حين ضربه ابن ملجم .

الفصل الثالث

الشعرُ في العصر الأموي

تمهيد

هنا نسرع الخطا - بعد أن تناولنا قضية الشعر في صدر الاسلام بشيء من التفصيل كان الغرض منه أن نقف موقف المناقش لقضية أثارها ابن سلام الجمحي تشير في محصلتها الى تمهل الشعر وذهاب رواته على النحو الذي سنتكلم فيه في آخر الباب • أما الآن وقد بات واضحا في غير مكابرة وفرة الشعر ووصول أكثره إلينا فلا نجد داعيا للتفصيل وحسبنا خطوطه العريضة لنفرغ الى وجه آخر هو رأى رواة اللغة فى الشعر وفى الشعراء ، وقد اعتمدوا فى رواية اللغة - جل الاعتماد - على هذا المصدر حتى كاد يشكل عصب الرواية اللغوية •

اتخذت الدولة الاموية عاصمة الخلافة فى دمشق ، وكان من سياسة

الأمويين صرف المطالبين بالخلافة عن أغراضهم فسلكوا فى ذلك مسالك
شتى منها :

— تسليط الترف والغناء على شباب الهاشمين فى الحجاز فنشأ
شعر الغزل •

— واعادة العصبية بين القبائل والجماعات فى العراق فنشأ شعر
الهجاء وشغل به الناس •

وكاد معاوية يطمئن الى هذه السياسة بعد أن أحكم تدبيرها ، وأصر
الى اليمنين ليكونوا عوناً له على ما هو بسبيله ، لولا موقف ابن الزبير فى
الحجاز ، وموقف الخوارج فى كل مكان •

شعر الغزل

لجأ معاوية الى صرف الشباب الهاشمين عن المطالبة بالخلافة ، فجعل
عطاءهم وفرا ، وبعث اليهم بالمغنين والمغنيات ، وتركهم الى الدعة والراحة
حتى خرج من هذه البيئة المترفة أرق شعر فى الغزل — كان شعراء
الجاهلية يتناولون النسيب فى أول القصائد ولا يفردون للغزل الا مقطعات
قصيرة فاذا بالحجاز يموج بالقصائد الغزلية حتى دهش النقاد لشيوع الشعر
فيهم فقالوا : (كانت العرب تفضل قريشاً فى كل شىء الا الشعر ، فلما
نجم فى قريش عمر بن أبى ربيعة ، والحارث بن خالد المخزومي ، والعرجي ،
وأبو دهل ، وعبيد الله بن قيس الرقيات أقرت لها العرب بالشعر أيضاً) (1)

سمع الفرزدق من عمر بن أبى ربيعة قصيدته التى يقول فيها :

لما التقينا واطمأنت بنا النوى

وغيب عنا من نخاف ونشفق

(1) الاغانى 1 : 149

حتى انتهى الى قوله :

فقمنا لكى يخليننا فترقرقت

مدامع عينيها وظلت تدفق

وقالت : اما ترحمننى لا تدعننى

لدى غزل جم الصباة يخرق

فقلن : اسكتى عنا فلست مطاعة

وخلك منا ، فاعلمى ، بك أرفق

فصاح الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطاب اغزل الناس ، لا يحسن
والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه
الرقية (1) .

وكان جرير ينفس على عمر بن أبى ربيعة شعره ويصفه بأنه شعر
تهامى اذا أنجد وجد البرد حتى سمع من رائيته : أمن آل نعم أنت غاد
فمبكر :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت

فيضحى وأما بالعشى فيخصر

..... الايات فقال : ما زال هذا يهذى حتى قال الشعر (2)

ووصل الأمر أن كان غلاة المسلمين يسمعون مثل هذا الشعر فتجذبهم
اليه رفته وعذوبته ، فشغفوا به ، سمع سعيد بن المسيب وهو على رأس
فقهاء المدينة شعرا قاله محمد بن عبد الله النميرى من أهل الطائف فى
زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف من رجل يغنى بذلك
الشعر فى ازقة مكة ، فلما وصل الى البيت :

(1) الاغانى 1 : 149

(2) الاغانى 1 : 173

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت
به زينب ففى نسوة عطرات
ضرب برجله وقال : هذا والله مما يلذ سماعه (1) *

وكان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أحد الفقهاء السبعة
فى المدينة ، ومن أعلام التابعين يقول من شعر الغزل :
شقت القلب ثم ذروت فيه
هواك فليتم فالتام الفطور
تغلغل حيث عتمة فى فؤادى
فبإديه مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب
ولا حزن ولم يبلغ سرور

فقليل له : أتقول مثل هذا ؟ فقال : فى اللود راحة المفتود ولا بد
للمصدر ان ينفث (2) ، ويقول : لو كان الشعر محرما لوردنا الرحبة كل
يوم (3) *

وكانت سكينه بنت الحسين بن على رضى الله عنه سيدة نساء عصرها
ولها حكايات طريفة مع الشعراء فى هذا السياق ، من ذلك ما يروى أنها
وقفت على عروة بن اذينة وكان من أعيان العلماء وكبار الصالحين فقالت
له : أنت القائل :

إذا وجدت اوار الحب فى كبدى
ذهبت نحو سقاء الماء ابترد

(1) وفيات الاعيان 2 : 131 فى ترجمة سكينه بنت الحسين رقم 254

والعقد الفريد 5 : 289

(3) الاغانى 1 : 73

(2) الاغانى 1 : 72

هبنى بردت يبرد الماء ظاهره
فمن لنار على الاحشاء تنقد ؟
فقال لها : نعم فقالت : وأنت القائل :

قالت وأبشتها سرى وبحت به
قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها
غطى هواءك وما التقى على بصرى ؟

قال : نعم ، فالتفتت الى جوارهم كن حولها وقالت : هن حرائر ان كان
خرج هذا من قلب سليم قط (1) *

وكان ابن عباس يستريح من مجلس الفقه والتفسير الى سماع شعر
ابن أبي ربيعة ولقد عاتبه نافع بن الأزرق على هذا المسلك قائلاً له : الله
يا ابن عباس !! انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن
الحلال والحرام فتتناقل عنا ويأتيك غلام مترف من مترفى قریش فينشدك
كذا وكذا مشيراً الى قصيدة عمر بن أبي ربيعة :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجّر (2)

ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة فقال : انا
نستجيدها (3) *

(1) وفيات الاعيان 2 : 131 فى ترجمة سكينه بنت الحسين رقم 254

والعقد الفريد 5 : 289

(2) الاغانى 1 : 72 ط دار الكتب

(3) الاغانى 1 : 73

وكاد مالك بن أنس - لشيوع الغناء فى بيئة المدينة - يتعلق بالغناء وينصرف اليه لولا أن وجهته أمه الى الفقه ، وهو يحكى ذلك فيقول :
(نشأت وأنا غلام اتتبع المغنين وآخذ عنهم فقالت لى أمى : يا بنى " ان" المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غناؤه ، فدع الغناء واطلب الفقه فانه لا يضر معه قبح الوجه فتركت المغنين واتبعت الفقهاء) (1) •

ويبدو أن النواح والغناء يصدران من منبع قريب ويتخذان الشعر وسيلة للتعبير عنهما - حدث ابن جامع عن شيوخ من أهل مكة ان سكينه بنت الحسين عليهما السلام بعثت الى ابن سريج بشعر أمرته أن يصوغ فيه لحنًا يناح به فصاغ فيه ، وهو الآن داخل فى غناؤه ، ومن هذا الشعر :

يا أرض ويحك أكرمى أمواتى

فلقد ظفرت بساتنى وحماتى (2)

الشعر فى العراق

وبينما كان هذا الغزل الرقيق يجرى فى أرجاء الحجاز كان فى العراق لون آخر نتيجة لطبائع ساكنيه ، فلم يكن فيه راحة ودعة كما كان الأمر فى الحجاز ولكن اختلفت الأهواء وتعددت المنازع ، والشعر لسان كل حزب ، كما ظهر فيه الهجاء الشخصى فى أوضح صورة •

ففى العراق دارت أكبر معركة أدبية فى التاريخ الأدبى كله ، بدأت بين جرير والفرزدق وتدخل فيها الراعى والأخطل وشغلت المجالس بأشعارهما فجاءت الأحكام عليهما متفاوتة ومتضمنة بعض خصائص الرجلين ، طلب من الصلتان العبدى ان يحكم بين الفرزدق وجرير فأنشأ

(1) لأغانى 4 : 222

(2) الاغانى 1 : 97 ط الاستقامة فى اخبار ابن سريج

فيهما عينيته الطويلة ولا أبعد إنه أطل قصيدته لينال شهرة الرجلين ومنها :

سأقضى قضاء بينهم غير جائر

فهل أنت للحكم المبين سامع

قضاء امرئ لا يتقى الشتم منهم

وليس له في المدح منهم منافع

قضاء امرئ لا يرتشى في حكومة

إذا مال بالقاضي الرشا والمطامع

وبعد أن يعد بالعدل في الحكم ، وانه سوف يصدر رأيه مجردا عن

الهوى يقول :

جرير أشد الشاعرين شكيمة

ولكن علتة الباذخات الفوارع

ويرفع من شعر الفرزدق أنه

له باذخ لذى الخسيصة رافع

ثم يوهم بأن الفرزدق تملقه وناشده أن يقف بجانبه وأن يحكم له

على صاحبه :

يناشدني النصر الفرزدق بعدما

ألحت عليه من جرير صواقع

فقلت له : انى ونصرك كالذى

يثبت أنفسا كشمته الجوادع (1)

وبلغ من أمرهما أن تنازع فيهما رجلان في عسكر المهلب فارتفعا اليه

وسألاه فقال : لا أقول بينهما شيئا ولكنى أدلكما على من يهون عليه

سخطهما •• أما أنا فما كنت لأعرض نفسى لهما • وانتهت القصة بالحكم

لجرير على صاحبه (2) •

(1) الشعر والشعراء 1 : 475 (2) الاغانى 8 : 7 — 8 دار الكتب

ويبدو أن الفارسين كانا يجريان في عنان واحد، شهد بذلك الفرزدق نفسه وإن نسب لنفسه القدرة على الإطالة فقال : انى وإياه لنعترف من بحر واحد وتضطرب دلائه عند طول النهر (1) وقال رجل من بني دارم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فراس ، هل تعلم اليوم أحدا يرمى معك ؟ فقال : لا والله ما أعرف نابجا الا وقد استكان ، ولا ناهشا الا وقد انحجر الا القائل :

فان لم أجد في القرب والبعد حاجتى
تشأمت أو حولت وجهى يمانيا

الى آخر القصيدة وهى لجريير (2) *

وبينما كان يونس بن حبيب ، والمفضل الضبي يقدمان الفرزدق فان يونس كان يعترف بأن المجالس كانت تعقد للنظر في الحكم بينهما فما شهد مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق فأجمع أهل المجلس على أحدهما ، (3) وعند حماد الراوية لم ترجح كفة أحدهما على صاحبه فقد أنشده الفرزدق وسأله : هل أتيت جريرا ؟ قال : نعم ، فسأله : فأنا أشعر أو هو ؟ قال : أنت في بعض الأمر وهو في بعض (4) *

واستطاع الأخطل حين وافته المناسبة أن يدخل الحلبة وأن يجرى جريهما وأن يقرن معهما وأن يأتى سابقا أحيانا ، يروى ابو العساكر قال : كنا بباب سلمة بن عبد الملك فتذاكرنا الشعراء الثلاثة فقال أصحابى : حكمناك وتراضينا بك ، فقلت نعم ، هم عندي كأفراس ثلاثة أرسلتهن فى

(1) الاغانى 8 : 8

(2) الاغانى 8 : 36

(3) طبقات فحول الشعراء 251

(4) الاغانى 8 : 36

رهان ، فأحدها سابق الدهر كله ، وأحدها مصلّ وأحدها يجيء أحيانا
سابق الريح واحدها سكيتا وأحيانا متخلفا ، فأما السابق فى كل حالاته
فالاختل ، وأما المصلّى فى كل حالاته فالفرزق ، وأما الذى يسبق الريح
أحيانا ويتخلف أحيانا فجرير (1) .

الهجاء

والمعركة التى دارت بين جرير والفرزدق واشترك فيها الاختل
والراعى أقامت دعائم فن الهجاء ، وأعلت شأنه حتى تمنى الشاعر أن
يعرف بهذا الوجه من الشعر ، ولقد حاول بشار بن برد أن يربط سببه
بجرير عن طريق هذا الفن .

ولقى ابن ميادة الشاعر ابن هرمة ، فقال ابن ميادة لصاحبه : والله
لقد كنت أحب أن ألقاك ، لا بد من أن تتهاجى ، ولقد فعل ذلك الناس
قبلنا فقال ابن هرمة : بس والله ما دعوت اليه وأحبته - وهو يظنه
جادا - ثم قال له ابن هرمة : أما والله اننى للذى أقول :

انى ليمون جوارى وانسى
إذا زجر الطير العدا لمشوم
وانى لملان العنان مناقل
إذا ما ونى يوما الفّ سثوم
فود رجال أن أمى تقنعت
بشيب يغشى الرأس وهى عقيم

فقال ابن ميادة : وهل عندك جراء ؟ (أى وهل فىك فتوة) ثكلتك

أمك • أنت الأم من ذلك ، ما قلت الا مازحا (1) •

وكان الفحول من الشعراء يتطلعون الى التعلق بهم أو يرتبط
سببهم بواحد منهم فيعلو ذكرهم ، وكان من هاجى جريرا فغلبه جرير أحسن
منزلة عندهم ممن هاجى شاعرا آخر فغلب ، مر راكب بالراعى وهو يغنى :

وعاوم عوى من غير شىء رميته

بقارعة أنفاذها تقطر الدما

خروج بأفواه البرواة كأنها

قرا هندوانى اذا همز صمما

فأتبعه الراعى رسولا يسأله : لمن البيتان ؟ قال : لجرير • قال : لو
اجتمع على هذا جميع الجن والانس ما أغنوا فيه شيئا ، ثم قال لمن حضر :
ويحكم ألام على أن يغلبنى مثل هذا ؟ (2)

وأراد منازل بن ربيعة (اللعين المنقرى) أن يرتفع شأنه فلم يجد لذلك
من وسيلة الا أن يقحم نفسه بين الرجلين (جرير والفرزدق) وأن ييدأهما
المشاكسة لعل أحدهما يجيبه فيرتفع ذكره فقال فيهما :

سأقضى بين كلب بنى كليب

وبين القين قين بنى عقال

فان الكلب مطعمه خبيث

وان القين يعمل فى سفال

وقد حسر البعيث وأقعدته

لثيمات المناخر والسبال

(1) الاغانى 4 : 369 — 370

(2) الاغانى 8 : 9

ويترك جده الخطفى جرير

ويندب حاجبا وبني عقال

يقول يونس : فلم يلتفتا لفنة ، وأراد أن يذكره فيرفعه ذلك (1) •

ويقول بشار : هجوت جريرا فأعرض عنى واستصغرنى ، ولو

أجابنى لكنت أشعر الناس (2) •

فلم يكن أمام الشعراء الفحول الا أن يجتمعوا يظهر بعضهم بعضا للوقوف امام جرير - أقول الفحول لأن أخبارا كثيرة تشير الى شعراء وقموا رغبة فى هذه المنزلة فلم ينالوا شيئا وانصرف عنهم جرير امتنانا لهم واستصغارا لشأنهم - أما الفحول فان الأصمعى يحكى من أخبارهم وقد ذكر جريرا فقال : (كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعرا فينبذهم وراء ظهره ويرمى بهم واحدا واحدا *** وثبت له الفرزدق والاخلط) (3) •

وسمع الحجاج بأمر جرير بعد أن كتب له عامله الحكم بن أيوب بن يحيى أنه قدم على أعرابي شيطان من الشياطين - فاستدناه الحجاج معجبا به وابتدره قائلا : ايه يا عدو الله علام تشتم الناس وتظلمهم ؟ فقال جرير : جعلنى الله فداء الامير ، والله انى ما أظلمهم ، ولكنهم يظلموننى فانتصر ، ما لى ولا بن أم غسان ! وما لى وللبعيث ! ، وما لى وللفرزدق ! ، وما لى وللأخلط ! ، وما لى وللتيمى ! حتى عددهم واحدا واحدا فقال الحجاج : ما أدرى ما لك ولهم ! قال : أخبر الامير أعزه الله • أما غسان فانه رجل من قومي هجاني وهجا عشيرتى وكان شاعرا •
قال : فقال لك ماذا ؟

(1) طبقات فحول الشعراء 342 — 343

(2) الاغانى 3 : 143

(3) الاغانى 8 : 8

قال : قال لى :

لعمري لئن كانت بجيلة زانها
جرير (1) لقد أخزى كليب جريرها
رميت نضالا عن كليب فقصرت
مراميك حتى عاد صفرا جفيرها
ولا يذبحون الشاة الا بميسر
طويل تناجيتها صغار قدورها
قال : فما قلت له ؟ قال : قلت :

الا ليت شعري عن سليط ألم تجد
سليط سوى غسان جارا يجيرها
فقد ضمنوا الاحساب صاحب سوءة
يناجى بها نفسا خيئنا ضميرها

الى آخر القصيدة (2) وعلى هذه الصورة أخذ الحجاج يسأل ،
وجرير يحكى فى خبر طويل تناول فيه موقفه مع البعيث ، والفرزدق ،
والاخطل ، وعمر بن لجأ التيمى وسراقة بن مرداس البارقى ، والمستنير بن
سبرة العبرى ، وراعى الابل ، والعباس بن يزيد الكندى ، وجفنة الهزاني
ابن جعفر بن عباية ، والمرار بن منقذ و قال جرير : وطلع الصبح
فنهض ونهضت قال : فأخبرنى من كان قاعدا معه أنه قال : قاتله الله
أعرايا ! انه لجرو هراش (3) .

هذه أمكنتهم فى نوع واحد من الهجاء ، هو الهجاء الشخصى ، أما
ما كان من أمر الأحزاب فأوسع مدى وأكثر نشاطا .

(1) هو جرير بن عبد الله البجلي

(2) الاغانى 8 : 15 (3) الاغانى 8 : 28

الخوارج (❦)

هذه التسمية كما جاء فى كتاب الملل والنحل للشهرستانى تطلق على كل من خرج على الامام الحق الذى اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج فى ايام الصحابة على الائمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين (1) .

وأول من خرج على أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه جماعة ممن كان معه فى حرب صفين ، وأشدّهم خروجاً عليه الأشعث بن قيس ، ومسعود بن فدكى التميمى ، وزيد بن حصين الطائى - ثم تفرق الخوارج بحسب معتقداتهم الى ست فرق رئيسية واشتدت شوكة بعضهم حتى بويع بالخلافة أو أطلق عليه اسم أمير المؤمنين فبويع بالامامة عبد الله ابن وهن الراسبى ، وقطرى بن الفجاءة المازنى وسمى أمير المؤمنين ، ونجدة بن عامر الحنفى ولك أن تتصور خطر الخوارج اذا علمت ان المهلب ابن أبى صفرة قد اشتبك فى حرب معهم تسع عشرة سنة .

استطاع معاوية أن يصانع الناس واسم يبق أمامه الا ابن الزبير والخوارج وعلى رأسهم فروة بن نوفل الذى هزم أمام رجال الامويين سنة 41 هـ - وفى سنة 45 هـ كان على البصرة زياد بن أبيه وعلى الكوفة المغيرة بن شعبة فنكلا بالخوارج - ثم تولى زياد امر المدينتين ، ثم خلفه عبيد الله بن زياد فاشتد على الخوارج وقتل منهم جماعة كثيرة - ثم خرج

(★) اقرأ فى اخبار الخوارج من صفحة 202 وما بعدها من كتاب الاخبار الطوال ، وفى أشعارهم الجزء الثالث من كتاب الكامل للمبرد

(1) الملل والنحل للشهرستانى ص 155 على هامش الفصل فى الملل والنحل لابن حزم

مرداس ابو بلال وهو من ربيعة بن حنظله فى أربعين رجلا الى الأهواز
فبعث اليهم ابن زياد جيشا فهزموه فقال رجل من بنى تميم الله بن ثعلبة :

أألفا مؤمن منكم زعمتم
ويقتلهم بأسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم
ولكن الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة قد علمتم
على الفئة الكثيرة ينصروننا (1)

ولكن عبيد الله تعقبهم ، وفر أكثرهم الى بلاد الحجاز فتلقاهم ابن
الزبير وبين لهم أنه يرى رأيهم ولم يطل هذا الوثام عندما تبين لنافع بن
الازرق أنه لا يرى رأيهم فذهب بهم الى البصرة أولا ثم الى شرق العراق
ثانيا ، وكان للمهلب بن أبى صفرة وقائع مشهورة فى محاربة الخوارج ،
ولقد تركت هذه الاحداث ميراثا وفرا من الشعر ، وكان الخوارج حقيقة
— وأكثرهم من بنى تميم — يجمعون الى خلوص عروبتهم ايماننا عميقا
بمذهبهم وحسبك من أشعارهم مختارات ولمن اراد السعة فليطلبها فى
المراجع التى أشرنا اليها .

يقول قطرى بن الفجاءة وهو رجل مازنى تميمى يحدث نفسه
ويلومها :

أقول لها وقد طارت شعاعا
من الابطال ، ويحك لن تراعى
فانك لو سألت بقاء يوم
على الأجل الذى لك لم تطاعى

(1) تاريخ الطبرى 4 : 232 حوادث سنة 58 ، والاخبار الطوال 269

فصبرا فى مجال الموت صبـرا
فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب الحياة بثوب عز
فيطوى عن أخى الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حى
وداعيه لأهل الأرض داعى
ومن لا يغتبط يسأم ويهرم
وتسلمه المنون الى انقطاع
وما للمرء خير فى حياة
إذا ما عد من سقط المتاع (1)

ولما شدد المهلب بن أبى صفرة الخناق على الخوارج ارتجز رجل
منهم :

حتى متى يتبعنا المهلب
ليس لنا فى الأرض منه مهرب
ولا السماء أين أين المذهب
فلما سمع قطرى بكى ووطن نفسه على الموت وباشـر الحرب بنفسه
وهو يرتجز :

حتى متى تخطئنى الشهادة
والموت فى اعناقنا قلادة
ليس الفرار فى الوغى بعادة
يارب زدنى فى التقى عبادة
وفى الحياة بعدها زهادة (2)

(1) وفيات الاميان 3 : 256

(2) الاخبار الطوال 276 — 277

وكان من شعرائهم عمران بن حطان وقد عرف بكراسته للرياء يقول :

أيها المادح العباد ليعطى
ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم
وارج فضل المقسم العواد
لا تقل فى الجواد ما ليس فيه
وتسمى البخيل باسم الجواد
وهو القائل حين قتل مرداس بن ادية :
لقد زاد الحياة الى بغضا
وحبا للخروج ابو بلال
احاذر أن أموت على فراشى
وأرجو الموت تحت ذرى العوالى
ولو أنى علمت بأن حتفى
كحتف أبى بلال لم أبال
فمن يك همه الدنيا فانى
لها - والله رب البيت - قالى
وله فى تأيينه كلام آخر (1)

وكان الطرماح بن حكيم يرى رأى الخوارج الشراة ومن شعره فى
هذا الوجه :

لقد شقيت شقاء لا انقطاع له
ان لم افز فوزة تنجى من النار
والنار لم ينج من روعاتها احد
الا المنيب بقلب المخلص الشارى

(1) الكامل للمبرد 3 : 896 ط الحلبى سنة 1937

أو الذى سبقت من قبل مولده
له السعادة من خلاقتها البارى (1)

ولقد أورد المبرد نخبة من أشعار الخوارج فى كتاب الكامل كما
أورد أبو حنيفة الدينورى مجموعة أخرى فى كتاب الأخبار الطوال نكتفى
بالاحالة اليها للإيجاز ، ولم تقف هذه الثروة الأدبية عند آثار الخوارج
وانما نجد بقيتها عند معارضيهم * * فلقد عاب قيس بن همام وهو رجل من
رھط الفرزدق مسلك ابن الزبير فى تقبله لهم فكاتبه بقوله :

يا بن الزبير أتھوى عصابة قتلوا
ظلما أباك ولم تنزع الشكك
ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية
ما أعظم الحرمة العظمى التى انتهكوا

فقال ابن الزبير : لو شايئنى الترك والديلم على قتال أهل الشام
لشايئتها (2) *

ولما استشرى أمر الخوارج بحث الامويون عن قائد يتصدى لهم
فانتھوا الى المهلب وفى ذلك يقول ابن عرادة البصرى :

إذا قيل من يحمى العراقين أو مات
اليه مَعَدٌ بالأكف ، وقحطان
فذاك امرؤ ان يلقھم يطف نارهم
وليس لها الا المهلب انسان (3)

(1) الشعر والشعراء 2 : 571 — 572

(2) الكامل للمبرد 3 : 1029 ط الحلبي سنة 1937

(3) الاخبار الطوال 271

ولما هزمهم المهلب بنهر تستر أنشد زياد الأعجم :
جزى الله خيرا والجزاء بكفه
أخا الازد عنا ما أذب وأحربا
الى أن يقول :

فلما رأينا القوم قد كل حدهم
لدى حربهم فيها دعونا المهلبا
وبلغ أهل البصرة أن المهلب قتل فرج المصر بأهله ، وهم أميرها
الحارث بن أبي ربيعة يالهرب فكتب اليه رجل من بنى يشكر :
أيا حاريا بن السادة الصيد هب لنا
مقامك لا ترحل ولم يأتك الخبر
فان كان أودى بالمهلب يومه
فقد كسفت في أرضنا الشمس والقمر
ومالك من بعد المهلب عرجة
ومالك بالمصرين سمع ولا بصر
فدونك فالحق بالحجاز ولا تقم
بيلدتنا ان المقام بها خطر
وان كان حيا كنت بالمصر آمنا
وكان بقاء المرء فينا هو الظفر

وقال رجل من بنى سعد :
الا كل ما يأتى من الامر هين
علينا يسير عند فقد المهلب
الى آخر القصيدة - فأقبل رسول الى أهل البصرة يشرهم بسلامة
المهلب فقال رجل من بنى ضبة :

ان ربا أنجى المهلب ذا الطو
 ل لأهل" ان تحمدوه تيرا
 لا يزال المهلب بن أبي صف
 رة ما عاش بالعراق أميرا
 فاذا مات فالرجال نساء
 ما يساوى من بعده قطميرا
 قد أمتنا بك العدو على المص
 ر ووقرت منبرا وسريرا (1)
 ولما ظهر المهلب على الازارقة وجه بشر بن مالك الحرسى الى الحجاج
 يبشره بالفتح فأحال الحجاج الخبر الى عبد الملك وفيه يقول بشر بن مالك:
 قد حسمنا داء الازارقة الده
 ر فأضحوا طرا كآل ثمود
 بطعان الكمأة فى ثغر القو
 م وضرب يشيب رأس الوليد
 كلما شئت راعنى قطرى
 فوق عبل الشوى أقب عنود
 معلما يضرب الكتيبة بالسي
 ف، وعمرو كالنار ذات الوقود (2)
 رومى رجل من اصحاب المهلب قطرى بن الفجاءة بالكفر ووجه اليه
 قوله :

سائل بنا عمرو القنا وجنود
 وأبا نعمة سيد الكفار (3)
 الى غير ذلك .. والشعر وفير حول الخوارج واخبارهم •

(1) الاخبار الطوال 274 (2) الاخبار الطوال 279 •

(3) الكامل للمبرد 3 : 173 ط الحلبى

وكان يكفينى مجرد الإشارة الى شعر الخوارج كرافد من روافد الشعر يعين فى مناقشة القضية التى نعد للكلام فيها ، وهل كان الشعر قليلا حقيقة بعد الدعوة كما يبدو من ظاهر كلام ابن سلام وقد هممت أن أقصر ما أطلت ، ولكن كان لشعر الخوارج اصالة عربية كما كانت دوافعه اسلامية أيضا .

الشيعة

هم الذين شايعوا عليا عليه السلام وقالوا بامامته ووجوب الخلافة فى أهل البيت . ولقد اعتنق مذهب الشيعة شاعران كبيران ودافعا عنه هما : السيد الحميرى ، وكثير بن عبد الرحمن .

فأما السيد فهو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى وكان شاعرا متقدما مطبوعا مكثرا وأحد ثلاثة عرفوا بوفرة الشعر فقال ابو الفرج بسنده : أكثر الناس شعرا فى الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد ، فانه لا يعلم ان احدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع (1) وحدث الموصلى عن عمه فقال (جمعت للسيد فى بنى هاشم الفين وثلاثمائة قصيدة فخلت أنى قد استوعبت شعره حتى جلس الىّ يوما رجل ذو أطمار رثة فسمعتنى أنشد شيئا من شعره فأنشد له ثلاث قصائد لم تكن عندى ، فقلت فى نفسى : لو كان هذا يعلم ما عندى كله ثم انشدنى بعده ما ليس عندى لكان عجيبا فكيف وهو لا يعلم وانما أنشد ما حضره ، وعرفت حينئذ ان شعره ليس مما يدرك ولا يمكن جمعه كله (2) .

(2) الاغانى 7 : 237

(1) الاغانى 7 : 229

ولكبار الرواة رأى طيب فى شعر السيد الحميرى ، سمعه الأصمعى
 وكان يكره أصحاب المذهب فقال : قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول ،
 لولا مذهبه ولولا ما فى شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته • وجاء رأى
 أبى عبيدة فى حكاية لعمر بن شبة فيقول : أتيت أبا عبيدة معمر بن المثنى
 وعنده رجل من بنى هاشم يقرأ عليه كتابا ، فلما رآنى طبقه فقال له أبى
 عبيدة : ان ابا زيد ليس ممن يحتشم منه فاقرا ، فأخذ الكتاب وجعل
 يقرؤه فاذا هو شعر السيد فجعل أبو عبيدة يعجب منه ويستحسنه - قال
 ابو زيد وكان أبو عبيدة يرويه ، وسئل يوما من أشعر المولدين ؟ فقال :
 السيد ، وبشار (1) •

وكان بشار بدوره يعرف قدر السيد الحميرى وقال فيه يوما : لولا
 أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بنى هاشم لشغلنا ، ولو شاركنا فى
 مذهبنا لأتعبنا (2) • ويقول العتبى (ليس فى عصرنا هذا أحسن مذهباً فى
 شعره ولا أنقى ألفاظاً من السيد ثم قال لبعض من حضر : أنشدنا قصيدته
 اللامية التى أنشدتناها اليوم ، فلما سمعها قال العتبى هذا والله
 الشعر الذى يهجم على القلب بلا حجاب) (3) •

ولم يكن رأى الأعراب فى شعر السيد بأقل من رأى الرواة
 والشعراء ، يدلك على هذا ما يحكيه الحسين بن ثابت قال : قدم علينا
 رجل بدوى وكان أروى الناس لجريير فكان ينشدنى الشيء من شعره
 فأنشد فى معناه للسيد حتى أكثرت ، فقال لى : ويحك ، من هذا ؟ هو والله
 أشعر من صاحبنا (4) أى أشعر من جرير •

(1) الاغانى 7 : 232 و 236 (2) الاغانى 7 : 237
 (3) الاغانى 7 : 237 (4) الاغانى 7 : 239

اعتنق الحميري مذهب الشيعة الكيسانية التي تقول بإمامة محمد
ابن الحنفية ويعتقدون أنه لم يمت ، وأنه بجبل رضوى ، وأنه يرجع الى
الدنيا فيملؤها عدلا ولقد ذكر السيد معتقدات الشيعة الكيسانية في
قصيدته الدالية :

أشأقتك المنازل بعد هند
وتربيتها وذات الدل دعد

ومن معتقداتهم أن هذا الامام هو المهدي المنتظر ، وأنه يقيم في جبل
رضوى بين أسد ونمر ، وعنده عينان نضاختان تجريان عسلا وماء ، وقد
حوت القصيدة السابقة بعض هذه المعتقدات :

ألم تر أن خولة سوف تأتي
بوارى الزند صافى الخيم نجد
يفغيب عنهم حتى يقولوا
تضمنه بطيبة بطن لحد
سنين وأشهرها ويرى برضوى
بشعب بين أنمار وأسد (1)

وجادل عن مذهبه هذا مجادلة شديدة فقد تحاور فيه مع محمد بن
على بن النعمان المعروف بشيطان الطاق فغلبه محمد الذي تنسب اليه
الطائفة الشيطانية وهي من غلاة الشيعة فقال السيد :

الا ايها الجدل المعنى
لنا ، ما نحن ويحك والعناء
اتبصر ما تقول وأنت كهل
تراك عليك من ورع رداء

(1) الافاني 7 : 233

الا ان الائمة من قريش
ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه
هم أسباطه والأوصياء
الى آخر القصيدة (1) .

وعرف عنه هذا الولاء لبني هاشم وكرهته للشيخين ولعثمان فكانوا
يثيرونه بذكرهم أو يعارضونه فيدخل في جدلهم ، يقول على بن المغيرة :
كنت مع السيد على باب عقبة بن سلم ومعنا ابن سليمان بن على ننتظره
وقد اسرج له ليركب اذ قال ابن سليمان بن على يعرض بالسيد : أشعر
الناس والله الذى يقول :

محمد خير من يمشى على قدم
وصاحباه وعثمان بن عفان
فوثب السيد وقال : أشعر والله الذى يقول :
سائل قريشا اذا ما كنت ذا عمه
من كان اثبتها فى الدين أوتادا
من كان أعلمها علما وأعلمها
حلمها وأصدقها قولاً وميعادا
ان يصدقوك فلن يعدو أبا حسن
ان أنت لم تلق للابرار حسادا (2)

وهو لا ينتظر من يجادله ليجرى لسانه فى مدح على وبنيه بل لا

(1) الاغانى 7 : 245 - ولكثير كلام كهذا ذكره الشهرستانى فى كتاب
الملل والنحل 1 : 245 على هامش كتاب الفصل ط مصر سنة
1317 هـ

(2) الاغانى 7 : 266

يكاد يسمع من أمرهم خبراً حتى يحيله الى قصيد ، وكان يأتي الاعمش فيكتب عنه فضائل علىّ ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً . خرج ذات يوم من عند بعض امراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه فوقف بالكناسة ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسى هذا وما علىّ ، فجعلوا يحدثونه وينشداهم حتى أتاه رجل منهم وقال : ان أمير المؤمنين عزم على الركوب فلبس أحد خفيه ثم أهوى الى الآخر ليأخذه فانقض عقاب من السماء فحلق ثم القاه ، فسقط منه أسود وانساب فدخل جحراً . وهذه قصة رويت في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن فيها شعر أعداء السيد فقال علىّ البديهة في فضائل علىّ :

الا يا قوم للعجب العجيب

لخف أبى الحسين وللحبيب

أتى خفاله وانساب فيه

لينهش رجله منه بناب

الى آخر القصيدة ، كما نظم قصة الحسن والحسين حين ركبا ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد (1) .

أما الشاعر الآخر الذي اعتنق مذهب الشيعة حتى كادت تختلط أشعاره بأشعار السيد الحميري فهو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن الأسود وكان مكثراً كذلك جيد الشعر جعله ابن سلام الجمحي في الطبقة الاولى من شعراء الاسلام وقرن به جريراً والفرزدق والراعي ، وتحدث عنه عبد الله بن أبي عبيدة فقال : من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره ، وكان يملأ شعر كثير ثلاثين ديناراً (2) .

(1) الاغانى 7 : 255 — 259

(2) الاغانى 9 : 5

وهو كالسيد الحميري يقول بامامة محمد بن الحنفية ومن قوله فيه :
 أقر الله عيني اذ دعاني
 أمين الله يلف في السؤال
 وأثنى في هواي على خيرا
 وساءل عن بني وكيف حال
 وكيف ذكرت حال أبي خبيث
 وزلة فعله عند السؤال
 هو المهدي خبرناه كعب
 أخو الاحبار في الحقب الخوالي

فلما قيل له : ألقيت كعبا ؟ قال : لا . قيل : فلم قلت خبرناه كعب ؟
 قال : بالتوهم (1) . وكان عبد الله بن الزبير قد أغرى بني هاشم فحبس
 ابن الحنفية في سجن عارم فتأثر كثير لذلك وقال :

من ير هذا الشيخ بالخيف من منى
 من الناس يعلم أنه غير ظالم
 سمى النبي المصطفى وابن عمه
 وفكأك أغلال ، ونفاع غارم
 أبي فهو لا يشرى هدى بضلالة
 ولا يتقى في الله لومة لائم
 ونحن بحمد الله نتلو كتابه
 حلولا بهذا الخيف خيف المحارم
 بحيث الحمام آمن الروع ساكن
 وحيث العدو كالصديق المسالم

(1) الاغانى 9 : 16 — 17

فما فرح الدنيا بباق لأهله
ولا شدة البلوى بضربة لازم
تُخَبَّرُ من لا قيت أنك عائد
بل العائد المظلوم فى سجن عارم (1)

وبالرغم من تشيع كثير فلقد كان عبد الملك يعظم شعره فكان يخرج له
لمؤدب ولده مختوما يرويهم إياه ويرده ، وسأله يوما : كيف ترى شعري يا
أمير المؤمنين ؟ قال : أراه يسبق السحر ويغلب الشعر (2) .
والتعريف بكثير مفصل فى أول الجزء التاسع من كتاب الأغاني وفيه
بالإضافة الى شعر التشيع أخباره مع صاحبه عزة .

الشعوية

وكان من سياسة الامويين التعصب للعرب يجعلون منهم الرؤساء ،
والقضاة ويحرمون ذلك على الموالي ، يدلك على ذلك هذه المعاتبة القاسية
التي وجهها الحجاج بن يوسف الثقفي الى سعيد بن جبير بعد أن فشلت
حركة ابن الاشعث (3) وكان سعيد بن جبير قد شارك فى ثورته .
قال له الحجاج : يا شقى بن كسير ، أما قدمت الكوفة وليس يؤم
بها الا عربى فجعلتلك اماما ؟

(1) الاغانى 9 : 15 — 16

(2) الاغانى 9 : 23

(3) خرج عبد الرحمن بن الاشعث عن طاعة الحجاج فى عهد عبد الملك
ابن مروان ودانت له كرمان والرى لولا ما بذله عبد الملك من جهد
وما ارسله من مدد للحجاج الى ان دارت الدائرة على ابن الاشعث
فى موقعة دير الجماجم بعد اكثر من ثمانين وقعة تساجل الفريقان
فيها .

قال : بلى

قال : أفما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء
الا لعربي فاستقضيت أبا بردة بن أبي موسى الأشعري وأمرته ألا يقطع
أمرا دونك ؟

قال : بلى

قال : أو ما جعلتك فى سمارى وكلهم من رؤوس العرب ؟

قال : بلى

قال : أو ما أعطيتك مائة ألف درهم لتفرقها فى أهل الحاجة ثم لم
أسألك عن شيء منها ؟

قال : بلى

قال : فما أخرجك على ؟ (1)

وذكر صاحب العقد الفريد أن نافع بن جبير بن مطعم قدم رجلا من
الموالى يصلى به فلامه رجل من العرب فقال : انما أردت أن أتواضع لله
بالصلاة خلفه واذا مرت به جنازة قال : من هذا ؟ فان قالوا قرشى قال :
واقوماه ، واذا قالوا : عربى قال : وابلوتاه ، واذا قالوا : مولى قال : هذا
مال الله يأخذ ما شاء ويدع ما شاء (2) •

وقال مولى لخالد بن صفوان : زوجنى امتك فلانة ، قال : قد
زوجتكها قال : أفأدخل الحى حتى يحضروا الخطبة ؟ قال : أدخلهم ، فابتدأ
خالد فقال : أما بعد ، فان الله أجل وأعز من أن يذكر فى نكاح هذين
الكلبين وقد زوجت هذه الفاعلة من هذا ابن الفاعلة (3) •

(1) الكامل للمبرد 1 : 297 ط الخيرية سنة 1308 هـ ، 2 : 81 ط
الازهرية

(2) العقد الفريد 2 : 63

(3) البيان والتبيين 2 : 250 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ،
سنة 1367 هـ 1948 م •

تبقظت النزعات القومية كرد فعل لمسلك الأمويين ، وعبر أكثرهم
 عن هذا الضيق شعرا - كان اسماعيل بن يسار النسائي منقطعا لآل الزبير،
 فلما أفضت الخلافة الى عبد الملك مدحه ومدح بنيه من بعده - تقيّة
 وتصنعا - استأذن على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يومها فحجبه سناعة
 ثم أذن له فدخل يبكي ، فقال له الغمر : مالك يا أبا فائد تبكى ؟ قال :
 وكيف لا أبكى وأنا على مروانيتي ومروانية أبي أجب عنك ! فجعل الغمر
 يعتذر اليه وهو يبكي فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قدر ، وخرج
 من عنده فلحقه رجل فقال له : أخبرني ويلك يا اسماعيل اي مروانية كانت
 لك أولايك ؟ قال : بغضنا اياهم ، امرأته طالق ان لم يكن يلعن مروان
 وآله كل يوم مكان التسبيح ، وان لم يكن ابوه حضره الموت فقيل له : قل
 لا اله الا الله فقال : لعن الله مروان تقربا بذلك الى الله تعالى وابدالا له
 من التوحيد واقامة له مقامه ! • وهو القائل في ذم العرب وفخره بالمعجم
 في قصيدته التي أولها :

ما على رسم منزل بالجناب
 لو أبان الغداة رجع الجواب
 يقول :

رب خال متوّج لى وعم
 ماجد مجتدى كريم النصاب
 انما سمى الفوارس بالفر
 س مضاهاة رفعة الأنساب
 فاتركى الفخر يا أمام علينا
 واتركى الجور وانطقى بالصواب
 واسألى ان جهلت عنا وعنكم
 كيف كنا فى سالف الاحقاب

اذ نربى بناتنا ، وتدسو
ن سفاها بناتكم فى التراب.(1)
وبلغت الجرأة باسما عيل بن يسمار أن يستنشده هشام بن عبد الملك
فينشده قصيدته :

يا ربع رامة بالعلياء من ريسم
هل ترجعن اذا حييت تسليمى
وفيها يفخر بنفسه وبالأعاجم فيقول :
انى وجدك ما عودى بذى خور
عند الحفاظ ولا حوض بمهدوم
أصلى كريم ، ومجدى لا يقاس به
ولى لسان كحد السيف مسموم
أحمى به مجد اقوام ذوى حسب
من كل قزم بتاج الملك معموم
ججاجع سادة بلج مرازية
جرد عتاق مساميح مطاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنود معا
والورمزان لفخر أو لتعظيم
أسد الكتائب يوم الروع ان زحفوا
وهم أذلوا ملوك الترك والروم
يمشون فى حلق الماذىّ سابعة
مشى الضراغمة الأسد اللهايم
هناك ان تسألى تنبئى بأن لنا
جرثومة قهرت عز الجرائم

(1) الاغانى 4 : 411 ط دار الكتب

فغضب هشام وقال له : يا عاض بظر امه ، أعلىّ تفخر ، واياي تنشد
قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ؟ (1)
وكان ابنه ابراهيم على ارث من طبيعة والده فقد شرب حب العجم
وكرهه العرب (2) .

ووفد يزيد بن ضبة موالى ثقيف على هشام بن عبد
الملك أيضا فلم يحسن لقاءه ، ويبدو أنه كان يشعر بهذه النزعة فيهم وكانت
نفسه غير مهينة للتسامح مع الموالى بصفة عامة فخرج يزيد يفخر بالعجم
فى قصيدة بدأها بقوله :

أرى سلمى تصد وما صدنا
وغير صدودها كنا أردنا
وفيها يقول مفتخرا :

ولينا الناس أزمانا طوالا
وسسناهم ، ودسناهم ، وقدنا
وأتلد مجدنا انا كرام
بحد المشرفية عنه ذدنا (3)

ومال بعض الموالى الى ابن الزبير ضيقا من معاملة الامويين فوجدوه
على عادته شحيحا - وهو القائل : انما بطنى شبر - فنفروا منه وعرض
به الضحاك بن فيروز الديلمى فقال :

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضة
وبطنك شبر أو أقل من الشبر
وأنت اذا ما نلت شيئا قضمته
كما قضمت نار الغضى حطب السدر

(1) الاغانى 4 : 423

(2) الاغانى 4 : 327

(3) الاغانى 6 : 96 — 97

فلو كنت تجرى أو تبيت بنعمة
قريباً لردتك العطوف على عمرو

وكان بشار بن برد (1) وهو من مخضرمي الدولتين يقول الشعر وهو
في العاشرة من عمره ، وقد شب على بغض العرب وتفتحت أحاسيسه على
هجاء الناس مذ كان طفلاً فكانوا يأتون أباه ويشكونه إليه فيضربه - فقال
له : يا أبت ، ان هذا الذي يشكونه مني إليك هو قول الشعر ، واني ان
المت عليه أغنيتك وسائر أهلي فان شكوني إليك فقل لهم : أليس الله
يقول : (ليس على الأعشى حرج) فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله
بشار فانصرفوا وهم يقولون : فقه برد أغيظ لنا من شعر بشار (2) *

وكان الرجل قلقاً متبرماً في ولائه للعرب كثير التلون ، مرة يفتخر
بولائه في قيس فيقول :

أمنت مضرة الفحشاء أنسى
أرى قيساً تضر ولا تضار
كأن الناس حين تغيب عنهم
نبات الأرض أخطأ القطار (3)
وقد كانت بتدمر خيل قيس
فكان لتدمر فيها دمار
بحى من بنى عيلان شوس
يسير الموت حيث يقال ساروا

-
- (1) هو بشار بن برد بن بهمن بن ازد كرد بن شروستان بن بهمن
ابن دارا بن فيروز
(2) الاغانى 3 : 208 ط دار الكتب
(3) جمع قطر وهو المطر

وما نلقاهم الا صدرنا
برىّ منهم وهم حرار (1)
ومرة يفتخر بولاء بنى عقيل فيقول :
اننى من بنى عقيل بن كعب
موضع السيف من طلى الاعناق
ومرة تغلب عليه طبيعته الكارهة للعرب المنتفضة من الولاء لهم
فيقول :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم
مولى العريب فخذ بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها
أهل الفعّال ومن قرّيش المشعر
فارجع الى مولاك غير مدافع
سبحان مولاك الأجل الأكبر (2)

ولما كان الشعر فن العربى وبضاعته كان على الموالى أن يأخذوا
أنفسهم به والمران عليه للحاق بالعرب أو الظفر بالمجد الأدبى ، ولقد حاول
بشار التعلّق بشاعر مرموق هو جرير لينشب الهراش بينهما فيسمو بهذه
المقارنة ولكن جريرا اعرض عنه امتهانا له (3) لا امتهانا لشعره فيما نعتقد .
ويبدو أن الامويين كانوا يدركون فيه صفته المتقلبة الكارهة للعرب
فكانوا يسكون أيديهم عنه - قصد سليمان بن هشام بن عبد الملك فى
حرّان ومدحه فلم يحظّ منه الا بقدر ضئيل رفضه ، وذهب الى العراق
معرضا بينى مروان قائلًا :

(1) ' حرار بالحاء شديدو العطش

(2) الاغانى 3 : 139

(3) الاغانى 3 : 143

فلقرب من تهوى وأنت متيسم
أشفي لدائك من بنى مروان (1)

ولم يكن حظه مع العباسيين بأحسن من حظه مع الامويين ، فحين
قامت الدولة العباسية لم يمنحها اخلاصه شأنه في ذلك شأن أكثر البصريين
الذين شايعوا العلويين فناوأها بقصيدته المعروفة :

أبا جعفر ما دزل عيش بدائم
ولا سالم عما قليل بسالم
ولقد تركت هذه القصيدة اثرها السيء في نفس رجال الدولة فلما
حاول الاتصال بأخي الخليفة العباس بن محمد أعرض الأخير عنه فقال
بشار يهجو :

ظل اليسار على العباس ممدود
وقلبه أبدا في البخل معقود
ان الكريم ليخفي عنك عسرته
حتى تراه غنيا وهو مجهود
وللبخيل على أمواله علل
زرق العيون عليها أوجه سود
اذا تكرهت أن تعطى القليل ولم
تقدر على سعة لم يظهر الجود
أورق بخير ترجى للنوال فما
ترجى الثمار اذا لم يورق العود
بث النوال ولا تسعك قلته
فكل ما سد فقرا فهو محمود (2)

(1) الاغانى 3 : 218 — 219

(2) الاغانى 3 : 159

فاذا اضطرته الحاجة عدل عن التصريح بهذه العداوة الى الكذب
 والمداهنة ، زعم أبو العالية أن بشارا قدم على المهدي فلما استأذن عليه
 قال له الربيع : قد أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئا من الغزل والتشبيب ،
 فادخل على ذلك . . . ثم انشده ما مدحه به بلا تشبيب ، فحرمه ولم يعطه
 شيئا ، ف قيل له : انه لم يستحسن شعرك ، فقال : والله لقد مدحته بشعر
 لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد ولكنه كذب أملئ لأني كذبت
 في قواصي (1) *

ثم لا يلبث أن يفخر بالفرس في قصيدة تكشف عن أعماقه :

هل من رسول مخبر
 عنى جميع العرب
 من كان حيناً منهم
 ومن ثوى فى التراب
 بأنتى ذو حسب
 عال على ذى الحساب
 جدى الذى اسموبه
 كسرى ، وساسان أبى

وهو لا يقف عند الفرس وحدهم ، وإنما يفخر بأى عظيم غير العرب
 فيقول وهو يدرك ما كان بين الفرس والروم :
 وقصر خالى اذا
 عدت يوما نسبي
 كم لى ، وكم لى من أب
 بتاجه معتصب

أشوس فى مجلسه
يُجشى له بالركب
ويقول فى ذم العرب :
ولا حدا قط أبى
خلف بعير أجرب
ولا أتى حظلة
يثبها من سغب
ولا أتى عرطمة
يخطها بالخشب
ولا شوينا ورلا
منضضا بالذنب
الى أن يقول :

انا ملوك اسم نزل
فى سالفات الحقب
ولا أحبه قال بيته المشهور :
الارض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة مذ كانت النار

وهو يدين بالرجعة ، ويكفر الائمة كما يحكى الجاحظ (1) ولكنها
مجوسية الفرس التى آمن بها فرارا من ولائه للعرب .

ونلمح هذا الاتجاه فى شعر أبى نواس ، فكل جميل عنده آت من
ناحية العجم يستوى فى ذلك المعنوى والمادى ، وأحيانا يضع مقارنة بادية
التحيز بين ما هو عربى وما هو أعجمى ، ولا بأس أن نضع أمامك شيئا من

هذا تاركين أكثره للإيجاز - ففي الوصف يشرب الخمر في كأس جميلة
محلاة بصورة فارسية ، ترى في قاعها كسرى ، وفي جنبات الكأس لوحة
بديعة وفيها وقف الرجال بعصيتهم يتحينون غفلة من مها لصيدها :

تدار علينا الكأس في عسجدية
حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى ، وفي جنباتها
مها تدرئها بالقسي الفوارس

واذ سمع صوتا في غمرة الصفو والسرور تمناء فارسيا لا عرييا
يجرى في وصف دمنة او في زجر طير :

فاسقنيها ، وغن صو
تا - لك الخير - أعجبا
ليس في نعت دمنة
لا ، ولا زجر أشاما

وهو لا يرى فيما أبقت العرب بديلا عن ميراث الأكاسرة :

تراث أبي ساسان كسرى ولم يكن
مواريث ما أبقت تميم ولا بكر

الى غير ذلك (1) *

(1) انظر مختارات الاغانى في الاخبار والتهانى ، اختيار ابن منظور
محمد بن مكرم 3 : 25 - 26 في اخبار ابي نواس سلسلة تراثنا
ط الحلبي سنة 1385 هـ 1966 م

الشعر السياسي

أما الشعر السياسي في العصر الاموي فقد تشعبت به السبل بعد أن فرق معاوية الكلمة ، وأعاد العصبية القبلية ، وأصهر الى اليمنيين ليشد بهم ازره ، وتتابعث الأحداث السياسية التي عصفت ببيت سفيان وكادت تعصف بالبيت الاموي كله لولا أن سنده مروان وبنوه ، وكان الشعر لسان الأحداث كلها ، ونحن نوجز القول في هذا المقال ونشير الى بواعث الشعر ومصادره لمن أراد المزيد والسعة .

لم يترك الامويون بابا للترغيب فيهم أو الحط من خصومهم الا طرقوه ، وكان الشعر من هذه الأبواب ، وكان سبيل الأخطل اليهم من هذا الوجه ، فقد اوعزوا اليه بهجاء الانصار وكان مجموعهم الى جانب العلويين فقال فيهم الأخطل :

لعن الاله بنى اليهود عصابة

بالجزع بين جلاجل وصوار

وأشار في هذه القصيدة الى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بقوله :

واذا نسبت ابن الفريعة خطته

كالجحش بين حمارة وحمار

فهاج الأنصار ودارت معركة شعرية اشترك فيها جمع منهم رد عليهم الأخطل جميعا وكان النعمان بن بشير أشدهم غضبا لا سيما انه كان قريب الصلة من معاوية ومن مؤيديه فذهب اليه مطالبا بقطع لسان الأخطل وهدد بنقض البيعة ، ومن كلامه :

معاوى الا تعطنا الحق نعترف

لحي الأزد مشدودا عليها العمام

فما لى ثأر دون قطع لسانه
فدوئك من يرضيه منك الدراهم
فما أنت والأمر الذى لست أهله
ولكن ولىّ الحق والأمر هاشم

ففزع الأخطل الى يزيد واستجار به ، فدخل يزيد الى أبيه فقال : يا
أمير المؤمنين هجوني وذكروك فجعلت له ذمتك وذمتى على أن رد عني •
فقال معاوية للنعمان : لا سبيل الى ذمة أبى خالد فقال الأخطل فى مدح
يزيد :

أبا خالد دافعت عني عزيمة
وأدركت لحمى قبل أن يتبددا

الى آخر القصيدة (1) •

ولم يقف الأخطل عند هجاء الأنصار وهو ينافح عن البيت الاموى
بل هجا قيسا أيضا - لا للعداوة بين قيس وتغلب كما تحكى بعض الأخبار،
ولكن لان القيسية رفضت البيعة لمروان بعد مؤتمر الجابية سنة ٦٤ هـ على
النحو الذى سنوضحه بعد قليل • تناول الاخطل فى قصيدته الطويلة :

الا يا اسلمى يا هند - هند بنى بدر
وان كان حيانا عدى آخر الدهر

معظم القبائل القيسية وهجاها واحدة واحدة فمن ذلك قوله :

وقد سرنى من قيس عيلان انسى
رأيت بنى العجلان سادوا بنى بدر

(1) طبقات فحول الشعراء 398

يريد أن الأمر قد انقلب رأساً على عقب ، فبنو العجلان من قيس ،
وبنو بدر من قيس فأصبح ضعفاؤهم سادة على كبارهم ، ويوجع بنى
العجلان بقوله :

وكنتم بنى العجلان ألام عندنا
وأحقر من أن يشهدوا علىّ الأمر
بنى كل دسماء الثياب كأنما
طلاها بنو العجلان من حمم القدر

ثم تعرض لسليم ، وعامر ، وغيرهم (1) . وبالاختصار اتصل سبب
الاختلاف بالامويين وأصبح شاعرهم يرى رأيهم ويمتدح فعالهم ، وظل
كذلك في عهد يزيد ، ومعاوية الثانى ، ومروان بن الحكم ثم ادناه عبد
الملك وقربه . فاذا تركنا الاختلاف — وشعره في السياسة وفير — مكتفين
بهذا الايجاز وجدنا في الأحداث المتلاحقة التى صاحبت الدولة الاموية ما
يدلّك على بواعث الشعر فى عهدها ، ونحن نعلم أن كل حادثة سياسية لا
تكاد تمر دون أن تعبر عن نفسها شعرا ، تأييدا لها أو نقضا عليها .

الاختلاف حول البيعة ليزيد

زين المغيرة بن شعبة لمعاوية أن يأخذ البيعة ليزيد ، وبايع رجال
الكوفة تحت ضغط المغيرة ، وحمل لواء المعارضة فى المدينة عبد الرحمن
ابن أبى بكر ، والحسين بن على ، وعبد الله بن الزبير ، فذهب معاوية الى

(1) القصيدة فى اكثر من خسين بيتا يمكن مراجعتها فى كتاب نقائض
جرير والاختلاف لابی تمام من ص 28 — 37 وقد نقضها عليه نقيع
ابن صفار القيسى بقصيدته :

الا حى هنذا بالنبى الى البشر

وكيف تحييها على النأى والهجر

نقائض جرير والاختلاف 38 ، النبى : الراية . البشر . اسم جبل

المدينة ، وخطب الناس وأوهمهم أن أقطاب الرجال فى المدينة قد بايعوا ،
فبايع الناس •

ومات معاوية وخلفه يزيد فكتب الى الوليد بن عتبة واليه على المدينة
أن يأخذ البيعة ممن حبسها عنه فبايعه عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن
عمر وامتنع عبد الله بن الزبير وفر الى مكة يعمل لنفسه ، وتلقى الحسين
ابن على رغبات أهل الكوفة بالخروج اليهم وكان فى ذلك نهايته وأصحابه
فى العاشر من محرم سنة 61 هـ فى كربلاء وترك موته اثرا سيئا معاديا
للامويين حين توحدت صفوف الشيعة •

ولم يمض عامان حتى ثار أهل المدينة فأرسل يزيد قائده مسلم بن
عقبة فنكل بأهل المدينة وخربها ثم توجه الى مكة حيث لاذ بها ابن الزبير •
ولم تخل هذه الاحداث من النشاط الشعرى تعبيرا عنها وعن آثارها •

نهاية بيت أبي سفيان وظهور بيت مروان

وتولى معاوية الثانى الحكم أربعين يوما واعتزل زاهدا فى الدنيا ،
وبموت معاوية الثانى انقسم الامويون فى دمشق لولا أن انعقد مؤتمر
الجابية سنة ٦٤ وقر قرارهم على أن تتم البيعة لمروان بن الحكم ، ثم لخالد
ابن يزيد ، ثم لعمر بن سعيد فاتحدت كلمة اليميين ورفضت قيس هذه
البيعة وآزرت ابن الزبير برئاسة الضحاك بن قيس الفهرى ، فسار مروان
الى الضحاك وأوقع به فى مرج راهط فاحتدم الخلاف بين اليمية والقيسية
فى كل البلاد الاسلامية وترك أثره الضخم فى الشعر فقال أبو ثمامة الكلبي
يظهر مروان بن الحكم :

اشهدكم أنى لمروان سامع

مطيع ، وللضحاك عاص مجانب

الى غير ذلك •

وقال مروان حين بويع له مشيرا الى الذين آزره من اليميين :

لما رأيت الامر أمرا نهبا يسرت غسان لهم وكلبا
والسكسين رجالا غلبا وطيشا تأبأه الا ضربا
والقن تمشى فى الحديد نكبا ومن تنوخ مشمخرا صعبا
لا يأخذون الملك الا غصبا وان دنت قيس فقل لا قربا (1)

وعلت أصوات اليميين ولكل قبيلة منهم شاعر أو شعراء يتحدثون بهذا النصر ومن ذاك ما يقوله عويج الطائي يمتدح كلبا وحميد بن بحدل فى عصبية كمصيبة الجاهلية :

لقد علم الاقوام وقع ابن بحدل
واخرى عليهم ان بقى سعيدها
يقودون أولاد الوجيه ولاحق
من الريف شهرا ما ينى من يقودها
فهذا لهذا ثم أنى لناقض
على الناس اقوالا كثيرا حدودها
فلولا أمير المؤمنين لأصبحت
قضاة أربابا ، وقيس عبيدها (2)

وما كادت قيس تجمع شتاتها تحت رئاسة زفر بن الحارث بعد هزيمتهم فى مرج راهط حتى أطلق شيطان الثأر لسانه قائلا قصيدته المشهورة :

(1) تاريخ الطبرى سنة 65 ، نقائض جرير والاخلط 17
(2) تاريخ الطبرى سنة 650

أرينى سلاحى - لا أبأ لك - اننى
أرى الحرب لا تزداد الا تماديا
وفيهما يعتذر عن فراره يوم مرج راهط :
فلم ترمنى نبوة قبل هذه
فرارى وتركى صاحبيّ ورائيا
عشية أعدو بالقران فلا أرى
من الناس الا من علىّ ولا ليا
ويتوعد القبائل اليمنية فيقول :
فلا صلح حتى تنحط الخيل بالقنا
وتثار من نسوان كلب نسائيا
الا ليت شعرى هل تصيين غارتى
تنوخا ، وحيى طيء من شفائيا (1)
ويعجب أن انصرف القوم عن ابن الزبير متجهين الى هذا الحى من
اليمنية :
أفى الله - أما بحدل وابن بحدل
فتحيى وأما ابن الزبير فيقتل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونه
ولما يكن يوم أغر محجل
ولما يكن للمشرفية فوقكم
شعاع كقرن الشمس حين ترجل (2)
فأجابه جواس بن قعطل ، وكان الثأر الأدبى لا يقل حرقة عن ثأر
الدم :

(1) تاريخ الطبرى سنة 65 ، نقائض جرير والاخلط 25

(2) تاريخ الطبرى سنة 65

لعدوى لقد أبقت وقية راھط
على زفر داء من الداء باقيا
الى آخر القصيدة (1) *

ونحن لا نبعد اذا قلنا أن الشعر الذى صدر حول قصور الامويين
كان له أكبر العون فى انتصارهم على عدوهم الأكبر عبد الله بن الزبير ،
لقد كانوا مبسوطى اليد يتألفون الشعراء بالمال كما يتألفون قبائلهم
بالمناصب ولك ان تتمثل هذا الاثر الضخم فى جانب الامويين لاننا لا نملك
حصره ولا ذكر اكثره اذا عرفنا ان عبيد الله بن قيس الرقيات كان الشاعر
الوحيد من مشاهير الشعراء الذى كان يؤازر الزبيريين ، وحتى هذا
الشاعر الواحد اضطرته الحاجة بعد مقتل مصعب بن الزبير الى مدح عبد
الملك ، ولم يتقبله عبد الملك قبولا حسنا لان شعره فى مصعب بن الزبير
كان من غرر القصائد وعيونها (2) *

وكان تعصب بعض الامويين لليمنية مسلکا من مسالك السياسة ،
وهى مسالك وعرة ذات حدين لذلك لم ينسوا فى يوم من الايام عصبيتهم
المضرية فما كاد الوليد بن يزيد يسمع أن واليه على العراق قتل خالد
القسرى اليمنى حتى سر بذلك وانطلق لسان الوليد يفخر بمضريته ويعبر
عن فرحته بذلك ويقول من قصيدة له :

شددنا ملكنا بينى نزار
وقوّمنا بهم من كان مالا

-
- (1) تاريخ الطبرى سنة 65
(2) راجع هذه القصائد فى الكامل للمبرد : 1 : 1490 ط الازهرية ،
وتاريخ الطبرى فى حوادث سنة 71

وهذا خالد فينا قتيلا
الا منعه ان كانوا رجالا ؟
ولو كانت بنو قحطان عربا
لما ذهبت صنائعه ضللا
ولا تركوه مسلوبا أسيرا
فحمله سلاسلنا الثقلا
ولكن المذلة ضعفتهم
فلم يجدوا لذتهم مقالا (1)

ولكن تعصبت اليمنية ، وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ،
وخلعوا الوليد بن يزيد وقتلوه ، وتشفى فيه محمد بن خالد قائلا :

قتلنا الفاسق المختال لما
أضاع الحق واتبع الضللا
يقول لخالد : الاحتمه
بنو قحطان ان كانوا رجالا
فكيف رأى غداة غدت عليه
كراديس " يشبهها الجبالا
الا ابلغ بنى مروان عنى
بأن الملك قد أودى فزالا (2)

واستمرت السلسلة الى آخرها تحمل الدماء والشر فجمع المضيرون
جمعهم وذهبوا الى مروان بن محمد وطالبوه بأن يثأر لابن عمه الوليد بن
يزيد وأمدوه بجنود من تميم وقيس وكنانة .

(1) الاخبار الطوال 348 فى قصيدة طويلة

(2) الاخبار الطوال 367 ،

وجرت هذه العدوى من الحاكمين الى الافراد فكان الكميّ يفخر
بقومه من نزار ويغمز القحطانيين :

لنا قمر السماء وكل نجم
تشير اليه ايدي المهتدين
وجدت الله اذ سمى نزارا
وأسكنهم بمكة قاطنين
لنا جعل المكارم خالصات
وللناس القفا ولنا الجينا
الى أن يقول :

وما وجدت بنات بنى نزار
حلائل أسوديناً وأحمريناً
يشير بذلك ان اليمنية أصورت الى الأحباش والى الفرس حين نزلا
بها + فيجيبه دعبل الخزاعي يشيد باليمنية ويغمز النزارية :
أفيقى من ملامك يا ظعينا
كفأك اللوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالى
يشيبن الذوائب والقرونا
وما طلب الكميّ طلاب وتر
ولكننا لنصرتنا هجيناً
لقد علمت نزار أن قومي
الى نصر النبوة فاخريناً

هذه نماذج من الشعر السياسى فى العصر الاموى ، أما حصره فأمر
لا نستطيع دركه الا أن نخلص له ، أما حصيلة الشعر - كما رأيت - وهى
عدة الرواة فهى ضخمة نكتفى منها بما أشرنا لنجلس الى محمد بن سلام
الجمحى لنرى رأيه فيما يقول من ذهاب الشعر وروايته .

مناقشة ابن سلام الجمحي

يحسن بنا أن نعرف بابن سلام قبل أن نأخذ في مناقشة القضية التي أثارها والتي أشرنا إليها في صدر هذا البحث حين علق على قول عمر بن الخطاب (كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه) بقوله :

(فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوها بالجهاد وغزو فارس والروم ولهمت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الاسلام وجاءت الفتوح ، واطمأنت العرب بالامصار ، راجعوا رواية الشعر فلم يؤولوا الى ديوان مدون ولا كتاب مكتوب والقوا^١ ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فحفظوا أقل ذلك وذهب عليهم منه كثير) (١) .

فمن هو ابن سلام ؟

هو ابو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي ، ولد بالبصرة في سنة مائة وتسع وثلاثين من الهجرة ، في بيت غلم ، فوالده من رجال الرواية وأخوه عبد الرحمن من رواة الحديث ، ومن هذا البيت أبو خليفة الجمحي ابن اخت محمد بن سلام .

سمع الجمحي من الأصمعي ، وأبى البيداء الرياحي الأعرابي ، وخلف الأحمر وأبى زيد الانصاري ، وأبى سرار الغنوي الأعرابي ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ، وعيسى بن عمر الثقفي ، وأبى الغراف الأعرابي ، والمفضل الضبي . ومعاوية بن أبي عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب - وتلميذ

(١) طبقات فحول الشعراء للجمحي 2

للجمحي شيخ الكوفيين احمد بن يحيى ثعلب ، ومن البصريين أبو حاتم السجستاني ، وأبو الفضل الرياشي ، وأبو عثمان المازني وهؤلاء الثلاثة يمثلون الطبقة الثانية من رواة اللغة بعد الاصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد . وترك من الكتب كما يحكى ابن النديم كتاب الفاضل ، وبيوتات العرب ، وطبقات الشعراء الجاهليين ، وطبقات الشعراء الاسلاميين ولعله يعنى بالكتابين الأخيرين كتاب فحول الشعراء الموجود بأيدينا الآن ، وعن ياقوت انه ترك كتابا في غريب القرآن .

والرجل على هذا الوجه من كبار الرواة ، وعاش قرب الفترة التي يدور حولها البحث في كنه الشعر الاسلامي وروايته ، وصاحب تصنيف في آثار الشعراء جاهليين واسلاميين فكان لا بد من الوقوف أمام التعليق الذي نسب اليه دون أن نجنح الى تأويل قريب نعلل به هذا التعارض بين رأى ابن سلام ووفرة الشعر الاسلامي . والامر الذي يسترعى الانتباه في تعليق ابن سلام هو ما يتبادر الى الفهم من أن العرب شغلوا عن الشعر وروايته بالجهاد والفتح ولم يعودوا الى طبيعتهم منه الا بعد ان اطمأنت العرب بالأمصار .

وابن خلدون يرى هذا الرأى في جزئية منه ، وعبرة ابن خلدون كما جاءت في الفصل الخسين من المقدمة كما يلي :

(..... ثم انصرف العرب عن ذلك - أى عن قول الشعر - أول الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ، وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه فأخرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض فى النظم

والنثر زمانا ، ثم استقر ذلك وأونس الرشد من الملة ، ولم ينزل الوحي في
تحرير الشعر وحظره ، وسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وأثاب عليه
فرجعوا حينئذ الى ديدنهم منه (1) •

أما المحذثون فلم يستريحوا الى ذلك • منهم الأستاذ كارلو نالينو
المستشرق الايطالى الذى رفض قول ابن سلام وقول ابن خلدون ، وقال
بالحرف الواحد : (هذان القولان لا يوافقان حقيقة الأمر البتة) ويقول .
(فاذا طالعت كتب التاريخ القديمة المطولة مثل سيرة الرسول لابن هشام ،
وكتاب المغازى للواقدي ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبرى وجدتكم كثرة
ما يرددونه من أشعار صدر الاسلام • ثم اذا تصفحتم كتب الادب القديمة
مثل كتاب الاغانى وغيره ألقتكم أن الآداب العربية لم تزل فى ذلك العصر
زاهية وأن الشعراء لم ينصرفوا عن أنواع قريضهم) (2)

ومن الباحثين المعاصرين الدكتور ناصر الدين الأسد ، ناقش كلام
ابن سلام وقسمه الى ثلاث قضايا :

- الصحيح منها أن القوم حفظوا أقل الشعر وذهب عنهم أكثره •
- والثانية قول ابن سلام انهم لم يؤولوا الى ديوان مدون ولا
كتاب مكتوب حين راجعوا رواية الشعر ، وهذه — فى نظر الدكتور
الأسد — قضية باطلة استنادا الى ما أشار اليه من مدونات •

ورأينا أنها حالات فردية لا تقيم عمادا لتقرير رأى خطير كهذا ولم
يثبت ان هذه المدونات كانت سندا فى الرواية •

(١) مقدمة ابن خلدون 530 ط بيروت سنة 1886 م

(٢) تاريخ الادب العربية لكارلو نالينو 86 — 87

— والثالثة فهي تلك التى نناقشها الآن وقول ابن سلام (فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب وتشاغلوا بالجهاد وغزو فارس والروم) فقد افترض لصواب هذا الرأى أن يكون ابن سلام قد اراد الرواية العلمية المنظمة — والا — فهو لا يقبل دعواه مستندا فى ذلك على وفرة الشعر الذى ساق أمثلة كثيرة له •

والقول عندنا أن الشعر الذى صدر فى الفترة الاسلامية الاولى كان غزيرا ، فنوازهه فى البادية ظلت كما كانت فى الجاهلية • وفى القرى كانت الدعوة وملابساتها من الحوافز على انشاده كدوافع جديدة على النحو الذى بسطنا القول فيه منذ قليل •

ولكن الرواية هى التى تسهلت بشواغل الجهاد والفتح ، فلقد كانت الرواية قديما شغلهم الشاغل وعلمهم الذى ليس عندهم علم أصح منه • وكان فى الجاهلية منزعان يلحّان فى أداء الرواية :

— العصبية القبلية •

— والاشباع الفنى •

اما العصبية القبلية فقد فقدت حداثتها ، وما تبقى منها بقى فى محيط مجتمع اسلامى لم يعد فيه الشيخ مطلق التصرف ، وأما الاشباع الفنى فقد أذهلهم أسلوب القرآن الكريم وأصاب حاستهم اللغوية ، واذا ارادوا أن يجتروا أشعار الاوائل على النحو الذى كانوا عليه فى الجاهلية صرفهم عن ذلك مجالس العلم ، وجهاد الفتح ، وفوق هذا ما تتصوره من طاقة للعقل الانسانى يعى فيه ما أدرك من شعر قديم ، فاذا أضاف اليه ما هو أحدث منه أثقل بذلك طاقته ولم يعد لتقديم لمعانه السابق فلا يلبث ان تضعف صورته أو ينسى ، فاذا أضفنا أن الزمان غفّى عن الجاهلية ومحا بعض

معالمها ، وجاءت تعاليم الاسلام تنسخ شيئا من عاداتها وتذكر مع كتب
التواريخ والسير ما هو أقرب الى المحدثين سببا ، والصق بهم نسبا وأدنى
الى ارحامهم قريبا كانت الدواعى الى حفظ الجديد أقوى من الاستمسك
بالقديم فاذا أصر الراوية على أن يمسك باليدين ، ويحتفظ بما كان وما
هو كائن ثقلت عليه علة الطاقة فلا يلبث أن يرضى بالأهم عوضا عن المهم ،
وفى التاريخ الادبى آيات قلائل علقت أجزاء منها بأذهان حفاظها وغابت
أجزاء أخرى •

جرى بين عبد الله بن الزبير وعتبة بن أبى سفيان لحاء بين يدى
معاوية فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة ويعرض بمعاوية حتى أطلال
وأكثر فالتفت اليه معاوية متمثلا وقال :

ورام بعوران الكلام كأنها

نوافر صبح . ففرتها المراتع

وقد يدحض المرء الموارب بالخنا

وقد تدرك المرء الكريم المصانع

ثم قال لابن الزبير : من يقول هذا ؟

فقال : ذو الاصبع •

فقال : أترويه ؟

قال : لا •

فقال : من هاهنا يروى هذه الأبيات ؟

فقام رجل من قيس فقال أنا ارويه يا أمير المؤمنين

فقال أنشدنى • فأثشده ، حتى أتى على قوله :

وساع برجليه لآخر قاعد

ومعط كريم " ذو يسار ومانع

وبان لأحساب الكرام وهادم
وخافض مولاه سيفها ورافع
ومغض على بعض الخطوب وقد بدت
له عورة من ذى القراة ضاجع
وطالب حوب باللسان وقلبه
سوى الحق لا تخفى عليه الشرائع
فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟
قال : سبعمائة •
قال : اجعلوها الفا • (1)

والحافظ الواعى كما ترى قد حصل على جائزة لانه أدرك ما لم
يدركه الآخرون وهو بعد هذا رجل من قيس ، وصاحب الشعر قيسى •

وفى قصة لعبد الملك بن مروان وهو يستعرض أحياء العرب ، وحول
ذى الاصبع أيضا ما هو أكثر دلالة على ذهاب الشعر والأخبار عن أذهان
الناس • يقول ابو الفرج ان عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله
مصعب بن الزبير جلس لعرض أحياء العرب وقال عمر بن شبة : ان مصعب
كان صاحب هذه القصة — فقام اليه معبد بن خالد الجدلى ، وكان قصيرا
دميما ، فتقدمه اليه رجل منا حسن الهيئة ، قال معبد : فنظر عبد الملك الى
الرجل وقال : ممن أنت ؟ فسكت ولم يقل شيئا ، وكان منا •

فقلت من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جديلة • فأقبل على الرجل
وتركنى •

فقال : من أيكم ذو الاصبع ؟
قال الرجل : لا أدري •

(1) الاغانى 3 : 100 — 101 ط دار الكتب

قلت : كان عدوانيا ، فأقبل على الرجل وتركني
وقال : لم سمى ذا الاصبع ؟
قال الرجل : لا أدري •
فقلت : نهشته حية فى أصبعه فبيست ، فأقبل على الرجل وتركني •
فقال : وبهم كان يسمى قبل ذلك ؟
قال الرجل : لا أدري •
قلت : كان يسمى حرثان ، فأقبل على الرجل وتركني •
فقال : من أى عدوان كان ؟
فقلت من خَلْفِهِ : من بنى ناج الذين يقول فيهم الشاعر :
وأما بنو ناج فلا تذكرتهم
ولا تتبع عينيكَ ما كان هالكا
إذا قلت معروفًا لصلح بينهم
يقول وهيب لا أسالم ذلكا
فأقبل على الرجل وتركني ، وقال : أنشدني قوله :
عذير الحى من عدوان
قال الرجل : لست أرويه •
قلت : يا أمير المؤمنين ، ان شئت أنشدتك
قال : ادن منى فانى أراك بقومك عالما •
فأنشدته فأقبل على الرجل وتركني •
وقال : كم عطاؤك ؟
فقال : القان •
فأقبل على فقال : كم عطاؤك ؟

قلت : خمسمائة •

فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الالفين لهذا والخمسمائة لهذا (1)
والذى تتصوره ان هذا الذى سئل ولم يجب ولم يدر كما يقول ،
مثل لجمهرة الناس ، والذى سئل أو تبرع بالاجابة هو الفرد فى افراد
عنوا بالحفظ لسبب أو لآخر كأن يكون معنيا بتاريخ قبيلته ، أو داعيا لها
مشيدا بشعرائها وأماثلها ووجه آخر تجدر الاشارة اليه بل تجب الاشارة
اليه هو ان هذا الحافظ الواعى لم يكن أمثل رجل فى قبيلته يدلك على
هذا أن عطاءه كان خمسمائة وكان عطاء الرجل الذى لم يدر الفين ، فان
تكن فى هذه القصة دلالة على ذهاب الشعر القديم وذبول الرواية فقد
أخذت مكانها بين الادلة على ذلك — وان كان فى نفسك منها شئ فقيما
يلى دليل آخر •

حكى عن الاصمعى أنه قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن قول
الشاعر :

زعموا أن كل من ضرب العيب

مر موال لنا وأنا الولاء

فقال : مات الذين يعرفون هذا — وأبو عمرو كما نعلم أستاذ
الاساتذة وشيخ الشيوخ. فى الرواية ، وسئل مرة أخرى عن قول امرئ
القيس :

نطعنهم سلكى ومخلوجة

كرّك لأمين على نابل

فقال : قد ذهب من يحسنه (2) •

(1) الاغانى 3 : 91 — 93 ط دار الكتب واقرأ خبرا مماثلا فى معجم

البلدان 1 : 362 للقاضى سوار بن عبد الله بن سوار

(2) الزهر 323 — 324

فالرواية على هذا الوجه قد ثقل عليها الحمل والاستظهار على النحو الذى كان سائداً فى الجاهلية عندما كان الشعر عندهم هو علمهم الأمثل ، أما وقد شارك هذا العلم علوم أخرى جاء بها القرآن والسنة ، وواجب أكثر شغلا وهو واجب الفتح فالقول ما قال ابن سلام حينما نعتقد أنه يعنى أن القوم شغلوا بالجهاد عن الرواية لا عن القريض •

وبعد • فإذا استتقر رأى الذى نراه تفسيرا لعبارة ابن سلام من أنه كان يعنى توقف الرواية لا توقف القريض استطعنا أن نعود الى عبارة ابن سلام تحت هذا التفسير فنجدها مستقيمة لا عوج فيها ، فكما قلنا ان الشعر كان على انطلاقة فى صدر الاسلام كما كان فى الجاهلية ، بل زيد بسبب الملابس الاسلامية ولدينا من أخبار الشعر فى الاسلام أنه كان من الكثرة بحيث يتعذر دركه - لضعف الرواية الادبية أيضا - من ذلك ما يقوله عبد الله بن أبى عبيدة (من لم يجمع من شعر كثير ثلاثين لامية فلم يجمع شعره •• وكان ابن ابى عبيدة يحكى شعر كثير بثلاثين دينارا (1) وفى أخبار السيد الحميرى يقول ابو الفرج (••••• وكان شاعرا متقدما مطبوعا • يقال ان اكثر الناس شعرا فى الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار وابو العتاهية والسيد فانه لا يعلم ان احدا قدر على تحصيل شعر منهم أجمع) (2) وكلهم كما ترى اسلامى •

أما ما يقول به الدكتور ناصر الدين الاسد وقد افترض لصواب رأى ابن سلام انه يعنى الرواية المنظمة فائنا لا نفهم ما يعنيه بالرواية المنظمة ، والذى نفهمه أن هناك نوعين من الرواية :

(1) الاغانى 9 : 5

(2) الاغانى 7 : 229

– الرواية الادبية •

– الرواية اللغوية •

الاولى هى التى يعينها ابن سلام وقد سارت على نهجها منذ كانت فى الجاهلية والتى أمكن تتبعها الى مائة وخمسين سنة تقريبا قبل الهجرة ، واستمرت بعد الاسلام على النحو الذى بيناه فى الباب الاول ، ناشىء يحس بالموهبة الفنية تربو فى صدره فيلزم شاعرا يتلمذ له ويروى شعره ، والى جانب هذا اللون افراد من القبيلة يرددون الشعر قصدا للمتعة الفنية، أما خارج نطاق القبيلة فكانت الاسواق محط أنظار الشعراء والرواة يعلنون فيها عن آثارهم وقد يتخذونها مادة للمخاصمة والمنافرة •

أما الرواية المنظمة فهى الرواية اللغوية وهذه نشأت عن دواع غير عربية فى أكثر الأحيان حين دخل العربى وغير العربى فى دين الله ووجدوا أنفسهم أمام اصول اجملها القرآن فعادوا يتعرفون على صحيح العربية من خلال الشعر ، ووضعت للرواية اللغوية الاصول والنظم فى التوثيق والسند الى غير ذلك ، وهذه كما قلنا لا يعينها ابن سلام لانها نشأت فى بداية القرن الثانى الهجرى •

الفصل الرابع

اتجاهات الرواة

والرواة هنا - حتى لا يلتبس عليك الامر - هم رواة اللغة ، فقديما سمعنا عن رواة الشعر ، منهم من كان يتبع شاعرا بعينه ، يحفظ اشعاره ويردها على جهة التلمذة له ، ومنهم من كان يروى الشعر عامة - اشباعا لنزوع فنى او رغبة فى نقل هذا الفن •

وهناك رواة الحديث - حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد اعدوا لهذا الوجه اصولا تتفق مع ما هم بسبيله على النحو الذى تحدثنا عنه فى باب الحديث •

ونحن الآن امام لون جديد ، فى مجتمع جديد • امام صنف من الرواة يتجهون الى جمع اللغة وتوثيق صحيحها ، هم رواة اللغة لم يكونوا بالامس - فلقد كان القوم عربا يتحدثون العربية بفطرتهم تدور على السنة الخلف كما دارت على السنة السلف من غير عمد الى تعلم ، ثم

ما لبثت الأرض أن رحبت وامتدت أطرافها وشملت الجزيرة وغير الجزيرة
وخرج العربى مجاهدا الى هذه الاطراف او مهاجرا اليها وما لبث أن دخل
غير العربى فى هذا المجتمع الجديد مسلما او غير مسلم ، وهو فى كل
الاحوال ملتزم بلغة هذا المجتمع ، الا يقيم بها عباداته وصلاته فيها تدور
أصول معاشه وحياته ، والعرب من وراء كل هذا أحرص الناس على
لغتهم •

وجد رواية اللغة هذا الشعر الوفر يحمل اليهم الفاظ العريية
وتراكيها ، وكلما نسب الى القدم ازدادت الثقة به ، فأعلاه مرتبة هو ما
أدرکه التوثيق من شعر الجاهلية ، ثم ما جاء فى الصدر الاول من العهد
الاسلامى ، ثم ما أحاطته البادية بسياجها الى غير ذلك من شروط تستهدف
صحيح الشعر ليخلص لرواة اللغة صحيح العريية وكان لرواة اللغة فى هذا
مذاهب وآراء تشتد حيناً وتلين حيناً على النحو الذى نبينه بعد •

ابو عمر بن العلاء

من آراء اللغويين أن العرب احتفظوا بسليقتهم حتى نهاية القرن
الثانى للهجرة ، واتفق أكثرهم على أن يكون هذا التاريخ نهاية
الاحتجاج حين ارادوا توثيق الفاظ العريية بشواهد من كلام العرب ، منهم
من غالى فى هذا كأبى عمرو بن العلاء الذى كان يعد الشعر للمتقدمين
وحصرهم بين امرئ القيس وذى الرمة كما يفهم من عبارته (ان الشعر
فتح بامرئ القيس وختم بذى الرمة) (1) وقوله (ختم الشعر بذى الرمة
والرجز برؤبة بن العجاج) (2) •

(1) البيان والتبيين 4 : 84 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بتحقيق

عبد السلام هارون

(2) وفيات الاعيان 3 : 188 ط النهضة سنة 1948 بتحقيق محمد

محيى الدين عبد الحميد

ومع هذا كان يضيق على نفسه فى دائرة الاحتجاج كما شهد بذلك تلميذه عبد الملك بن قريب الاصعى فقال : جلست الى ابنى عمرو عشر حجيج ما سمعته يحتج بيت اسلامى ، وهو يعجب بشعر جرير والفرزدق وأمثالهما ولكنه مع هذا الاعجاب يراه شعرا مولدا بالاضافة الى شعر القدامى فيقول : (لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت ان آمر صبياننا بروايته) (1) يعنى شعر جرير والفرزدق وأمثالهما *

ولكن أين جرير والفرزدق والراعى والأخطل وكلهم معاصر لذى الرمة ، لقد اختارهم محمد بن سلام الجمحى ووضعهم فى الطبقة الاولى من الشعراء الاسلاميين بينما وضع ذى الرمة فى الطبقة التالية لهم (2) كانت أكثر الاحاديث عن جرير والفرزدق والأخطل والراعى ومن سار سيرهم تشير الى المفاضلة بين اثنين أو أكثر منهم فى هذا الفن الذى عرفوا به — وهو الهجاء * وفى بعض الاحيان كان يرجح احدهم على الآخر بسبقه فى الفصاحة ، وتشبيهه بالجاهليين ، من هذا ما جاء فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة من ان جريرا كان من فحول الشعراء ، ويشبهه بالاعشى (3) وكان ابو عمرو يشبه الفرزدق بزهير (4) ويقول ابو عبيدة عن الاخطل انه اشبه بشعراء الجاهلية وأشدهم أسر شعر وأقلهم سقطا (5) وذكر ابو الفرج خبرا يجمع فيه اللغويون على تفضيل الاخطل يرويه أبو عبيدة فيقول :

(جاء رجل الى يونس فقال له : من اشعر الثلاثة ؟ : قال الاخطل ،

(1) البيان والتبيين 1 : 32 ، العمدة 1 : 57 ط هندية سنة 1925

(2) طبقات فحول الشعراء 248 وما بعدها

(3) الشعر والشعراء 1 : 437

(4) الشعر والشعراء 1 : 448

(5) الاغانى 8 : 292 ط دار الكتب

قال : من الثلاثة ؟ قال أى ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم • قلنا : عمن تروى هذا ؟ قال : عن عيسى بن عمر ، وابن أبى اسحق الحضرمى ، وأبى عمرو ابن العلاء ، وعنبسة الفيلى ، وميمون الاقرن الذين ماشوا الكلام وطرقوه ••• لا كأصحابك هؤلاء لا بدويون ولا نحويون • قلت للرجل : سله وبأى شىء فضلوه ؟ قال بأنه كان أكثرهم عدد طوال جياد ليس فيها سةط ولا فحش ، وأشدهم تهذيبا للشعر • فقال ابو وهب الدقاق اما ان حمادا وجنادا كانا لا يفضلانه ، فقال : وما حماد وجناد ، لا نحويان ولا بدويان ولا يبصران الكسور ولا يفصحان وأنا أحدثك عن ابناء تسعين أو أكثر ادوا الى امثالهم ، ماشوا الكلام وطرقوه حتى وضعوا أبنيتهم فلم تشذ عنهم زنة كلمة ، وألحقوا السليم بالسليم ، والمضاعف بالمضاعف ، والمعتل بالمعتل ، والاجوف بالاجوف ، وبنات الباء بالياء ، وبنات الواو بالسواو فلم تخف عليهم كلسة عربية (1) وفي فصاحة الفرزدق يقول يونس (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة) (2) •

هذه المحاورة وهذا التقرير يتصلان بالمجال اللغوى والخبر على هذا الوجه يغطى جانباً من سؤالنا لماذا توقف ابو عمرو عن الاحتجاج بشعرهم وهم على ما ترى من المعرفة باللغة والاحاطة بخصائصها ، وكان ابو عمرو نفسه أحد اللغويين الذين شهدوا لهم بهذا السبق ، واذا كان أمر جرير والفرزدق والراعى والاخلط على ما رأيت فلماذا دنوا بالاضافة الى ذى الرمة فى رأى ابى عمرو بن العلاء ؟ •

يبدو أن هؤلاء المشاهير قد تبوأوا أمكنتهم بسبب المعركة الشعرية التى طيرتها الراوية فى كل مكان ، وشغل الناس بأخبارهم ، وعنوا بما

(1) الاغانى 8 : 283

(2) الاغانى 19 : 48 ط ساسى

أحدث جرير في هجاء الفرزدق وبسا عارض الفرزدق جريرا وكيف تدخل
الاخلط والراعى وشغلوا بهذا الخوض في اللغة اما أبو عمرو - وكان على
رأس اللغويين - فانه كان يدرك الوجه اللغوى الموثق عند ذى الرمة ولا
يهمه الا أن يضع الجميع أمام اعتبارات علمية وأقيسة خاصة للرواية
والاحتجاج ليس من بينها الكثرة وطول القصائد دلا شهرة الشاعر ، وانما
كان مقياس الفصاحة عنده هو مدى قربه من البداية • لقد سلم أول
الامر للجاهليين ، ثم أطال الجبل للبدو حتى وصل الى ذى الرمة • وكان
ذو الرمة شاعرا فصيحاً بدوياً ، وكان بصفته هذه الأخيرة اكثر بدواة من
رجال الطبقة الاولى من الشعراء الاسلاميين • لقد قرنه حماد الراوية
بامرئ القيس فقال : أحسن الجاهليين تشبيها امرؤ القيس ، وذو الرمة
أحسن أهل الاسلام تشبيها (1) ووصفه زرعة بن أذبول فقال : كان ذو
الرمة مدور الوجه • • مفوها اذا كلمك كلمك ابلغ الناس يضع لسانه
حيث يشاء (2) وروى محمد بن صالح عن نخبة من العلماء والاعراب لهم
اقدارهم فى فهم الشعر وتذوقه منهم خالد بن كلثوم وابو عمرو بن العلاء ،
وابو حزام ، وأبو المطرف قالوا : لم يكن أحد من القوم فى زمانه أبلغ من
ذى الرمة ، ولا أحسن جوابا ، وكان كلامه أكثر من شعره (3) •

فلم يكن ذو الرمة شاعرا فحسب ، ولكنه كان ذا لسان ، وصاحب
كلام ، ويحسن النقاش فى غير مكابرة كما يحكى ابو عبيدة اذ يقول : ذو
الرمة يخبر فيحسن الخبر ثم يرد على نفسه الحجة من صاحبه فيحسن الرد ،
ثم يعتذر فيحسن التخلص مع حسن انصاف وعفاف فى الحكم (4)

(1) الاغانى 16 : 109 ط ساسى (2) الاغانى 16 : 108 ط ساسى

(3) الاغانى 16 : 109 (4) الاغانى 16 : 109

ولم يستطع الفرزدق وجريز وكانا يحسدانه (1) أن يخفيا رأيهما في هذا الرجل عندما طلب خليفة من بنى أمية - هو الوليد بن عبد الملك - كما يبدو من خبر مماثل أن يقول كل منهما رأييه في ذى الرمة على انفراد فكلهما قال : أخذ من طريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه اليه غيره ، فقال الخليفة : أشهد لاتفاقكما فيه أنه أشعر منكما جميعا (2) .

ويروى عن أبي عدنان عن ابراهيم بن نافع أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك - أو غيره - الشك من أبي الفرج - فقال له : من أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قال : افتعلم أحدا أشعر منك ؟ قال : لا ، الا أن غلاما من بنى عدى بن عبد مناة يركب أعجاز الابل وينعت الفلوات . ثم أتاه فسأله فقال له مثل ذلك (3) .

وقال عمار بن عقيل بن بلال بن جريز بن الخطفي : سمعت أبي يقول دخل جدى على بعض ملوك بنى أمية فقال : ألا تخبرنى عن الشعراء ؟ وسأله عن ذى الرمة فقال : قدر من طريف الكلام وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد حتى صنف الشعر (4) .

فاذا تركنا هذا الجانب بعد أن اعترف الفرزدق وجريز بسبق ذى الرمة الى جانب آخر وهو البداوة وجدنا ذا الرمة أسبق من أصحابه . كان الرواة يأخذون عن الاعراب في المربد ، ثم ذهبوا اليهم فى البادية التماسا للعربية التى لم تشبها شوائب الحضارة وكان ذو الرمة أعرايا بدويا يرعى ويجود شعره فيها وفى وصف البادية ، وامه من بنى أسد (5) وهى من القبائل التى اشتهر أمرها بالفصاحة ، فاذا قدم البصرة او الكوفة

(1) الاغانى 16 : 108	(2) الاغانى 16 : 109
(3) الاغانى 16 : 114	(4) الاغانى 8 : 199 ط دار الكتب
(5) الاغانى 16 : 107	

تلقاه الرواة ليفيدوا من لسانه وخلوص عريته • قال حماد : قدم علينا ذو الرمة الكوفة فلم أر أفصح ولا أعلم بغريب منه (1) • كما أعجب به الكميّ وبشعره (2) • ويتفق رجلان على رأس الرواة على تقديم ذي الرمة أولهما أبو عمرو بن العلاء الذي وصف أقرانه بأنهم محدثون ، والثاني حماد الراوية الذي يقول في ذي الرمة : (ما آخر القوم ذكره الا لحداثة سنه وأنهم حسدوه) (3) •

ونستطيع بشيء من الاطمئنان أن نحدد وجهة أبي عمرو بأنه كان لا يرى الشعر الا للجاهليين ، أو البدو من الاسلاميين ، نلج هذا في قوله : لو أدرك الاخطل يوما واحدا من الجاهلية ما قدمت عليه أحدا (4) والمقصود بالشعر هنا هو الشعر الذي يتفق وطبيعة أبي عمرو كعالم لغة وكرجل رواية لغوية يستخدم الشعر ليحتج به ويوثق به بضاعته من مفردات وتراكيب وصيغ ، ولعلك تدرك في تقريره للاخطل أنه لا يعيب شعره كفن ، ولا يتهمة بالقصور في الفصاحة ، ولكنه لا يقع تحت شرطين عرفا لأبي عمرو — لا هو جاهلي ولا هو من الاعراب البداة •

وذو الرمة في نظر أبي عمرو من الاعراب على شاكلة أولئك الذين كانوا يأتون من البادية الى سوق المربد ثم يتجاوزونها الى البصرة فلا يطول مكثهم بها حفاظا على سليقتهم ، وكان طلاب اللغة يتعلقون بهم يسمعون من أفواههم مصادق العربية فاذا طال مكثهم في الحضر زيفوهم • والذي يدرك على أن ذا الرمة كان كذلك ، من الاعراب الذين تؤخذ عنهم اللغة الموثقة ، أن أبا عمرو دهش حين رآه يجلس في دكان طحان في

(1) الاغانى 16 : 109

(2) الاغانى 16 : 108

(3) الاغانى 16 : 109

(4) الاغانى 8 : 285

البصرة يكتب فقال له : ما هذا يا ذا الرمة !!؟ قال : اكتبم على يا أبا عمرو (1)

والعبارة الصادرة عن كل منهما تشهد بصفة ذى الرمة كأعرابي فليس لأبى عمرو ان يدهش ، وليس لذى الرمة أن يرجو أبا عمرو أن يكتبم موقفه اذا لم يكن كذلك ، وكانت صفة الاعرابى كصاحب فطرة وسليقة هى كل بضاعته فى الحضر حين رأوا حاجة الطلاب اليهم .
ومن هذا الوجه عابه الاصمعى الذى كان ينظر اليه كأعرابى يجب أن تصان سليقته ، يقول أبو حاتم : كان الاصمعى ينكر (زوجة) ويقول انما هى (زوج) ويحتج بقوله تعالى (أمسك عليه زوجك) قال فأنشدته قول ذى الرمة :

أذو زوجة فى المصر أم ذو خصومة

أراك لها بالبصرة العام ثاويا (2)

فقال : ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل فى حوانيت البقالين (3) أى شبيت سليقته ، والذى نعرفه أن كثرة من اللغويين يقررون صحة (زوجة) أيضا ، ولكن الاصمعى كان يضع اللغة التى لها نظير من القرآن الكريم فى اعلى درجات الفصاحة — ومن ناحية اخرى فانه لا يعيب ذا الرمة على جهة الاطلاق ولكن ذا الرمة كان أعرايا فصيحاً موثقاً لدى الاصمعى قبل أن يقيم بالبصرة وتفسد بهذه الإقامة سليقته ، يدلك على ذلك أنه احتج بشعر ذى الرمة فى أكثر من موضع فى كتاب النبات والشجر (4) .

(1) الخصائص 3 : 296 ط دار الكتب

(2) من قصيدة له فى مدح بلال بن أبى بردة ، وقد اشار الى عجوز تقول له : ماذا اقعدك فى البصرة ، الك زوجة فيها ؟ ام لك قضية ينظرها القاضى

(3) الخصائص 3 : 295 ، الموشح 180

(4) النبات والشجر للاصمعى ص 7 و 8 و 23 و 36 و 37 و 43 ط . بيروت سنة 1898

ونلاحظ فى أبى عمرو بن العلاء اطمئنانه الى البيئات التى بعدت عن
شبهات الحضر فأفصح الناس عنده أهل السروات (1) * وكان يتزود من
اللغة فى الحجاز اذا حج ، فاذا تخلف عن الحج أرسل أخاه الى الحارث بن
خالد المخزومى يسأله عن الحروف (2) *

ولو لم يحرق أبو عمرو كتبه لوجدنا فيها وجهته فى الرواية على
نطاق اوسع ولكن بحسبنا ما وجدناه منشورا فى بطون كتب اللغة *

* ومن تلامذة أبى عمرو ثلاثة رجال يعتبرون بحق رجال الرواية ،
وأصحاب منهجها العلمى هم الاصمعى ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد *

عبد الملك بن قريـب الأصمعى

وشخصية الاصمعى أكثر وضوحا من استاذة أبى عمرو ، لان بعض
مؤلفاته بقيت الى الآن ، ووجه عنايته الى تحصيل الشعر كما كان له فى
هذا التحصيل ذوق واختيار ونظر ، قال : ما بلغت الحلم حتى رويت اثني
عشر ألف أرجوزة * ويقول عمر بن شبه : سمعت الاصمعى يقول :
(أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة) ، كانه استمر فى حفظ الارجيز بعد أن
بلغ الحلم ، ويبدو أن الخبرين مبالغ فيهما فليس فى الشعر العربى كله
— بحسب تقديرنا — هذا العدد الضخم من الارجيز والاسماء لنا : فكـم
من القصيدة اذن ؟ على كل حال سنأخذ من مدلول الخبرين مجرد الاخبار
عن الكثرة الكاثرة للحصيلة التى استظهرها من الشعر ، ولعلك تجد ما
يوضح هذا الوجه فى خبر يحكيه التوزى عن المبرد يقول :

(1) | الاغانى 1 : 384 ط دار الكتب — والسروات ثلاث : الجبال المطلة

على تهامة مما يلى اليمن ، اولها هذيل وهى تلى السهل من تهامة ،
ثم بجيلة وهى السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف فى ناحية منها ،
ثم سراة الازد — ازد شنوءة — وهم بنو كعب بن الحارث بن كعب .

(2) | الاغانى 3 : 458 ط دار الكتب

كنا عند الاصمعي ، وعنده قوم قصدوه من خراسان وأقاموا على
 بابه فقال له قائل منهم : يا أبا سعيد ، خراسان يرجف بعلم البصرة
 وعلمك خاصة ، وما رأينا أصح من علمك فقال لا عذر لي ان لم يصح
 علسي ، دع من لقيت من العلماء والفقهاء والرواة للحديث والمحدثين ،
 ولكن قد لقيت من الشعراء الفصحاء وأولاد الشعراء : رؤبة ، ومسرود بن
 اللعين ، وبلالا ونوحا ابني جرير ، ولبطة بن الفرزدق ، ومحمد بن علقمة
 النيسبي ، وأبا بابل اهاب بن عمير ، وقطينة اللخمي ، وحطاما المجاشعي ،
 وابن ميادة ، والحسين بن مطير ، وابن هرمة ، وابن اذينة ، والحكم
 الخضري ، ودكينا العذري ، وابن شوذب المدني ، وأبا الاخضر الحماني ،
 وجندل بن المثني ، وأبا لحيانة ، والذي هاجاه - وهو الابرش - ولقيت أبا
 الزحف ، ومقاتل بن أبي داوود ، وأبا خيرة ، وأبا العراف ، وأبا العذافر ،
 وعبارة بن عطية ، وطفيل الكنانى ، وقتادة بن يعرب يشكري ، وابن
 الدميني ، وأبا حية أنس ، وابن الطثرية ، وأبا ترسييس وبفصاحته يضرب
 المثل ، والموار ، ومصرف بن الحارث ، وابنه الحارث بن مصرف ، وأبا
 العسثل ، ومحبس بن أرطاة ، وعريفا الكلبى ، وعلاكم بن نهير ، وابن
 شراد العطفاني ، والعجيف العجلي ، وأبا القرين الفزاري وحفظت عنهم
 وسمعت منهم ، وسبقني أبو النجم ، وذو الرمة ، ومعبد بن طوق ، والوعيل
 ابن كليب ، وزيد الاعجم ، ونهار بن توسعة ، وصخر ومغيرة ابنا حبناء ،
 وابن عرادة تعليل - وبى بعضهم رواية لا رواية وما عرف هؤلاء غير
 الصواب فمن اين لا يصح علسي ؟ والخبر يشير كما ترى الى شعراء وابناء
 شعراء وأعراب .

وكان صاحب نظر فى الشعر لا مجرد ناقل ، واختياره لطريقة التحصيل
 تؤدي الى هذه النتيجة بالاضافة الى طبيعته كعربي ، والى تكوينه العقلي ،
 فقد سعى الى الشعر فى اماكنه ، وطوف فى البادية ، وسمع من أعراب

رآهم رأى العين وناقشهم أو أطال معهم سبب الحديث ومن أعراب يعرفهم
بأسمائهم ، وأعراب يعرفهم بالشخص فيقول : سمعت فتى فى أرض كذا
أو أعرابية فى طريق كذا فإذا عاد الى البصرة جلس الى خلف الاحمر وكان
شيخ الرواة فى الشعر فتذاكرا القصائد والمقطعات وعرفا مذاهب الشعراء،
واتجاهاتهم ، وأساليبهم وعاشا فى أخيلتهم ، فإذا ذكر البيت من الشعر
فطنا الى قائله أو رجحا نسبته اليه ، كان الأصمعى يسمع الشعر أحيانا
فيقول : ليس هذا الشعر لفلان انه أشبه بشعر فلان ، من ذلك انه سمع
البيتين التاليين منسويين الى امرئ القيس :

لنا غنم نسوقها غزار

كأن قرون جلتها العصى

فتسلأ يبتنا أقطبا ، وسمننا

وحسبك من غنى شبع ورى

فقال : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا ، وأحسبه للخطيئة (1) لأن
الرجل كان يعرف من طبيعة امرئ القيس تطلعه الى الملك والسيادة فكيف
يرضيه من الدنيا شبع ورى وهو القائل :

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة

كفانى - ولم أدرك - قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤئل

وقد يدرك المجد المؤئل أمثالى

وكان الأصمعى يعرف الكثير عن الخطيئة ، فمع نفوره من شعر
الهجاء - وأكثر بضاعة الخطيئة من هذا اللون - فإنه كان يحرص على
شعره حتى كتب له فى ليلة واحدة أربعين قصيدة (2) ويبدو أن الرجل كان

(1) الحيوان للجاحظ 5 : 495

(2) الاغانى 2 : 174 ط دار الكتب

يفرق بين العلم وبين التأثم فدراسة شعر الحطيئة شيء ، ورواية ما فيه من هجاء شيء آخر فى نظر الاصمعى — أما رأينا نحن فيختلف ، مما جعلنا نعيب على الاصمعى توقعه عن رواية شعر الهجاء •

ومنازل الشعراء عند الاصمعى لا تستند الى القرب والبعد عن البادية فحسب ، كما كان يرى أبو عمرو ، وانما كان يضيف الى هذا عوامل أخرى كالجودة والاكثر ، وله كتاب باسم (فحولة الشعراء) يذكر فيه الشعراء بأوصاف منها فحل ، وليس بفحل ، ويقول فى هذا :

الاعشى ، أعشى قيس بن ثعلبة ليس بفحل ، وعلقة بن عبدة فحل ، والحاتر ابن حلزة فحل ، وعمرو بن كلثوم ليس بفحل • وسئل عن مزرد أخى الشماخ قال : ليس بدون الشماخ ولكنه أفسد شعره بما يهجو الناس ، وكان الكتاب كله مساءلة بين أبى حاتم السجستاني وبين الأصمعى على هذه الصورة ، وأورد صاحب الموشح مثل هذه المناقشة عن الاصمعى فاذا استحثه ابو حاتم على التوسع فى رأى فإنه كان يشير الى الشاعر الجيد المقل على أنه غير فحل فيقول عن الحويدرة : لو كان قال خمس قصائد مثل قصيدته العينية كان فحلا ، ومثل هذا الحكم أيضا قوله عن ثعلبة بن صعيبر المازنى ، ومعفر بن جمار البارقى ثم يزيد هذا العدد عندما يسأل عن أوس بن مغراء الهجيمى فيقول : لو كان قال عشرين قصيدة لحق بالفحول •

وهو قصير العبارة فى مقارنته بين شاعر وشاعر فقد سئل من أشعر : الراعى أم ابن مقبل ؟ فقال : ما أقربهما ، فلما ألح عليه أبو حاتم قال : الراعى أشبه شعرا بالقديم وبالأول — والاصمعى يستجيد أحيانا قصيدة واحدة أو بعض القصائد للشاعر فيعده من الفحول عند هذه القصائد وحدها • كما يقول وقد سئل عن كعب بن سعد الغنوى : ليس من الفحول

الا فى المراثية فانه ليس فى الدنيا مثلها - يعنى مراثيته التى قالها يرثى اخاه
أبا المغوار والتى مطلعها :

تقول سليمان ما لجسمك شاجبا
كأنك يحميك الطعام طيب

أما شعراء الحرب فانه كان يطلق عليهم اسم الفرسان وكأنها تقابل
الفحول ولا يجمع بين الفارس والفحل ، فقد سئل عن زيد الخيل فقال
هو من الفرسان ، وعن عمرو بن معد يكرب قال : من الفرسان، وعن خفاف
ابن ندبة ، وعنترة والزبرقان بن بدر قال : هؤلاء اشعر الفرسان فلما سئل
عن سليك بن السلكة قال : ليس من الفحول ولا من الفرسان (1)

وللاصمى عبارات تكشف عن اتجاهاته فيقول عن بشار : لولا أن
أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم (2)

ويستمتع من التوزى الى شعر السيد الحميرى فيطرب له ويستزيده
ثم يقول : قبحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ، ولولا ما فى
شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته (3) او يقول : ما أطبعه وأسلكه لسميل
الشعراء ، والله لولا ما فى شعره من سب السلف ما تقدمه من طبقته
أحد (4) •

وكان الاصمى يستجيد شعر نصيب ويقول اذا انشد هذه الايات :

-
- (1) الموشح 81
(2) الاغانى 3 : 143
(3) الاغانى 7 : 23
(4) الاغانى 7 : 236

فإن يك من لوني السواد فأننى
لكالمسك لا يروى من المسك ذائقه
وما ضر أثوابى سوادى وتحتها
لباس من العلياء بيض بنائقه
قاتل الله نصيبا ما أشعره •
ويعلق على قول ابن هرمة :
لا أمتع العوذ بالفصال ولا
ابتاع الاقريبة الأجل

بقوله : أما ترون كيف قال ، والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكن
كثيرا • ثم يقول : ما يؤخره عن الفحول الا قرب عهده •
ويقول فى شعر الحسين بن مطير : لو كان شعر العرب هكذا ما أثم
منشده (1) •

وهذه أحكام ليست كلها خالصة للغة ، وأكثرها يتجه الى النقد
الادبى أو يشير الى المكثرين والمقلين من الشعراء ، ولما كانت اللغة تؤخذ
عن الشعراء كما تؤخذ عن غيرهم ، بل انها كانت تؤخذ عن المجانين والاطفال
أحيانا استنادا الى الثقة فى سليقتهم ، فانه لا يعنينا فى كل هذه الاحكام
الا ما يقوله عن بشار : لولا ان ايامه تأخرت لفضاته على كثير منهم ، وعن
ابن هرمة : ما يؤخره عن الفحول الا قرب عهده ومعنى هذا أن أوثق
الشعراء عنده أقربهم عهدا بالعربية الفصيحة والتي انتهت اتفاقا بنهاية القرن
الثانى كمصدر موثق للاحتجاج •

كان الاصمعى فى هذا اذا أضفناه الى استاذه أبى عمرو بن العلاء

(1) الاغانى 1 : 354 ط دار الكتب ، معجم الادباء 10 : 473

يتجاوز ذا الرمة الى بشار بن برد ، فيبينما كان الأول خاتم الشعراء عند أبي عمرو كان بشار خاتم الشعراء عند الاصمعي (1) .

واحتج في كتبه بالشعراء الذين كان يراهم أبو عمرو مولدين بالاضافة الى القدامى ، احتج بشعر الأخطل في كتاب الابل عندما فسر (العيشوم) بأنها الناقة اذا كانت كثيرة اللحم والوبر ، وجمل (عيشوم) اذا كان كذلك وأنشد له:

وملحَّب خضِل الثياب كأنما

وطئت عليه بخفها العيشوم (2)

وفى كتاب خلق الانسان فسر الاصمعي كلمة (الجتل) بأنه الشعر الكثيف المتلف ، وكذلك من النبت والشجر واحتج بقول الأخطل :

غداة غدت غراء غير قصيرة

تذرى على المتنين ذا عذر جثلا (3)

وقال في نفس الكتاب (الصبحة والملحة لوانان) وهو يياض الى الحمرة وما هو كلون الظبي يقال : رجل أصبح اللحية ، وأملح اللحية ... وقال الأخطل في الملحة :

ملح المتون كأنما ألبستها

بالماء اذ ييس النضيج جلالا (4)

واستشهد بشعر جرير في كتاب الدارات وهو يسمى (دارة صلصل) فأشدد له :

(1) الاغانى 3 : 143

(2) الابل للاصمعي 103 ط بيروت ضمن كتاب الكنز اللغوى

(3) خلق الانسان للاصمعي 172 ط بيروت سنة 1903 ضمن كتاب الكنز اللغوى

(4) نفس المصدر ص 176

إذا ما حل أهلك يا سليمان
 بدارة صلصل شحطوا مرارا (1)
 وفي كتاب الابل يذكر الاصمعي من ولد الناقصة (الربع) اذا كان
 من نتاج الربيع والأم مربع ويستشهد بقول جرير :
 قد أطلب الحاجة القصوى فأدركها
 ولست للجارة الدنيا بزوار
 الا بغر من الشيزى مكللة
 يجرى عليها سديف المربع الوارى (2)
 وفسر (هنيذة) بأنها مائة من الابل وهى معرفة غير منونة واحتج
 بقول جرير :
 أعطوا هنيذة يحدوها ثمانية
 ما فى عطائهم من ولا سرف (3)
 وفى كتاب خلق الانسان قال : يقال جدع أنفه ، وكشم أنفه ، ويقال :
 عبد أجدع وعبد أكشم ، قال جرير :
 هذى التى جدعت تيماء معاطسها
 ثم أقعدى بعدها ياتيم أو قومي (4)
 وفسر الجوانح بأنها الضلوع الصغار التى تلى القواد ، والواحدة
 جانحة وذكر لجرير :
 تبكى على زيد ولم تر مثله
 برىا من الحمى سليم الجوانح (5)

-
- (1) الدارات للاصمعي 8 ط بيروت سنة 1898
 (2) الابل للاصمعي 74 ضمن كتاب الكنز اللغوى
 (3) كتاب الابل للاصمعي 116 ضمن كتاب الكنز اللغوى
 (4) كتاب خلق الانسان للاصمعي 190 ضمن كتاب الكنز اللغوى
 (5) كتاب خلق الانسان للاصمعي 216 ضمن كتاب الكنز اللغوى

واستشهد بشعر الفرزدق ايضا - ففي كتاب القلب والابدال لابن
السكيت يروى عن الاصمعي في تبادل الميم والنون (يقال للبعير اذا قارب
الخطو وأسرع : بعير دهامج ، وبعير دهانج - وقد دهمج يدهمج دهمجة
- دهنج يدهنج دهنجة وأنشد للفرزدق :

وعير لها من بنات الكداد
يدهنج بالقعو والمزود

ويروى يدهمج (1) •

وفي كتاب الابل للاصمعي يقول : اذا درت الناقة على الجوع والقر
فهي مجالح بغير هاء • ويقال قد جالحت الناقة تجالح مجالحة شديدة ...
وأنشد للفرزدق :

مجاليح الشتاء خبعثات
اذا النكباء تاوحت الشمالا

وكل غليظ الجسم من الابل وغيرها خبعثن (2) •
وقال : شرخ الشباب : التاج الذي ولد مع الشباب • قال الفرزدق :

فاتنى الغانيات فقلن هذا
أبونا جاء من تحت السَّلام
ولو جداتهن سألن عنى
رددن على أضعاف السَّلام
رأين شروخهن مؤزرات
وشرخ لِدِيَّ أسنانِ الهرام (3)

(1) كتاب القلب والابدال لابن السكيت 20

(2) كتاب الابل للاصمعي 89

(3) كتاب الابل للاصمعي 91

وفى كتاب خلق الانسان للاصمعى ، ذكر الاذن وقال : وفى الاذن الصماخ وهو الخرق الباطن الذى يفضى الى الرأس وفيه السم . يقال فى مثل : سُدَّ سمك عنا ، قال الفرزدق :
ونَقَّسْتُ عن سُمِّيهِ حتى تنفسا
وقلت له لا تخش شيئا ورائيا (1)

واحتج بشعر الراعى فى كتاب النبات والشجر فذكر من اسماء النبات السبط ، والنصى يكون فى السهل والرمل - فما دام رطبا فهو نصى فاذا يبس فهو حلى ، فاذا تحطم واسود فهو الدويل . قال الراعى :
شهرى ربيع ما تذوق لبونهم
الا حموضا ، وحمة ، ودويلا (2)

وذكر ابن السكيت فى تبادل السين والزاي قول الاصمعى
ويقال قد تسلع جلده ، وقد تزلع جلده أى تشقق وأنشد للراعى :
وغملى نصى بالمتان كأنها
ثعالب موتى ، جلدها قد تسلعا (3)

وفى كتاب الابل يقول الاصمعى : اذا لقحت الناقة عراضا من الفحل - والعراض أن يعارضها الفحل فيتنوخها فيضربها فذلك الضراب يسمى العراض ، ويقال لقحت الناقة يعارة كما ترى ، قال الراعى :
نجائب لا يلحقن الا يعارة
عراضا ، ولا يشربن الا غواليا (4)

(1) كتاب خلق الانسان للاصمعى 170 ضمن كتاب الكنز اللغوى

(2) كتاب النبات والشجر للاصمعى 32 ط بيروت سنة 1898 م

(3) كتاب القلب والابدال لابن السكيت 43

(4) كتاب الابل للاصمعى 66

وكان الراعى قد اشتهر أمره بذكر الابل وأوصافها ولذلك احتج
الاصمعى بشعره كثيرا فى كتاب الابل (1) •

وفى كتاب خلق الانسان للاصمعى : (يقال لشخص الرجل سماوته)
وأنشد للراعى :

كأن على اذنانها حين أبصرت
سماوته فيئا من الطير وقعا (2)

وفى كتاب خلق الانسان أيضا يصف الاصمعى (الارحاء) بأنها
ثمانية اضراس من كل شق من اسفل القم وأعلاه ، وقال الراعى يصف
السيوف ويذكر الارحاء :

وبيض رقاق قد علتهم كبرة
يداوى بها الصاد الذى فى النواظر
إذا استكرهت فى معظم البيض أدركت
مراكز أرحاء الضروس الأواخر (3)

والاصمعى صاحب رأى واسع فى مجال الرواية لا يقف عند القرب
أو البعد من البادية كأستاذة ابنى عمرو ، بل ربما عاب الأعرابى القح
لاسباب اثرت فى سليقته ، وربما اطمأن الى رجل من الموالى عاش فى
البادية واكتسب لسان اهلها • ويحكى الاصمعى فى خبر يزيد بن
ضبة فيقول انه مولى ثقيف ولكنه كان فصيحاً وقد أدركته بالطائف ،
وقد كان يطلب القوافى المعتاصة والحوشى من الشعر • وقال
ابو حاتم فى خبره - وأبو حاتم احد تلامذة الاصمعى - (وحدثنى غسان

(1) انظر كتاب الابل ص 96 و 97 و 100 و 113 و 126 و 140

(2) كتاب خلق الانسان 163

(3) كتاب خلق الانسان 191

ابن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي عن جماعة من مشايخ الطائفتين وعلمائهم
قالوا : قال يزيد بن ضبة الف قصيدة فاقسمتها شعراء العرب وانتحلتها
فدخلت في أشعارها (1) *

ويدلك على أن الرجل كان صاحب منهج منظم انه :
— كان يضع القرآن الكريم في اعلى مراتب الفصاحة ، وفي ذلك
يقول أبو حاتم : كان الاصمعي ينكر (زوجة) ويقول انما هي (زوج)
ويحتج بقوله تعالى (امسك عليك زوجك) قال : فأشدته قول ذي الرمة :
أذو زوجة في المصر أم ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العام ثاويا (2)

فقال : ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل فسي حوانيت البقالين أي أن
عربيته شبيت بمجالسته لغير الأعراب في هذه الحوانيت * والحقيقة أن
الاصمعي لم ينكر صواب (زوجة) ولكنه كما قلنا كان يتشبث بالافصح ،
قرىء عليه شعر عبدة بن الطبيب وهو شاعر ادرك الاسلام :

ولقد علمت بأن قصرى حفرة
غبراء يحملني اليها شرجم
فبكي بناتي شجوهن وزوجتي
والظامعون السى ثم تصدعوا
وتركت في غبراء يكره وردها
يسفى على الترب حين أودع

فلم ينكره (3) *

(1) الخبران في الاغانى 9 : 103 ط دار الكتب

(2) طبقات الزبيدي 190

(3) التوادد لابي زيد 23 — 24

— وكان لا يقبل الشعر لمجرد صدوره عن بدوى بل لا بد من وضعه
تحت اختبار ذوقى يتصل بالفهم الدقيق للعربية فعاب ذا الرمة فى قوله .

حتى اذا دوّمت فى الارض راجعه
كبر ، ولو شاء نجى نفسه الهرب

قال الاصمعى : لا يكون التدويم الا فى السماء دون الارض فيقال
دوى فى الارض ودوّم فى السماء (1) وان الصواب انما هو قوله :
والشمس حيرى لها فى الجو تدويم (2)

وسمع قول أبى النجم :

وهى على عذب روى المنهل
دحل ابى المرقال خير الأدحل
من نحت عاد فى الزمان الاول

فقال الاصمعى : الدحل لا تورده الابل ، انما تورده الركيا (أى
الآبار) والدحلان لا تحفر ولا تنحت انما هى خروق وشعاب فى
الارض والجبال لا تصيبها الشمس فتبقى فيها المياه وهى هوة فى الارض
يضيق فمها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء (3) . ويحكى مرة فيقول : سألت
أعرابيا ونحن بالموضع الذى ذكره زهير فى قوله :

ثم استمروا وقالوا ان موعدكم
ماء بشرقى سلمى فيد أو ركك

(1) الخصائص 3 : 296 وكان الاخفش وابن الاعرابى يفسران اللفظ
بأنه من دام يدوم فتكون دوّمت يعنى ابعدت لا بمعنى الدوران
وذهب الازهرى فى التهذيب مذهب الاصمعى، انظر اللسان : دوم .

(2) الاقتضاب 159

(3) الاغانى 10 : 161

اتعرف ركاكا هذا ؟ فقال : قد كان ههنا ماء يسمى ركا ، فعلمت أن
زهيرا احتاج اليه فحركه ، أى أنه ضرورة شعرية ، وقد يجوز أن يكونا
لغتين - رك وركك (1) •

ولم يسترح حين سمع أبا عبيدة يشد قول حاجب بن زرارة :
شتان هذا والعناق والنوم

والمشرب البارد فى ظل الدوم

فقال : حاجب نجدى ، والدوم شجر ينبت بالحجاز وكان ينشده :
الطل الدوم ، أى الدائم (2) •

- وكانت روايته عن خلص الاعراب ، وطول مكثه فى البادية قد
أعانه على مهمته كراوية يحفظ ، ويتذوق ، ويعى ، وينقد ، ويستبقى ما
يعتقد انه صحيح ، ويجحفل - على حد تعبيره - بما عداه ، كان على علم
واسع بخلق الفرس ، وكانت تذكر امامه الاوصاف فينقدها نقد الخير
العارف ، سمع قول امرئ القيس :

وأركب فى الروع خيفانة

كسا وجهها سعف منتشر

فقال : اذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريما ، والجيد
الاعتدال كما قال عبيد :

مضبر خلقها تضبيرا

ينشق عن وجهها السيب (3)

وكان من حقه بعد أن ترس فى هذا اللون أن يخرج بعض الشعراء

(1) المحتسب لابن جنى 2 : 27

(2) نزهة الالباء 148 - 149

(3) الموشح 25 والمضبر = المجتمع الخلق موثق

من عداد الفحول فى وصف الفرس فكان يقول : لم يكن النابغة وزهير
وأوس يحسنون صفة الخيل ، ولكن طقبل الغنوى فى صفة الخيل غاية
النعت (1) •

ورأيه حسن فى أبى النجم ، قيل له يوما يا أبا سعيد : أى الرجز
أحسن وأجود ؟ فقال : رجز أبى النجم (2) ومع هذا فقد عابه حين وصف
فرسه بقوله :

تسبح أخراه ويطفو أوله

وقال : أخطأ فى هذا لانه اذا سبح أخراه كان حمار الكساح أسرع
منه ... وانما يوصف الجواد بأنه تسبح أولاه وتلحق رجلاه ، وقال :
وخير عدو الذكور أن تشرف ، وخير عدو الاناث أن تنبسط وتصفى كعدو
الذئب (3) •

— ولا أعرف حجته فيما انفرد به من خلاف فى صيغه فعل ، وأفعل ،
فلقد طعن فى بيت زهير :

حتى اذا أثبت البقل

لانه يجيز (فعل) من هذا الفعل ، ولا يجيز أفعل (4)

ولم يلتفت الى قول رؤبة بن العجاج :

يعرضن اعراضا لداء المفتتن

لا يجيز أفعل من (فتن) (5) •

(1) الموشح 41

(2) الاغانى 10 : 158

(3) الاغانى 10 : 161

(4) الجمهرة فى اللغة لابن دريد 3 : 438

(5) الجمهرة فى اللغة لابن دريد 3 : 436

وله كتاب فى صيغة فعل وأفعل يتجه فيه الى تغليب لغة القرآن الكريم ويستضعف ما عداها ، كان ابو زيد يقول : أهل نجد يقولون أكننت اللؤلؤة والجارية فهى مكنة ، وكننت الحديث ، وكل صواب ، ولكن الاصمعى كان يفرق بين الصيغتين ، فيستعمل للشئ فى معنى الصون (فعلت) تقول كننت الدر والجارية وكل شئ صنته فأنا أكنها ، وأنا كان ، وهى مكنونة ، وفى القرآن (كأنهم لؤلؤ مكنون) • وصيغة أكننت تستعمل لاختفاء الحديث والشئ فى النفس وفى القرآن (أو أكننتم فى أنفسكم) وقال جل شأنه (وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) (1)

ومن تضيق الاصمعى ما حدث به أسيد بن خالد الانصارى قال : قلت لابی زيد النحوى : ان الاصمعى قال : لا يقال شتان ما بينهما انما يقال : شتان ما هما وأنشد قول الأعشى :

شتان ما يومى على كورها

فقال : كذب الاصمعى ، يقال شتان ما هما ، وشتان ما بينهما وأنشدنى لربيعه الرقى :

لشتان ما بين اليزيدى فى الندى

يزيد سليم ، والأغر بن حاتم (2)

وذكر عمر بن أبى ربيعة فقال : (عمر حجة فى العريية ولم يؤخذ عليه الا قوله :

ثم قالوا تحبها : قلت بهرا

عدد الرمل والحصى والتراب

(1) فعلت وافعلت للاصمعى

(2) الاغانى 16 : 255

لأنه حذف همزة الاستفهام (1) في تحبها . ومن الناس من يزعم أنه إنما قال :

قيل لى هل تحبها ؟ قلت بهرا - أى بهرنى بهرا

واحتج بشعر لعبيد الله بن قيس الرقيات في كتاب الابل (2) وعابه في مكان آخر (3) واحتج بشعر الكميت في كتاب خلق الانسان (4)، وفي كتاب القلب والابدال لابن السكيت (5) ثم وصفه بأنه جرمقانى من أهل الموصل عندما احتج ابو حاتم بشعره في جواز فعل وأفعل من برق ورعد (6) .

ومجمل القول في الاصمعي أنه نهج في الشعر المتصل برواية اللغة منها علميا فكان :

- لا يعطى كل الاطمئنان واليقين لمجرد أن الشعر منسوب الى شاعر جاهلى ، وقد وجدناه يشك في نسبة أبيات الى امرئ القيس لمجرد أنها لا تأتلف مع طبيعة رجل يرتفع قصده عن مجرد الشبع والرى لأنه يطلب ملكا .

- ويسع شعر حاجب بن زرارة ، وفيه كلمة (الدوم) يفسرها ابو عبيدة على انها شجر الدوم ، فيأبى الاصمعي ذلك ، لان حاجبا نجدى والدوم شجر ينبت بالحجاز ويفسر الدوم بالدائم (7)

(1) الاغانى 1 : 79

(2) كتاب الابل للاصمعي 125 ، 148

(3) الموشح 186

(4) كتاب القلب والابدال لابن السكيت 37

(5) كتاب خلق الانسان 182

(6) كتاب القلب والابدال لابن السكيت 37

(7) الامالى للقالى 1 : 96

– ويسمع البيت :

فما برحت فى الناس حتى تبينت

ثقيفا بزيزاء الاساة قبابها

أى ما زالت هذه الخمرة فى الناس حتى أتوا بها ثقيفا * فيقول
الاصمعى متعجبا : كيف تحمل الخمرة الى ثقيف وعندهم العنب؟! (1)

– وذو الرمة والكميت موثقان عنده حتى اذا طال مكثهما بالحضر
عبر عن زيفهما بقوله عن الاول (أكل البقل والملوح فى حوائت البصرة)
وعن الثانى (جرمقانى من اهل الموصل) *

عرف عن الاصمعى هذه الملاحظ الدقيقة كما عرف عنه أيضا سعيه فى
الحصول على أشعار بعينها كأنه يجد فيها جانبا خاصا من جوانب اللغة ،
فقد وجدناه يعنى بشعر الحطيئة ويكتب منه أربعين قصيدة فى ليلة واحدة
مع ثورته من شعر الهجاء ، وهو شديد العناية بشعر الهذليين ، فحصله ،
وعقد له المجالس يرويه الناس ، فلما سمع بمحمد بن ادريس الشافعى
وكان أحسن الناس معرفة بأشعار هذيل رحل اليه وصحح عليه اشعار
هذيل (2) واذا كانت نسخة الهذليين الموجودة بأيدينا هى رواية ابن سعيد
فقد اعتمد السكرى على رواية الاصمعى فى خمسة أجزاء من ثمانية منها
كما كان يعود الى رأى الاصمعى فى أكثر من مقارنة ، فيقول مثلا :
والاصمعى يروى هذا البيت متأخرا عن الذى يليه ، او يحذف هذا البيت ،
او لم ترد هذه الايات فى رواية الاصمعى ، وعلق السكرى على قصيدة
ابى ذؤيب التى مطلعها :

يا بيت خثماء الذى يتجب

ذهب الشباب وجهها لا يذهب

(1) كتاب 'الصناعتين لابی هلال العسكري 71

(2) معجم الادباء 17 : 286 و 299

بقوله : ان الاصمعي لم يعرف هذه القصيدة ، ويعزز رأى الاصمعي
فى عدم نسبتها الى ابى ذؤيب بقوله : ان كلثوم بن خالد ينسبها لرجل من
خزاعة ، وان الزبير ينسبها الى ابن أبى دياكل (1)

والاعلم بن يوسف الشنتمرى وهو اندلسى من رجال القرن الخامس
حين جمع اشعار ستة من القدماء فى ديوان واحد وهم ، امرؤ القيس ،
والنابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة ، بدأ فى كل ديوان برواية
الاصمعي حتى اذا استوفاهما ، ميز آخرها وقال : اعتمدت فيما جلبته من
هذه الاشعار على اصح رواياتها وهى رواية عبد الملك بن قريش الاصمعي
لتواطىء الناس عليها واعتيادهم لها واتفاق الجمهور على تفضيلها .

وهو ان وسع دائرة الاحتجاج بالاضافة الى ابى عمرو بن العلاء
واحتج بمن رفضهم استاذهم ، فلقد ضيق هذه الدائرة بالنسبة لمن عاصره أو
جاء بعده ، فكان ابو زيد وابو عبيدة يتفقان ويختلف الاصمعي الذى كان
يضيق ولا يجيز الا أصح اللغات ويلج فى دفع ما سواه (2)

ابو عبيدة

ابو عبيدة معمر بن المثنى — احد كبار الرواة بالغ فى التحصيل
مدفوع بعقدة الموالى — فيما اعتقد — ليحقق بذلك مجدا علميا ، ولقد
وقف موقفا معاديا لكثير من معاصريه من العلماء ، وأعطى جزءا من عنايته
للتأليف فى مثالب العرب .

ولقد تبوأ بمكاته العلمية مكانا مرموقا حتى قال عنه الجاحظ : (لم

(1) ديوان الهذليين 1 : 63

(2) العمدة 2 : 57

يكن في الارض خارجى ولا جماعى أعلم بجميع العلوم من أبى عبيدة (1) ولكن الخصومة التى نشئت بينه وبين معاصريه ربما نشأت من أمرين هامين ، ومن أمور أخرى جانبية ، وأكثر الاسباب وضوحا فى هذه الخصومة هو التحصيل الغزير الذى عرضه على عقل غير ملتزم بالناحية النقلية ، وحيث اختلفت عقليته عن كثير من معاصريه — وخاصة رواة اللغة — كانت الخصومة تتجه الى الناحية الثانية ، الى شعوبيته ، فقل انه كان يخطئ اذا قرأ القرآن نظرا ، أو انه كان لا يقيم اعراب البيت من الشعر الى غير ذلك مما يتهم به الاعاجم ، وحين بدت الروح المتحررة فى مؤلفات أبى عبيدة وخاصة فى كتاب مجاز القرآن ثار عليه اهل المصرين : الكوفة والبصرة على السواء ، وكل ما اتهم به أنه فسر القرآن بعقله .
 أما اعتماده على الشعر الموثق فى سياق احتجاجه للعربية فأمر واضح فيما وقع اليينا من مؤلفاته وكل ما استرعى نظرى أنه احتج بزياد الاعجم فى شعره .

فسر أبو عبيدة فى كتابه مجاز القرآن قوله تعالى من سورة التوبة (ومنهم من يلمزك) ففسر اللمز بأنه : العيب واحتج بقول زياد الاعجم :
 اذا لقيتك تبنى الى مكاشرة

وان اغيب فأنت العائب للزمة (2)

كما احتج به فى كتاب القلب والابدال لابن السكيت فى باب تبادل اللام والنون بقوله :

اذا تعشوا بصلا وخلا

وجوفيا وسمكا قد صلا (3)

(1) البيان والتبيين 1 : 331 ط السندوبى ، و 1 : 347 ط عبد السلام هارون

(2) مجاز القرآن 1 : 262 — 263 والبيت فى الطبرى 10 : 108 ط بولاق غير منسوب

(3) القلب والابدال لابن السكيت ص 6

والرواية عن زياد الاعجم والاحتجاج بشعره أمر يثير الانتباه ويدعو
الى التريث والتأمل ، فزياد - كما يحكى أبو الفرج - نشأ مولى لعبيد
القيس فى اصبهان ، ثم انتقل الى خراسان فلم يزل بها حتى مات ، وقيل
ايضا انه كان ينزل اصطخر فغلبت العجمة على لسانه (1) .

دعا غلاما له ليرسله فى حاجة فأبطأ فلما جاء قال له : منذ لدن دأوتك
الى أن قلت لبسّى ما كنت تسنا ؟ يريد : منذ لدن دعوتك الى أن قلت لبك
ماذا كنت تصنع ؟ (2) وكان لا يستطيع نطق الحاء أيضا ، ذكروا أنه رثى
المغيرة بن المهلب فقال :

ان الشجاعة والسماحة ضمتا

قبرا بـرو على الطريق الواضح

فاذا مررت بقبره فاعقر به

كوم الهجان وكل طرف سابع

فقال له يزيد بن المهلب : يا أبا أمامة ، أفعقرت أنت عنده ؟ قال : كنت
على بنت الهمار ، يريد الحمار (3) .

وذكر الجاحظ عن أبى عبيدة أنه كان يجعل السين شيئا ، والطاء تاء
فكان ينشد قوله :

فتى زاده السلطان فى الود رفعة

اذا غير السلطان كل خليل

فيقول : فتى زاده الشلتان (4) .

(1) الاغانى 15 : 380

(2) الاغانى 15 : 380 ط دار الكتب

(3) الاغانى 15 : 382

(4) البيان والتبيين 1 : 71 ط عبد السلام هارون

وكان ابن قتيبة يعده لحانا وذكر قوله ليزيد بن المهلب :
 هل لك فى حاجتى حاجة
 أم أنت لها تارك طارح
 أمتها - لك إلخير - أم أحيها
 كما يفعل الرجل الصالح
 اذا قلت : قد أقبلت أدبرت
 كمن ليس غاد ولا رائح
 وكان ينبغى أن يقول غاديا ولا رائحا - وقال : وهو كثير اللحن فى
 شعره ، ولهذا قيل له الأعجم لفساد لسانه فى فارس (1) *
 ولقد عيره بهذه العجمة ، المغيرة بن حنناء عندما طلبت ربيعة من
 زياد أن يذب عن أعراضها فقال :
 يقولون ذب يا زياد ولم يكن
 ليوقظ فى الحرب الملمة نائما
 ولو أنهم جاءوا به ذا حفيظة
 فيمنعهم ، أما ماجدا ، أو مراعما
 ولكنهم جاءوا بأقلق قد مضت
 له حجج سبعون يصبح رازما
 ليما ذميما أعجيبا لسانه
 اذا نال دنا لم ييال المكارما
 كما وصف المغيرة بنات زياد بأنهن ولائد جاريات لا يختن كالهجينات
 يقمن فى اصطخر :
 فأصبحت علجا من يزرك ومن يزر
 بناتك يعلم أنهن ولائد

(1) الشعر والشعراء 398

وأصبحن فلقا يغتزلن بأجرّة
حواليك لم تجرح بهن الحدائد
نفرن من موسى ، وأقررن بالتى
يقر عليها المقرفات الكواسد
باصطخر لم يلبسن من طول فاقة
جديدا ولا تلقى لهن الوسائد (1)
وفى مرة أخرى يهجو المغيرة بهذه العجمة أيضا فيقول :
أزياد انك والذى أنا عبده
ما دون آدم من أب لك يعلم
فالحق بأرضك يا زياد ولا ترم
ما لا يطيق وأنت عالج أعجم (2)

ويبدو أن المغيرة قد لاحظت عقدة في لسان زياد ، فقد اجتمع هو
والمغيرة بن حبناء وكعب الاشقرى عند المهلب ومدحوه فأمر لهم بجوائز
وفضل زيادا عليهم ووهب له غلاما فصيحاً ينشد شعره (3) وقد غضب
المغيرة أن فضل المهلب زيادا عليهم فقال : اصلح الله الامير ، ما السبب في
تفضيل الامير زيادا علينا ، فوالله ما يغنى غناءنا فى الحرب ، ولا هو
بأفضلنا شعبا ، ولا أصدقنا ودا ، ولا أشرفنا أبا ، ولا أفصحنا لسانا (4).

هذا وجه لزياد الاعجم أمدتنا به الاخبار ووضعتنا فى تأمل طويل أو
على الأصح فى حيرة . أما الوجه الثانى فهو شديد القرب من طبيعة الشاعر
الذى يعتمد على شعره فى الاحتجاج — ووجود هذين الوجهين لزياد

(1) الاغانى 13 : 94 — 96 ط دار الكتب

(2) الاغانى 13 : 92

(3) الاغانى 13 : 89

(4) الاغانى 13 : 90

الاعجم يجعلنا نقلب الامر لنرى رأيا فيما ذهب اليه ابو عبيدة من الاحتجاج
بشعره •

هذا الوجه الثانى يتمثل فى شهرة زياد بالفصاحة وقوة العارضة ،
وقد تعجب ان يوصف الرجل مرة بالعجمة ومرة بالفصاحة ، وقد يزداد
عجبك أن تجد الوصفين فى مصدر واحد ، فلقد وصفه ابو الفرج أيضا
بقوله :

(..... وكان شاعرا ، جزل الشعر ، فصيح اللفاظ على لكنة
لسانه) ووصف قصيدته فى رثاء المغيرة :
قل للقوافل والقرى اذا غزوا
والباكرين وللمجد الرائح

بأنها طويلة ومن نادر الكلام ونقى المعانى ، ومختار القصائد وهى
معدودة من مراثى الشعراء فى عصر زياد ومقدمها (1) •

ويبدو أنه لسبب لكنة زياد قد ارتابوا فى نسبة هذه القصيدة له فقال
أبو الفرج : أخبرنى على بن سليمان الاخفش عن السكرى عن محمد بن
حبیب أن من الناس من يروى هذه القصيدة للصلتان العبدى ، وقال :
وهذا قول شاذ ، والصحيح أنها لزياد قد دونها الرواة غير مدفوع عنها (2)

ولقد بلغ من أمر هذا الرجل أن خافه الفرزدق ، وخاف لسانه بعد أن
سمع شعره ، والفرزدق له لسان فى الشعر واللغة شهد بذلك يونس (3)
والجاحظ (4) لقيه يوما فقال له الفرزدق : لقد هممت أن أهجو عبد

(1) الاغانى 15 : 381 ط دار الكتب و 14 : 99 ط بولاق

(2) الاغانى 15 : 381

(3) و (4) البيان والتبيين للجاحظ 1 : 381 ط عبد السلام هارون

القيس قال له زياد : كما أنت حتى اسمعك شيئاً ثم قال : قل ان
شئت أو أمسك ، قال : هات ، قال :

وما ترك الهاجون لى ان هجوته
مصحا أراه فى أديم الفرزدق
فانا وما تهدى لنا ان هجوتنا
لكالبحر مهما يلق فى البحر يفرق

فقال له الفرزدق : هلم تتنازل ؟ قال : ذاك اليك وما عاوده بشيء (1)

وتعرض لكعب الاشقرى ، وكان رابع أربعة هم شعراء الاسلام فى
نظر الفرزدق ، ومن كلام زياد يهجو الاشقر :

نبئت أشقر تهجوننا فقلت لهم
ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لا يكثرون وان طالت حياتهم
ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا
قوم من الحسب الأدنى بمنزلة
كالفقع بالقاع لا أصل ، ولا ورق
ان الأشاقر قد أضحوا بمنزلة
لو يرهنون بنعلى عبدنا غلقوا
غلق الرهن = استخفه المرتهن

ثم شكاه كعب الى المهلب عندما هجا الازد بقوله :

هل تسمع الازد ما يقال لها
فى ساحة الدار أم بها صمم

(1) الاغانى 15 : 392 ط دار الكتب

اختتن القوم بعدما هرموا
واستعربوا ضلة وهم عجم (1)

ونكتفى بهذا القدر من التعريف بزياد الأعجم لنناقش الوجه ففى
احتجاج أبى عبيدة بشعره •

أميل، وقد رأيت أبا عبيدة يحتج بشعر زياد أن أفسر هذه العجمة بأنها
لا تعدو أن تكون عيبا خلقيا يصيب أعضاء النطق ، ويحصل للعربى وغير
العربى دون أن يؤثر فى السليقة ، ولكن قد يشاع عن الانسان هذا العيب،
ويتندر به الناس ، وتكثر فى هذا التندر الروايات والاقاويل • ولعلك
لاحظت اختلاف الرواة فى الحرف الذى لا يستطيع زياد نطقه ففى مراجعته
لخادمه قائلا « منذ لدن دأوتك الى ان قلت لبي ما كنت تسنا » وهو الخبر
الذى ذكره أبو الفرج نرى زيادا لا يستطيع نطق العين فيقلبها همزة ، ولا
يستطيع نطق الصاد فيقلبها سينا • وفى الخبر الذى يليه - وقد ذكره أبو
الفرج أيضا - يقول زياد : كنت على بنت الهمار ، يريد الهمار ، كأنه لا
ينطق الحاء ، وذكر الجاحظ عن أبى عبيدة ان زيادا كان يجعل السين
شينا والطاء تاء فكان يقول فى السلطان : الشلتان •

ولعل فى هذا الاضطراب ما يقوى يقينك ان زيادا كان يعانى من
عقدة فى لسانه بالغ شائتوه فى تصويرها حتى عده أكثرهم أعجيبا بالمعنى
المقابل للفصيح ، فالسين التى فى السلطان ونطقها شينا (الشلتان) قد
نطق بها صحيحة وهو يقول لخادمه : ماذا كنت تسنا - والحاء التى لم
يستطيع النطق بها فقال (الهمار بدل الهمار) كانت قافية القصيدة التى رثى
بها المغيرة بن المهلب ، أى كانت قصيدة حائية ، بل ربما كانت أخف القوافى

(1) الاغانى 14 : 288 ط دار الكتب ، 13 : 56 ط ساسى . الضلة =
الحيرة

عنده فقد رأيناه مرة أخرى وقد أعد قصيدة حائية يهجو بها يزيد بن حبناء
الضبي مطلعها :

يحذرنى الموت ابن حبناء والفتى
الى الموت يغدو جاهدا ويروح

الى آخرها (1) •

ولو أن الرجل كان مصابا حقيقة (بالحاء) لهرب منها ، أو على الأقل
لم يتخذها قافية تطارده عند نهاية كل بيت ونحن نعرف أن القافية هي
أحسن مكان يستريح عنده الشاعر فكيف وضع نفسه في هذا المأزق ان
كان لا يحسن الحاء وهو الشاعر المشهود له بالقدرة على الشعر والتصرف
فيه حتى لجأت اليه ربعة كلها تقول له : « يا زيادا أنت لساننا فاذب عن
أعراضنا بشعرك وان سيوفنا معك » (2) •

ومما ذهبنا اليه أيضا أن وجود الرجل في خراسان أو في مرو أو في
اصبهان ونشأته في قبيلة عربية لا ينتج مثل هذه العجمة التي أفاض الناس
في تجسيمها ، فلقد ذهبت القبائل العربية الى هذه البلاد ومدت سكنائها
فيها قبيل الفتح الاسلامي وفي ابانه ، وأشار الى ذلك المثنى بن حارثة
الشيباني وهو يحمس جنوده قائلا : لا يعظمن عليكم هذا الوجه ، فانتا قد
تبجحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقى السواد وشاطرناهم ولنلناهم
واجترأ من قبلنا عليهم (3) ثم تلاحق دخول القبائل العربية هذه البلاد ،
ومدت سكنائها الى أقصى الشرق في أرض فرغانة والشاش (4) في مطلع

(1) الاغانى 14 : 103 ط ساسى

(2) الاغانى 13 : 94 ط دار الكتب

(3) تاريخ الطبرى 2 : 631 ط الاستقامة

(4) فتوح البلدان للبلاذرى 437 ط الموسوعات

القرن الأول من الهجرة وفي ضواحي أصبهان نزلت بطون من ثقيف ، وتميم ، وبنى ضبة ، وخزاعة ، وبنى حنيفة وبنى عبد القيس (1) (قبيلة زياد) كما نزلت بطون من عبد القيس في مرو (2) وكان من سياسة الولاة في هذه البلاد الاستكثار من العنصر العربي ، فحين ولي زياد بن أبى سفيان الربيع بن زياد الحارثي خراسان حول معه من أهل المصريين : البصرة والكوفة خمسين ألفا بعيالاتهم وأسكنهم دون النهر (3) .

وفي اصبهان كان للسان العربي القح مكان فيها ، أشار الى ذلك ياقوت الحموي وهو يترجم للحسن بن عبد الله الاصبهاني المعروف بلغة فنقل عن حمزة بن حسن الاصبهاني في كتاب اصبهان : (وقد تقدم من أهل اللغة في اصبهان ، وصار فيها رئيسا يؤخذ عنه ، جماعة منهم أبو على لغدة ، وكان رأسا في اللغة والعلم والشعر والنحو ، حفظ في صغره كتب أبي زيد ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، ثم تتبع ما فيها ، فامتحن بها الأعراب الوافدين أصبهان ، وكانوا يقدون على محمد بن يحيى بن أبان ، فيضربون خيمهم بفناء داره في باغ سلم بن عود ، ويقصدهم أبو على كل يوم فيلقى عليهم مسائل شكوكه من كتب اللغة ...) (4) فانت ترى للسليقة العربية مكانها في أصبهان لم تفقد دورها بعدها عن البداية القصيحة .

ونشأة زياد وسط بطون عبد القيس لا يعطى بالضرورة سببا لهذه العجبة ، فأمره امرهم ، ونشأته نشأتهم ، وحديثه حديثهم — بل كان

(1) البلدان لليعقوبي 51

(2) معجم الادباء 8 141

(3) فتوح البلدان 410 ط ليدن

(4) معجم الادباء 16 : 71

أشعرهم - وألفاظه العربية. الصريحة الصحيحة الفصيحة لا يمكن صدورها عن أعجمي - وإذا تحدثنا عن عبد القيس وجدناها تحتل المرتبة الثانية في عداد القبائل الشاعرة كما يقول أبو عبيدة (اتفقت العرب على أن أشعر أهل المدن أهل يثرب ، ثم عبد القيس ، ثم ثقيف) (1) *

وكل ما نفترضه ونراه قريبا هو إصابة الرجل بعيب من عيوب النطق لا يرقى الى حالة العجمة ، والا فكيف احتج به ابو عبيدة وهو عمدة من عمد الرواية اللغوية *

ثم ما رأيك في سيبويه هذا الرجل الذى قعد العربية معتمدا على السنة اهلها ، قد وجدت سيبويه يحتج به فى باب الساكن الذى تحركه فى الوقف اذا كان بعده هاء للمذكر الذى هو علامة الاضمار ، يحتج بقوله : عجبنا والدهر كثير عجبنا

من عنزى سبنى لم أضربه (2)

وها هو اللغوى المفسر المؤرخ محمد بن جرير الطبرى يحتج بشعر زياد الاعجم فى سياق تفسير قوله تعالى (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) (3) ونحن لا ننسى للطبرى مكانه العلمى حتى لو افترضنا انه نقل عن أبى عبيدة *

وأبو الفتح عثمان بن جنى الذى يرجح برأيه أى معترك لغوى نراه يحتج بزياد الاعجم ويخرج بهذا الاحتجاج شواذ القراءات (4) *

يبدو أننا أطلنا الحديث فى منعطف جرننا اليه زياد الاعجم ، ونسينا ،

(1) الاغانى 3 : 180 ط ساسى

(2) الكتاب لسيبويه 2 : 287

(3) تفسير الطبرى 10 : 108 ط بولاق سنة 1337 هـ

(4) انظر المحتسب لابن جنى 1 : 168 و 196

أبا عبيدة ودوره فى الشعر ، والكلام، عن زياد واختلاف الناس فى أمره قريب من اختلافهم فى أمر أبى عبيدة ، الأول لكلمة الأعجم التى لحقت بأسسه ، والثانى لشعوبيته - فلقد كان الثانى على علم غزير باللغة والأدب ، والاخبار ، والانساب - والشعر عصب هذه المواد جميعا ، ويبدو أنه كان أغزر مادة من الأصمعى الذى عرف بسعة علمه بالشعر وتصرفه فيه ، ولكن حين يجتمع الرجلان تهبط كفة أبى عبيدة لشعوبيته ، وعبر العلماء عن ذلك بأكثر من مناسبة ، قيل لأبى نواس : قد أشخص أبو عبيدة والأصمعى الى الرشيد قال : أما أبو عبيدة فانهم ان امكنوه من سفركه قرأ عليهم أخبار الأوائل والآخرين ، وأما الأصمعى فلبيل يطربهم بنغماته (1) وزعم الباهلى صاحب كتاب المعانى أن طلبة العلم كانوا اذا أتوا مجلس الأصمعى اشتروا البعر فى سوق الدر ، واذا أتوا أبا عبيدة اشتروا الدر فى سوق البعر ، والمعنى أن الأصمعى كان حسن الانشاد والزخرفة لردى الاخبار والاشعار حتى يحسن عنده القبيح ، وأن الفائدة عنده مع ذلك قليلة وأن أبا عبيدة كان معه سوء عبارة وفوائد كثيرة والعلوم عنده جمة (2) وقال الخشنى : كان أبو عبيدة أكثر علما من الأصمعى وأكثر أخبارا وكتبا، وكان الأصمعى احضر جوابا وأرضى عند الناس (3) .

ولدينا مقارنة موضوعية لها وجهان ، الأول هذا الخبر الذى يرويه الأصمعى فيقول : (حضرت أنا وأبو عبيدة عند الفضل بن الربيع فقال لى : كم كتابك فى الخيل ؟ فقلت : مجلد واحد ، فقال لأبى عبيدة عن كتابه فى الخيل فقال : خمسون مجلدا ، فقال له : قم الى هذا الفرس وامسك عضوا عضوا منه واذكر ، فقال : لست ببيطار وانما هذا الشئ أخذته عن العرب ،

(1) انباه الرواة 2 : 202

(2) انباه الرواة 3 : 279

(3) طبقات الزبيدي 188

فقال لى : قم يا أصمعى وافعل ذلك • قال : فقمتم وأمسكت ناصية الفرس وشرعت أذكر منه عضوا عضوا ويدي على ذلك العضو وأشد ما قالت له العرب الى أن فرغت منه • فقال : خذه ، فكنت اذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبته اليه (1) •

فحصيلة أبى عبيدة من شعر العرب ، ومن المادة التى جمع منها خمسين مجادا اكبر من حصيلة الأصمعى ولكن معرفة الاصمعى بالدلالات كانت ميزة على صاحبه - وفى رواية أخرى لهذا الخبر أن المقابلة كانت عند الرشيد ، فلما انتهى الأصمعى من مهمته سأل الرشيد أبا عبيدة : ما تقول فيما قال ؟ قال : قد أصاب فى بعض وأخطأ فى بعض ، فالذى أصاب فيه تعلمه منى والذى أخطأ فيه لا أدري من أين أتى به (2) •

أما الوجه الآخر فى هذه المقارنة فنظرة فى كتابى الرجلين وهما - لحسن الحظ - تحت ايدينا ، نلمس فيهما اعتماد أبى عبيدة على حسن الترتيب ، وغزارة الشعر فقد بدأه بمقدمة تبين عناية العرب بالخيال ومدى صيانتهم لها لما كان لهم فيها من العز والمنعة والجمال ، وحكى عن العرب بعض ما قيل فى من يكرّم الخيل ، ومن يؤثرها على أهله ونفسه ، وفى ذم من يسىء اليها ثم أخذ فى تسميه خلق الفرس ، وما يوصف من أمر الخيل وفحولها وانائها وحال أولادها الى أن تنتهى أسنانها ، وذكر أسماء الطير فى الفرس ، وما يستدل به على جودة الفرس وجودة خلقه وعيوبه ، وما يخالف الذكر فيه الاثنى ، وتكلم عن الوانها ، وانواع مشيها وأصواتها ، وهو فى كل هذا يجد متسعا لقول الشعر استشهادا أو استطرادا حتى اذا فرغ من الكتاب عقب عليه بباب طويل مما قالت العرب فى أشعارها من صفة الخيل ، ذكر فيه قصائد لعلقمة بن عبدة ، وامرئ القيس ، وأبى

(1) انباه الرواة 2 : 201 ط دار الكتب 1369 هـ - 1950 م

(2) انباه الرواة 3 : 297 ط دار الكتب 1371 هـ - 1952 م

دؤاد الايادى ، وعبيد بن الابرص وعدى بن زيد العبادى ، وعوف بن
الخرع التيسى . وبشر بن أبى خازم الاسدى ، وعروة بن سنان العبدى ،
وعروة بن مكرم التغلبى ، وعقبة التغلبى ، وغيرهم ممن عرف بجودة شعره
فى الخيل .

اما كتاب الاصمعى فقد تناول فيه ما يستحب من الخيل وما يكره
منها ، وصفة مشيها وعدوها والوانها الى غير ذلك ، وجعل وجهته خالصة
للغة فلم ينتج الى الشعر الا لغرض الاستشهاد فجاء كتابه دون كتاب أبى
عبيدة كما كان الكتابان يعبران عن الفرق بين الرجلين فى حصيله الشعر
ودرجة الانتفاع به .

ولابى عبيدة كتاب (النقائض) يشهد بعلو كعبه فى ربط الاشعار
بدواعيها ولم يقتصر على ما جاء بعنوان الكتاب من نقائض بين جرير
والفرزدق وانما على قصائد ومقطعات اقتضاها السياق ، ولم يكتف فيه
بالناحية الاخبارية ولا جمع المادة الشعرية ولكن الكتاب فى مجموعه كتاب
لغة اعتمد على هذا المتن الواسع من الشعر .

أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري

كانت علاقة أبى زيد بالشعر تختلف عن زميله الاصمعى وأبى عبيدة
الذين حضلا واستظهرا منه قدرا كبيرا ، وجاءت بعض مؤلفاتهما نتيجة
لهذا الحفظ كالاصمعيات وكتاب الارجيز ، ومعانى الشعر للاصمعى ،
والنقائض ، والشعر والشعراء لأبى عبيدة . وكان الأول ينتجه اتجاها
لغويا فى تفسير مختاراته ، ويتجه الثانى اتجاها تاريخيا ولغويا وهو يقيم
كتاب الأول على نقائض جرير والفرزدق . أما أبو زيد فقد جعل اختياره
الشعر والرجز بمثابة متن يشير من خلاله الى فرائد العربية ومع ذلك فقد
كانت القاعدة العامة التى بدت فى محاولة جمع الشعر تفرض نفسها أحيانا

على منهج أبي زيد فكان يورد بعض المقطعات القصار لا يتبعها بشرح ولا بيان لغوى كأن ذلك من (النوار في اللغة) وهو الاسم الذي اختاره لكتابه .

وحيث أقام هذا الكتاب على مختارات من الشعر والرجز يجعلها متنا يقمى عليه بشروح لغوية لم يجد ضيرا أن يجمع هذا المتن سماعه عن المفضل الضبى وهو رجل كوفى ، ومن غير المفضل لأنه سيدير دراسته اللغوية على مذهبه البصرى ، ويحتج لها ويوثقها على طريقته هو - ويجعل للعرب الكلمة المثلى فيما يرويه من لغات ولقد جاء ذلك واضحا فيما أخبر به أبو حاتم قال : قال لى أبو زيد : ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعى من المفضل بن محمد الضبى ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعى من العرب - وجاء فى المقدمة أيضا عن التوزى أن أبا زيد قال : ما كان فيه من رجز فهو سماعى من المفضل ، وما فيه من قصيد أو لغات فهو سماعى من العرب - والقولان وإن اختلفا فى مصدر الرجز والقصيد - يجمعان على أن اللغات كانت سماع أبي زيد عن العرب .

وأكثر الذين عنوا بالشعر من اللغويين لم يذهبوا فى جمعه الى مجرد الاختيار بمعنى استحسان القصائد والمقطعات وإنما جعلوه سبيبا لمعرفة العربية ، أو التعريف بسائلها كتوضيح الغريب والوحشى من الالفاظ ، وبيان لهجات القبائل ، وفرائد العربية ، وبعض الخصائص كالاشتقاق ، والقلب والابدال ، والاضداد الى غير ذلك ونحن نعرف بكتاب أبي زيد كما بدا لنا من هذا الوجه .

روى كتاب (النوار فى اللغة) فى عصر متأخر ، فأضيفت اليه شروح وزيادات لم تكن من عمل أبي زيد اذ جاء بعضها متأخرا عن العصر الذى عاش فيه ، والحقيقة ان الكتاب يشل الرواية فى بغداد حيث نزع اليها

رجال من الكوفة ، والبصرة ، ونشأ جيل على مزاج من الثقافتين ، واشترك كل أولئك في شرح الكتاب وتحشيثه بفضل ابي الحسن على بن سليمان الاخفش ، والاخفش وان نسب الى البصريين فانه زواج بين الثقافتين ، وروى عن أبي العباس المبرد ، وثعلب ، ولذلك جاء كتاب النوادر لابن زييد صورة بغدادية ترى فيه الى جانب البصريين علما عن ابن الاعرابي ، والقراء وثعلب من رجال الكوفة ، فاذا استطعنا أن نستخلص مادة أبي زييد وهو عمل شاق ومتداخل رأينا في مسلك أبي زييد أكثر من وجه في وضع الكتاب ، منها :

— أن يأتي بمقطوعات غير مشروحة وكأنها مجرد اختيارات كقوله تحت باب شعر :

لا أرضع الدهر الا ثدى واضحة

أو واضح الخد يحمي حوزة الجار

من آل سفيان أو ورقاء يمنعها

تحت العجاجة ضرب غير عوار

يا ليتني — والمنى ليست بنافعة

لمالك أو لحصن أو لسيار

طوال أنضية الاعناق لم يجدوا

ريح الاماء اذا راحت بأذفار (1)

ويمكنك أن ترى صوراً من هذا الوجه في أبواب متفرقة من

الكتاب (2) .

— وكانت الصورة الثانية ابياتاً من القصيد أو الرجز ذيلت بشروح

وتفسير لغريبها كروايته لقول عبدة بن الطبيب :

(1) النوادر 22

(2) النوادر 45 و 91 و 109 و 111

ولقد علمت بأن قصرى حفرة
غبراء يحملنى إليها شرجع
فبكى بناتى شجوهن وزوجتى
والطامعون الـى ثم تصدعوا
وتركت فى غبراء يكره وردها
يسفى على التـرب حين أودع

ومن تفسيره لهذا الشعر قوله : الشرجع السرير الذى تحمل عليه
الموتى ، وقوله : قصرى أى قصارى أى آخر أمرى الموت والقبر ،
والشجو : الحزن - ولو قال فبكت لكان جيدا - وأشار الى كلمة زوجتى
فى الايات فقال : ويقال : هى زوجى (1) وهذه الصورة متكررة فى
الكتاب .

وفى التعريف بغريب الكلام ما يورده تحت باب شعر ، منسوباً الى
غمان بن كعب بن عمرو بن سعد :

الاقالت بهان ولم تأبق
نعمت ، ولا يلىط بك النعيم
بنون وهجمة كأشاء بس
صفايا كثة الاوبار كوم
تبك الحوض علاها ونهلى
ونخلف ريادها عطن منيم
اذا اصطكت بضيق حجرها
تلاقى المسجدية واللطيم

(1) النوادر 23 — 24

قال : يليط مثل يليق ، بهان اسم امرأة مثل حذام ، وتأبق تباعد
أخذه من اباق العبد أى لم يقر (1) • واتسع الشراح فى تفسير وشرح
هذا الشعر ولم نشأ أن نعرض لهم فنتشغل بهم عن أبى زيد •

— ويشير ابو زيد الى كلمات تحذف ، وكلمات تأتى زائدة ، من
ذلك حذف المضاف اذا دل الكلام عليه • قال ابو زيد : أنشدنى المفضل
لرجل من بنى ضبة هلك منذ أكثر من مائة سنة :

ان لسعدى عندنا ديوانا
يخزى فلانا وابنه فلانا
كانت عجوزا عمرت زمانا
وهى ترى سيئها احسانا
أعرف منها الالف والعينانا
ومنخران أشبهها ظيانا

قال : ظبيان : اسم رجل ، أراد منخرى ظبيان فحذف ، كما قال عز
وجل (واسأل القرية) يريد أهل القرية (2) •

ومن الكلمات التى تأتى زائدة كلمة (كذب) ذكر أبو زيد شعر
لخداش بن زهير العامرى :

كذبت عليكم أوعدونى وعللوا

بى الأرض والأقوامَ قردانَ موطبا

وقال : معنى كذبت عليكم ، أى عليكم بى ، وتجىء (كذب) زائدة
فى الحديث والشعر قال عمر : كذب عليكم الحج فرفع الحج بكذب ،
والمعنى عليكم الحج أى حجوا وقال : نظر أعرابى الى فلان يعلف بعيرا

(1) النوادر 16

(2) النوادر 15

فقال : كذب عليكم البزر والنوى ، وفى الحديث ثلاثة اسفار كذابين عليكم (1) •

— وكان أبو زيد عالما بالنحو ويفضل الاصمعى وأبا عبيدة فكان يأنى بملاحظ نحوية ويتلمس الاسباب للقول فيها : ذكر قول ضابىء بن الحارث :

من يك أمسى بالمدينة رحله
فانى وقيارا بها لغريب

وقال : قيار : جملة — أراد فانى غريب ، وان قيارا أيضا لغريب ، ولو قال : لغريبان لكان أجود — ويجوز وقيار بالرفع على الابتداء (2) •

وفى فعل وأفعل يروى قول الأسود بن يعفر :
أجد الشباب قد مضى فتسرعا
وبان كما بان الخليط فودعا

قال أبو زيد : جد فى الأمر وأجد (3)

— ومن لهجات القبائل أشار الى رواية المفضل الذى قال : أنشدنى أبو الغول هذه الايات لبعض أهل اليمن :

يارب ان كنت قبلت حجتج
فلا يزال شاحج يأتيك بج
أقمر نهات ينزى وفرتج

اراد حجتى ، ووفرتى ، وبى

وجاء فى كتاب القلب والابدال. ليعقوب بن السكيت فى باب الجيم

(1) النوادر 17 — 18

(2) النوادر 20

(3) النوادر 162

والياء هذا الشعر مرويا عن الفراء — وقال الأصمعي : حدثني خلف الأحمر
عن رجل من أهل البادية يقول :

المطعمون اللحم بالعشج
وبالغداة كسر البرنج
هلع بالود وبالصيصج

يريد بالعشى ، وقدر البرنى ، والصيصى وهو قرن البقرة •

وقال أبو عمرو بن العلاء : قلت لرجل من بنى حنظلة ممن أنت ؟
قال : فقيصج ، قال : وقلت : من أيهم ؟ قال : مرج • يريد فقيصى ، ومرى
وأشدد لهيمان بن قحافة السعدى :

تطير عنها الوبر الصهايجا

يريد الصهاى من الصهبة — قال : وبعض العرب اذا شدد الياء
جعلها جيما وأنشد عن ابن الأعرابى لابی النجم :

كأن فى أذنا بهن الشوئل

من عبس الصيف قرون الأرجل

يريد الأريل — وقال أبو زيد : هو الصهريج والصهاريج ، وبنو
تميم يقولون : الصهرى والصهارى وهو الذى يجعل للماء يجتمع فيه (1)
وفى لهجات القبائل أيضا يقول أبو زيد : أنشدنى أبو الغول لبعض
أهل اليمن :

أى قلو ص راكب تراها

طاروا عليها فثل علاها

واشدد بمثنى حقب حقواها

ناجية وناجيا أباهـا (2)

(1) القلب والابدال لابن السكيت 28 — 29 ط بيروت سنة 1903

(2) النوادر 164

ويشير أبو زيد الى طريقة نطق أهل البدو فيما رواه عن رجل زعموا
أنه من كلب :

أرسل فيها بازلا يقرمه
وهو بها ينحو طريقا يعلمه
باسم الذى فى كل سورة سُمِّه

اراد اسمه ، وأنشد أعرابى :

أنا الحباب الذى يكفى سُمى نسبى
إذا القميص تعدى وسَمَّة النسب

وقال أيضا :

فدع عنك ذكر اللهو وأعمد بمدحة
لخير يمان كلها حيث ما انتمى
لأوضحها وجهها وأكرمها أبا
وأسمحها كفا ، وأعلنها سما

ثم قال - اى أبو زيد : يقال : سُمِّه ، وسَمِّه يريد الاسم (1)

ويعنى أبو زيد بالشعر أكثر من عنايته بالشاعر أو بتحقيق السند كأن
يقول : قال رجل زعموا أنه من كلب - أو - وأنشد أعرابى ، أو قال
الراجز ، وفى الكتاب الذى وضعه باسم (كتاب المطر) يحتج لكثير من
المسميات بأشعار غير منسوبة ويكتفى بقوله : قال الراجز (2) أو قال
الشاعر (3) ولم يجيء منسوباً فى هذا الكتاب كله الا بيت كثير غزاة :

كساع الى ظل الغيابة يتنقى
مقيلاً فلما أن أتاها اضمحلت

(1) النوادر 166

(2) كتاب المطر 6 و 11 و 12 و 16 و 17 و 19

(3) كتاب المطر 6 و 7 و 14

يحتج به على أن الضيافة هي ظل السحابة عند بعض العرب ، وعند البعض الآخر الغيابة (1) بالياء *

وفى كتاب اللبأ واللبن لابی زيد أيضا رواية أبى حاتم السجستاني ، وأبى الفضل الرياشي لم يجيء فيه من الشعر منسوباً إلا بيت أعشى بنى عكل :

وان لم تقدّر خمرة من ثمالها
فانك عن ألبانها سوف تسمن

محتجا لكلمة ثماله بمعنى رغبة (2) *

هؤلاء الثلاثة : الأصمعي ، وأبو عبيدة ، وأبو زيد هم أهم رجال الرواية اللغوية في القرن الثاني وواضعو نهجها *

(1) كتاب المطر 15

(2) كتاب اللبأ واللبن 2 ضمن كتاب البلغة في شذور اللغة ص 143 ط.
بيروت سنة 1908

الصف الثاني في البصرة - وعنايته بالشعر

ترأس من بعد الاصمعي ، وأبى زيد ، وأبى عبيدة نفر من العلماء في البصرة عنوا بالشعر عناية ملحوظة على أنه وعاء العربية وجامع متونها فتكلموا في معانيه ، وغريبه ، وعروضه وقوافيه ، ومروا في أبحاثهم من الأهم نازلين إلى المهم ، إلى ميادين لا تتصل برواية اللغة اتصالاً وثيقاً كالكلام في القوافي والعروض ، ويبدو أن الذين ألفوا في القوافي والعروض من رجال اللغة لم يبدأوا مؤلفين في هذا الغرض ولا هادفين إليه ، ولكنهم استبانوا علماً به بعد أن قتلوا الشعر بحثاً عن معاني اللغة ، ومفرداتها ، وخصائصها ، ولهجات القبائل فيه ، فجاءت معرفتهم بالقوافي والعروض من وراء هذه السعة ، ولا تكاد تخلو ترجمة واحدة من تراجم لغويي هذا العصر من دليل اتصالهم الوثيق بالشعر والتأليف فيه فلعبد الرحمن ابن أخي الاصمعي كتاب معاني الشعر بالاضافة الى عنايته بشعر الشماخ (1) وكان الاثرم يملئ شعر الراعي ويفسره واشتهر أمره بذلك حتى كان ثعلب وابن السكيت وهما من رؤساء البغداديين على المذهب الكوفي يسألانه عن غريبه (2) وعمل كل من الجرمي والمازني كتابين أحدهما في القوافي وآخر في العروض (3) ويوصف الرياشي بأنه كان عالماً باللغة والشعر (4) وكان أبو حاتم السجستاني عالماً باللغة والشعر حسن العلم بالعروض وإخراج المعنى (5) وللمبرد شرح شواهد كتاب سيبويه ، والقوافي ، وكتاب ضرورة الشعر ، وكتاب قواعد الشعر ، وكتاب العروض (6) وعمل تلميذه أبو ذكوان كتاب معاني الشعر رواه ابن درستويه (7) وللأشناداني كتاب معاني الشعر .

(1) طبقات الزبيدي 197	(2) الفهرست 83 ط الرحمانية
(3) الفهرست 84 و 85	(4) الفهرست 86
(5) انباه الرواة 2 : 59	(6) الفهرست 88
(7) الفهرست 88	

وحين انتقل رجال المذهب البصرى الى بغداد بقى هذا الاثر فيهم
فكتب فى الشعر والشعراء ابن السراج وكان من تلامذة المبرد (1) ولابن
قتيبة كتاب الشعر والشعراء أيضا ولابن درستويه كتاب معانى الشعر (2) *
ونستطيع أن نمر مرورا هينا على أدوار الشعر المتصلة بالرواية
اللغوية الى أن نعيش مع أصحابنا رجال القرن الثالث على النحو التالى :

فهم ألفاظ القرآن الكريم

بدأ ذلك من عصر مبكر ابن عباس وعكرمة ، روى طلحة بن عمرو
عن عطاء قال : سمعت ابن عباس اذا سئل عن عربية القرآن أنشد الشعر ،
فقال له ما زعيم ؟ فقال :

زعيم تداعاه الرجال زيادة

كما زيد فى عرض الأديم الاكارع

وعن ابن أبى مليكة قال : سئل ابن عباس عن (الليل وما وسق)
فقال وما جمع ، ألم تسمع قول الشاعر :

ان لنا قلائصا حقائقا

مستوسقات لو يجدن سائقا

♦♦♦♦ الى غير ذلك (3) *

فاذا شذت كلمة عن مداركه تلمسها فيما يأتى الى سمعه من لهجات
القبائل الاخرى ، جاءه رجل يخاصم أخاه فى مال له فأشده :

تخوفنى مالى أخ لى ظالم

فقال : تخوفك ، تنقصك ؟ الله أكبر (أو يأخذهم على تخوف) أى

على تنقص من خيارهم *

(1) الفهرست 93

(2) الفهرست 94

(3) مقدمتان فى علوم القرآن 198 نشرهما ارثر جفرى ط القاهرة

سنة 1945 م

وروى عن عكرمة أنه سئل عن الزنيم فقال : هو ولد الزنى ، وتمثل
بقول الشاعر :

زنيم ليس يعرف من أبوه

بغى الأم ذو حسب لثيم

كان هذا الوجه يجرى على ندرة وقلة حين كان الناس على ارث من
سليقتهم اللغوية ويردهم الشعر الى ذاكرتهم ان كانت الآفة من النسيان أو
يحملهم الى لهجة أخرى لم يألوا سماعها ، واجتمعت القبائل في البصرة
تألف لهجاتهم في أكثر الأحيان وتختلف أحيانا ويأتى اليها غير العرب
مستعربون ، ويدخل في دين الله فارسيون وهنود وزط وسباجة ، وتشتد
الحاجة الى العربية فيبرز دور آخر للشعر هو :

التأديب فكنت تجد عند ابن عباس مجلسا للشعر (1) ، وعند ابن أبي
اسحاق مجلسا يصف مهمته فيه بقوله : (نقتى فيما استتر من معانى الشعر
وأشكل من غريبه واعرابه بفتوى سمعناها من غيرنا أو اجتهدنا فيها
آراءنا) (2) *

ثم يتخصص هذا التعميم وتضييق دائرته ويتجه في فرع منه الى :
توثيق الفاظ العربية فلقد اتجه رجال اللغة الى جمع مفرداتها ، وتبويب
حصيلة هذا الجمع تحت موضوعات معينة كالدارات ، والوخوش ،
والنبات ، وخلق الانسان الى غير ذلك وكان على جامع هذه المفردات أن
يتسلح لما يأتى به بشواهد من كلام العرب وكانت أمثل الشواهد ما
صدرت عن عربى خالص العروبة فوضعوا لذلك الضوابط والحدود ،
وحرصوا في أكثر الأحيان على نسبة الشعر لقائله فتظهر فيه لهجة قبيلته .
وكان القرن الثانى موعدا جمع اللغة وشواهدا من الشعر ، واستطيع فى
اطمئنان القول بأن عملية الجمع انتهت فى هذا العصر فى تلك الرسائل

(1) الاصابة 4 : 809 ترجمة رقم 9149 ط الهند

(2) انباه الرواة 2 : 106

والمجاميع التى وضعها الرواة وتبع ذلك أو سار مع نفس المسار جمع المعاجم ثم اتجه العلماء الى بيان خصائص العريية ومسائلهـا كالقلب والابدال والتراذف والتضاد واعتمدت هذه الخصائص فى جوانبها الفنية على الشعر ايضا ، ولم يقف دور الشعر عند الدراسات اللغوية وانما وسع دائرة التوثيق الى :

الاتجاه التعليمى

وأقدم صورة لذلك فيما يبدو هى - رواية كتاب النوادر لأبى زيد - أقول رواية الكتاب لا الكتاب نفسه فلقد صدرت هذه الرواية عن أبى الحسن على بن سليمان الاخفش وأضاف شروحا لرجال جاءوا بعد عصر أبى زيد فبرزت هذه الصورة التعليمية التى استهدفت بيان ما غمض من ألفاظ الكتاب ، بالاضافة الى ابراز نوادر العريية فيه .

وربما سأل سائل عن الفرق فى دور الشعر فى مجالس الأدب عند ابن أبى اسحق فى القرن الأول ، ودوره فى توثيق ألفاظ العريية فى القرن الثانى ، وفى الاتجاه التعليمى فى القرن الثالث فنقول : ان دوره فى القرن الأول والثالث يتشابهان ووجهتهما واحدة ودواعيهما واحدة من حيث التعريف بالعريية بشرح غريبها ، يفصلهما هذا الدور الذى صاحب جمع اللغة والذى كان لا يقبل فيه لفظ غريب غير معتمد على شعر موثق لان اصحاب هذا الدور كانوا يجمعون أصولا فكان الشعر الموثق سند هذه الاصول ، فطلب الشعر الموثق لتأصيل الكلمة وبيان وجهها العربى غير طلب المعانى لتفهم الشعر ، الأول يتجه اتجاها لغويا والثانى يتجه اتجاها أدبيا .

وفى القرن الثالث اختلط الوجهان على أيدي اللغويين ، والفراغ الذى كان يشغل جمع اللغة قد اتسعت باحته بانتهاء هذا الجمع ، فأتسع الكلام فى الشعر وفى ألفاظه ، ووضعت فيه الكتب واختلفت وجهات التأليف باختلاف طبائع المؤلفين ، فقد يكون نحويا فتراه يحرص على بيان

هذا الوجه ويعنى باعراب الكلمات ، وقد يكون اخباريا فينحو بك ناحية التاريخ ، والاخبار والوقائع ، وقد يستعين اللغوى القح بمادة الشعر ليتكلم فى خصائص العربية ومسائلها فيوقفك على الاضداد ، والتراذف ، والابدال ، والقلب الى غير ذلك ، وكلهم لغوى على كل حال ، ولكل وجهه البارز الذى عرف به .

أشار ابن النديم الى عالم بصرى ضمن اللغويين والنحويين هو سعيد ابن هارون الأشنادانى ، وذكر من كتبه : كتاب معانى الشعر ، وكتاب الأبيات ، ولعله يعنى أبيات الشعر ، والكتاب الأول وصل الينا رواية أبى بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى ، وبارغم من الاشارة الى الرجل بأنه لغوى كبير كما ورد فى بغية الوعاة للسيوطى فان العمق اللغوى فى كتاب معانى الشعر ضحل لا غور فيه ، ويكاد يقتصر على تفسير العبارات .

جعل الكتاب فى مقاطع بلغت مائة وأحد عشر مقطعا ، نكتفى بعرض المقطع الأول منه كتعريف بمسالك الاشنادانى ، يقول :

وشعنا غبراء الفروع منيفة

بها توصف الحسناء ، أو هى أجمل

دعوت بها أبناء ليل كأنهم

وقد أبصروها - معطشون قد انهلوا

فقال : يصف نارا ، جعلها شعنا لتفرق أعاليها بالدخان كأنها شعنا الرأس ، و (غبراء) يعنى غبرة الدخان - وقوله : بها توصف الحسناء ، فان العرب تصف الجارية فتقول : كأنها شعلة نار ، وكأنها بيضة فى روضة - ويقول (بها توصف الحسناء أو هى أجمل حسنا منها) - والمنيفة : المشرفة ، والمعطش : الرجل الذى عطشت ابله ، وقوله (دعوت بها أبناء ليل) يعنى أضيافا ، دعاهم بهذه النار ، وليس هناك دعاء وانما دعاهم

بضوئها فلما رأوها كانوا من السرور بها كأنهم معطشون قد أوردوا ابلهم،
والناهل أيضا الذى سقى ابله أول سقية ، وهو من الاضداد (1) *

وللمبرد وجه آخر فى تناوله للشعر ، وكان لغويا نحويا ، أدبيا
ذا تصرف فى المعارف (2) ومؤلفاته التى حرصت على ذكرها فى الهامش
تدلك على أن الرواة فى هذا العصر - وقد انتهى جمع مفردات اللغة -
قد ذهبوا الى تشقيق فصولها ، فالذين التزموا بالجانب اللغوى كتبوا فى
خصائص العربية ، وانتقلوا من معانى المفردات الى التراكيب ، وآخرون
جمعوا الى ذلك مادة الأدب والاخبار ، وكان المبرد يجمع كل هذا ويضيف
الى ذلك سعة فى النحو ، قدم لكتاب الكامل فقال :

(هذا كتاب الفناء يجمع ضروبا من الادب ما بين كلام منشور ،

-
- (1) معانى الشعر للاشنانداني 7 ط دمشق سنة 1922
(2) له من الكتب : الكامل ، الروضة ، المقتضب ، الاشتقاق ، الانواء
والازمنة ، القوافى ، الخط والهجاء ، المدخل الى سيبويه ، المقصور
والممدود ، المذكر والمؤنث ، معانى القرآن ويعرف بالكتاب التام ،
احتجاج القراء ، الرسالة الكاملة ، الرد على سيبويه ، قواعد
الشعر ، اعراب القرآن ، الحث على الادب والصدق ، قحطان
وعدنان ، الزيادة المنتزعة من سيبويه ، المدخل فى النحو ، شرح
شواهد كتاب سيبويه ، ضرورة الشعر ، ادب الجليس ، الحروف
ومعانى القرآن الى طه ، معانى صفات الله جل اسمه ، المماح
والمقابح ، الرياض المونقة ، اسماء الدواهي عند العرب ، الاعراب ،
التعازى ، الوشى ، فقر كتاب سيبويه ، الناطق ، معنى كتاب
الايست للاخفش ، كتاب البلاغة ، العروض ، شرح كلام العرب
وتلخيص الفاظها ، ما اتفقت الفاظه واختلفت معانيه فى القرآن ،
الفاضل والمفضول ، طبقات النحويين البصريين واخبارهم ، كتاب
العبارة عن اسماء الله تعالى ، الحروف ، التصريف - انباء الرواة

وشعر مرصوف ، ومثل سائر ، واختيار من خطبة شريفة ، ورسالة بليغة ،
والنية فيه أن تفسر لكل ما وقع فى هذا الكتاب من كلام غريب ، أو معنى
مستعلق ، وأن نشرح ما يعرض فيه من الاعراب شرحا شافيا) •

فلا تتوقع اذن أن ترى الشعر شاهدا او اداة احتجاج فحسب ولكنه
أيضا اثر يحتاج الى شرح واعراب وغير ذلك - وكان بالنفس أن ننقل
نموذجا ترى فيه المبرد وهو يعالج معارفه المختلفة لتلمس دور الشعر فيها
فخفت التطويل ، وهممت بالاحالة الى فقرات اخترتها من كتاب الكامل
فخفت التقصير - ولا بأس أن نذكر لك شيئا ونوجز فيه •

قال أبو العباس : (وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة عند ولايته
العراق وفى ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك بن مروان :

أمير المؤمنين وأنت بر
أمين لست بالطَّبع الحريص
أأطعمت العراق ورافديه
فزاريا أحباء يد القميص (1)
تمهق بالعراق أبو المثنى
وعلم قومه أكل الخبيص
ولم يك قبلها راعى مخاض
ليأمنه على وركى قلوص

قوله : لست بالطَّبع الحريص ، فـ (الطَّبع) الشديد الطمع الذى
لا يفهم لشدة طمعه وانما أخذ هذا من طبع السيف ، يقال : طبع السيف ،
أو هو سيف طبع اذا ركه الصدا حتى يغطى عليه ، والمثل من هذا فى الذى
طبع على قلبه انما هو تغطية وحجاب يقال : طبع الله على قلب فلان كما

(1) فى بعض النسخ أطعمت ، وفى بعضها اوليت

قال عز وجل (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) هذا الوقف — ثم قال :
 (وعلى أبصارهم غشاوة) وكذلك (رين على قلبه) و (غين على قلبه)
 فالرين يكون من أشياء تألف عليه فتغطيه ! قال الله عز وجل (كلا بل ران
 على قلوبهم ما كانوا يكسبون) وأما (غين على قلبه) فهي غشاوة تعتريه ،
 والغينة : القطعة من الشجر الملتف تغطي ما تحتها قال الشاعر :

كأنى بين خافيتى عقاب
 أصاب حمامة فى يوم غين

وقال بعضهم : أراد : فى التفاف من الظلمة ، وقال آخرون : أراد فى
 يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون فى الغنة ، كما يقال
 للحية : أيم ، وأين ، واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون فى القوافى
 لما ذكرت لك من اجتماعهما فى الغنة قال الراجز :

بنى ان البر شىء هين
 المنطق اللين والطعيم

وقال آخر :

ما تنقم الحرب العوان منى
 بازل عامين حديث سنى
 لمثل هذا ولدتنى أمى

والعراقان : البصرة والكوفة ، والرافدان : دجلة والفرات — وقوله :
 « أحمذ يد القميص » الأحمذ : الخفيف ، قال طرفة :
 وأتلع نهاض أحمذ ململم

وانما نسبه بالخفة فى يده الى السرقة ... الى آخر الخبر (1) •

(1) الكامل 3 : 808 وما بعدها ط الحلبي سنه 1937

وتستطيع فيما قرأت أن ترى فى المبرد رجلا قوى العارضة ، واسم
التناول للغة حسن الاستفادة من الشعر - مضى عهد جمع اللغة بمفرداتها،
ولكن التراكيب التى كانت تجرى على ألسنة العرب تحتاج الى مناسبات
لتبرز ، وتحتاج الى حسن استعمال لتدور فى مسامع الناس ، فالسيف اذا
ركبه الصدا هو سيف طبع ويمكن أن يشبه به الرجل الذى لا يفهم لشدة
طبعه أو طبعه .

ثم يستطرد فيفرق بين الرين والتين - الاولى من أشياء تألف عليه
فتغطيه ، والثانية غشاوة تعتريه ، ثم يدخل فى قضية الابدال بين الميمم
والنون ويعمل لها - وكل اولئك من تراكيب العربية وصيغها وخصائصها
ومسائلها .

وأميل الى أن أقف بالبصرة عند هذا الحد فالبصرة كهيئة علمية قد
ضعف أمرها بعد ثورة الزنج (1) ولننظر فى علاقة الشعر باللغة فى
الكوفة .

(1) راجع كتابنا رواية اللغة 144

الشعر في الكوفة

تأثرت كل من البصرة والكوفة بـماضيها ، كانت البصرة مرفأً ترتاده السفن التواجر ، ويجمع أشتاتاً تختلف ألسنتهم وأمزجتهم ، وأتيح للجنس اليوناني حين فتح الاسكندر هذه البلاد أن يعيش في جماعات تعمل في البحرية التجارية ، وكانت هذه الجماعات تدين بالمسيحية ويصطنع رؤساؤها الجدل معتمدين على الفلسفة اليونانية بمنهجها المنطقي المعروف — وكانت المؤلفات العربية التي ظهرت في البصرة تدل على مدى تأثر علمائها بالفلسفات الواردة الى هذا المرفأ ككتاب سيويه ومعجم العين (1) فكان جمع اللغة تحت كليات عامة وأقيسة يعود الى هذا الأصل من ماضى البصرة •

أما الكوفة ، فكانت وريثة الحيرة والانبار ، وظل العنصر العربي بها محتفظاً بفطرته وتقاليده البدوية ، ومن ثم كان الشعر العربي ميراثاً أصيلاً في الكوفة ، يجرى على السنة اهلها ، وكان على بن أبى طالب يلصق فيهم هذه النزعة ، فخطبهم يوماً فقال : اذا تركتكم عدتم الى مجالسكم حلقاً عزيزين تضربون الامثال وتناشدون الاشعار ، تربت ايديكم • وكان للشعر دوره اللغوى ولكن على خلاف من دوره في البصرة — كان الشعر في البصرة وسيلة لاستنباط العربية ، وكان في الكوفة ارضاء لنزوع العنصر العربي فيها حتى كان جمع الشعر بادیء الامر غاية ، ثم كان البحث اللغوى مسن خلاله استطرادا وامتدادا من هذه الغاية ، فلا عجب أن ترى أربعة رجال من الرواة يتصل سببهم بجمع الشعر •

حماد بن ميسرة

كان حماد بن ميسرة — أو ابن سابور — من أعلم الناس بأيام العرب ، وأخبارها ، وأشعارها ، ، وأنسابها ، ولغاتها كما يحكى أبو الفرج

(1) راجع كتاب رواية اللغة للمؤلف فيما كتب عن البصرة

حتى عرف بالراوية وسأله الوليد بن يزيد يوما : به استحققت هذا اللقب
فقل لك الراوية ؟ فقال : بأنى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو
سمعت به - ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف انك لم تعرفه ولم تسمع به ،
ثم لا أنشد شعرا قديما ولا محدثا الا ميزت القديم منه من المحدث . فقال :
ان هذا العلم وأبيك كثير ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ فقال : كثيرا ،
ولكنى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى
المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام ، قال : سأمتحنك في هذا ،
وأمره بالانشاد فأنشد الوليد حتى ضجر ، ثم وكل به من استحلفه أن
يصدقه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين
وأخبر الوليد بذلك (1) وكانت ملوك بنى أمية تستزيده لتفيد من علمه ،
فيأخذ مكانه على مقربة من الخليفة ، ويوقعه على قيم الشعراء الوافدين ،
يحكى بعض هذا ، مروان بن أبي حفصة فيقول :

(دخلت أنا وطريح بن اسماعيل الثقفي والحسين بن مطير الأسدي
في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد ، واذا رجل عنده كلما
أنشد شاعرا شعرا وقف الوليد بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال :
هذا أخذه من موضع كذا كذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا كذا من
شعر فلان حتى أتى على أكثر الشعر ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : حماد
الراوية (2) ونراه في يوم آخر عند المهدي وهو يحكى الخبر بنفسه
فيقول : دخلت على المهدي فقال : أنشدني أحسن أبيات قيلت في الشعر
ولك عشرة آلاف درهم ، وخلعتان من كسوة الشتاء والصيف فأنشدته
قول الأخطل ٠٠٠٠ (3) وكان انقطاعه الى يزيد ، فلما ولي هشام الأمر
أرسل في طلبه (4) ولما ذهبت دولة الأمويين رأينا أبا جعفر يجد في طلبه (5)

(1) الاغانى 6 : 70 — 71 ط دار الكتب

(2) الاغانى 6 : ٧١ (3) الاغانى 6 : ٨٨

(4) الاغانى 6 : ٧٢ (5) الاغانى 6 : ٨٠

ويستدعيه *

وحسن فيه رأى البصريين ، فكان أبو عمرو بن العلاء وهو شيخ
رواة البصرة يقدمه على نفسه (1) وقال الأصمعي : كان حماد أعلم الناس
إذا نصح (2) *

ولم يكن الرجل راوية للشعر فحسب ، ولكنه راوية للغة أيضا ، بدا
ذلك في مواقف عديدة له ، ومن شهادة العلماء فيه ، فهذا أبو الفرج يصفه
بأنه من أعلم الناس بأيام العرب ولغاتها (3) ، وفي مجلس الوليد
أنشد مروان بن أبي حفصة من شعر ابن مقبل :
سل الدار من جنبى حبراً فواهب

إذا ما رأى هضب القلب المضيح

فسأله حماد : ماذا يقول الشاعر ؟ فلم يدر ما يقول ، فقال له حماد :
يا ابن أخى ، أنا أعلم الناس بكلام العرب ، يقال : تراءى الموضعان إذا
تقابلتا (4) *

وكان الهيثم بن عدى صاحبه وراويته ، ويبدو أنه أحس بأنه أفاد
علما باللغة بسبب صحبته لحماد ، فقال له يوما : ألق على ما شئت من
الشعر أفسره لك فضحك حماد ، وقال : ما معنى قول ابن مزاحم الثمالى :
تخوف السير منها تامكا قردا

كما تخوف عود النبعة السفن

فلم يدر ما يقول • فقال حماد : تخوف : تنقص ، قال الله عز وجل
(أو يأخذهم على تخوف) أى على تنقص (5) *

والذين اتهموا هذا الرجل اتهموه جملة من غير تفصيل ، ولم يأتوا
بشواهد أو قضايا محددة ، فالأصمعي يتهمة اتهاماً ضمنيّاً بقوله : كان

(1) الاغانى 6 : 73 ط دار الكتب

(2) الاغانى 6 : 70 نفس المصدر والصفحة

(4) الاغانى 6 : 72 (5)

حماد اعلم الناس اذا نصح ، وكان لحماذ منهجا آخر غير النصح . ويأتى
المفضل يريد ذمه فيمدحه والا فماذا تفهم من الخبر التالى :

يقول ابن الأعرابى ، سمعت المفضل الضبى يقول : قد سلط على
الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، ف قيل له : وكيف ذلك ؟
أيخطئ فى روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك فان أهل العلم يردون
من أخطأ الى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها
ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل
ويدخله فى شعره ويحمل ذلك عنه فى الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا
يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد وأين ذلك ؟ (1) .

فالرجل بلغ بعلمه بلغات العرب ومذاهب الشعراء فى شعرهم حدا
جعلهم يقول الشعر فينسبها الى شاعر فيكون أشبه بشعره ، وتستعصى
التفرقة بين ما يقوله وبين ما ينسب اليه .

وليس عندنا عن نشأته كبير علم ، والخبر الذى أورده الأغاني لا يصلح
أن يكون اساسا لنشأة رجل كبير كهذا ، وأميل الى القول بأنه حكاية عن
رجل نجح فذهبوا يتلمسون له بداية ، يقول أبو الفرج : كان حماد الراوية
فى أول أمره يتشطر ، ويصحب الصعاليك واللصوص ، فنقب ليلة على
رجل فأخذ ماله وكان فيه جزء من شعر الانصار فقرأه حماد فاستحلاه
وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك
وترك ما كان عليه فبلغ فى العلم ما بلغ (2) .

ولكن يبدو أن موهبة حماد ومقدرته على الحفظ والاستظهار ، وبيئة
الكوفة التى تطن اصداء الشعر فيها قد أسهما فى تكوين هذا الراوية ،
كانت هذه البيئة معنية بجمع اشعار القبائل ، ترى مصداق ذلك فيما يحكيه
حماد ، وما يروى عن أبي عمرو الشيبانى فى هذا السياق .

(1) الأغاني 6 : 89

(2) الأغاني 6 : 87

يقول حماد : أرسل الوليد بن يزيد الى بمائتي دينار ، وأمر يوسف ابن عمر بحملى اليه على البريد، قال: فقلت: لا يسألنى الا عن طرفيه قریش وثقیف فنظرت فى كتابى قریش وثقیف ، فلما قدمت عليه سألنى عن أشعار بللى ، فأشددته منها ما استحسنه (1) أما الخبر عن أبى عمرو الشيبانى فنذكره فى حديثنا عنه .

اذن ، فكان من الاتجاهات فى الكوفة العناية بأشعار القبائل ، وجمعها ، وتصنيفها والتعريف بشعرائها على الوجه الذى ندرکه من كلام حماد فقد نظر فى شعر قریش وثقیف لصلتهما بالوليد بن يزيد ، وتوقع أن يقف منهما موقف الامتحان فاذا هو يسأل عن شعر قبيلة أخرى فيروى من شعرها ما استحسنه الوليد .

بزرج العروضى

وكان فى الكوفة رجل آخر عالم بالشعر هو بزرج بن محمد العروضى ، وكان يسرف فى الرواية حتى تشكك الناس فيه فذهبوا يسألونه عن سنده وعن مصداق ما يقول (2) وعرف به الققطى فقال : كان حافظا راوية ، وكان كذابا يحدث بالشئ عن رجل ثم يحدث به عن غيره ، وكان حكم يونس عليه مزاجا من الاعجاب والشك فقال : ان لم يكن بزرج أروى الناس فهو أكذب الناس (3) .

ابو عمرو الشيبانى

وكان أبو عمرو الشيبانى يعطى جزءا من عنايته لقيد الشعر . قال عمرو بن ابى عمرو : ولما جمع أبى أشعار العرب كانت نيفا وثمانين قبيلة فكان كلما عمل منها قبيلة وأخرجها الى الناس ، كتب مصحفا وجعله فى مسجد الكوفة حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا بخطه (4) .

(2) معجم الادباء 7 : 73

(4) انباه الرواة 1 : 221

(1) الاغانى 6 : 94

(3) انباه الرواة 1 : 241

هذا وجه من تكوين أبى عمرو لان الشعر وعاء العربية كما قلنا ، أما الوجه الآخر فكان ذهابه الى البادية يسمع من الاعراب ويكتب هذا السماع ، ومن حق أبى عمرو بعد هذا الجهد أن يمسك بزمام الشعر واللغة ، وأن يوصف بصاحب ديوان اللغة والشعر ، وأن يكون فى نظر رجل كأبى العباس ثعلب فى مصاف كبار رجال البصرة وفى مقدمتهم ، يقول أبو العباس : كان مع أبى عمرو من العلم والسماع عشرة أضعاف ما كان مع أبى عبيدة ، ولم يكن من أهل البصرة مثل أبى عبيدة فى السماع والعلم (1) وكان عند أبى عمرو ما يحتاج اليه وما لا يحتاج اليه لكثرة ما طلب وجمع كما يحكى ثعلب (2) ولكنه كان يضعها تحت الاختبار والتصفية ولا يقيد منها فى كتبه الا ما يثق فيه . دخل عليه يونس بن حبيب البصرى فوجد بين يديه قمطرا فيه اليسير من الكتب فقال متعجبا منه : أيها الشيخ : هذا جميع علمك ؟ فتبسم قائلا : انه من صدق كثير (3)

المفضل الضبى

وهذا لغوى آخر كانت همته جمع الشعر ، وظهرت أول مجموعة كبيرة فى الشعر على يديه وسميت بالمفضليات ، وهى مائة وثمانية وعشرون قصيدة قد تزيد وتنقص بحسب الروايات . قيل فى سبب جمعها أنه جمعها للمهدى ، وفى خبر آخر يقول العباس بن بكار الضبى ، قلت للمفضل الضبى : ما أحسن اختيارك للأشعار ، فلو زدتنا من اختيارك ؟ فقال : والله ما هذا الاختيار لى ، ولكن ابراهيم بن عبد الله بن حسن استتر عندي فكنت اطوف وأعود اليه بالأخبار فيأمرنى ويحدثنى ، ثم حدث لى

(1) انباه الرواة 1 : 221

(2) انباه الرواة 1 : 229

(3) انباه الرواة 1 : 223

خروج الى ضيعتى أياما فقال لى : اجعل كتبك عندى لأستريح الى النظر فيها ، فجعلت عنده قمطين فيهما أشعار وأخبار فلما عدت رجده قد علم على هذه الأشعار وكان أحفظ الناس للشعر ، وأعلمهم به فجمعته وأخرجته فقال الناس اختيار المفضل •

وشواهد الحال تشير الى عنايته بالشعر وجمعه - وله من هذا الوجه بالاضافة الى المفضليات : كتاب القصائد المختارة ، والعروض ، ومعانى الشعر ، واستحق بهذه الصفة ثناء علماء البصرة عليه مع وجود العداوة التقليدية بين البلدين فكان محمد بن سلام الجمحي يقول : أعلم من ورد علينا بالشعر وأصدقه من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي الكوفى (1) •

توثيق اللغة في الكوفة

الفرق بين البصرة والكوفة يتضح في مجال التوثيق والتفعيد ، ويكاد ينحصر في العناية بالاسناد في البصرة ، وتركه في الكوفة ، والذين تناولوا هذا الوجه ذهبوا بمذاهب متعددة في التعليل له ، من ذلك ما ذكرنا من الافادة من الفلسفة اليونانية في البصرة ، ووضع اللغة تحت كليات لتعذر الجمع المطلق الشامل ، كان لا بد من انتقاء الاعم الأغلب وطرح الشواذ ، ومن الشاذ ما هو عربى خالص العروبة ولكنه محدود الدوران على اللسان ، فاكتفى البصريون بالأهم عن المهم ، وغنوا بالاحتجاج بالشعر منسوباً الى شاعر موثق ، ولم يهدر البصريون ما بقى بعد هذا الانتقاء والغربة ، فبقيت الكليات مطلب الجمهور ووضعت الباقيات تحت دراسات خاصة - تسمى أحيانا لغات - يقول ابن نوفل لأبى عمرو بن العلاء : أخبرنى عما وضعت مما سميت عريية ، أي دخل فيه

(1) طبقات فحول الشعراء 21 ط دار المعارف

الكلام كله ؟ فقال : لا ، قال : فما تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفني لغات (1) وكل ما هنالك أنهم أشاروا بحفظ الشاذ وتواصوا بعدم القياس عليه •

أما في الكوفة فبحسبهم أن يجدوا شاهدا من شعر العرب ، وجوزوا القياس على كل ما سمع منهم ولو كان يتا واحدا ولم يعد يهمهم اسناد الشعر لصاحبه ، تحدث ابو زكريا الفراء في ابدال التاء والطاء فقال : التخوم ، والطخوم بالضم والفتح ، قال : وسألت الكسائي عن فتحها فلم يعرفه ، قال : وأنشدني أعرابي من بني سليم :

فان أفخر بمجد بنى سليم
أكن منها التخومة والسرارا (2)

وفي ابدال الهمزة والعين يقول : سمعت بعض بنى نبهان من طيء
يقول : دأنى يريد دعنى (3) وفي أكثر الأحيان تقرأ في مروياته مثل هذه
العبارة: سمعت اعرابيا • • انشدني بعض العرب لامرأة من بنى الحارث بن
كعب ، وقال الآخر (4) وقال بعض بنى تميم (5) وقال بعض بنى غنم بن
أسد (6) •

وفي كتاب (معاني القرآن) يحتج الفراء بالشعر فينسبه أحيانا

(1) طبقات الزبيدي 24

(2) القلب والابدال لابن السكيت 46

(3) القلب والابدال 24

(4) القلب والابدال 60

(5) القلب والابدال 45

(6) القلب والابدال 16

ويترك نسبته أحيانا ، ففي تفسيره لقوله تعالى (بثمنا اشتروا به أنفسهم)
يقول : سمعت أبا ثروان يقول لرجل : بع لى تمرا بدرهم ، يريد اشتر لى ،
وأنشدنى بعض ربيعة :

ويأتيك بالأخبار من لم تبع له
بتاتا ، ولم تضرب له وقت موعد

على معنى لم نشتر له بتاتا (1) وأمثال هذا كثير فى كتابه معانى
القرآن كأن يقول : قال الشاعر ، أنشدنى بعض بنى عقيل ، أنشدنى بعض
بنى أسد ، أنشدنى بعضهم الى غير ذلك (2) •

ومن أجل هذا كان أبو عبيدة البصرى قليل الثقة فى المفضل الكوفى،
قال المفضل أنشدنى أبو الغول لبعض أهل اليمن :

أى قلووس راكب تراها
طاروا عليها فُشِّل علاها

علاها : أراد عليها ، ولغة بنى الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة اذا
انفتح ما قبلها ، قال أبو حاتم : سألت عن هذه الأبيات أبا عبيدة فقال :
انقط عليه ، هذا صنعه المفضل (3) •

ومن مطاعن التوثيق فى الكوفة أن علماءها أخذوا عن أعراب فسدت
سليقتهم فى نظر البصريين ، فكان اليزيدى يغمز الكسائى بأنه يأخذ عن
أشياخ قطربل (4) ورماء ابو زيد بأنهلقى أعراب الحطمية فأخذ عنهم
الفساد والخطأ (5) •

(1) معانى القرآن للفراء 1 : 56

(2) انظر صفحات 66 و 67 و 91 من كتاب معانى القرآن

(3) النوادر فى اللغة لابى زيد 58

(4) اخبار النحويين البصريين للسيرافى

(5) معجم الادباء 2 : 182

والرأى عندى أن الحياة العلمية اللغوية فى الكوفة كانت من القصر بحيث لم تتمكن من استكمال مناهجها ، وما كادت الدولة العباسية تتخذ عاصمتها فى بغداد حتى ذهب اليها رجال الكوفة فى أعقاب رجال الدولة . وبالرغم من أن الكوفيين قد استأثروا بالأمكنة فيها قرابة ربع قرن فقد دعت الحاجة الى جمع حصيلة العلم البصرى على يد رجلين من رجال المذهب الكوفى هما :

• ابو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو يوسف يعقوب بن السكيت (1) •

والذى يذكر بالفضل حقيقة للكوفيين أنهم جمعوا الثقافة البصرية ومكنوا لها فى بغداد حين لاحظوا ان البصريين يأتون من البقاء فى عاصمة الخلافة ، ولم يأتف رجال المذهب الكوفى فى بغداد من محاولة الجلوس والافادة من رجال البصرة ما وجدوا الى ذلك سبيلا - رأينا أبا عبيد القاسم بن سلام يأخذ عن أبى زيد الأنصارى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ، وأبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (2) كما أخذ عن اليزيدى (3) والنضر بن شميل (4) وكان ابن السكيت حريصا على روايات الاصمعى حتى رجح الأزهرى صاحب التهذيب التقاء به (5) وسمع ثعلب وهو شيخ المذهب الكوفى فى بغداد من محمد بن سلام الجمحى ، وعلى بن المغيرة الاثرم ، وأحمد بن حاتم (6) صاحب الأصمعى ، وهم بالسفر الى البصرة للقاء أبى حاتم السجستاني •

(1) انظر تفصيل ذلك فى الباب الثالث من كتابنا (رواية اللغة)

(2) نزهة الالباء 189

(3) نزهة الالباء 104

(4) نزهة الالباء 111

(5) تهذيب اللغة 1 : 23 ط دار القومية سنة 1964

(6) مجالس ثعلاب 1 : 10

ابن جنى كصورة بغدادية

كان ابن جنى ، وهو من لغويى القرن الرابع ، صاحب آراء وانجاهات يبدى فيها مرونة واضحة أمام القيد الزمنى لمن يحتج بكلامهم ، فمن المسلم به ، والمجمع عليه تقريبا أن أبا تمام حبيب بن أوس الطائى المتوفى سنة 231 هـ من المحدثين ، وأن البحتري الوليد بن عبيد بن يحيى الطائى المتوفى سنة 284 هـ أكثر منه حداثة ، وأن أبا الطيب المتنبى أحمد بن محمد بن الحسين المتوفى سنة 354 هـ أحدث من الاثنين ، ولكنه يعرض لأشعارهم بوجه يتجاوز مجرد الإعجاب وكأنه يبحث عن مخرج من القيد الزمنى ليحتج بأشعارهم ، ومع تسليمه للقدامى فإنه كان يرى لهؤلاء المحدثين وجها أو وجوها للاحتجاج بأشعارهم ، من ذلك أنه رأى رأى المبرد حين احتج بشيء من شعر أبى تمام فى سياق المعانى ، وأوماً الى عمل المبرد فقال (وقد كان أبو العباس - وهو الكثير التعقيب لجلة الناس - احتج بشيء من شعر حبيب بن أوس الطائى فى كتابه فى الاشتقاق لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه) (1) .

وكان أبو الفتح ، وهو يؤيد رأى المبرد ، وينهج نهجه ، كان من غير شك يدرك سعة هذه الخطوة ، وعدم تقبل الناس لرواية اللغة عن طريق التوسع فى المعانى وفتح هذا الباب لشعر أبى تمام ولن جاء بعد أبى تمام ، ترى هل كان إعجاب ابن جنى بأبى تمام ، والبحتري ، والمتنبى دافعا له على توسيع باب الرواية ليدخل هؤلاء بعد أن أوجد القيد الزمنى أمامهم أبوابها ففتح لهم ثغرة المعانى ؟ - اننا نعلم ان رواية اللغة تعنى ألفاظها

(1) الخصائص 1 : 42 ط دار الكتب سنة 1952

المجردة ، تعنى متن المعربة بمدلولها المتفق عليه عند الناطقين الاول ، أما المعاني ، وقد تلونها الأخيـلة ، والأخيـلة لا سلطان عليها فلا تدخل فى باب الرواية . لقد قارب ابن جنى بين المتن والشرح أو المعنى ، ولا بأس أن نقرأ معا طرفا مما أثاره هذا اللغوى الكبير بعد أن ربط بين الذهب والفضة والغرب بسبب وثيق فقال :

(... قالوا للجام من الفضة «الغرب» وهو فعل من الشيء الغريب ، وذلك انه ليس فى العادة والعرف استعمال الآتية من الفضة ، فلما استعمل ذلك فى بعض الاحوال كان عزيزا غريبا ، هذا قول أبى اسحق ، يعنى الزجاج - وان شئت ... قلت : ان هذا الجوهر غريب من بين الجواهر لنفاسته وشرفه ، الا تراهم اذا اثنوا على انسان قالوا : هو وحيد فى وقته ، وغريب فى زمانه ، ومنقطع النظير ، ونسيح وحده ، ومنه قول الطائي الكبير يعنى أبا تمام :

غربته العلا على كثرة النا

س ، فأضحى فى الأقربين جنيبا

فليطل عمره ، فلو مات فى مر

و ، مقيما بهامات غريبا

..... وعاد الى ذكر اسماء الذهب فقال (ويدلك على انهم قد تصوروا هذا الموضع من امتزاجه بتراب معدنه أنهم اذا صفوه وهذبوه أخذوا له اسما من ذلك المعنى فقالوا له : الخِلاص ، والابريز ، والعقيان - فالخِلاص : فِعَالٌ مِنْ تَخْلَصَ ، والابريز : افْعِيلٌ مِنْ بَرَزَ يَبْرُزُ ، والعقيان : فَعْلَانٌ مِنْ عَقَى الصَّبَى يعقَى وهو أول ما ينجيه عند سقوطه من بطن أمه قبل أن يأكل وهو العقى فقل له ذلك لبروزه كما قيل له البرّاز) .

ويبدو أن أبا الفتح قد أحس بأنه قد شقق الكلام ، وفلسف الشرح ،
وأدرك أن المستمع قد لا تواتيه الرغبة في الربط بين اللفظ والمعنى على هذا
الوجه فقال معقبا :

(فالتأني والتلطف في جميع هذه الأشياء وضمها وملاءمة ذات بينها
هو خاص اللغة ، وسرها ، وطلاوتها الرائقة ، وجوهرها ، فأما حفظها
ساذجة وقمشها محطوبة هرجة منعوذ بالله منه وثرغب بما آتانا سبحائه
عنه (1) •

وابن جنى رئيس من رؤساء اللغويين يعرف أن رواية اللغة التي تعنى
جمع الالفاظ والاحتجاج لها ليس من منهجها التعريف بالمعاني على جهة
المجاز ، فالالفاظ مجمع عليها - الا يكن بين العرب جميعا - فبين قبيلة
بعينها ، وتظل الكلمة في هذه الحال مقرونة بناطقها فيقال : أزدية ، أو
تميمية ، أو حجازية الى غير ذلك وأما المعاني التي يلهث وراءها التخيل
فهي كلوحات الفنان تنسب لصاحبها اذا كان أول مبتكر لها • ولأبى تمام
كلمات لها معان مستمدة من الظلال المجازية والأخيلة استحوذت على
اعجاب الادباء أحيانا وغربت أحيانا •

وابن جنى يحتج بأبى تمام ، وهو يدرك أنه حديث العهد ، فيأتى
بشعره في أعقاب الاحتجاج بشعر القدامى ، فقد عرض لقراءة أبان بن
تغلب لقوله تعالى من سورة الشعراء : (خطايانا ان كنا) بالكسر ، وأوضح
الشرط للماضى في (أن كنا) بمعنى (كما أن) واحتج بقول أبى تمام :

ومكارما عتق النجار تليدة

ان كان هضب عمايتين تليدا

اي فكما أن هضب عمايتين تليد لا محالة ، فكذلك هذه المكارم

(1) الاقتضاب 324

تليدة (1) وبالرغم من وضوح بيت أبى تمام وتغطيته الاحتجاج لهذه القراءة ، إلا أن أبا الفتح قد احتج لها بيت من أبيات كتاب سيبويه ، وآخر أنشده أبو غلى الفارسى ، وكان بيت الكتاب هو قول الفرزدق :

أتغضب ان أذنا قتيبة حزنا

جهارا ، ولم تغضب لقتل ابن خازم

ولكن تقبله له ، واعجابه به قد فتح بابا واسعا أمام اللغويين من بعده ليدخلوا أبا تمام فى دائرة الاحتجاج ، من ذلك : ميل البطليوسى الى الاحتجاج بشعره فى مادة لم يجمع عليها القدامى ، فلقد شرح البرد ، والبردة فقال (قال أبو حاتم : لا يقال للشوب برد حتى يكون فيه وشى ، وقال الخليل : البرد ثوب من ثياب المضب والوشى ، وأما البردة فكساء كانت العرب تلتحف به ولذلك قال حبيب :

فهم يمسون البخثريه فى

برودة ، والأيام فى برده) (2)

ولقد تعجب من أمر البطليوسى حين يذّر بيت حبيب كأنه يحتج به فى حين يجمع ابن منظور فى هذه المادة اقوال القدامى - ويكتفى بهذا الجمع - فلا يقطع فيها برأى انظره يقول :

(والبرد من الثياب ، قال ابن سيده البرد : ثوب فيه خطوط ، وخص بعضهم به الوشى ، والجمع : ابراد ، وأبرد وبرود .

والبردة : كساء يلتحف به ، وقيل : اذا جعل الصوت شقة وله هذب فهى بردة ... قال شمر : رأيت أعرايا بخزيمية وعليه شبه منديل من صوف قد اتزر به فقلت : ما تسميه ؟ قال : بردة ، قال الأزهرى : وجمعها

(1) المحتسب لابن جنى 2 : 128

(2) الاقتضاب 324

برد وهى الشملة المخططة • قال الليث : البرد : معروف من برود العصب والوشى ، قال : وأما البردة فكساء مربع أسود فيه صفر تلبسه الأعراب • وقولهم : هما فى بردة أخماس فسرهما ابن الأعرابى فقال : معناه انهما يفعلان فعلا واحدا فيشتبهان كأنهما فى بردة ••• وقول يزيد بن المفرغ :

معاذ الله ربنا أن ترانا

طوال الدهر نشتل البرادا

قال ابن سيده: يحتمل أن يكون جمع بردة كبرمة وبرام، وأن يكون جمع برد كقرط وقرط ••• (1) فكيف استراح البطليوسى فاحتج بأبى تمام أو رجح به رأيه وفى اقوال القدماء من الاحتمالات ما رأيت ؟

واحتج الزمخشري بشعر حبيب فى تفسير أوائل سورة البقرة فى قوله تعالى : (يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) ويخلق الزمخشري وجها للاحتجاج بأبى تمام فيقول : (وهو وإن كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية فأجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء : الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه) (2) واقتنع الزمخشري برأيه هذا فاحتج بأبى تمام فى أكثر من موضع فى الكشف كما احتج بقوله فى أساس البلاغة :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى

فالسيل حرب للمكان العالى

كاستعمال مجازى لكلمة الحرب بمعنى العدو والغضب (3)

(1) انظر اللسان مادة ب ر د

(2) الكشف 1 : 43 ط مصطفى محمد سنة 1354 هـ

(3) اساس البلاغة مادة ج ر ب ص 163

وفي مادة م ه ل قال اتمهلّ الرجل : طال واعتدل ، وانه لتمهلّ
القيام واحتج بقول أبي تمام :

ان الاشياء اذا أصاب مشدّب

منه اتمهلّ ذرى وأث أسافلا (1)

هذا رأى الزمخشري حين يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ، ولو أنه
قال : ان أبا تمام قريب العهد بعصر الاحتجاج لكان وجهها .
ولأبي تمام وان لم يكن فى عداد الرواة فى رأى الجمهور فله مواقف
تشهد بعلو كعبه فى الرواية ، من ذلك ما يروى أن ابن قتيبة عاب أبا تمام
فى قوله :

ألا ويل الشجىّ من الخلىّ

فقال له أبو تمام : ولم قلت ذلك ؟ قال : لأن يعقوب قال : شج
بالتخفيف ولا يشدد فقال له أبو تمام : من أفصح عندك ابن الجرمقانية
يعقوب أم أبو الأسود الدؤلى حيث يقول :
ويل الشجىّ من الخلىّ فإنه

نصب الفؤاد لشجوه مغموم

فأجاز البطليوسى قول أبي تمام وأيده بقول أبي دؤاد الايادى :

من لعين بدمعها موليّة

ولنفس مما عناها شجيّة

وفسر ذلك بقوله : قد أكثر اللغويون من انكار التشديد فى هذه
اللفظة وذلك عجب منهم لأنه لا خلاف بينهم أنه يقال: شجوت الرجل أشجوه
إذا أحزنته ، وشجى يشجى شجيا إذا حزن ، فاذا قيل شج بالتخفيف كان

(1) أساس البلاغة 84 ط دار الكتب

اسم فاعل من شجى فهو شج كقولك عمى يعمى فهو عم ، واذا قيل شجى بالتشديد كان اسم المفعول من شجوته اشجوه فهو مشجوه وشجى كقولك مقتول وقتيل ، ومجروح وجريح (1) •

وأبو الفتح يعجب بالطائي الصغير أبى عبادة البحرى أيضا فى سياق المعانى ، اقول يعجب ولا أقول يحتج ، فقد عقد أبو الفتح فى كتاب الخصائص بابا فصل فيه الكلام والقول ، واعتمد على نظريته فى الاشتقاق الكبير فأبان أن ق و ل أين وجدت وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض ، وتأخره عنه انما هو للحفوف والحركة • وأما ك ل م فانها حيث تقلبت فمعناها الدلالة على القوة والشد ، وتمثل بيت الأخطل :

حتى اتقونى وهم منى على حذر
والقول ينفذ ما لا تنفذ الابـر

وذكر قول الطائي الصغير :

عتاب بأطراف القوافى كأنه

طعان بأطراف القنا المتكسر (2)

يتمثل بهذا على أن مادة ق و ل تدل على القوة والشد •

وفى أساليب العرب (غلبة الفروع على الأصول) تأتى أحيانا هذه الأساليب لأغراض بلاغية كالمبالغة وذكر ابن جنى من ذلك شعرا لذى الرمة وغيره كما ذكر قول البحرى :

فى طلعة البدر شىء من ملاحظتها
وللقضيب نصيب من تشيها

(1) الاقتضاب 197

(2) الخصائص 1 : 15

ولا يدخل شيء من هذا فى رواية اللغة - العلم الذى يعتمد على نقل
الألفاظ والأسماء والتراكيب بوضعها المجرد - لا المجازى - وإنما جئنا
بها لتشير الى أن ابن جنى كان يأنس بالبحترى ويأتى بأقواله فى أعقاب
الشعراء الذين يحتج بأقوالهم •

أما ابن جنى والمتنبى فهما صديقان جمعهما قصر سيف الدولة فى
حلب ، وقصر عضد الدولة البويهى فى شيراز ، وأعجب كل منهما بصاحبه ،
وإذا قال أبو الفتح : صاحبنا أو شاعرنا فانه كان يعنى المتنبى •

والحقيقة أن المتنبى كان أهلاً لصداقة وأعجاب أبى الفتح لأن المتنبى
صانع فى تحصيل اللغة فكان من المكثرين نقلاً لها ، ومن المطلعين على
غريبها وحوشيتها ولا يسأل عن شيء الا واستشهد فيه بكلام العرب من
النظم والنثر (1) | وله مع شيوخ العربية جلسات ومساجلات ، سأل أبو على
الفارسى يوماً : كم لنا من الجموع على وزن فعلى (بكسر الفاء وسكون
العين) فقال المتنبى فى الحال : حجلى ، وظري • قال الشيخ أبو على :
فطاعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجد (2)
ومع هذا فقد ساءت علاقته مع أبى على الفارسى كما وقعت مشادة بينه
وبين ابن خالويه ترك على أثرها بلاط سيف الدولة •

ولكن أيا كان اطمئنان أبى الفتح على مقدرة المتنبى اللغوية فإن
الاحتجاج بشعره امر يخالف الاجماع • ففى جمع ثمر على ثمرات علل أبو
الفتح لهذا الجسع بضعف غير العاقل فيلحقه التأنيث كقولهم : يا لثارات
فلان جمع ثار ، وذكر من قول المتنبى :

أسد تهد بالزئيرات الصفا

(1) | وفيات الأعيان 1 : 102 ترجمة رقم 49

(2) | المصدر السابق - نفس الصفحة

جمع زئير — ثم يقول أبو الفتح : وقد ذكرنا هذا في تفسير ديوان
المتنبى عند قوله :

ففى الناس بوقات لها وطبول (1)

وقرأ ابرهيم فى سورة الأنعام فى الآية السابعة والثلاثين (وليلبسوا
عليهم دينهم) بفتح الباء فقال أبو الفتح فى تخريج هذه القراءة : المشهور
فى هذا (لبست) بكسر الباء — الثوب البسه بفتح الباء ، ولبست (بفتح
الباء) عليهم الامر البسه (بكسر الباء) فاما أن تكون هذه لغة لم تتأد
الينا (لبست) — بكسر الباء — عليهم الامر البسه — بفتح الباء فى معنى
لبسته بفتح الباء البسه بكسر الباء — واما أن تكون غير هذا وهو أن
يراد به شدة المخالطة لهم فى دينهم ولقد مر به لفظا البته شاعرنا
— يقصد المتنبى — فقال :

وانا اذا ما الموت صرح فى الوغى

ليسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا

بكسر الباء ، وعقب أبو الفتح : فاما أن يكون هذا الشاعر نظر السى
هذه القراءة — واما أن يكون أراد المراد بها فسلك سنة قارئها (2) *

ويبدو أن أبا الفتح قد أحس بالخروج على الاجماع حين احتج
بالمُتنبى وهو رجل متأخر فأخذ يدافع عن هذا المسلك بقوله (..... ولا
تقل ما يقوله من ضعفته فحيزته وركت طريقته ، هذا شاعر محدث وبالأمس
كان معنا فكيف يجوز أن يحتج به فى كتاب الله جل وعز ؟ فان المعانى لا

(1) المحتسب 2 : 153

(2) المحتسب 1 : 231

يرفعها تقدم ، ولا يزرى بها تأخر ، فأما الألفاظ فلعمري ان هذا الموضوع
معتبر فيها ، وأما المعانى ففائتة بأنفسها الى مغرسها ، واذا جاز لأبى العباس
أن يحتج بأبى تمام فى اللغة كان الاحتجاج فى المعانى بالمولد الآخر
أشبهه (1) •

فهل احتج ابن جنى بالمتنبى فى سياق المعانى فحسب حتى يجوز له
أن يخفف من ملامة اللائم له على احتجاجه بالمحدثين ؟ ان كانت اللغة لم
تتأد اليه ونظر الشاعر الى قراءة القارئ للآية فهذا احتجاج فى اللغة لا فى
المعانى ، ثم ما معنى قول أبى الفتح (فأما الألفاظ فلعمري أن هذا الموضوع
معتبر فيها) الا أن يكون أبو الفتح قد أراد الاحتجاج باللغة صراحة ،
وأوضح من هذا أنه يحتج ببعض المولدين دون أن يسميهم فى قراءة
الحسن (أهدنا صراطا مستقيما) (2) •

ولقد ترك ابن جنى هذا الباب مفتوحا فدخل منه رجل كالبطليوسى ،
يعرف تماما ان المتنبى من المحدثين ، ويعرف أنه لا يجوز الاحتجاج بشعره ،
ومع هذا يحاول خلق مبرر للاحتجاج به ، كان البطليوسى يناقش فى كتاب
الاقتضاب الذى جعله فى شرح كتاب ادب الكاتب لابن قتيبة - أو أدب
الكتّاب كما يسميه - كان يناقش قضية اضافة الاسماء الظاهرة والمضمرة
الى (آل) وذكر من أقوال أبى جعفر النحاس أن (آل) يضاف الى
الاسماء الظاهرة ، ولا يجوز أن يضاف الى الاسماء المضمرة ، فلم يجوز أن
يقال : صلى الله على محمد وآله • قال : وانما الصواب : وأهله ••••• ثم
أخذ فى مناقشة آراء اللغويين الى أن احتج بقول أبى الطيب المتنبى فى
قوله :

(1) المحتسب 1 : 231

(2) المحتسب 1 : 24

والله يسعد كل يوم جده
ويزيد من أعدائه فى آله

وقال - أى ابن السيد البطليوسى - (وأبو الطيب وإن كان ممن
لا يحتج به فى اللغة فإن فى بيته هذا حجة من جهة أخرى ، وذلك أن
الناس غنوا بانتقاد شعره ، وكان فى عصره جماعة من اللغويين والنحويين
كابن خالويه وابن جنى وغيرهما ، وما رأيت منهم أحدا أنكر عليه إضافة
(آل) الى المضمرة (1) •

وكان ابن السيد البطليوسى لا يرى بأسا من الاحتجاج بشعر
المتنبى ، فلقد توفر لشعره ما توفر لهذه الجزئية وهو عناية اللغويين بنقد
شعره ، ولكن الذى يدل على تردد البطليوسى أنه كان يحتج أو يتنسل
بشعر المتنبى منسوباً الى ابن جنى وكأنه يستأنس بهذه النسبة - عرض
لقول ابن قتيبة فى كتاب أدب الكاتب (قنع يقنع قناعة اذا رضى) (وقنع
يقنع قنوعا اذا سأل) فيختلف المصدران لاختلاف المعنى • فقال البطليوسى
إن ابن الاعرابى حكى قنوعا فى الرضى ، وكذلك حكاه ابن جنى وذكر
أن أبا الطيب المتنبى كان ينشد :

ليس التعلل بالآمال من أربى
ولا القناعة بالاقلال من شيمى
قال : وكان مرة ينشد :

ولا القنوع بضنك العيش من شيمى (2)
وروى ابن قتيبة فى وصف الخيل قول خالد بن الصقب :

(1) الاقتضاب 8 ط بيروت سنة 1901

(2) الاقتضاب 181

ملاعبة العنان بغصن بان الى كتفين كالقنب الشميم

وفسره ابن السيد البطليوسى فقال : قوله ملاعبة العنان يريد أن
عنقها لينة غير كرة كأنها غصن بان فهمى تلاعب عنانها وتطوى عنقها كيف
شاءت ، ثم قال : وقد أفرط ابو الطيب المتنبي فى هذا المعنى فقال يصف
مهرة :

يحك أنى شاء حك الباشق
قوبل من آفقة وآفق
بين عناق الخيل والعناق (1)

وعرض البطليوسى لكلمة : (أسحم داج) من شعر الأعشى فى
المحلّق بن حنتم الكلابى :

رضيعى لبان ثدى أم تحالفا
بأسحم دامج عوض لا تتفرق

فكان فيها سبعة أقوال : الرماد ، والليل ، والرحم ، والدم وهذه
الأقوال الأربعة ليعقوب ، وقال غيره : يعنى حمة الثدى ، وقيل يعنى :
زق الخمر ، وقيل : يعنى دماء الذبائح التى كانت تذبح للانعام ، وجعله
أسحم لان الدم اذا ييس اسود ، وقال : (وأبعد هذه الأقوال قول من قال
انه أراد الرماد لان الرماد لا يوصف انه أسحم ولا داج ، وأما الدم فلا
ينكر وصفه بالسواد لأنه يسود اذا ييس وقد وصف المتنبي الدم
بالسواد فقال :

وربما حملة فى الوغى

رددت بها الذبّل السر سودا (1)

اتصال ابن جنى بالأعراب

ولم يكن أبو الفتح نافلا ، ولا ملتزما بأراء القدماء جامدا ، ففى عصره هذا لم يجد مانعا من أن يستنطق أحد الأعراب ليفيد من سليقته أو على الأصح ليختبر سليقته ، فلقد كان يسمع من العقيلين بعامة ، ومن أبى عبد الله الشجرى العقيلى بخاصة كرجل تشيع فصاحته وتقوى لغته ، ففى قراءة محمد بن السميع من سورة (آل عمران) (قَرَح) بفتح القاف والراء تردد أبو الفتح فى أن تكون لغة ، أو لأن الحاء حرف حلقى يفتح ما قبلها كما تفتح نفسها ... ومن كلامه فى هذا (..... ولعمري أن هذا عند أصحابنا ليس أمرا راجعا الى حرف الحلق ، لكنها لغات ، وأنا أرى فى هذا رأى البغداديين فى أن حرف الحلق يؤثر هنا من الفتح أثرا معتدا معتمدا فلقد رأيت كثيرا من عقيل لا أحصيه يحرك من ذلك ما لا يتحرك أبدا لولا حرف الحلق وسعت الشجرى يقول فى بعض كلامه : أنا محموم (بفتح الحاء) (2) .

ويقول فى هذه الظاهرة فى سياق قراءة سهل بن شعيب النهمى (جَهْرَة) فى سورة البقرة و (زَهْرَة) فى سورة طه بفتح الهاء فى كل : (مذهب أصحابنا فى كل شئ من هذا النحو مما فيه حرف حلقى ساكن بعد حرف مفتوح : أنه لا يحرك الا على انه لغة فيه ... ومذهب الكوفيين فيه أنه يحرك الثانى لكونه حرفا حلقيا فيجيزون فيه الفتح وان لم يسمعه وما ارى القول من بعد الا معهم ، والحق فيه الا فى أيديهم ، وذلك

(1) الاقتضاب 391

(2) المحتسب 1 : 167

اننى سمعت عامة عقيل تقول ذاك *** حتى لسمعت الشجرى يقول : أنا
محموم) - بفتح الحاء * (1)

وهذا فتح جديد يثيره أبو الفتح ، وعودة الى الاحتجاج بالاعراب ،
وتقبل لشعر المحدثين *

كان ابن جنى - العالم الفذ - الذى يعد أعجوبة خارقة بين علماء
اللغة ينظر الى العربية بصيرته لا ببصره فحسب ، ويعرضها على عقله المميز
لا على ذاكرته الحافظة ، كان عقليا لا نقليا ، كان يدرك أن استقاء العربية
من أفواه الاعراب وجه من وجوه الرواية ، وأن هذه الطريق هى التى
سلكها أوائل الرواة ، وحصلوا بها علمهم ، ووثقوا بها ما حصلوه عن
شيوخهم ، وكان الجيل الثانى والثالث يتقبل ما نقل اليه حين يطمئن الى
صحة السند عن القدامى ، ويكف عن الاستماع الى الاعراب بعد أن اتهمهم
الأوائل بفساد الفطرة بطول المكث فى الحضر * ولكن ابن جنى كان يدرك
أن الآراء العلمية لا يمكن ان تتقبل هكذا بهذا الشمول ، وأن فساد سليقة
أعرابى لا تعنى فساد سليقة الأعراب جميعا وألا تفسر الظواهر فى الكوفة
بظروف البصرة ، والميزان الذى يجرى فى البلدين لا يوزن به فى بغداد *

ترى ما الوجه ونحن نرى ابن جنى يلتقى بأعراب من بنى عقيل ،
ويعول أحيانا على ما يصدر من أعرابى تردد اسمه كثيرا فى كتابى
الخصائص والمحتسب وهو أبو عبد الله الشجرى العقيلي بعد ان توقف
الأخذ عن الأعراب بصفة عامة *

الرأى عندى أن قضية الاعراب قد شابها الشمول ويقتضى الأمر
تفصيلها ، فبعض اعراب البصرة قد رموا بالافتعال لأنهم وجدوا أنفسهم

(1) المحتسب 1 : 84 وانظر ايضا المحتسب 2 : 166

أمام من يشتري العربية ، وكان الطلاب يذهبون اليهم في المربد يعرضون عليهم ما سمعوه من شيوخهم ففى البصرة ، ويستمعون الى احاديثهم ، ويلفظون مخارج الحروف من أفواههم ، ولما أحس الاعراب بحاجة الطلاب اليهم انتقلوا الى البصرة فضعفت سليقتهم أو سليقة البعض منهم — واضطر علماء البصرة الى وضع الاسئلة لهم يمتحنون بها طبيعتهم ، وباتوا يفاضلون بين أعرابي وأعرابي ، فلما تزعزعت الثقة بهم اتجه العلماء الى البادية ففى طلب اللغة — كان هذا يجرى فى البصرة .

وكان الأمر فى الكوفة يخالف هذا النهج ، كان العنصر العربى البدوى فى الكوفة أكثر منه فى البصرة ، وكان ميراثهم من الشعر كثير ، وكان رواة الكوفة لا يجدون غضاضة فى الاستماع الى كل ما هو عربى فكان من اعراب الكوفة الذين اصطنعوا رواية اللغة : أبو المجيب الربعى ، وهو من بنى ربيعة بن مالك بن تميم ، وأبو الجراح العقيلي ، وأبو ثروان العكلى . والآخران لهما ذكر فى بغداد وكافا يشهدان مع الكسائى على سيبويه فى المسألة الزنبرورية كما روى الفراء عن رجل اسمه أبو دثار ، والتقى أبو عمرو الشيبانى بأبى مسلم العاصى .

ذهب أكثر هؤلاء الاعراب الى بغداد سعيا وراء العيش ، فقد انتقل اليها رجال الدولة وفى أعقابهم من يلوذ بهم من العلماء والاعراب ، وبقي فى الكوفة العنصر البدوى بفطرته وسليقته يدلك على ذلك أن الكسائى حين ذهب الى البصرة عجب منه رجل من الاعراب وقال له : تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت الى البصرة . (1)

وحين اشتدت الخصومة بين البلدين ذهب البصريون يوهنون رجال

(1) انباء الرواة 2 : 258

الكوفة بأنهم يستمعون الى أعراب قطربل - وقطربل هذه بلد ينسب اليها الخمر ، ويذهب اليهان مجان الأعراب طلبا في خمرها - ومن أقوال البصريين للكوفيين : نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز والكوامخ (1) وقال أبو عبيدة : أخذنا اللغة عن الاعراب البوالين على أعقابهم (2) وعاب اليزيدي الكسائي فقال له :

كنا نقيس النحو فيما مضى
على لسان العرب الأول
فجاء قوم يقيسونه
على لغى أشياخ قطربل
ان الكسائي ، وأشياعه
يرقون في النحو الى أسفل (3)

أما بنو عقيل الذين تردد ذكرهم في كتب ابن جنى فهم طبقة متأخرة من بنى عامر بن صعصعة ، وكانت منازلهم بالبحرين ، واضطروا الى الالتجاء للعراق حين غلبت عليهم بنو تغلب ، فملكوا الكوفة والبلاد الفراتية ، وتغلبوا على الجزيرة والموصل • (4)

وجدير بالملاحظة أن نظرة ابن جنى الى المحدثين من الاعراب والشعراء تختلف عن نظرة قدامى الرواة ، فقدامى الرواة ، ورواة البصرة بخاصة كانوا ينفضون أيديهم من الاعراب حين يكشفون سقطهم ، كان

(1) معجم الادباء 2 : 205

(2) طبقات الزبيدي 194

(3) اخبار النحويين للسيرافي 62

(4) صبح الاعشى 1 : 342

أبو عمرو بن العلاء تهتز ثقته فسى أبسى خيرة الأعرابي حين سمع قوله
(استأصل الله عرقاتهم) بنصب التاء لأنه كان سمعها منه بالجر ، فقال له :
هيهات يا أبا خيرة ، لأن جلدك ! (1)

ولحظ الجاحظ فى يزيد بن كثوة بعض الهنات بالرغم من أنه كان
يسكن بين البادية والبصرة فقال فيه (كان بين يزيد بن كثوة يوم قدم علينا
البصرة وبينه يوم مات بون بعيد على أنه قد كان وضع منزله فسى آخر
موضع الفصاحة وأول موضع العجمة) • (2)

ولكن أبا الفتح كان يأنس بالأعراب يستمع الى أحاديثهم ، ويوجه
اليهم الاسئلة ، لا ليكشف سقطهم ولكن ليتبين أثر الحضارة فى سليقتهم،
وأثر العامل الزمنى على اللغة نفسها ، ومن من الأعراب يستمسك على
بداوته الى غير ذلك • وجدنا أبا الفتح يتناول هذا ويقيم عليه دراسة علمية
غزيرة ، فالأعرابي عنده مادة لا يجوز تركها بعيدة عن عناصر الرواية ،
وكان فى الأعراب من يتصف بالفصاحة لم تتغير طبيعته فى كثير كما يتضح
لك من كلامه :

(حضرنى قديما بالموصل أعرابى عقيلى جوئى تميمى يقال له : محمد
ابن العساف الشجرى ، وقلما رأيت بدويا أفصح منه فقلت له يوما شغفا
بفصاحته والتذاذا بمطاولته وجريا على العادة معه فى ايقاظ طبعه واقتداح
زند فطنته :

كيف تقول : أكرم أخوك أباك •
فقال : كذلك •

(1) نزهة الالباء 32 — 33

(2) البيان والتبيين 1 : 174

فقلت له : أف تقول : أكرم اخوك أبوك ؟

فقال : لا • لا أقول أبوك أبدا •

فقلت : فكيف تقول : أكرمني أبوك ؟

قال : كذلك •

قلت : ألسن تزعم أنك لا تقول أبوك أبدا •

فقال : أيش هذا ، اختلفت جهتا الكلام •

فعجب أبو الفتح من تعبيره قائلا : فهل قوله : اختلفت جهتا الكلام
الا كقولنا نحن هو الآن فاعل وكان فى الأول مفعولا ؟ فانظر الى قيام هذا
الامر فى أنفسهم وان لم تقطع به عبارتهم) • (1)

وفى مرة أخرى يقول : سألته يوما يا أبا عبد الله كيف تجمع
محرنجما - وكان غرضى من ذلك أن أعلم ما يقوله أيكسر فيقول حراجم
أم يصحح فيقول محرنجمات فذهب هو مذهبا غير ذين فقال : و أيش !
فرقه حتى أجمعه - قال أبو الفتح : وصدق وذلك أن المحرنجم هو المجتمع
يقولها مارا على شكيمة غير محسن لما أريده منه ، والجماعة معى على غاية
الاستغراب لفصاحته • قلت له : فدع هذا ، اذا أنت مررت بابل محرنجمة ،
وأخرى محرنجمة ، وأخرى محرنجمة تقول مررت بابل ماذا ؟ فقال وقد
أحسن الموضع : يا هذا ، هكذا أقول : مررت بابل محرنجمات ، وأقام على
التصحيح البتة استيحاشا من تكسير ذوات الاربعة لمصاقتها ذوات الخمسة
التي لا سبيل الى تكسيرها • (2)

ولم يطع لسان الأعرابي حين جره أبو الفتح الى دائرة الاستطراد
فيما لا يجرى على النسق ، قال : سألته يوما : كيف تجمع سرحانا ؟

(1) معجم الادباء 12 : 105

(2) معجم الادباء 12 : 108

قال : سراحين •

قلت : فدكانا ؟

قال : دكاكين •

قلت : فقرطانا ؟ (1)

قال : قراطين •

قلت : فعثمان ؟

قال : عثمانون •

قلت : هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقراطين ؟

فأباها البتة — وعلل لذلك أبو الفتح فقال : استوحش من تكسير العلم لا سيما وفيه الألف والنون اللتان بابها فعلان الذى لا يجوز فيه فعالين نحو سكران وغضبان • (2)

وقال : سألت الشجرى كيف يا أبا عبد الله تقول : اليوم كان زيد قائما ؟

فقال : كذلك •

فقلت : فكيف تقول : اليوم ان زيدا قائم ، فأباها البتة •

أباها الاعرابى ، وأنكرها بفطرته ، وعللها أبو الفتح فقال : ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها لأنها انما تأتي أبدا مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها ، وما بعدها عما قبلها • (3)

(1) الاصمعى : من متاع الرجل البرذعة وهو الحلس للبعير ، وهو للبعير ، وهو لدوات الحافر قرطاط وقرطان بكسر القاف وضمها — وهو أيضا الداهية ، والشئ اليسير وهو من الاضداد — انظر اللسان ق ر ط

(2) معجم الادباء 12 : 109 (3) معجم الادباء 12 : 106

والأعراب - فى عصر ابن جنى - كطيبتهم السابقة لا يعرفون الأقيسة والتعاريف وانما يتكلمون بنحيزتهم فيجد أبو الفتح فى ذلك مدخلا لتعليل نظرياته وما هداه اليه القياس والتحليل ، قال : أنشدنا مرة أبو عبد الله الشجرى شعرا لنفسه فيه بنو عوف فقال له بعض الحاضرين : أتقول بنو عوف أم بنى عوف ؟ - شكنا من السائل فى بنى وبنو - فلم يفهم الشجرى ما أراده وكان فى ثنايا السائل فضل فرق فأشبع الصوت الذى يتبع الفاء فى الوقف فقال الشجرى مستنكرا لذلك : لا أقوى فى الكلام على هذا النفخ . وفى هذا السياق يقول : سألت غلاما من آل المهيا فصيحاً عن لفظة من كلامه لا يحضرنى الآن ذكرها فقلت : أكذا أم كذا ؟

فقال : كذا بالنصب لأنه أخف فجئنا الى الخفة ، وعجبت من هذا مع ذكره (النصب) بهذا اللفظ ، وأظنه استعمل هذه اللفظة لأنها مذكورة عندهم فى الانشاد الذى يقال له النصب مما يتغنى به الركبان . (1)

وابن جنى لا تعوزه الدقة والمقدرة فى كشف طبيعة الأعرابى فللمرجل معرفة بأسرار العريية وخصائصها يستطيع بها التفرقة بين أعرابى فصيح ، وأعرابى أقل فصاحة ، ويعرف أيضا كيف يفيد من الاثنين على السواء ، فهو يقيم دراسة قائمة على التوثيق مستعينا بالأعرابى الفصيح ، كما يقيم دراسة على الأعرابى الآخر ليرى أثر التطور على لسانه ، وهو يروى موقفا كهذا فيقول :

قلت له يوما (أى لأبى عبد الله الشجرى) ولابن عم له يقال له : غصن ، وكان أصغر منه سنا وألين لسانا ، كيف تحقران حمراء ؟

فقالا : حميراء

قلت : فصفراء .

(1) الخصائص 1 : 78

قالا : صفياء •

قال : واستمرت بهما فى نحو هذا ، فلما استويا عليه دست بين ذلك (علباء) فأسرع ابن عمه على طريقته فقال : عليباء ، وكان الشجرى يقولها معه ، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكرا — أو تراجع كالمذعور — فقال اه عليبي • (1)

وهكذا ، كان الشعر القديم ، والشعر الذى يليه ، والاعراب القدامى ، والاعراب المتأخرون موضع عناية ابن جنى ، يوثق اللغة بالاولى ويدرّس التطور اللغوى فى أشعار المحدثين وألسنة المتأخرين •

(1) معجم الادباء 12 : 106 — 107 والخصائص 2 : 26

الفصل الخامس

مآخذ حول الشعر

شعراء في ميزان الرواية

يطمئن الرواة الى الشعراء القدامى ، والذين عاشوا فى قلب البادية
بخاصة ، هذان القيدان ، الزمانى والمكانى ، يختلفان حدودا وتحديدا
بحسب وجهات نظر الرواة .

كان ابو عمرو بن العلاء لا يحتج ببيت اسلامى، كما يحكى وان اعجب
بشعر جرير والفرزدق واضرابهما ، وخالفه كثرة من الرواة فاحتجوا بشعر
الاسلاميين ، وقد يكون الشاعر موضع ثقة الراوية فى خصوصية من شعره
ولا يكون كذلك فى موقف آخر ، وقد يكون ثقة فى جل شعره ولا يكون
كذلك فى خصوصية واحدة . فالاصمعى يحتج بشعر الكميت بصفة عامة
— وحينما يراه جرمقانيا من أهل الموصل لا يحتج بشعره — وذو الرمة من
الشعراء البداءة ، وموضع ثقة الرواة ، وفى موقف من المواقف لا يراه
الاصمعى كذلك ، ويعلل ذلك بأنه طالما أكل البقل والملوح فى حوانيت

البصرة ، يعنى انه بعد عن البادية •

والشعر الجاهلى لم يكن كله متقبلا عند كل الرواة ، فلقد عاب ابن قتيبة عدى بن زيد ، وأبا دؤاد الايادى فقال عن الاول (كان يسكن الحيرة ويدخل الارياف فثقل لسانه ، واحتمل عنه شيء كثير جدا وعلمائنا لا يرون شعره حجة (1) وقال عن الرجلين : عدى بن زيد وابى دؤاد الايادى (ان الفاظهما ليست بنجدية) ولم يشفع لهما عند ابن قتيبة ان كثرة من الرواة كانوا يوثقون الرجلين •

كان ابو دؤاد الايادى فى نظر الاصمعى أحد ثلاثة لا يقاربون فى وصف الخيل : طفيل ، وابو دؤاد ، والجعدى (2) وكان أبو عبيدة يحتج به ويذكر كثيرا من شعره فى كتاب الخيل • وحسن فيه رأى الحطيئة فلقد تذاكر الناس الشعراء عند سعيد بن العاص الى ان سأل عن أشعر الناس ، فقال الحطيئة : هو الذى يقول :

لا أعد الاقتار عدما ولكن

فقد من رزئته الاعدام

وحين فخرت ايد على العرب قالت : منا أجود الناس كعب بن مامة ، ومنا اشعر الناس ابو دؤاد • (3)

وحين رجح البطليوسى رأى أبى تمام لما شدد ياء الشجى احتج بقول ابى دؤاد الايادى :

من لعين بدمعها موليئة

ولنفس مما عناها شجيئة

(1) الشعر والشعراء 1 : 176

(2) الاغانى 16 : 375

(3) الاغانى 16 : 378

وقال : وناهيك به حجة • (1)

وكان ابن السكيت يوثق بأشعار عدى بن زيد اصلاح المنطق ،
عرض لكلمة « الفلح » مصدر فلحت الارض اذا شقققتها للزراعة ، قال :
والفلح (بفتح الفاء واللام) والفلاح بمعنى البقاء وأنشد لعدى بن زيد :
ثم بعد الفلاح والملثك° والامّ

ة وارثهم هناك القبور (2)

وقال : وما جاء صحيحا بالواو : قد عنت الارض بالنبات تعنوا عنوا
اذا ظهر نبتها وأنشد لعدى :

فياكلن ما أعنى الولى فلم يلبث
كأن بحافات النهاء المزارعا

قوله : أعنى الولى أى ابنته الولى وهو المطر الذى بعد الرسمى (3)
وفى تأنيث الدلو يقول ابن السكيت : الدلو ، الغالب عليها التأنيث ،
وتصغيرها دليّة ، وقد تذكر ويتمثل بقول عدى :

فهو كالدلو بكف المستقى
خذلت منه العراقى فانجذم (4)

وابن احمر الباهلى :

أعرابى جاهلى ادرك الاسلام ، وكان يعيش كما يقول ابو عمرو بن

(1) الاقتضاب 198

(2) اصلاح المنطق، 92

(3) اصلاح المنطق 209

(4) اصلاح المنطق 397

العلاء في أفصح بقعة من الأرض : يذبل والقعاقع (1) ذكر ذلك ابن قتيبة حين ترجم لهذا الشاعر في كتاب الشعر والشعراء وقال : أتى ابن أحمر في شعره بأربعة الفاظ لا تعرف في كلام العرب ، سمي النار مأنوسة وقال :

تطايح الطل عن أعطافها صعدا

كما تطايح عن مأنوسة الشرر (2)

ذكرها ابن منظور في لسان العرب ، ونسبها الى ابن احمر .

وجاء في شعر ابن أحمر (البابوس) بمعنى ولد الناقة فقال :

حنت قلوصى الى بابوسها طربا

فما حنينك أم ما أنت والذكر

وفسرها ابن منظور بولد الناقة ، وفسره الازهرى في التهذيب بأنه الصبى الرضيع فى مهده ، وفى حديث جريج الراهب حين استنطق الرضيع فى مهده مسح رأس الصبى وقال له : يا بابوس ، من أبوك ؟ فقال : فلان الراعى . قال : فلا ادرى اهو فى الانسان أصل أم استعارة ، وقال الاصمعى : لم نسمع به لغير الانسان الا فى شعر ابن احمر ، ومعنى هذا ان الاصمعى قد سمع (البابوس) لولد الانسان . وقيل : هو اسم للرضيع من أى نوع كان واختلف فى عريته . (3)

(1) يذبل : جبل فى نجد ، وقال ابو زياد : يذبل جبل لباهلة وله ذكر فى شعرهم . والقعاقع : جمع قعقاع للمكان اذا كان بعيدا والسير فيه متعبا ، وربما قصد ان ابن احمر عاش فى مكان لا يسهل الوصول اليه والخروج منه فاحتفظ فيه بالعربية الفصيحة لعدم المخالطة - وقال البكرى : هما جبلان لباهلة التنبيه 60

(2) رواية الخصائص (كما تطاير عن مأنوسة الشرر) 2 : 23

(3) مادة ب ب س فى اللسان

وفى شعر لابن أحمر يذكر فيه البقرة يقول :
وبنس عنها فرقد خصر

أى تأخر - فقال ابن قتيبة ، ولا يعرف التبئيس - وشرحها ابن منظور بمعنى التأخير محتجا لذلك بقول ابن احمر المذكور ، وقال الاصمعي : هى أحد الالفاظ التى انفرد بها ابن احمر ، وكذلك قال شمر : لم اسمع بنس اذا تأخر الا لابن أحمر •

ويبدو ان للكلمة أصل عربى قريب من معنى التأخير ، لا يغير من ذلك عدم سماع الاصمعي لهذا اللفظ الا لابن أحمر ، وأن شمرا تبعه فى ذلك ، فقد أورد صاحب اللسان حديث عمر رضى الله عنه (بنسوا عن البيوت لا تظم امرأة ولا صبى يسمع كلامكم) أى تأخروا لئلا يسمعوا ما يستتضرون به من الرفث الجارى بينكم ، كذلك حكى ابن منظور عن كراع فعل الامر من هذه المادة بنس بمعنى اقمعد ، وكذلك رواها اللحياني بالسین والشين بمعنى القعود • (1)

وفسر ابن قتيبة (الأرنفة) بأنه ما لف على الرأس ، وقال : ولا يعرف ذلك فى غير شعره أى شعر ابن احمر فى قوله :

وتقنع الحرباء أرتنه

متشاورسا لوريده نقر (2)

ومن الكلمات التى انفرد بها ابن احمر (الجبر) بمعنى الملك فى قوله :

(1) اللسان ب ن س

(2) اللسان ا ر ن

اسلم براووق حُييت به
وانعم صباحا ايها الجبير (1)
ومنها : (كأس رنوناة) أى دائمة فى قوله :
بنت عليه الملك أطنابها
كأس رنوناة وطرف طمر

ومنها (الديديون) بمعنى اللهو فى قوله :
خلوا طريق الديديون وقد
فات الصبا وتنزع الفخر (2)

وفى معنى أخذ الشيء كله أخذه بزوره ، أنشد يعقوب لابن أحمر :
وان قال غاو من تنوخ قصيدة
بها جرب عدت على بزوبرا (3)

وأنت ترى بسبب البقعة التى عاش فيها ابن أحمر ، واكتسب بسببها
ثقة الرواة لم يتجه اللغويون الى انكار ما ورد فى شعره حتى ولو لم يسمع
من غيره ، بل ذهب ابن جنى لعل لتوثيق ابن أحمر بأنه ربما أخذه عمن
ينطق بلغة قديمة لم يشارك فى سماع ذلك منه واما ان يكون شيئا ارتجله
ابن أحمر (فان الاعرابى اذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل
ما لم يسبقه أحد) * (4)

(1) الخصائص 2 : 21

(2) الخصائص 2 : 22

(3) امالى القالى 1 : 244

(4) الخصائص 2 : 24 — 25

وقد نسب الى رؤبة وأبيه انهما كانا يرتجلان ألفاظا لم يسمعاها ولا سبقا اليها ، وكانت حجة الفرزدق في خصومته مع ابن ابي اسحق أنه أعرابي عليه ان يقول وعلى الآخرين أن يقعدوا ، كل ما فسى الامر ان ابن احمر ، ورؤبة وأباه قد ارتجلوا أصولا وارتجل الفرزدق صيغا أو كابر في تبديل الصيغ المسموعة استنادا الى اعرابيته ، كل أولئك متقبل في نظر ابن جنى الا أن أباه قياس العريية • والرأى عندي مختلف فلقد كان يشفع لابن أحمر هذه البقعة التي عاش فيها في يذبل والقعاقع اما الفرزدق ورؤبة فقد تغشاهما شوب الحواضر •

امية بن ابي الصلت

والرواة عندما يذكرون ابن احمر ويكتفون بقولهم ان بعض الالفاظ التي صدرت عنه لم تصدر عن غيره دون تشكيك في صحتها فانهم وقفوا متشككين أمام الفاظ صدرت عن امية بن أبي الصلت وقالوا في وضوح : (كان أمية بن ابي الصلت قد قرأ كتاب الله عز وجل الاول ، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب) فمنها قوله :

قمر وساهور يسل ويغمد

وكان يسمى الله عز وجل في شعره (السليط) فقال :

هو السليط فوق الارض مقتدر

وسماه في موضع آخر (التغرور) فقال : (وأيده التغرور) •

قال ابن قتيبة : وعلمائنا لا يحتجون بشيء من شعره لهذه العلة (1)

(1) الاغانى 4 : 121

ويقول فى كتاب الشعر والشعراء : وهذه أشياء منكّرة وعلماءنا لا يرون
شعره حجة فى اللغة * (1)

والفرق بين ابن أحمر وبين أمية لا يأتى من جهة الفصاحة فكلاهما
نشأ فى بيئة فصيحة ، وكان أمية فى نظر أبى عبيدة من أشعر أهل المدن
ويقول فى هذا (اتفقت العرب على ان اشعر أهل المدن أهل يشرب ثم عبد
القيس ثم ثقيف ، وان أشعر ثقيف أمية بن أبى الصلت) (2) ولكن يبدو
أن الرواة لم يحتجوا بشعر أمية ، أو أن كثرة منهم كانت كذلك بسبب لا
يتصل بالفصاحة ، ولا بسبب سفره الى الشام ولكن بسبب الغيبات التى
يأتى بها المتنبيون ، فمثل هذه الغيبات قد تلقى قبولا من الناس قال
الكُميت : أمية أشعر الناس قال كما قلنا ولم نقل كما قال (3) وقال الحجاج
وهو ثقفى مثله : (ذهب قوم يعرفون شعر أمية وكذلك اندراس الكلام) (4)
— وقد تقابل بالرفض والاستنكار ، وكان أمية قد نظر فى الكتب وقرأها ،
ولبس المسوح تعبدا ، وكان ممن ذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية ، وحرم
الخمر ، وشك فى الاوثان والتمس الدين وطمع فى النبوة (5) ولكنه كان
يأتى أيضا بما يأتيه السحرة والكهان من الافعال الغريبة ، فلقد زعموا انه
كان جالسا فى قوم فمرت بهم غنم فتغت منها شاة فقال للقوم : هل تدرون
ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا . قال : انها قالت لسخلتها : مررتى لا يجىء
الذئب فىأكلك كما أكل أختك عام أول فى هذا الموضع فقام بعض القوم
الى الراعى فقال له : أخبرنى عن هذه الشاة التى ثغت ، ألها سخله ؟ فقال :
نعم ، هذه سخلتها . قال : أكانت لها عام أول سخله ؟ قال : نعم ، وأكلها

(1) الشعر والشعراء 1 : 431

(2) الاغانى 4 : 122

(3) الاغانى 4 : 122

(4) الاغانى 4 : 123

(5) الاغانى 4 : 122

الذئب في هذا الموضع (1) الى غير ذلك من أفعال على هذه الشاكلة رواها أبو الفرج في كتاب الاغانى وهو يترجم لأمية . واذا كان الرواة يأخذون عن الاطفال والمجانين لعلمهم اننا يصدرون عن فطرة وسليقة لا يشوبها عمل . فان من حقهم أن يرفضوا الأخذ عن متنبئ يأتى بالغيبات عن اغراب متعمد لا عن فطرة وسليقة . والمحاولات التى بذلها اللغويون بشأن هذه الألفاظ التى شابت شعر أمية لم تكشف الا عن شكوكهم فيها ، فقد جاء ابن منظور بشعر أمية فى مادة س ل ط وقال : والفعل سلط ، سلاطة وسئل بقول أمية :

ان الانام رعايا الله كلهم
هو السليطه فوق الارض مستطر

وحاول ابن جنى أن يجد له مخرجا ونحن نعلم انه صاحب الابتكار الواسع الذى أطلق عليه «الاشتقاق الاكبر» وأداره على الاوزان والأقيسة فلم يجد له قياسا ، قال ابن جنى فى البيت السابق : هو القاهر من السلاطة وروى السليطه* (بتشديد السين وفتحها ، وفتح الطاء الاولى) ثم قال : وكلاهما شاذ .

وفى التهذيب . يقول الازهرى : سليطه جاء فى شعر أمية بمعنى السلط . ولا ادرى ما حقيقته . (2)

ومع هذه الاعتبارات فقد احتج ابن جنى بشعر أمية فى كتاب المحسب . (3)

(1) الاغانى 4 : 125

(2) اللسان مادة س ل ط

(3) انظر المحسب فى القراءات الشاذة لابن جنى 1 : 366 ، 2 : 288

شعراء إسلاميون

وفى عصر الاحتجاج الذى اتفق عليه أكثر الرواة ، وهو نهاية القرن الثانى ، كثير من الشعراء مشهود لهم بالفصاحة ، ووقف عندهم الرواة مترددين •

من هؤلاء بشار بن برد ، وكان الاصمعى يضعه فى مقارنة مع الاعشى والنابغة الذبياني (1) وكان الرجل حقيقة يملك حسا دقيقا يدرك به خصائص الشعر الجاهلى ، ويحكى ذلك أبو عبيدة معجبا به فيقول : سمعت بشارا يقول وقد أنشد فى شعر الاعشى :

وأنكرتنى وما كان الذى نكرت

من الحوادث الا الشيب والصلما

فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الاعشى ، فعجبت لذلك ، فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس فقال : حدثنى أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله فى شعر الاعشى ف جعلت حينئذ ازداد عجبا من فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر • (2)

وكانت جلة الرواة تعظم بشارا ، وتدهش لمحبيته بالغريب فى شعره والذى لا يفتن اليه الا خلص الأعراب ، ويقول الاصمعى : كنت أشهد خلف بن أبى عمرو بن العلاء ، وخلفا الأحمر يأتیان بشارا ويسلمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا معاذ ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما

(1) الاغانى 3 : 149 ط دار الكتب

(2) الاغانى 3 : 143 — 144

ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتى وقت الظهر ثم ينصرفان عنه
فأتياه يوما فقالا له : ما هذه القصيدة التى أحدثتها فى سلم بن قتيبة ؟ قال :
هى التى بلغتكما ، قالوا : بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب فقال نعم ،
بلغنى أن سلما يتباصر بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه • قالوا :
فأنشدناها فأنشدهما :

بكرا صاحبى قبل الهجير
ان ذاك النجاح فى التبكير

حتى فرغ منها ، فقال له خلف : لو قلت يا أبا معاذ مكان (ان ذاك
النجاح) (بكرا فالنجاح فى التبكير) كان أحسن ، فقال بشار : بنيتها
أعرابية وحشية فقلت كما يقول الأعراب البدويون • (1)

وحدث أحمد بن المبارك قال : حدثنى أبى قال : قلت لبشار ، ليس
لأحد من شعراء العرب شعر الا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من
ألفاظهم وشكّ فيه ، وانه ليس فى شعرك ما يشكّ فيه •

قال : ومن أين يأتينى الخطأ ، ولدت ها هنا ، ونشأت فى حجور
ثمانين شيخا من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وان
دخلت الى نسائهم فנסأؤهم أفصح منهم وأيفعت فأبدت الى أن أدركت ،
فسن أين يأتينى الخطأ ؟ (2)

ولبشار ألفاظ وحشية كأنها صدرت عن أجلاف الأعراب ، فكان
الرواة يقصدون شيوخهم يسألونهم عنها ، كان بشار كثير الولوع بديسم

(1) الأغاني 3 : 189 — 190

(2) الأغاني 3 : 149 — 150

العنزي وكان صديقا له وهو مع ذلك يكثر هجاءه ، قال فيه يوما :

أديسم يابن الذئب من نجل زارع
أتروى هجائى سادرا غير مقصر

قال أبو حاتم : فأثشت أبا زيد هذا البيت وسألته ما يقول فيه فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقال : لبشار يقول في ديسم العنزي فقال : قاتله الله ، ما أعلمه بكلام العرب ! ثم قال : الديسم : ولد الذئب من الكلبة ، ويقال للكلاب اولاد زارع * (1)

الا أن للرجل وجوها أخرى ربما كانت هي السبب في توقف أوائل الرواة عن الاحتجاج بشعره ولعل على رأسها :

— اسرافه الشديد في الشعوية *

— انطلاقه في القياس *

— وتأخر أيامه في نظر أوائل الرواة *

اما اسرافه في الشعوية ، فقد سبق أن أوضحنا جانباً منه ، ولكن لم يصرح أحد من الرواة في شعويته ما يجنح به الى الزيف في الرواية ، الا أن تكون قد تركت اثرها في نفوس العرب فعزف روايتهم عن الاحتجاج بشعره *

ولكنهم أخذوا عليه تصرفه في القياس واتيانه بموازين لم تصدر عن العرب ، ذكر ذلك أبو حاتم فقال : ملعن الاخفش على شعر بشار قوله :

(1) الاغانى 3 : 152

فَالآنَ أَقْصِرُ عَنْ سَمِيَةِ بَاطِلْسَى
وَأُشَارُ بِالْوَجَلَى عَلَى مَشِيرِ

وَقَوْلِهِ :

عَلَى الْغَزَلَى مَنَى السَّلَامُ فَرَبِمَا
لَهَوْتُ بِهَا فِى ظِلِّ مَرْؤُومَةِ زَهْرٍ
وَقَوْلِهِ فِى صَفَةِ سَفِينَةٍ :
تَلَاغِبُ نَيْنَانَ الْبَحُورِ وَرَبِمَا
رَأَيْنَ نَفُوسَ الْقَوْمِ مِنْ جَرِيهَا تَجْرَى

وقال : لم يسمع من الوجل والغزل فعلى، ولم أسمع بنون ونيان (1)
وقال غير أبى حاتم إنما بلغه أن سيبويه عاب هذه الأحرف فهجاه بشار
فكان سيبويه يتقيه ويحتج بشعره ! وهذا الكلام ادعاء ضعيف ، وقد أجاز
ابن منظور فى اللسان جمع نون على ننان قائلًا : (وأصله نونان فقلبت
الواو ياء لكسرة النون) وقال : وفى حديث على عليه السلام (يعلم
اختلاف النينان فى البحار العامرات) واعتراض الاخفش قائم على أنه لم
يسمع بنون ونيان ، وعدم وصول اللفظ الى سماع الاخفش لا يقطع بخطئه
ولهذا - فيما نعتقد - ان صحت الرواية طلب بشار مواجهة الاخفش مهددا
له قائلًا (ويلو على القصارين ! متى كانت الفصاحة فى بيوت القصارين ،
دعوني وإياه) (2)

ولكن يبدو أن السبب الثالث فى نظر قدامى الرواة كان هو المانع
الحقيقي من الاحتجاج بشعر بشار ولقد صدر هذا فى تصريح للاصمعى

(1) الاغانى 3 : 209

(2) الاغانى 3 : 209

يقول فيه : (بشار خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم) (1) •

ابو نواس

وكان ابو علي الحسن بن هانيء من الذين نشأوا نشأة علمية دينية ، فقد نشأ بالبصرة ، واختلف في طلب الحديث ، وقرأ القرآن على يعقوب الحضرمي ، واختلف الى أبي زيد النحوي فكتب عنه الغريب والألفاظ . وحفظ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ونظر في نحو سيبويه •

ولقد تسلى بالرواية الغزيرة للشعر ، وهو يحكى بعض ذلك فيقول :
ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهم الخنساء ، ولبلى
فما ظنك بالرجال ؟! (2)

وكانت حصيلة ذلك من اللغة ما عبر عنه ابن خالويه في شرحه
لأرجوزته التي أولها :

وبلدة فيها زور°

بقوله : لولا ما غلب عليه من الهزل لاستشهد بكلامه في كتاب
الله تعالى • وقد شهد له بالسبق في العربية ابو عثمان الجاحظ فقال : ما
رأيت أحدا كان اعلم باللغة من أبي نواس ، ولا أفصح لهجة ، مع حلاوة
ومجانبة للاستكراه (3)

ولكن • هل المجون الذي عرف عن أبي نواس هو وحده السبب في

(1). الاغانى 3 : 143 | أو 150

(2) تاريخ بغداد 7 : 437

(3) تاريخ بغداد 7 : 437

عدم الاحتجاج بشعره ؟ ان ابن الاعرابي يشارك ابن خالويه في هذا الرأي ويصرح بذلك قائلا : لولا ان أبا نواس وضع نفسه بهذه الادناس والارفات لاستشهدت بشعره ولاحتججت به ، وقال معجبا : ختمت الشعر بشعر أبي نواس فلم أدوّن بعده لشاعر (1) .

عبيد الله بن قيس الرقيات

وعاب يونس عبيد الله بن قيس الرقيات حين قال في قصيدة مدح بها عبد العزيز بن مروان (أو يالغان دما) بالالف ، ثم غيرته الرواة على الوجه التالي :

ما مريوم الا وعندهما

لحم رجال أو يولغان دما

فقال يونس : يجوز يالغان فليل له : فقد قال ذلك ابن قيس الرقيات وهو حجازي فصيح فقال : ليس بفصيح ولا ثقة ، شغل نفسه بالشرب بتكرير (بلدة بين بغداد والموصل) (2) .

وهكذا كان أكثر ما وجه الى الشعراء يتمثل في أنهم بعدوا عن البادية الفصيحة فشيبت السنتهم كما يقول الرواة . فالكثير جرمقاني من أهل الموصل ، وذو الرمة أكل البقل والملوح في حوانيت البصرة ، وابن قيس الرقيات يشرب في تكرير .

وحيث كانت البادية الفصيحة معقل العربية تعلق بهذه البداوة بعض الشعراء والرجاز حين اُشتد الطلب على العربية الموثقة ، وعمد بعضهم الى الغريب أو الاغراب امعانا في هذه الغاية ، فأخذوا على الكمية والطرماس

(1) مختارات الاغانى لابن منظور 3 : 6 ط الدار المصرية للتأليف

والترجمة بتحقيق عبد العليم الطحاوي

(2) الاغانى 5 : 88 ط دار الكتب

استعمال الغريب تقليدا لشعراء البداية ، وفضحهما العجاج فقال فى شأنهما : كانا يسألانى عن الغريب فأخبرهما به ثم أراه فى شعرهما وقد وضعاه فى غير موضعه ، فقليل له ولم ذاك ؟ قال : لأنهما قرويان يصفان ما لم يريا فيضعا فى غير موضعه ، وأنا بدوى أصف ما رأيت فأضعه فى موضعه (1) وروى مضمون الخبر عن ابنه رؤبة ، فقال فيما يحكيه الأصمعى : كان الطرماح والكميت يصيران الىّ فيسألانى عن الغريب فأخبرهما به فأراه بعد فى أشعارهما (2)

وهذا الخبر كما رأيت ينسب مرة الى العجاج ، ومرة الى ابنه رؤبة ، يباهيان انهما يعرفان الغريب كشيء ثمين تسأل عنه الشعراء والرواة ، ويبدو انهما أوغلا فى هذا الميدان وجنحا فيه الى ما يشبه التزييف والوضع فقال فيهما ابن جنى : (كان قدماء أصحابنا يتعقبون رؤبة وأباه ويقولون : تهضما اللغة وولداها وتصرفا فيها غير تصرف الاقحاح فيها وذلك لا يغالهما فى الرجز وهو مما يضطر الى كثير من التفريع والتوليد) (3)

والقضية كما ترى تكشف عن بداية لتصنيع اللغة ، ولم يكن وزر المدعى لخف من وزر المدعى عليه ، فكلمة الغريب التى يباهى بها رؤبة وابوه لم تتحقق لها هذه الدلالة الا عند تعذر ادراك معناها ، وهى تأتى لذلك من قبل الغير لا من قبل قائلها اذ المفروض على هذا القائل انه يدرك دلالتها بدليل استعمالها ، وحينئذ لا تعد غريبة ، فالغريب كلمة يطلق عليها هذا التعبير عندما تختفى دلالتها ولا تكون كذلك عند من يدرك هذه الدلالة • (4)

(1) الاغانى 2 : 97

(2) الاغانى 12 : 36

(3) الخصائص 3 : 298

(4) راجع ما كتبناه عن الغريب فى كتابنا (رواية اللغة) ص 89

هنات حول مبنى الشعر

الشعر أكثر فنون القول علوقاً بالاذهان لوزنه وقافيته ، واتصاله بحياة العرب ، وهو بذلك أوسع الأوعية التي حملت ألفاظ العربية ، ولكنه ليس أوثقها بسبب الوزن والقافية أيضاً . ذلك ان الشاعر قد يضطر الى وضع كلمة لا تتفق تمام الاتفاق مع الدلالة المطلوبة ، فهو يختار من الكلمات التي تعنى العسل مثلاً كلمة من الكلمات التي ترادفه والتي ذكرت منها كتب اللغة نحو ثمانين كلمة من بينها : الضرب ، والضربة ، والضرب ، والشوب ، والمذوب ، والحमित ، والشهد ، والغرب ، والصبيب ، والرضاب ، والسلاف ، والرحيق ، الى آخر ما ذكره صاحب القاموس ونقل منه السيوطي في كتاب المزهر * وبين هذه الكلمات فروق من غير شك حتى بات نفر من علماء اللغة ينكر الترادف * ، ومجىء الشعر بها اضطراراً يغير الدلالة المقصودة أحياناً .

وقد تأتت قراءة البيت من الشعر على معنى لم يردده الشاعر، فإذا أخذت الفاظه منسوبة الى لهجته أو قبيلته كانت نسبة زائفة أو قد تكون كذلك ، قرأ الاصمعي على استاذہ ابی عمرو بیت الحطيئة :
وغررتنى وزعمت أنى
لك لابن بالصيف تامر .

ای كثير اللبن والتمر فقرأها (لا تنى بالصيف تأمر) يريد لا تتوانى عن ضيفك تأمر القرى اليه ، فقال له أبو عمرو : أنت والله في تصحيفك هذا اشعر من الحطيئة (1) ومع سلامة هذه المسألة فإن الحطيئة لم يرد هذا .

★ انظر ما كتبناه عن الترادف في كتابنا (رواية اللغة) ص 325
(1) المزهر 2 : 355

وقد يدخل الشعر تصحييف خاطيء يدور فى الاسماع فيفسد اللغة ،
 فالبكرة النخيس هى بكرة من خشب قد اتسع ثقبها من الاستعمال
 فتوضع فيها خشبية تلقيم فى ثقب البكرة ، ظل الجوهري صاحب الصحاح
 يردد فيها أهى بخاء مهملة ام بخاء معجمة الى أن وجد أعرايا من تميم فى
 نجد وهو يستقى ، وبكرته نخيس قال : فوضعت اصبعى على النحاس
 وقلت : ما هذا ؟ وأردت أن أتعرف منه الحاء والخاء فقال (نحاس) بخاء
 معجمة ، فقلت اليس قال الشاعر :

وبكرة نحاسها نحاس

فقال : ما سمعنا بهذا فى ابائنا الاولين (1)

واكثر ما يكون التصحييف فى الحروف المتشابهة فى الشكل اشد
 ابو عبيد القاسم بن سلام :

اشكو الى الله عيالا دردقا

مقرمين وعجوزا شملقا

بالشين • فاشار الى ذلك ابو على القالى ، وصوب رواية ابن
 الاعرابى (سملقا) بالسين غير المعجمة (2) وبه البكرى الى ان رواية ابى
 عبيد فى الغريب المصنف تصحييف ، والصواب بالسين المهملة (3) •

وانشد ابو على فى أماليه لرؤبة :

(1) المزهر 2 : 312

(2) الامالى للقالى 2 : 246

(3) التنبيه على اوهام ابى على القالى فى اماليه للبكرى | 125

أذمّه صياغةً وارذله
أوقص يخزى الأقربين عطله
وقال : والعطل طول العنق •

فعلق البكرى بقوله : هذا وهم بين وتصحيف ظاهر كيف يكون
(أوقص طويل العنق) وانما يخزى الأقربين عطله دون ياء أى عنقه • يريد
يخزى الأقربين وقص عنقه ، والعطل : العنق (1) •
وقرىء يوما على الأصمعى فى شعر أبى ذؤيب :

بأسفل ذات الدير افراد جحشها
فقال أعرابى حضر المجلس : ضل ضلالك أيها القارئ انما هى ذات
الدير وهى ثنية عندنا فأخذ الأصمعى بذلك فيما بعد (2) •

واذا احتاج الشاعر الى اقامة الوزن ربما مطل الحركة وأنشأ عنها
حرفا من جنسها كقول الفرزدق يصف سرعة ناقته فى المهاجرة :
تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة
نفى الدراهم تنقاد الصياريف (3)

وبسبب الوزن والقافية يأتى الشاعر بما لا يجوز فى عموم اللغة
كقوله :

عجبت والدهر كثير عجه
من عنزى مبنى لم أضربّه

(1) التنبيه للبكرى 127

(2) المزهري 2 : 355

(3) الكامل للمبرد 2 : 491 ط الحلبي سنة 1356 هـ 1937 م

اراد لم أضربه ، فلما امسكن الهاء القى حوكتها. على الهاء (1) ولا يجوز في مثل هذه الحالة قياس اللغة في عمومها على شعر عيب بضرورة شعرية ولذلك لم يستسغ ابن جنى قراءة أبي عبد الرحمن في سورة الفيل (الم تر كيف) باسكان الراء فقال ابو الفتح : هذا السكون انما بابه الشعر لا القرآن ، ولقد ورد في الشعر في مثل قول الشاعر :

قالت سليمة اشترى لنا سويقا (2)

وقول الراعي :

تأبى قضاة ان تعرف لكم نسا

وابنا نزار فانتهم بيضة البلد (3)

بتسكين الفاء *

ومما ورد في الشعر ولا يجوز ان يحتذى في عموم اللغة دخول (ال) على الفعل المضارع في مثل قول ذى الخرق الطهوزي :

يقول الخنا وأبغض العجم ناطقا

الى ربنا صوت الحمار اليجدع (4)

وقول الفرزدق :

مأنت بالحكم الترضى حكومته

وبعض الاينات التي وردت كشواهد على قضايا النحو ينظر اليها

بشيء من الارتياب *

(1) الكامل للمبرد 2 : 508 ط الحلبى

(2) المحتسب لابن جنى، 2 : 373

(3) الخصائص 2 : 341

(4) النوادر فى اللغة لآبى زيد 16 * 17

وقد يضطرك المنطق الى التوقف عند بعض قضايا الابدال ، وقد
تضطر الى رفضها حتى في سياق الشعر ، وبالتالي لا يجوز القياس عليها في
عموم اللغة فهذا قول علباء بن أرقم :

يا قبح الله بنى السعلات
عمرو بن يربوع شرار النات
غير اعفاء ولا أكيات

وذكر أبو زيد في كتاب النوادر وقال : النات : أراد الناس ،
وأكيات : أراد أكياس وقال أبو الحسن (على بن سلمان الأخفش) هذا
من قبيح البدل ، وانما ابدل التاء من السين لان في السين صقيرا فاستقله
فأبدل منها التاء • وهو من قبيح الضرورة •

وهذا - عندي - شيء غير متقبل ، وانما هي ضرورة القافية التي
الجأت الشاعر الى هذا المركب الصعب ، وتركتم للرواة مهمة أصعب في
تقبله ومحاولة التخريج له •

وفي مثل آخر يروى عن الاصمعي قال : أنشدت الخليل بن أحمد
قول السموأل :

ينفع الطيب القليل من الرز
ق ، ولا ينفع الكثير الخبيث
ولكل من رزقه ما قضى الله
ولو حك أنه المستيت

فقال لي : ما الخبيث ؟ فقلت اراد الخبيث ، وهذه لغة لليهود بيدلون

من الثاء تاء • قال : فلم لم يقل الكثير ؟ ! فلم يكن عندي فيه شيء (1)
وقد يضطر الشاعر - بسبب الوزن والقافية - الى الزيادة والنقص ،
ولا يصح القياس على ذلك في عموم اللغة • انظر قول قعنب :

مهلا اعاذل قد جربت من خلقي
انوار اجود لاقصوام وان ضننوا
وانما الكلام ضنوا

وقول ابي النجم الراجز :
الحمد لله العلى الاجل
والصحيح العلى الاجل (2)

ولا يصح فسي عموم اللغة حذف النون من ليتنى ؛ ولا احسب
الشاهد الذي جاء به سيوييه في هذا السياق الا مصنوعا :

كمنية جابر اذ قال ليتنى
اصادقه وافقد بعض مالى

وفى جموع التكسير ما جاء به الشاعر لتستقيم القافية والوزن ثم
ترك النحاة يعللون له على استكراه فى اكثر الاحايين • نسب الى ابي
كبير الهذلي :

لو كان فى قلبى كقدر قلامه
حبا لغيرك قد اتاها ارسلنى

(1) النوادر فى اللغة 104 .

(2) الموشح للبرزباني 94 ط السلفية 1343 وانظر تنبيه البكرى على
امالى القالى 70 والخصائص 2 : 437 وما بعدها

قال ابن جنى : كسر رسولا وهو مذكر على ارسل وهو من تكسير المؤنث ، كأتان وآتن . وعناق واعنق ، وعقاب واعقب لما كان الرسول هنا انما يراد به المرأة لانها فى غالب الامر مما يستخدم فى هذا الباب (1) .

وهذا تعليل لغوى لا أحسب الشاعر اراده وحدد رسله بالنساء ؛ ولكنها القافية قد الزمته هذا المركب الصعب . ومن جموع التكسير التى وردت فى الشعر ودار حولها الاختلاف ، قول الهذلى :

على أطرقا باليات الخيا
م ، الا الثمام والا العصي

فهل خطر على بالك ان (اطرقا) جمع طريق ؟ ان اللغويين انفسهم لم ينفقوا على هذا . قال ياقوت : وللنحويين كلام لهم فيه صناعة ، قال ابو الفتح : ويروى على أطرقا (فعلا) ففعل ماض ، واطرقا : جمع طريق فمن انت الطريق جمعه على أطرق مثل عناق واعنق ، ومن ذكر جمعه على أطرقاء كصديق وأصدقاء فيكون قد قصره ضرورة .

وهذا تخريج لم يقل به كثير من اللغويين فهو عند ابى عمرو : بلد بعينه من فعل الامر ، وفيه ضمير علامته الألف كأن سالكه سمع نبوة فقال لصاحبيه : أطرقا وقال الاصمعى : كان ثلاثة نفر بهذا المكان فسمعوا أصواتا فقال أحدهم لصاحبيه اطرقا ، فسمى بذلك وإنشد البيت وقال عبد الله بن أبى امية بن المغيرة المخزومي يخاطب بنى كعب بن عمرو بن خزاعة وكان يطالبهم بدم الوليد بن المغيرة أبى خالد بن الوليد لأنه مر برجل منهم يصلح سهاما فعثر بسهم منها فجرحه فانقض عليه فمات .

(1) الخصائص 2 : 416

انسى زعيم أن تسيروا وتهربوا
وان تتركوا الظهران تعوى ثعالبه
وان تتركوا ماء بجزة أطرقا
وأن تسلكوا أى الأراك أطاسه
وانا اناس لا تطل دماؤنا
ولا يتعالى صاعدا من نحاربه

وقالوا فى تفسير هذا : الجزعة ، والجزع بمعنى واحد ، وهو معظم
الوادى وقال ابن الأعرابى : هو ما انشئ منه ، وأطرقا اسم علم
لموضع بعينه سمى بفعل الأمر كما قدمنا ، وهذا يؤذن بأن أطرقا موضع
من نواحي مكة ، لأن الظهران هناك ، وهى منازل كعب بن خزاعة فيكون
أطرقا من منازلهم بتلك النواحي ، وهى منازل هذيل ايضا (1)

وأنشد عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة فيها « الارياح »
و « الامطار » فقال له ابو حاتم السجستاني : هذا لا يخوز ، اما هو
الارواح فقال : لقد جذبنى اليها طبعى ، فقال له ابو حاتم : قد اعترضه
علمى . فقال : اما تسمع قولهم رياح . فقال له أبو حاتم : هذا خلاف
ذلك . قال صدقت (2)

وقال ابو منصور الازهرى : الريح : يأؤها واو ، صيرت ياء
لأنكسار ما قبلها ، وتصغيرها رويحة ، وجمعها رياح وارواح (3)

(1) معجم البلدان 1 : 286

(2) الاغانى 20 : 185

(3) اللسان ر و ح

ومن الفرائد التي وردت في الشعر ولا تجد لها مثيلا في عموم اللغة
دخول الواو والنون على (من) في مثل قول الشاعر :

أتوا ناري فقلت منون أنتم ؟

فقالوا : الجن ، قلت عموا ظلما (1)

ومن عيوب الشعر في المجال اللغوي جرأة الشاعر وتوهمه ان مراده
معروف للسامع فيقدم ما لا يجوز تقديمه ، ويفصل ما لا يجوز فصله
ويؤخر ما هو اولى بالتقديم . لقد اراد الشاعر مثلا ان يقول (فأصبحت
بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسوما) فقال :

فأصبحت بعد خط بهجتها

كأن قفرا رسوما قلما

عرض ابن جنى لهذا القبح وقال : ففصل بين المضاف الذي هو
(بعد) والمضاف اليه الذي هو (بهجتها) بالفعل الذي هو (خط)

وفصل ايضا بخط بين (اصبحت) وخبرها الذي هو (قفرا) .

وفصل بين كأن واسمها الذي هو (قلما) بأجنبيين أحدهما قفرا ،
والآخر رسوما وأغلظ من ذا انه قدم خبر كأن عليها وهو قوله :
خط ، فهذا ونحوه مما لا يجوز لأحد قياس عليه (2)

ومن الذي يستطيع ازالة الابهام في البيت التالي :

(1) الخصائص 1 : 129 . وفي نوادر أبي زيد ص 123

أتوا ناري فقلت : منون ؟ قالوا سراً الجن قلت : عموا ظلما

(2) الخصائص 2 : 393

كان برذون أبا عصام زيد حمار دق باللجام

الا بعد التنبية البي أن همزة (أبا عصام) للمنادي يريد: كان
برذون زيد يا أبا عصام (1) *
ومن ذلك قول ذي الرمة:

كان أصوات من يغالهن بنا
أواخر الميس أصوات الفراريح (2)

أي كان أصوات أواخر الميس أصوات الفراريح من يغالهن بنا *

الوضع

ومن آفات الشعر أيضا هوانه وسهولة مركبه عند حذاق الرواية
يقولون عفو خاطرهم وينسبونه بعد ذلك لمن شاءوا تحت ظروف
واغراض تبدو أحيانا وتغيب أحيانا فرجل مثل حماد الرواية يروى
للجاهليين ، وإخلص البدو فلا يملك الرواة امام صنعته الدقيقة الا التسليم
بما يقول ، أشار اليه المفضل الضبي فقال : قد سلط على الشعر من حماد
الرواية ما أفسده فلا يصلح ابدا ، فليل له وكيف ذلك ؟ أخطىء فى رواية
أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك فان أهل العلم يردون من أخطأ الى
الصواب ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء
ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه مذهب رجل ويدخله فى شعره ،
ويحمل ذلك عنه فى الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح

(1) الخصائص 2 : 404

(2) الخصائص 2 : 405

منها الا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟ ! (1)
ولأبى عمرو بن العلاء — وهو عالم ثقة — قضية فى الوضع لم أعرف
دوافعه اليها ، ذكر أبو عبيدة أنه أنشد شعر الأعشى
وأنكرتنى وما كان الذى نكرت
من الحوادث الا الشيب والصلعا

فأنكره ، وقال هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الاعشى . قال أبو
عبيدة : فعجب لذلك ، فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند
يونس فقال : حدثنى ابو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله فى
شعر الاعشى (2)

واذا كنا لا ندرى وجهة أبى عمرو فى البيت الذى ينسبه للأعشى ،
فان استكراه الحكم على الهوى فى القصة التالية شيء كنا ننزه عنه شيخ
الرواة وأشدّهم تحرجا وأكثرهم نسكا . كتب صاحب طبقات فحول
الشعراء :

(حدثنى ابو الغراف قال : دخل ذو الرمة على بلال بن أبى بردة ،
وكان بلال راوية فصيحاً أدبياً ، فأنشد بلال ابيات حاتم طى :

لحاً الله صعلوكاً مناه وهمه
من العيش أن يلقى لبوساً ومطعماً
يرى الخمس تعذيباً ، وان يلق شعبة
بيت قلبه من قلة الهم مبهماً

(1) معجم الادباء 10 : 265 — 266
(2) الاغانى 3 : 143 ومجاز القرآن لأبى عبيدة 1 : 293

فقال ذو الرمة : يرى الخمص تعذيبا ، وانما الخمس للأبل ، وانما هو خمص البطون فمحك بـلال ، وكان محكا . وقال : هكذا أنشدنيها رواة طيء •

فرد عليه ذو الرمة • فمحك • فدخل أبو عمرو بن العلاء فقال له بـلال :

• كيف تنشدهما ؟

وعرف أبو عمرو الذى به فقال : كلا الوجهين

فقال : أتأخذون عن ذى الرمة ؟

قال : انه لفصيح ، وانا لنأخذ عنه بتمريض • وخرجا من عنده فقال ذو الرمة لأبى عمرو : والله ، لولا أنى أعلمك خططت فى حبله وقلبت فى هواء لهجوتك هجوا لا يقعد اليك معه اثنان (1) •

وكما كان حمادا فى الكوفة يقول الشعر وينسبه لمن شاء بلغات العرب وأشعارها كان خلف الأحمر فى البصرة كذلك ، وبلغ من حدقه واجتناده ان يشبه شعره بشعراء القدماء حتى يغمض ذلك على جلة الرواة ولا يفرقون بينه وبين الشعر القديم (2)

ولا أحسب أن حمادا وأبا عمرو بن العلاء وخلف الأحمر قد تعمدوا افساد اللغة العربية أو جنحوا الى خلق شواهد تعين النحاة على ما هم

(1) طبقات فحول الشعراء 483 — 484 — الخمس ان تشرب الأبل يوم وردها ثم تظل فى مرعاها ثلاثة ايام تعود بعدها — وخمص

البطون = ضمير البطون • بتمريض أى على وهن

(2) ذكر القفطى امثلة عديدة • انظر انباه الرواة 1 : 348 وانظر ايضا معجم الادباء 11 : 68 وامالى القالى 1 : 156

بسبيله من تقعيد العربية ولكن قد داخل اللغة حين جد النحاة فى طلب
الشاهد والمثل فوضعوه ، أو وجدوا من يضعه لهم ، من ذاك ما أشيع
عن المفضل انه قال : أنشدنى أبو الغول لبعض اليمن :

أى قلو ص راكب تراها
طاروا عليها فشل علاها

علاها : اراد عليها

قال : ولغة بنى الحارث بن كعب قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما
قبلها الفا ، فيقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت ثوبان ، والسلام
علاكم . قال أبو حاتم : سألت عن هذه الأبيات أباعبيدة فقال : انقط
عليه ، هذا صنعه المفضل . (1)

وأنشد سيبويه لعبد الرحمن بن حسان :

من يفعل الحسنات الله يشكرها
والشر بالشر عند الله بيان

فى الاضطرار لحذف الفاء فى جواب الامر ، وأنشدها الاصمعى :

من يفعل الخير فالرحمن يشكره

فلما سئل عن الرواية الاولى قال : ان النحويين صنعوها . (2)

وقال البكرى فى التنبيه (انشد اللغويون فى سوى بمعنى قصد)

(1) النوادر فى اللغة لابی زيد 58

(2) سيبويه (الكتاب) 1 : 435 ونوادر اللغة 31 — 32

فلأصرفن سوى حذيفة مدحتي
لقتى العشى وفارس الاجراف

وقال : وانا اشهد ان قائل هذا البيت انما قال :

فلأصرفن الى حذيفة مدحتي (1)

وقال ابو حسن الاخفش : سألتني سيوبه عن تعدى (فَعِلَ)
فوضعت له :

حَذِرْ " أمورا لا تضير وآمن

ما ليس منجيه من الأقدار (2)

اصبح الرمي بالافتعال يوجه الى المشتغلين بالنحو واللغة ، ودار
حول هذا الموضوع (وضع) جديد * روى المفجع البصرى قال : كان
المبرد لكثرة حفظه للغة وغريبها يتهم بالوضع فيها ، فتواضعنا على مسألة
نسأله عنها لا أصل لها لننظر ماذا يجب ، وكنا قبل ذلك قد تمارينا فى
عروض بيت الشاعر :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا

حنائك بعض الشر أهون من بعض

فقال البعض : هو من البحر الفلانى ، وقال آخرون : هو من البحر
الفلانى ، فقطعناه ، وتردد على افواهنا من تقطيعه (قر بعضنا) ثم ذهبنا

(1) التشبيه على اوهام ابى على القالى فى اماليه 67

(2) تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب فى علم مجازات

العرب . ليوسف الشنتمرى على كتاب سيوبه 1 : 58 ط بولاق

و 1 : 74 ط الاعلامى بيروت

الى المبرد. فقلت له : ايدك الله تعالى ما القبعض عند العرب ؟

فقال : هو القطن وفى ذلك يقول الشاعر :

كأن سنامها حشى القبعضا

قال : فقلت لأصحابى هو ذا ترون الجواب والشاهد فان كان

صحيحا فهو عجب وان كان مختلعا على البديهة فهو أعجب (1)

واضطر المبرد يوما الى اختلاق الشاهد ، حذر الحرج • روى

ابن عدادى فى خزانة الادب ان ابا العباس المبرد ورد الدينور زائرا ليسى

ابن ماهان فأول ما دخل عليه ، وقضى سلامه قال له عيسى : أيها الشيخ ،

ما الشاة المجثمة ؟ التى نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها ؟

فقال : هى الشاة القليلة اللبن مثل اللجبة •

فقال : هل من شاهد ؟

قال : نعم ، قال الراجز

لم يبق من آل الحميد نسمة

الا عنيز لجبة مجثمة

فاذا الحاجب يستأذن لابی حنيفة الدينورى فلما دخل عليه قال : ايها

الشيخ ، ما الشاة المجثمة التى نهينا عن أكل لحمها ؟

فقال : هى التى جثمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها

فقال : كيف تقول وهذا شيخ أهل العراق يقول : هى مثل اللجبة

وانشده الشعر

(1) معجم الادباء 19 : 112 — 113

فقال ابو حنيفة : ايمان البيعة تلزم ابا حنيفة ان كان هذا التفسير
سمعه هذا الشيخ او قرأه ، وان كان الشعر الا لساعته هذه .

فقال أبو العباس : صدق الشيخ فاننى أقمت ان ارد عليك من
العراق ، وذكرى ما قد شاع فأول ما تسألنى عنه لا أعرفه فاستحسن منه
هذا الاقرار . (1)

وبعد . فاذا كان عيسى بن مهران قد سر لاقرار المبرد، فانه لا يسرنا ان
تهتز ثقتنا فى الشعر كمصدر من مصادر العربية بعد ان رأينا علما جليلا
كأبى العباس محمد بن يزيد المبرد يجنح الى هذا المسلك فرارا من موقف
حرج — وكم من مواقف محرجة اسدل الكتان عليها ستاره ودارت
الشواهد فى فلك العربية منسوبة لاعلامها الشوامخ .

(1) خزائن الادب 1 : 36 — 37

البَابُ الرَّابِعُ

الْعَرَبِيُّ وَالْمُعَرَّبُ مِنَ الْكَلَامِ

الفصل الأول

كلام الأعراب

مصادر العربية هي القرآن الكريم ، والشعر ، وما صدر عن خلص
الاعراب من أنواع القول ، ولعلك تلحظ في رواية اللغة أن أكثرهم من
القرءاء ، أو الذين ربطوا سببهم بالقرآن على وجه من الوجوه ، وأنهم
وجهوا جزءا من عنايتهم الى الشعر تقييدا له ، أو بحشا عن الالفاظ
والتراكيب فيه وخاصة الغريب والنادر منها •

وكلام الاعراب ، رافد ضخم في الحقيقة ، وهو أنقى الروافد بعد
القرآن الكريم اذا ادركه التوثيق وسلم من شوب الرواية ، وللجاحظ في
كلام الاعراب رأى حسن اذ يقول : انه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا
أنق ، ولا ألد في الاسماع ، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ، ولا أفنق

اللسان ، ولا أحوذ تقويما للبيان من طول استماع حديث الاعراب العقلاء
الفصحاء ... (1)

ولكن الباحث عن مصادر العربية لا يقف عند كلام الأعراب العقلاء
الفصحاء وإن مازحه عن غيره ، ومن حق الباحث أن يجمع كل ما صدر عن
خلص الأعراب ، العقلاء وغير العقلاء ، الرجال والنساء والصبية حين
يفصح كل أولئك بمنطق العربية •

فحين دعت الدواعي لرواية اللغة وجمعها تطلع الطلاب الى أصحاب
هذه اللغة ، وظهرت هذه البداية أول أمرها فى البصرة ، فكانوا يلتقون
عن شيوخهم فى المسجد الجامع ، ثم يجدون فى طلب الأعراب فى دروب
البصرة وأحيائها يستمعون منهم •

وللأعراب نى هذه الحاضرة مآرب شتى ، يأتونها للبيع والشراء ،
أو للجلب والميرة كما يحكى أبو عبيدة فى شأن ابن داود بن متمم بن
نويرة (2) أو يرفعون مظالمهم الى قضاتها كما يبدو من قول امرأة لذى
الرمة وقد لمحته بالبصرة :

أذو زوجة فى المصر أم ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العام ثاويما

كما كان لبعضهم بيوت بها •

كان طلاب اللغة يتعلقون بهؤلاء الأعراب ، ويسلكون معهم كل
مسلك لحملهم على الكلام - الى حد المشاكسة - ودار حول هذا الامر

(1) البيان والتبيين 1 : 145 بتحقيق الاستاذ عبد السلام هارون

(2) طبقات فحول الشعراء للجمحي 40 ط دار المعارف

طرف الحكايات والاعخبار من ذلك قول الاصمعي : كنت أغشى بيوت
الاعراب أكتب عنهم كثيرا حتى الفوني وعرفوا مرادى ، فأنا يوما ماراً
بعذارى البصرة ، قالت لى امرأة ، يا أبا سعيد : ائت ذاك الشيخ فان
عنده حديثا حسنا *** فسلمت عليه فرد على السلام وقال : من انت ؟
قلت : أنا عبد الملك بن قريب الاصمعي ، قال : ذو يتبع الأعراب فيكتب
الفاظهم * (1) .

والنقى أبو زيد بأعرابى فسأله : ما المتكأىء ؟

قال : المتأزف * .

قال : وما المتأزف ؟

قال : المحبضى ؟

قال : وما المحبضى ؟

قال : أنت أحقق ، ومضى * (2)

كان أبو زيد والاصمعي - فيما يبدو - فى مرحلة التحصيل ،
فكانا يكتفيان بمثل هذا اللقاء العاجل وهذه الاسئلة الساذجة ، ولكن
الأعراب كانوا قد احتلوا فى نفوس كبار الشيوخ منزلة جليلة ، كان شيبيل
ابن عزرة الضبعى الاعرابى اذا حضر مجلس أبى عمرو بن العلاء تقبله
بقبول حسن ، وأنزله مكانا حسنا ، وقام له وقدم له لبد بغلته ليجلس
عليه (3) وكان شيبيل هذا يعرف عند علماء العربية بصاحب الغريب * (4)

(1) المزهري 2 : 308

(2) نزهة الالباء 174

(3) طبقات الزبيدي 49

(4) الحيوان للمجاحظ 1 : 313 بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

وسئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يعرف فمر أعرابي محرم فأراد السائل سؤال الأعرابي ، فقال له أبو عمرو : دعنى فأنا ألطف بسؤاله وأعرف ، وسأله ، فقال الأعرابي : اشتقاق الاسم من فعل المسسى . فلم يعرف من حضر ما أراد الأعرابي ، فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال : ذهب الى الخيلاء التى فى الخيل ، والعجب ، الا تراها تمشى العرضة خيلاء وتكبرا ؟ (1)

وبلغ الأمر فى البصرة - هذه البيئة العلمية - أن كان يؤمها رجال من الأعراب تلتبس عندهم الفروق الدقيقة فى اللغة ، ولا يكفى لبلوغ هذه الغاية أن يكون مجرد أعرابي يتمتع بعمومية الصفة ، وانما كان منهم من يتكلم على لهجة بنى تميم ومن يتكلم بلسان الحجازيين كما يتضح ذلك من قول الأصمعى : جاء عيسى بن عمر الثقفى ونحن عند أبى عمرو بن العلاء ، فقال يا أبا عمرو : ما شئ بلغنى عنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغنى عنك أنك تجيز ليس الطيب الا المسك (بالرفع) فقال ابو عمرو : نمت يا أبا عمرو وأدليج الناس ، ليس فى الأرض حجازى الا وهو ينصب وليس فى الأرض تميمى الا وهو يرفع ، ثم قال أبو عمرو : قم يا يحيى - يعنى اليزيدى - وانت يا خلف - يعنى خلفا الأحمر - فاذهبا الى أبى المهدى فانه لا يرفع ، واذهبا الى المنتجع ولقناه النصب فانه لا ينصب . فذهبا ، وسمعا من أبى المهدى بالنصب ثم أتيا المنتجع وجهدا فى النصب فلم ينصب وأبى الا الرفع . (2)

وكان أبو الوجيه العكلى ، يتحدث فى خصائص البادية ، وفى

(1) طبقات الزيدى 29

(2) أمالى القالى 3 : 39

صفات السحاب ، وأحوال الضباب ، والعقارب ، والقناذل الى غير ذلك . (1)

بقيت الثقة فى الأعراب ما بقيت لهم تلك السليقة التى كان من علاماتها التزامهم بأسباب البداوة لا يشاركون فيما يأتيه الحضري من محدث مخافة أن يدور فى مسامعهم أو يجرى على ألسنتهم ، وهم ان اضطروا الى المكث فى الحواضر تعجلوا العودة الى البادية حفاظا على السننهم ان يدركها الشوب .

كانت تهمة ذى الرمة لدى الأصمعى أنه — أكل البقل والسلوح فى حوائط البصرة ، وعند أبى عمرو بن العلاء أنه رآه فى دكان طحان بالبصرة يكتب ، قال : ما هذا يا ذا الرمة ؟ فقال : اكتم على يا أبا عمرو . ولما قال ذو الرمة :

كأننا عينها منها وقد ضمرت

وضمها السير فى بعض الأضي ميم

قيل له : من أين عرفت الميم ؟

فقال : والله ما أعرفها ، الا أنى رأيت معلما خرج الى البادية فكتب حرفا فسألته عنه فقال : هذا الميم ، فشبهت به عين الناقة . (2)

كأن : حرفته لحرف الميم — ومعرفة الكتابة وجه شائع فى الحضر — ينتقص من بداوته .

(1) الحيران للأجناد 4 : 194

(2) الخصائص 3 : 296

أحسن الأعراب أن صفة البداوة يمكن أن تكون سببا في التماس
الرزق ، او مجلبة للاحترام في الحاضرة ، فأضاف الاعرابي مهمة الرواية
الى مآربه عندما يحضر البصرة ، وحام حول حلقات العلم ، وشاعت لهم
في هذا السياق صور طريفة اليك بعضها :

وقف أعرابي على حلقة أبي زيد فظنه جاء يسأل عن شيء في النحو
فقال : سل يا أعرابي حاجتك ، فقال على البديهة :

لست للنحو جئتكم
لا ، ولا فيه أرغب
أنا مالى ولا مرىء
أبد الدهر يضرب
خل زيدا لثأنه
أينما شاء يذهب
واستمع قول عاشق
قد شجاء التطرب
همه الدهر طقلة

فهو فيها يشيب (1)

يبدى عجه مما يدور في هذه الحلقة ، والامثلة التنى يدور عليها
درس النحو •

وفي مثل هذه الصورة أيضا ، وقف أعرابي على حلقة الأخفش
يستمع الى حديثهم في النحو ، وأخذ يعجب مما يسمع فقال له الاخفش .
ما تسمع يا أخا العرب ؟ فقال : تتكلمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من
كلامنا • (2)

(1) نزهة الالباء 178

(2) الامتاع والمؤانسة 2 : 139

وهذا أعرابي ثالث يحكى عنه أبو عشان الاثنان داني فيقول : كنا
يوما فى حلقة الأصمعى اذ أقبل أعرابي يرفل فى الخزوز فقال : أين
عبيدكم ؟ فأشرنا الى الاصمعى فقال : ما معنى قول الشاعر :

لا مال الا العطاف توزره
أم الثلاثين وابنة الجبل
لا يرتقى النز فى ذلاله
ولا يعدى نعليه عن بلل

قال : فضحك الاصمعى وأكمل القصيدة فأدبر الاعرابى وهو يقول :
تالله يا رأيت كاليوم عضلة * (1)

وجاء الى حلقة الاصمعى أعرابي متحد متعجرف فقال : أيكم
الاصمعى ؟

قال : أنا ذاك *

قال : أنت الذى يزعم هؤلاء النفر انك اثق بهم معرفة بالشعر والعريية
وحكايات الاعراب ؟

قال الاصمعى : فيهم من هو أعلم منى ، ومن هو دونى *

قال : أفلا تنشدوننى من شعر أهل الحضر شيئا حتى أقيسه على
شعر أصحابنا ؟

(1) الامالى 2 : 265 قال ابن دريد : هذا يصف رجلا خائفا لجأ الى
جبل وليس معه الا قوسه وسيفه ، والسيف هو العطاف (أم
ثلاثين وابنة الجبل) يعنى كنانة فيها ثلاثون سهما ، وابنة الجبل :
القوس لانها من نبع والنبع لا ينبت الا فى الجبال

فأنشده الأصمعي في خبر طويل • (١)

ومنهم من كان يجلس في حلقات الدرس فتجبره المناسبة الى
الاشتراك ، وتمضى كل حادثة بفائدتها ، قرىء يرما على الأصمعي في
شعر أبي ذؤيب ، وكان الأصمعي أمثل من يشرح شعر الهذليين :
بأسفل ذات الدير أفرد جحشها (بالياء)

فقال أعرابي حضر المجلس : ضل ضلالك أيها القارئ ، انما هي
ذات الدبر (بالياء) ، وهي ثنية عندنا فأخذ الأصمعي بذلك فيما بعد • (2)

تكاثر الاعراب في البصرة ، وطال مكثهم بها ، فكان لذلك رد فعل
مزدوج لدى الطالبين ، ولدى الاعراب ، أما الطالبون فما لبشوا أن
استبانوا لين الاعراب وتطرق الفساد الى سليقتهم ، وراحوا يضعون لهم
الاستئلة ليكشفوا سقطهم ذهب منهم فريق الى أبي ضضم الاعرابي بعد
العشاء فقال لهم : ما جاء بكم يا خبثاء ؟ ، قالوا جئناك نتحدث اليك •
قال : كذبتهم ، بل قلتم كبر الشيخ وتبلغته السن عسى ان نأخذ عليه
سقطه •

وسأل أبو عمرو بن العلاء أبا خيرة الأعرابي عن قولهم (استأصل
الله عرقاتهم) فنصب أبو خيرة التاء من عرقاتهم فقال له أبو عمرو : هيهات
يا أبا خيرة ، لان جلدك • ذلك ان أبا عمرو استضعف النصب لانه كان قد
سمعا منه بالجر • (3)

(1) زهر الاداب 2 : 101

(2) المزهري 2 : 355

(3) نزهة الالباء 32 — 33

ولم تكن سليقة الاعرابى وحدها هى التى اصيبت بالاهتزاز والشوب ، بل فسدت بعض اللسنة عن عمد وتزيد وتمويه ارضاء للسامعين أو مباهاة بسعة المعرفة • ولقد ضاق رؤبة يونس بن حبيب فقال له : حتى متى تسألنى عن هذه الاباطيل وازوقها لك ، أما ترى الشيب قد بلغ فى رأسك واجيتك ؟ (1)

وكشف أبو عبيدة معمر بن المثنى مسلك ابن داود بن متمم بن نيرة قال : اتيته أنا وابن نوح العطاردي فسألناه عن شعر أبيه فجعل يزيد فى الاشعار ويضعها لنا ، واذا كلام دون كلام متمم ، واذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التى ذكرها متمم والوقائع التى شهدها ، فلما توالى ذلك علسنا أنه يفتعله • (2)

وشهد الاعراب على أنفسهم بالفساد أمام طلاب العربية حين اختلفوا واحتاجوا الى من يفصل بينهم فى هذا الخلف ، قال المنتجع : كمء للواحدة وكساء للجميع — وقال أبو خيرة : كمأة واحدة ، وكمء للجميع مثل ثمره وثمر فاحتكروا الى رؤبة فقال كسا قال المنتجع — وقال أبو زيد كمأة وكمء كما قال أبو خيرة • وقال الرياشى : سعت أبا زيد يقول : قال المنتجع : أغسى على المريض وقال أبو خيرة غسى عليه فأرسلوا الى ام أبى خيرة فقالت غسى على المريض فقال لها المنتجع : أفسدك ابنك • (3)

وما لبث الجاحظ ان استبان ضعف الأعراب أيضا ، وأنهم لا يستمسكون على بداوتهم طويلا وعبر عن ذلك بقوله : كان بين زيد بن

(1) طبقات فحول الشعراء للجمحي 581.

(2) طبقات فحول الشعراء للجمحي 40.

(3) الخصائص 3 : 305

كثوة يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد * (1)

وأما الاعراب — وقد أحسوا أنهم يحملون « بضاعة » تلتبس لها مبل « الرواج » كان عليهم أن يقنعوا الطالبين أن هذه « البضاعة » آتية من البادية لم تشبها شوائب العجمة في الحاضرة لتظل لهم صفة المعلمين أو صفة القضاة في مجالس الامراء على النحو الذى قرأنا عنه حين تناظر الاصمعى والمفضل الضبى في منزل الامير سليمان بن على في البصرة وقد احتكما فيها الى غلام من بنى أسد ، وحين تناظر الكسائى وسيوييه واحتكما فيها الى بعض الاعراب ، وتناظر الكسائى واليزيدى ففى حضرة المهدي وحكم بينهما ابو المطوق الاعرابى ، ولم تكن حكومتهم خالصة لوجه العلم فيما يقال *

كان من هذه المظاهر — فيما أرى — مسلك أبى مهدية الأعرابى ، وقد صور نفسه مثالا لأجلاف الاعراب ، وأتى من الافعال ما كانت ضعفة الاعراب تفعل ، كان يعلق على ملابسه صوفا وقدرا فاذا سئل عنها قال : أنجاس حتى ينتجس منى الموت فلا يقدر على ، (2) وكان اذا اراد الاذان قال : الله أكبر مرتين ، اشهد ان لا اله الا الله مرتين ثم كذلك الى آخره ، فاذا قيل له : ليست السنة كذلك انما هى : الله أكبر الله أكبر ، أشهد ان لا اله الا الله اشهد ان لا اله الا الله ، الى آخره يقول : قد عرفتم ان المعنى واحد والتكرار عي (3) والرأى عندي انها لاففعال الخبل لا الخبل ذاته ، حتى يظن أنه لم يتحضر ثم أخذ يردد فى أجواء البصرة أنه ثابت على نحنه ولحن آبائه ، ولسن يطوع لسانه بهذه اللهجات التى سادت

(1) البيان والتبيين 1 : 174 فى بعض المراجع يزيد بن كثوة

(2) طبقات الزبيدي 175

(3) الخصائص 2 : 466 — 467

البصرة وهبت رياحها من الفارسية من شرق العراق :

يقولون لى (شنبذة) ولست (مشنبذا)
طوال الليالى ما أقام ثبير
ولا قائل (زودا) ايعجل صاحبى
(وبستان) فى صدرى على كير
ولا تاركنا احنى لأحسن لحنهم
ولو دار صرف الدهر حيث يدور (1)

ترى كيف دارت فى مسامعه هذه الألفاظ مرتبطة بمعانيها وهو يوهم
أنه لن يترك لحنه ولا لحن آبائه ليتبع لحن الآخرين ؟!

وهذا أعرابى تميمى ، يبرأ من الحضرة ، ويعلن أنه وإن قدم البصرة
حقيقة الا أنه ليس منهم فى كثير فيقول فيما يرويه عنه أبو حاتم
السجستاني :

ما أنا بالبصرة بالبصرة
ولا شبه زيهم بزى (2)

وحديث أم الهيثم الاعرابية ، لا يدعو الى الاطمئنان ، وأفضل أن
نعرضه قبل أن نأخذ فى مناقشته . يقول عمر بن خالد العثماني : قدمت
علينا عجوز من بنى منقر تسمى أم الهيثم ، فغابت عنا ، فسأل عنها أبو
عبيدة فقالوا : انها عليلة . فقال : هل لكم أن نعودها ، فجئنا ، فاستأذنا ،
فقالا : لجوا . فسلمنا عليها ، فاذا هى عليها أهدام وبجد وقد طرحتها
عليها فقلنا : يا أم الهيثم ، كيف تجدينك ؟

(1) الخصائص 1 : 239 وطبقات الزبيدي 39

(2) امالى القالى 3 : 21

قالت : كنت وحدي بالدكة ، فشهدت مأدبة ، فأكلت ججبة ، من
صفيف هلعة ، فاعترتني زلحة •

فقلنا : يا أم الهيثم : أى شئ تقولين ؟

فقلت : أو للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم الا بالعربى الفصيح (1)
وجاء ذكرها فى خبر آخر ينسب الى ابى حاتم المجبى سألها
عن حب يقال له بالفارسية اسفيوش • قالت أرني منه حباً ، فأراها
فأفكرت ساعة ثم قالت : هذه البخذق •••• وقال ابن خالويه : البخذق
نبت ولم يعرف الا من ام الهيثم • (2)

وفى خبر ثالث يرويه المبرد فيقول : كانت أم الهيثم من أفصح من
رأيت وسمعتها تقول من كلامنا (لا ترضى الشائنة الا بجزرة) والشائنة
المبغضة وهى التى لا ترضى ممن أبغضته الا باستئصال ، ومنه قيل جراز
الذى يقطع كل ما يمر به ، ورجل جروز اذا قعد على الزاد فأفناه ،
وأنشدنى :

كانت عجوزا خبة جروزا

تأكل فى مقعدها قميزا

تشرب حبا ، وتبول كوزا

لا تنكحن بعدها عجوزا

كما سمعها تقول : جاء فلان يضرب أصدريه ، وأزدريه ، وأسدريه ،
وينفض مذرويه اى هو فارغ • (3)

(1) امالى القالى 3 : 69 والمزهر للسيوطى 2 : 540

(2) اللسان ب خ ق — ب ح د ق

(3) الفاضل للمبرد 22 — 23 بتحقيق الاستاذ عبد العزيز الميمنى ط

دار الكتب 1956

وفى كلام رابع ينسب لأبى حاتم السجستاني أنه سألها : هل تبدل
العرب من الجيم ياء فى شىء من الكلام ؟ قالت : نعم وأنشدت :
إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى
فأبعدكن الله من شيرات (1)

أما الخبر الأول - والذي تنسب روايته الى عمر بن خالد العثاسي
فانى لم اجد تعريفا بهذا الرجل فيما بين يدي من مراجع ، ولا هو ممن
يجرى ذكرهم مع أبى عبيدة ، ولا مع أصحابه - وجبات البخدق فى
الخبر الثانى لم تذكر الا عن أم الهيثم كما يحكى ابن خالويه .

والخبر الثالث ، يحتاج الى تمهل ان كانت أم الهيثم هذه هى هى
التي يحكى عنها المبرد فى كتاب الفاضل وقد سمعها تقول (لا ترضى
الشائنة الا بجزرة) كما سمعها تقول: جاء فلان يضرب أصدريه ، وأزدرية.
وأصدريه - فانها تكون شخصية خرافية تركب عليها الروايات ، فلقد
كانت فى زمن أبى عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ هـ عجوزا ، فكيف سمعها المبرد
الذى ولد فى نفس السنة التى مات فيها أبو عبيدة - كما أن الابدال بين
الزاي ، والسين ، والصاد فى (أصدريه) واخواتها - وتبادل الجيم والياء
فى شجرات وشيرات لا يصدر عن ناطق واحد ، ولكن شاع ذلك فى
اعقاب جمع اللغة من قبائل متعددة ، وبهذا أيضا ما كان لها أن تفهم كلسة
(الابدال) على الوجه الذى اراده علماء اللغة والنحو .

فهل هذا نسق من التأليف ركب عليه السند ليسهل تقبله
واستظهاره ، وكان ابو على القالى ممن ينشطون لهذا النهج فى أماليه ؟
أم ايهام بأعرابية أم الهيثم المغرقة فى البداوة تنفى بها شبهة التحضر

مفترضين أم هيثم أخرى فى زمن المبرد ؟

الوجه الحضرى السافر للاعراب

على كل حال لم يطل الزمن حتى كشف الأعراب عن الوجه الحضري ، وبدأ الكاتب منهم يصطنع الرواية أو التعليم أو التأليف على طريقته طلاب الرواية وعلمائها فكان أبو البيداء الرياحى يعلم الصبيان بأجر (1) واستهوى العلم أبا محلم الشيباني فسعى إليه وتناول الكتب واستظهرها بشراة ، أشار إليه أبو فيد مؤرج السدوسى ، وقرظه لقوة حفظه فقال : استعار منى جزءا ، وردده من الغد وقد حفظه فى ليلة وكان مقداره نحو خمسين ورقة (2) وكتب أبو خيرة كتاب الحشرات (3) وكتاب الصفات (4) ثم اصطنع الوراقة (5) وكتب الحرمازى الأعرابى كتابا فى خلق الانسان (6) وترجم ابن النديم لدلازم البهلول وقال رأيت له كتاب النوادر والمصادر بخط السكرى (7) ووصف ابن النديم كتابا فى النوادر لدهسج ابن محرز وقال : رواه عنه محمد بن الحجاج بن نصر الانبارى وقال : رأيتة نحو مائة وخمسين ورقة وفيه اصلاح بخط أبى عسر الزاهد (8) وكتب أبو المضرخى كتابا فى النوادر رآه ابن النديم بخط ابن أبى سعد وعرف بريعة البصرى فقال : بدوى تحضر وله من الكتب كتاب ما قيل فى الحيات من الشعر والرجز ، وكتاب خنين الابل الى الأوطان (9) .

-
- (1) البيان والتبيين 1 : 252 (2) الفهرست 69
(3) الفهرست (4) ذكره احمد بن محمد الخارزنجى
البشتى ضمن مصادره لكتاب
التكملة . انباء الرواة 1 : 8 .
(5) الخصائص 3 : 305 (6) الفهرست 72
(7) الفهرست 71 (8) الفهرست 68
(9) الفهرست 74

واصطنع الوراقه أبو مالك عمرو بن كركرة (1) وهكذا انتهت
صورة الأعراب الرواة فى البصرة •

وفى الكوفة

كانت صورة الاعراب الرواة تختلف عن هذه الصورة التى رأيناها
فى البصرة لسببين :

الاول : ان الجنس العربى فى البصرة كان واحدا من الأجناس العديدة التى
اجتذبتها مرفأ العراق ، كما أن اصطناعه لمهن وصناعات تختلف عن طبيعة
العربى قد مسخت صورته البدوية ، لذلك كان ظهور الاعراب الرواة
بالبصرة واضحا مميذا •

اما الكوفة — وهى وريثة الحيرة والانبار فقد كانت عربية الوجه
فى مجموعها وذهب بعض المؤرخين الى انها ائشئت أول أمرها ليجتمع فيها
الأعراب وكانوا يقدمون على أهل هذه البلاد بالتجارات والبياعات
ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب ، فاتخذوا حيرا على النجف —
وبعض العرب كانت تضيق بهم المعيشة فيخرجون الى ريف العراق وينزلون
الحيرة على ثلاثة ائلاث : ثلث تنوخ وهو من كان يسكن المظال وبيوت
الشعر والوبر غرب الفرات فيما بين الحيرة والانبار وما فوقها — والثلث
الثانى العباد وهم الذين كانوا سكنوا الحيرة وابتنوا بها ، — والثلث
الثالث الأحلاف وهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ونزلوا فيهم ممن لم يكن
من تنوخ الوبر ولا من العباد الذين دانوا لأردشير (2) فكان العنصر
العربى فى الكوفة عنصرا غالبا ، ومن بينهم من اشتهر امره بالفصاحة

(1) الفهرست 66

(2) تاريخ الطبرى 1 : 480

كأعراب أسد وتميم وأهل العالية من كنانة ، وقد عجب رجل من الكسائي أن رآه ينزل البصرة يسأل الخليل عن اللغة فقال له : (تركت اسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت الى البصرة ؟) •

الثاني : ان الرواية اللغوية لم تعذر طويلا بالكوفة اذ نشأت الدولة العباسية بها (1) ثم انشئت بغداد لتكون عاصمة الخلافة العباسية فانتقل اليها رجال الكوفة في اعقاب رجال الدولة •

ومع ذلك فأنت تسمع عن أعراب يصطنعون الرواية ، تجدهم في الكوفة حيناً ، وفي بغداد حيناً • نعرف منهم أبا المجيب الربعي وهو من بني ربيعة بن مالك بن زيد مائة بن تميم (2) وأخذ الفراء عن أبي الجراح العقيلي وأبي ثروان العكلي (3) وستجدهما أيضاً في بغداد يشهدان مع الكسائي على سيبويه في المسألة الزنبورية كما روى الفراء عن أبي دثار • وروى أبو عمرو الشيباني عن أبي مسلم العاصمي (4) وحضر مجلس الكسائي أعرابي وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك ، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد الى ما يقولون ففارقهم وهو يقول :

ما زال أخذهم في النحو يعجبني
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

(1) هرب اليها السفاح والمنصور وجماعة من اقاربهم بعد ان قبض مروان بن محمد على اخيهما ابراهيم الامام فاخلى لهم ابو سلمة الخلاص دارا وكتم امرهم الى ان وصل ابو مسلم بالجنود من خراسان فاشتدت به شوكة العباسيين فاعلنت الخلافة . الفخرى في الآداب السلطانية 130

(2) مجالس ثعلب 1 : 356

(3) المزهر 2 : 410

(4) الفهرست 71

بمفعول فعل ، لا طاب من كلم
كأنه زجل الغربان والبوم (1)

وفي بغداد

”وأستأذلك أن تنتقل فجأة - كواقع الحال - تسمع عن الأعراب ،
ولكن بوجه غير الوجه البدوي الذي يمنحك الطمأنينة ، تجدهم في بغداد
وقد ثارت حولهم الشكوك ، وجاء أكثرهم من الكوفة في أعقاب الكسائي
والفراء لما نالا من الحظوة في دار الخلافة - كما تجد أكثرهم يكتبون -
كان أبرز الأعراب في بغداد يزيد بن عبد الله الحر المعروف بأبي زياد
الكلابي ، وفد من الكوفة في مجاعة ونزل قطيعة العباس بن محمد فأقام
بها أربعين سنة ومات بها ، وعمل أبو زياد على شاكلة علماء الرواية في
عصره ، فألف في النوادر ، والفرق ، والابل ، وخلق الانسان ، وكلها
بفقودة - على ما أعلم - واعتمد ياقوت الحموي على نوادر هذا
الأعرابي في كتاب معجم البلدان وذكره في مصادره فقال (.....) وأما
الذين قصدوا ذكر الاماكن العربية والمنازل البدوية وهم وأبو زياد
الكلابي ذكر في نوادره من ذلك صدرا صالحا وقفت على أكثره) ومن
خلال كتاب ياقوت وجدت هذا الاعرابي يخص قبيلته بني كلاب بالكثير
من عنايته *

ومن أعراب بغداد أبو مسحل عبد الوهاب بن حريش (2) من بني
ربيعة من بني عامر بن صعصعة ، منازلهم في نجد - نزل الكوفة
تسده فطرته بأسباب العربية ، وجلس في حلقة الكسائي فلم ينفر كما نفر

(1) معجم الادباء 13 : 193 - 194

(2) في طبقات الزبيدي عبد الله بن حريش

زملاء له من قبل مما يدور في هذه الحلقات من أوجه القراءات ، والنحو .
والشواهد ، والتصريف بل اعجبه ما سمع فأقبل عليه ، ونحن لا نعجب أن
يأخذ أبو مسحل عن الكسائي شيئا من القراءات ، أو ضروبا من النحو
وأقيسة التصريف - ولكننا نعجب إذ نراه يروى عنه اللغة - انظره يقول
في (أما والله) ويسند قوله الى الكسائي :

(ويقال : أما والله - وهمّا والله - وحما والله - وعما والله -
وغما والله - وعزّمي والله - وعزّمي والله - وحرّمي والله ، سبع
لغات حكاه الكسائي) (1) .

ولم تشر عبارة اللسان في (أما) الا بما يلي (أما بالفتح معناها :
الاستفتاح بمنزلة : ألا ، ومعناها : حقا ، وحكى بعضهم : هـّا والله أي
أما ، والهاء بدل من الهمزة **** وتكون أما تأكيدا للكلام واليمين) (2) .
ويقول أيضا : حكى لنا الكسائي أربع لغات في الاسم : (هذا
اسمك ، وهذا سيمك ، وسّمك ، وأسمك . ويقال اذا ابتدأ : أسم ،
واسم ، وسّم ، وسِم) وأنشد :

سبحان من في كل سورة سِمّه

وسّمّه (3)

وجلس الى القراء أيضا ، وسمع منه قوله : (سمعت ظفّر -
وظفّر - وأظفور - وأظفورة - وسَطّر ، وسَطّر ، وأسطورة -
حكاه يونس) (4) .

(1) نوادر أبي مسحل 52 ط دمشق سنة 1961

(2) لسان العرب 58 : 46 ط دار صادر

(3) نوادر أبي مسحل 95 (4) نوادر أبي مسحل 251

ورحل الى بغداد ، وان تعجب أن يأخذ هذا الأعرابي عن الكسائي
والقراء فعجبك لا شك أكثر عندما تعرف في هذا الأعرابي رغبته الجامعة
في التحصيل ، وأن يروى في سبيل ذلك عن رجل نوبى كان يقف على
باب الرشيد هو على بن الحسن المعروف بابن المبارك الأحمر ، فجمع
بذلك الدراية والرواية • يقول ابن الأنباري: (كان أبو مسحل يروى عن
على بن المبارك أربعين ألف شاهد في النحو ، وكان ثعلب يندم أن فاتته
سماها منه) (1) •

ومن أعراب بغداد محمد بن عبد الملك الفقعسي راوية بنى أسد
وصاحب أخبارها - جلس إليه القراء - وكان الفقعسي من المتهمين ، مدح
الفضل بن الربيع وشهد مع الكسائي حين ناظر سيوييه •

وإذا كان الكسائي قد وجد من يشهد له لدنوه من الأمراء في دار
الخليفة فلقد شهد الأعراب عليه من قبل - والحكم على الهوى شائع في
سير الأعراب - والأعراب أشد كفرا ونفاقا - لقد اختلف الكسائي
واليزيدي في حضرة المهدي فقال المهدي : قد اختلفتما واتما عالمان فمن
يفصل بينكما ؟ فقال اليزيدي : فصحاء العرب المطبوعون فبعث الى أبي
المطوق الأعرابي • قال اليزيدي فعملت أبياتا الى أن يجيء ، وكان المهدي
يميل الى أخواله من اليمن فقلت :

يا أيها السائلى لأخبره
عما بصنعاء من ذوى الحساب
حسير ساداتها ، تقر لها
بالفضل طرا ججاج العرب

(1) طبقات الزبيدي 148

فان من خيرهم وأفضلهم
أو خيرهم بقية أبو كرب

فلما جاء أبو المطوق أنشدته الأبيات وسألته عن المسألة فوافقني (1)

ومما رأيت - لا تكاد صورة الأعراب الرواة تتضح الا في البصرة
وقد بهتت هي الأخرى عندما فسدت سليقتهم وزيفهم طلابهم - وتعين على
طلاب العربية أن يلتمسوا الفصحى في منازلها ، فاتجهوا أول أمرهم الى
المربد ثم طوفوا في البادية - ولهذا حديث طويل *

(1) امالي الزجاجي 41 ط السعادة سنة 1324 هـ

طلب العربية من المربد والبادية

الاتجاه الى المربد

اهتزت ثقة الطالبين فى أعراب الأمصار ، ورأوا ألسنتهم قد شابت بأفة الحضارة ، واختلف المنتجع وأبو خيرة فى المفرد والجمع فى كسم وكماة ، وغمى وأغمى على المريض واحتاجوا الى من يفصل فى هذا الخلف ، وشهدوا على أنفسهم بالفساد (1) فذهب الطالبون الى المربد يلتمسون بعيتهم من أعرابها .

كانت المربد على مقربة من البصرة ، وهى سوق للابل ، يأتى اليها الأعراب ويخرج اليهم أهل البصرة يبيعون ويشتررون ، فلا يكاد يجمعهم المكان حتى تتضح الصورة التى نعرفها لاسواق الجاهلية : أعرابى جاء ينشد ضالته ، وآخر يرتجز على بارز من الارض ، أو تهدر اشداقه بالقصيد على ظهر دابته ، وفتيان يظهرون شاعرا من ذوى قراباتهم ، وفى المربد دارت المعركة الأدبية الكبرى ، والتى لم يشهد التاريخ الأدبى مثيلا لها ، وهى المعركة التى دارت بين جرير والفرزدق وتدخل فيها الراعى والاخلط وسراقة البارقى . وكان رؤبة ينشد اشعاره وأراجيزه فيلتف حوله شباب من بنى تميم ، وكان لذى الرمة حلقة فى المربد ينشد فيها والناس مجتمعون اليه (2) .

ذهب طلاب العربية الى المربد يلتقون بالاعراب ، يسمعون منهم ، ويلحظون مخارج الحروف من أفواههم ، ومنهم من يقيد ما يسمع من غريب العربية . ويشير الى ذلك عبد الملك بن قريش الاصمعى فيقول: جئت

(1) الخصائص 3 : 305

(2) الاغانى 16 : 114 ط ساسى

الى أبى عمرو بن العلاء فقال : من اين جئت يا أصمعى ؟ قلت من المربد ، قال : هات ما معك ، فقرأت عليه ما كتبت فى ألواحى ، ومرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فأخذ يعدو فى الدرجة قائلاً : شمريت فى الغريب يا أصمعى (١) .

وفى هذا المكان ، كان تمام الجاحظ بعد أن تزود فى البصرة ، وسمع من أبى عبيدة والاصمعى وأبى زيد وأخذ الكلام عن النظام فتلقف الفصاحة شفاها بالمربد (٢) ومعنى هذا أن المربد ظلت له مكاتته اللغوية أنى وقت متأخر ، ونحن نعلم ان الجاحظ قد كمل تمامه فى بداية القرن الثالث ، لا يغير من هذا ان الرواة قد اخذوا سبيلهم الى البادية قبل ذلك .

الرحلة الى البادية

لم يعد طالب العربية الذى يصطنع الرواية يكتفى بالمربد ، وأعرابه فى أغلب الاحوال يمثلون بقعة من الارض قربت من الحاضرة ، وتعاقب الايام لا بد ان يترك أثره فى هذه السوق التى يؤمها فى كل يوم أخلاط من البدو والحضر ، كما أن المنافسة العلمية كانت تدفع بالطالين الى البحث عن البادية الفصيحة ، وقد فرض عليهم هذا السعى بعض المعايير الملزمة — من ذلك أنهم أنكروا على بكر فصاحتها لاتصالها بالفرس والنبط ، كما رفضوا الاخذ عن تغلب لقربهم من حواضر العراق وتأثرهم بالفارسية . ولم يأخذوا عن قضاة ومن بهراء بخاصة ، ولا من كلب وغسان ولخم لتأثرهم باللغات التى سادت الشام .

وقديما كانت بعض القبائل تخشى مثل هذا التأثير فكانوا يرسلون

(١) معجم البلدان ٢ : 202 ، امالى القالى 3 : 182

(٢) معجم الادباء 16 : 75

ابناءهم الى قبائل بعينها عرفت بالفصاحة في حى البادية البعيدة ، كان الشافعى - فيسا يحكى - يلزم هذيل في البادية يتعلم كلامها ويأخذ طبعها وكانت أفصح العرب (1) ، ويقول : أقمت فى بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتنا (2) وكان بهذه الصفة أحسن من يروى شعر الهذليين فكان الاصمعى يقول : صححت شعر الهذليين على فتى يقال له محمد ابن ادريس (3) • وندم عبد الملك بن مروان ان استثنى الوليد من هذه العادة فقال : أضربنا فى الوليد حبنا له فلم نلزمه البادية (4) •

بدأ البصريون سعيهم نحو البادية ، ورأى الكوفيون أثر هذا السعى فيهم فشدوا رحالهم اليها ، والغريب فى موقف الكوفيين ان فصحاء القبائل كانت عندهم فى الكوفة • لقد ذهب الكسائى الى البصرة ، وجلس الى الخليل يسأله عن اللغة ، فقال له رجل يتعجب من أمره : تركت أسد الكوفة وتميسها وعندها الفصاحة وجئت الى البصرة ؟ • فقال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ قال : من بوادى الحجاز ، ونجد وتهامة فخرج ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة حبرا فى الكتابة عن العرب سوى ما حفظ (5) ومن رجال الكوفة الذين سمعوا من أعراب البوادرى ابو عمرو الشيبانى ، فقالوا : دخل البادية ومعه دستيجان حبرا فما خرج حتى أفناهما يكتب سماعه عن العرب (6) •

(1) معجم الادباء 17 : 286

(2) تاريخ بغداد 2 : 63 (3) معجم الادباء 17 : 299

(4) العقد الفريد لابن عبد ربه 2 : 480 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1359 هـ - 1940 م

(5) انباء الرواة 2 : 257 - 258 ، معجم الادباء 13 : 169

(6) انباء الرواة 1 : 224

أبعدوا تاركين العراق وراءهم حتى وصلوا في طلب العريضة التي اقصى ما يحتمله الجهد والطاقة • وبحسبنا الاصمعي تتبعه في بعض سفراته في البادية كمثال على هذا السعي في الطلب :

بين اليمامة والبصرة تجد الاصمعي في القصيم يستنشد رجلاً من بنى اسد (1) وفي حمى ضرية (2) يداعب غلاماً من بنى أسد حتى يظفر منه بالكلام ، ويأخذ منه بغيته ثراً وشعراً (3) وينتقل الى بعيد في البادية فان وجد من البيان ما ترتاح اليه النفس هوّن عليه متاع السفر ومشقة الاغتراب ، وان صادف غريباً من اللّوجات دونه أو استظهره على أنه لون من التحصيل العلمي ، عليه أن يحيط به وهو يذكر بعض هذا :

وقف علينا أعرابي ونحن برملة اللوى فقال : رحم الله امرأ تسجج أذناه كلامي ، وقدم معاذة من سوء مقامى ، فان البلاد مجدبة ، والحال مسغبة ، والحياء زاجر يمنع من كلامكم ، والفقر عاذر يدعو الى اخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين فرحم الله امرأ أمر ببر أو دعا بخير •

قال : من أنت يرحمك الله ؟

فقال : اللهم غفرا ، سوء الاكتساب يمنع من الاتسباب (٤) •

وفي واد موحش يعجب من عجوز قد كرهت من الدنيا بهجتها التي

-
- (1) الامالى 1 : 170 ، ومادة ق ص م في القاموس المحيط
(2) الاصمعي : الحمّا : حميان ، حمى ضرية وحمى الريلة ، والاولى اشهرها في بادية طيء انظر معجم البلدان 3 : 346 والامالى 66 : 67
(3) كتاب الصناعتين 10

ان تقول له : انى لآنس بالوحشة ، وأستريح الى الوحدة فأنذكر
من عهدت فكأنى اخاطب أعيانهم ، وأترأى أشباحهم ، وتتخيل لى أنديّة
رجالهم ، وملعب ولدانهم ، ومندى أموالهم ، والله يابن أخى لقد
رأيت هذا الوادى بشع اللديدين ، بأهل أدواح وقباب ، ونعم كالهضاب ،
وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح يبارون الرياح انصرف راشدا
رحمك الله (1) .

ويفيد من نساء بنى تميم فرائد لغوية فيقول : رأيت امرأة من بنى
تميم لم ار افصح منها ، فسمعتها تدعو على أخرى وتقول : ان كنت كاذبة
فجلبت قاعدة قال : رعية الغنم عندهم ضعة فانها تتمنى لها ذلك (2) .

وكان الأعراب يلغزون فى المراح أحيانا فلا يفهم عنهم الا بدوى
على شاكلتهم من ذلك ما يرويه الاصمعى فيقول : بينا أنا فى طريق مكة
ومعى أصحابى اذ مر بنا أعرابى وهو يقول : من أحسنّ من بعير بعنقه
علاط ، وبأنفه خزامة ، تتبعه بكرتان سسراوان ، عهد العاهد به عند البئر .

قلنا : حفظ الله عليك يا هذا ، والله ما أحسننا جملا على هذه
الصفة .

قال : وجويرة من الاعراب على حوض لها تسوره ، فأعاد الكلام
عليها .

فقلت : اعزب ، لا حفظ الله عليك يا فاسق .

(1) الامالى 2 : 6

(2) الفاضل للمبرد 114 تحقيق عبد العزيز الميمنى ط دار الكتب
سنة 1375 هـ — 1956 م

فقلنا لها : ما تريدين من رجل ينشد ضالته ؟

فقلت : انما ينشد أيره وخمسيته (١) .

وهو يفر من حر مكة فيذهب الى الطائف ويتنسى بها شهر رمضان (١)
ويحكى مناقشة مع اعرابية ذات جمال بمنى وقد رآها تسأل ، قال :
فقلت لها : تسألين ولك هذا الجمال :

قلت : قدر الله ، فما أصنع ؟

قلت : فمن أين معاشكم ؟

قلت : هذا الحاج ، نسقيهم ، ونغسل ثيابهم .

قلت : واذا ذهب الحاج فمن أين ؟

ففظرت الى وقالت : ياصلت الجبين ، لو كنا نعيش من حيث نعلم
ما عشنا (٣) .

وبحسبك هذه الأمثلة ، فقد عادوا بعلم غزير ، وملاحظ دقيقة .
ومعرفة بما يحيط بالجزيرة من معالم الطبيعة ، من جبال تحفها ، ومن نبت
يجود فيها ، وآخر لا يجود ، وثالث لا يكاد حتى يخبو ، رأوا وسمعوا
ما لا يقع تحت حصر ولا عد .

رأوا وسمعوا عن وحوش الصحراء التي يتعرض لها المارون ، ومن
أجل هذا أسموها مفازة تيمنا بنجاة المسافر .

رأوا وسمعوا عن جبالها ووهادها وأوديتها وداراتها ومياهها وآبارها

(١) الامالى 3 : 168 (النوادر)

(٢) العقد الفريد 6 : 251

(٣) العقد الفريد 3 : 210

وعيونها فرصدوه وحددوه ، وقالوا : كان هنا يسكن فلان قبل فلان ،
ودارت هذه القبيلة فى هذا المسار وهاجرت الثانية فجاورت بنى فلان •

سمعوا عن الانساب فاستظفروها وتتبعوها الى آجال بعيدة ، والى
الآجال قبل الآجال وأمدهم النسابون وابناء النسابين بالعجب العجيب ،
وكان فى قلوب الشعوبيين حفيظة من العرب فجمعوا مثالبهم يعيرونهم بها ،
مشافهة أول الامر وتدوينا من بعد ذلك • وكما نسبوا الناس ، نسبوا
الخيول لما للخيل من مكانة عند العربى وبيينوا دورها فى حروبهم وأيامهم ،
والسوابق منها فى مرحهم اللاهى او لهوهم المرح •

عرفوا أطعمتهم فى حنان الطبيعة وغب الغيث ، وعرفوها فى الشظف
والاعسار وأدركوا أن الكرم عندهم ضرورة لا عادة ، فكريم اليوم قد
تضيق به الأرض فى غد ويحمله التيه الى قرار سحيق •

عرفوا من عاداتهم هذه النار التى توقد فى عل يتهدى بها المسافر
التائه ، فاذا لم يجد نارا وهام على وجهه فى هذه المقازة نخل جلبابه وأعاده
مقلوبا حتى يعرف من رآه أنه يسأل الطريق •

سمعوا أناشيد الأحياء فى أسلافهم يرددون همم الفوارس وتاريخهم ،
وأسماء دروعهم وأسلحتهم واثار ذلك على خصومهم ، وهم فى غالب
الاحيان يشيدون بهؤلاء الخصوم ، ويذكرون بأسهم ، فتعوه تلك المفخر
اليهم ، لأنهم فوق الأقوياء ، وهم بذالك اولو بأس شديد •

رأوا وسمعوا هذه الوحدة الحازمة والعروة الوثقى حين تجمعهم
كلمة القبيلة ويحزبهم أمر الشيخ ، فلا مخرج ولا مهرب من دستور أجمعوا
عليه وارتضوه وتنادوا به ، وتناهوا عن عصيانه وخلافه - انصر أخاك
ظالما أو مظلوما •

عادوا بعلم غزير ، بعضه لطبيعة الارض ، وبعضه للتاريخ ، وبعضه
لمتن اللغة وأكثره للذوق اللغوي .

كان من حق أبي عمرو بن العلاء أن يقف حين أنشده الاصمعي
قصيدة نسبت للمخبل السعدي مطلعها :

ذكر الرباب وذكرها سقم

فلما وصل الى قوله :

وأرى لها دارا بأغدره الـ

سيدان لم يدرس لها رسم

قال أبو عمرو : قد رابني هذا ، وكيف يكون هذا المخبل وأغدره
السيدان وراء كاظمة - وهذه ديار بكر بن وائل . ما أرى هذا الشعر
الا لطفرة (١) .

ولم يستنغ الاصمعي نسبة البيتين التالين لامرئ القيس :

لنا غنم نسوقها غزار

كأن قرون جلثها العصي

فتملا بيتنا اقطا وسمنا

وحسبك من غنى شبع وري

لانه كان يدرك ان امرأ القيس طالب ملك لا يكفيه شبع وري . بل
كانت حاسة الاصمعي ومعرفته بالمذاقات اللغوية ترجح نسبة البيتين
للحطيئة (٢) وكان من حق الرواة ان يتوقفوا عند نسبة البيت الثاني لتأبط
شرا :

(١) انظر معجم البلدان 1 : 294

(٢) الحيوان للجاحظ 5 : 495

ان بالشعب الذى دون سلع
لقتيلا دمه ما يطل
لان سلعا ليس دونه شعب (١) •
وسمع الاصمعى قول الشاعر :
فما برحت فى الناس حتى تبينت
ثقيفا بزياء الاساة قباها

فقال متعجبا : كيف تحمل الخمرة الى ثقيف وعندهم العنب ؟! (٢)
وكان يدرك الفرق بين الغدو والرواح وما الذى يستحب عمله فى كل
وقت ، ولذلك علق على قول النابغة فى وصف النعام :
مثل الاماء الغواذى تحمل الحزما

فقال : انما توصف الاماء فى هذا الموضع بالرواح ، لانهن يجئن
بالحطب اذا رحن (٣) •

عادوا بملاحظ دقيقة عن القبائل ، وعن اللهجات لا بأس أن نوقفك
على بعضها :

— سمعوا خثعم وزبيد — أو أكثرها — يحذفون نون (من)
فيقولون أتيت ملمنزل •

— وسمعوا الامالة فى بنى أسد ، ومنهم من يكسر حرف المضارعة

(١) معجم البلدان 1 : 5

(٢) كتاب الصناعتين 71

(٣) الموشح 44

فيقول تَسْمعون في تَسْمعون ، وهى مع ذلك أفصح القبائل كما يبدو
فى كلام الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز : ما كلنى رجل من بنى أسد
الا تنيت أن يد له فى حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه • ويذكرهم يونس
فيقول : ليس فى بنى أسد الا خطيب أو شاعر أو زاجر أو كاهن أو
فارس (١) •

— ومن المنطوق عند بعض هذيل قلب الحاء عينا فى اول الكلام
فيقولون « عتى حين » ويعربون الذين فيقول شاعرهم :
نحن اللذون صبحوا الصباح

وهذيل بعد هذا فى عداد القبائل الفصيحة

— وطىء فصيحة : مع قربها من جبلى أجأ وسلسى • ومن لسانها —
أو بعضها — جعل الهاء بدل الألف فى الوقف ، وإبدال الزاي من الصاد ،
وبهذا عرف حاتم الطائى فى غير بلاده — فقالوا : مر حاتم بن عبد الله
الطائى ببلاد عنزة فناداه أسير لهم : يا أبا سفانة : أكلنى الاسار والقيل •
فقال له : ويحك ! والله لقد أسأت بى اذ نوهت بى فى غير بلاد قومى ،
قال : فنزل ، فشد نفسه فى مكانه فى القد ، وأطلقه حتى عرف مكانه ،
فندى فداء كثيرا •

وفى كلام آخر — أن امرأة أسرته أتنه والحي خلوف بيعير قد نيط ،
وبشفرة فقات له : افصده ، فقام فنجره ، فلطمته

فقال : لو غير ذات سوار لطمتنى

فقات : أمرتك أن تفصده فنجرته

(١) البيان والتبيين 1 : 174

فقال : هكذا فزدى أنه ، فبذلك عرف (١) .

— ولحظ الفراء أن كثرة من العرب تؤنث الابهام فيرى هذا الرأي ويقول : الاصابع اثاث كلهن الا الابهام فان العرب على تأنيثها الا بنى أسد أو بعضهم فأنهم يقولون : هذا ابهام — والتأنيث أجود وأحب الى

— وكان ابن دريد معنيا بلغات اليمن فذكر من ذلك قدرا ملحوظا في كتاب الجمهرة ونأمل ان نبسط القول في ذلك عندما نتحدث عن جمع اللغة في باب قادم — من ذلك ترجيحه لما تردد فيه الأصمعي مستندا الى سبأه من فصحاء جرم ، قال : (اى ابن دريد) سألت أبا حاتم عن باع وأباع فقال : سألت الاصمعي عن هذا فقال : لا يقال أباع فقلت قول الشاعر (الاجدع بن مالك الهمداني) :

ورضيت الاء الكسيت فسن يبيع

فرسا فليس جوادنا بمباع

قال الاصمعي : لعلها لغة لهم ، وعقب ابن دريد بقوله : وقد سمعت جماعة من جرم فصحاء يقولون : أبعث الشيء ، فعلت أنها لغة لهم (٢) .
— وكان ابو زيد شديد العناية بجمع اللغات واللهجات (٣) ، يقول : طفت فى عليا قيس وتميم مدة طويلة اسأل عن فعل يفعل لاعرف ما كان منه بالضم أولى ، وما كان منه بالكسر أولى فلم اجد لذلك قياسا ، وانسا يتكلم به كل امرئ منهم على ما يستحسن ويستخف (٤) .

(١) الامالى 3 : 187

(٢) الجمهرة فى اللغة لابن دريد 3 : 436

(٣) تاريخ الادب العربى . بروكلمان . ترجمة الدكتور النجار 2 : 145
ط دار المعارف

(٤) المزهر 1 : 207 — 208

وللمح فيه هذه العناية اذا نظرنا فى كتابه (النوادر فى اللغة) وفيه :
قال رجل من بكر بن وائل : أخذت هذا منه يا فتى ، ومنهما ، ومنهم
فكسر الاسم المضمر فى الادراج والوقف . قال : وقال : ولم أعرفه ، ولم
أضربه فكسر الهاء مع الباء وسمعت أعرايا من أهل العالية
يقول : هو لكه° وعليكه° هذا فى الوقف ويلقيها فى الادراج .
وسمعت نميرا يقول : ما أحسن وجهكه° فى الوقف ، وما أكرم
حسبكه° فى الوقف ويطرحها فى الادراج (١) وسمعت بعض بنى
كلاب يقول : غلام يفعة ، وبعضهم وفعة (٢) وسمعت من بنى ضبّة (٣)
او يجمل فيقول : بعض العرب (٤) .

وفاضل ابو زيد بين قبيلة وأخرى فى درجات الفصاحة وحدد
اختياراته فى قوله : لست أقول قالت العرب الا اذا سمعته من هؤلاء : بكر
ابن هوازن ، وبنى كلاب ، وبنى هلال أو من عالية السافلة (نجد) أو
سافلة العالية (المدينة) وقد فصلنا هذا الايجاز فى كتابنا رواية اللغة
ص ٨٣

— وكلما ذكرت جرهم ذكرت على انها افصح العرب (٥) .

— ولاحظ الرواة الامالة فى تميم ، وفى بعضهم عننة حين يقلبون
الهمزة فى الأول عينا كقول ذى الرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة
ماء الصبابة من عينيك مسجوم

-
(١) النوادر فى اللغة 171	(٢) النوادر فى اللغة 191
(٣) النوادر فى اللغة 240	(٤) الامالى للقالى 2 : 280
(٥) الكامل للمبرد 2 : 582	ط الحلبى والفائق فى غريب الحديث
- 459 : 2

أراد أن • وفى لسان بنى العنبر ، أو بلعبر وهم من تميم بادلوا بين
السين والصاد سأل يونس ، ابن أبى اسحاق ، هل يقول أحد الصويق
يعنى السويق ؟ قال : نعم عمرو بن تميم يقولها (١) • وعن تميم وردت عامة
اللغة الفصيحة ، وقر فى اذهان الكثيرين أن سلامة العربية فى نجد ، ولم
يجدوا ما يعيبون به عدى بن زيد ، وأبا دؤاد الايادى الا انها بعدا عن
هذه البقعة الى مشارف العراق فقالوا : ان الفاظهما ليست بنجدية •

— وربما اتجه ذهن عامة المتعلمين الى ان لغة الحجاز ، وكنانة .
وقريش واحدة ، ولكن الرواة يبنوا كل اولئك بل فرقوا بين قريش البطاح
وقريش الظواهر •

ومن الفروق التى أثارها الرواة بين الحجازية والقرشية ما لوحظ فى
اختلاف القراء فى قراءة قوله تعالى (بين الصدفين) فابن كثير ، وابو
عمرو ، وابن عامر ، ويعقوب يقرأونها بضم الصاد والبدال — لغة قريش —
ووافقهم اليزيدى وابن محيصين والباقون بفتحهما — لغة الحجاز (٢) •

اتضححت هذه الفروق بعد جمع اللغة ، وتنوع هذا الخلف فكان منه
ما يتعلق بالجانب الصوتى ، كالتفخيم والترقيق والامالة ، ومنه ما يتعلق
بمقدار الجهد فى النطق كالقلب والابدال وتغيير بنية اللفظ تبعاً لذلك •

لاحظ أبو عبيدة أن أهل الحجاز يفخمون الكلام كله (٣) ولاحظ

(١) طبقات فحول الشعراء 15

(٢) انحاء فضلاء البشر . احمد بن محمد الدمياطى الشافعى

ص 356

(٣) الانتقان فى علوم القرآن للسيوطى 1 : 94 (قال : أهل الحجاز
يفخمون الكلام كله الا حرفا واحدا : عشرة فانهم يجزئونه ، وأهل
نجد يتركون التفخيم فى الكلام الا هذا الحرف فانهم يقولون
عسرة بالكسر)

الرواة انهم لا ينبرون فلما شد بعضهم عن هذا الاصل ادركهم رد الفعل فهمزوا ما لا يهمز ، وحققوه فى نبي وبرية فقالوا نبي وبرية وراه سيويه رديئا (١) ولاحظ القراء ان بعض العرب أيضا قد همزت ما لا يهمز فقال : (وربما غلطت العرب فى الحرف اذا ضارعه آخر من الهمز ، فيهمزون غير المهموز — ويقولون : لبأت بالحج ، وحلأت السويق — فيغلطون لأن حلأت قد يقال فى دفع العطاش من الابل ، ولبأت : ذهبت الى اللبأ الذى يؤكل ، ورثأت زوجى : ذهبت الى رثئة اللبن ، وذلك اذا حلبت الحليب على الرائب) (٢) •

ثم انتهت التقاسيم فى رأى جمهرة الرواة الى-عربية واحدة الا من فروق اخذت تضيق حتى انحصر امرها بين حجازية وتميمية ، وأملقوا على هذه الفروق اسم الفرائد أو النوادر من ذلك ما نقله صاحب المزهرة عن نوادر يونس ، ونوادر أبى محمد اليزيدى نكتفى بالاشارة اليها لكثرتها ، وكلها فروق بين التميمية والحجازية (٣) •

(١) الكتاب لسيويه 2 : 170

(٢) معانى القرآن للفراء 1 : 459

(٣) المزهرة 2 : 275 — 276

الفصل الثاني

الأمثال

دور الامثال في اللغة

تصدر الامثال عن الشيوخ والحكماء في أكثر الاحيان ، فتوجز التجربة في كلمات وتغنى بهذا الايجاز عن سرد طويل ، وقد يكون التصريح غير مرغوب فيه ، أو يحسن مداراته فيقوم التلميح مقام التصريح كقولهم في مناسبات عديدة « اياك أعنى واسمعى يا جارة » وقد تكون في قصرها وإيجازها بالغة الدلالة قوية كقول على رضى الله عنه « انما اكلت يوم اكل الثور الابيض » . ويروى في أصل المثل أن عليا رضى الله عنه قال : انما مثلى ومثل عثمان كمثل اثار ثلاثة كن في أجمة - أبيض ، وأسود ، وأحمر . ومعهم فيها أسد فكان لا يقدر منهم على شيء لاجتماعهن عليه فقال للثور الاسود ، والثور الاحمر : لا يدل علينا في أجمتنا الا الثور الابيض فان لونه مشهور ، ولونى على لونكمسا فلو

تركتماني آكله صفت لنا الأجمة • فقالا : دونك فكله ، فأكله • ثم قال
للأحمر : لو نى على لونك فدعنى آكل الأسود لتصفو لنا الأجمة ، فقال :
دونك فكله ، فأكله ، ثم قال للأحمر : انى آكلك لا محالة • فقال : دعنى
انادى ثلاثا ، قال : افعل •

فقال : ألا انى أكلت يوم أكل الثور الأبيض •
ثم قال على رضى الله عنه : « ألا أنسى أكلت يوم أكل الثور
الأبيض » •

وكما تعلق الأشعار بالاذهان تعلق الأمثال ، الأولى بسبب الوزن
والقافية والثانية بسبب قصرها ، وتقبل الناس لها على انها اثر من الاجداد
وتتيجة تجربة انحدرت من وراء الاجيال •

وقد يكون فى المثل غموض فيلقى كما وعته الاسماع اكتفاء بدلالته
التي يظهرها السياق او ما تضمنه من عون فى فهمه جملة دون وعى لمفردات
قد تكون أعلاما بعدها بها الزمن لاناس او لأماكن ، فاذا تساءلت عن
بيانه وما كان من امره سمعت تاريخا من حياة الاعراب وعاداتهم ، قد
يكون صحيحا ، وقد يكون خلقا ادبيا ولد لساعته ، ولهذا جاء على السنة
الرواة اشتات من التفسير وخلف كثير •

وحديث الاعراب رافد من روافد العربية كما اسلفنا ، والأمثال فى
حديث الاعراب من أصل الكلام لعصمتها من التغير والتبدل ، ومجيئها
على سجيئها ممثلة لطباع أهلها وطباع بيئتها ، فان هذبت أو تحضرت
مسحت وخرجت عن أصلها وفقدت طلاوتها وربما ذهبت مع الرياح فلم
تجد من يسمع ومن يروى •

ولقد عنى رواة اللغة بجمع الأمثال والتأليف فيها لا طلبا للشاهد
والدليل ، ولا بحثا عن مفردات وتراكيب ، ولا لترجييع قياس أو اقامة
حجة ، فحظ الأمثال من هذا قليل ، بل ربما خرجت عن نطاق الاعراب فى

سبيل إقامة المعنى • ولكنها المصدر الذي روى كما سمع لا كما يراد له
ان يسمع ، لا دخل فيه للنحاة ولا كلام فيه لاصحاب الكلام ، فعاش كما
خرج من المنجم من غير صقل ولا تبديل ولا تجميل ، فكانت الامثال بهذه
الصفة عوناً على معرفة الاعلام والتواريخ والوقائع التي جاءت بها الاشعار
والاراجيز • لم يكن من السهل مثلاً ان نقرأ قول ابي اخزم الطائي :

ان بنى ضرجوني بالدم
شنشنة أعرفها من أخزم

قبل ان نعرف ان الشطر الاخير قد طار مثلاً بعد ان ذكر الرواة من
امره ان أبا اخزم كان يصف ابنه بالعقوق ، فلما مات أخزم هذا ، وثب
ابناؤه على جدهم فأدموه — فقال البيت السابق ، يصف عقوق الاحفاد
وقد ورثوه من أبيهم أخزم •

والتأليف في الامثال مرتبطة بدواعيها ليس بالامر الهين ، ولا يأتيه
كل من اراده الا على مشقة الاستقصاء والبحث والمذاكرة والتحقيق ، وكما
كان الرواة يجوبون البادية يتعرفون على طبائع اهلها وعاداتهم ، وما ينبت
فيها ، وما يعيش فيها من كائنات يستعينون في ذلك كله فهم الكلام
العربي ، فقد وجدوا هذا في الامثال ، وامتدتهم منه بمدد واسع •

سمعوا « اعق من ضب » و « أحن من ناب » وعرفوا ان الضب
يصل بها العقوق انها تأكل اولادها — وان الناب وهي الناقة المسنة شديدة
الحنو على وليدها ، وقالوا وسمعوا : « احمق من رجله » لان النبات
المعروف بهذا الاسم ينمو في مسيل الماء ، فيأتي السيل فيجرفه ويقتلعه •
وفي ذكر الاماكن تروى الامثال ما يلقي الضوء على هذه الاماكن قالوا
« لا حر بوادي عوف » يقصدون منعة عوف بن محلم الشيباني والوادي

الذى يسكنه - ويذكرون من امره ان عمرو بن هند طلب من عوف ان يسلمه مروان بن الرظ ، وكان قد اجاره ، فمنعه عوف من الملك وأبى ان يسلمه فقال الملك هذا المثل . ويقولون فى ذكر الاماكن « ان اضاخنا منهل مورود » يضرب للرجل الجواد ، وأضاح موضع ، وكدى وكداء جبلان بمكة فاذا اراد الانسان أن يدل على أصالته قال : انا ابن كديها وكدائها .

وفى مجال الخلق الادبى ، تشير الامثال الى العقلية العربية المبدعة وقصة حنين صاحب الخفين أشهر من أن نعيدها ، ولكنها اجل من أن نتركها بغير اشارة وتذكرة فى مقامها من الامثال .

الف من الامثال من قدامى اللغويين : يونس بن حبيب ، وأبو عبيدة ، والاصمعى (١) ولم تصل اليها هذه الكتب على ما اعلم - وبين ايدينا كتاب للمفضل الضبى ، وكتاب لابی فيد مؤرج بن عسر السدوسى . وجزء من كتاب ابى عبيد القاسم بن سلام ، وجزء لابن عبد ربه جعله الجوهرة الاولى فى العقد الفريد . وجوهرة الامثال لابی هلال العسكرى . وفى نهاية القرن الخامس نشط لهذا العسل الزمخشرى والميدانى فعسل أولهما (المستقصى فى امثال العرب) وعسل الثانى (جوهرة الامثال) كما وقع اليها كتاب عنيت به دائرة المعارف العشائية فى حيدر آباد الدكن فطبعت دون ان توفق الى معرفة صاحبه .

(١) الفهرست ط الرحمانية 42 و 52 و 55 و 72

امثال العرب - للمفضل الضبي ١٦٨ هـ

هو المفضل بن محمد بن يعلى الضبي الكوفي ، راوية الاخبار والادب واللغة وصاحب المفضليات - أول مجموعة شعرية كبيرة فى التاريخ الادبى - روى عنه قدامى رجال الكوفة ، وسمع منه أبو زيد البصرى ، وقال عنه محمد بن سلام الجمحى : « أعلم من ورد علينا بالشعر وأصدق من غير أهل البصرة المفضل بن محمد الضبي » •

جاء كتاب الامثال مرويا عن الطوسى ، عن محمد بن زياد ابن الأعرابى عن المفضل خاليا من المقدمة ، فأكثر الكتب فى عصر المفضل كانت كذلك ، وكان معنيا فى المقام الاول بالوجه التاريخى الذى نشأ عنه المثل فيروى قصته - وكرجل رواية - يروى معها أيضا ما يكتنفها من اراجيز وأشعار ويبين وجهها الصحيح من اللغة ما وسعته المناسبة • ينشد للفرزدق :

ولولا أن يقول بنو عدى
الم تك أم حظلة النوارا
اذن لأتى بنى ملكان قول
إذا ما قيل أنجد ثم غارا

ويقول : ليس فى العرب ملكان بالفتح الا ملكان هند بن جرم فى قضاة • (١)

او يقول فى شعر السليك بن السلكة التميمى :
يا صاحبى الا لا حىّ بالوادى
الا عبيد وآم بين اذواد

(١) امثال العرب للمفضل الضبي ص 11 ط الجوائب سنة 1300

ويقول : آم جمع أمة الى العشر ، ثم اماء لما بعد العشر . (١)
هذه أمثلة للملاحظة اللغوية وتستطيع ان تجد اخرى فى ثنايا
الكتاب . (٢)

وللمفضل ميل للغوص وراء الاحداث ، فلقد اسمع فى الكلام عن
« داحس » فسيبه الى ام يقال لها « جلوى » لقرواش بن عوف اليربوعى
التميمى ، واب اسمه « ذو العقال » كان لحوط بن أبى جابر اليربوعى .
واستطرد الى مراهنات ، وحرب وتاريخ اشترك فى كل اولئك فرسان
عبس وذبيان وشعراؤهم فى خبر طويل لم يخل من رجز وقصيد هذه
الاحياء وقليل من الامثال انتهت بقولهم « اشأم من داحس » الذى جلب
عليهم الحرب أربعين سنة .

ومن الاستطراد - ان يتناول قس بن ساعدة الايادى فيذكر خطبته
المشهورة التى عرفت عنه فى عكاظ : أيها الناس اجتمعوا ، ثم اسمعوا
وعوا ، كل من عاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ما هو آت آت ...
الى آخره الا ان تكون هذه العبارات التى جاءت فى الخطبة - على شاكلة
الامثال فى نظر المفضل .

وذكر ما وصل الى علمه من قصة ابنة الزباء ، فزعم انها كانت امرأة
من الروم ، وأمها من العمالقة ، وكانت تكلم بالعربية ، وكانت ملكة على
الجزيرة وقنسرين ، ومدائنهما على شط الفرات وذكر الامثال المشهورة
حول هذه القصة .

١١ امثال العرب 14

(٢) نفس المصدر صفحات 16 و 19 و 20

وتكثر الرواية فى كتاب المفضل عن القبائل الشرقية التى عاشت فى نجد ، وحول الخليج العربى ، وفى العراق ، فكان يروى عن المناذرة ، والغساسنة ، وقبائل تميم ، ويخص ضبة بالكثير من عنايته ، ويروى عن باهلة وبنى كلاب وبنى اسد . أما الرواية عن الحجاز فهى قليلة نسبيا .

وفى كتاب المفضل ما يساغ وما لا يستساغ من قديم الاخبار ، ولكنه صورة صادقة عن الرواية المنقولة والاخبار المتداولة فى عصر المفضل تضمنت اسير الامثال وأشهرها وهذا الكتاب مع قلة مادته فى الامثال فانه قد وضع اللبنة الاولى فى هذا البناء مدعمة بما يساندها من قصص وتاريخ وعادات وأيام العرب ، ولا يكاد يستقيم هذا اللون من التأليف الا بسند منها .

الامثال - لابي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي ١٩٥ هـ

ابو فيد ، من علماء البصرة تلقى عن ابي عمرو بن العلاء ، والخليل بن احمد ، وأخذ القياس عن أبي زيد سعيد بن أوس الانصاري ، وكان مؤرج من المبرزين في اللغة ذكر له ابن النديم كتاب الانواء ، وجماهير الثقبائل ، وغريب القرآن وكتاب المعاني ، كما ذكره صاحب الفهرست ضمن فصحاء الاعراب (١) كما يسميه القفطي بـ (صاحب العربية) * (٢)

ورد كتاب الامثال لابي فيد مرويا عن ابي علي الحسن بن عليل العنزي ، عن ابي علي اسماعيل بن ابي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي عن ابي فيد ، من غير مقدمة ، ويحسن ان انقلك اليه حيث يقول في مادته الاولى :

تقول العرب : (اقدح وانت مسترخ ، اقدح بدفلى فى مرخ)
قال : بلغ من كثرة نار المرخ ان الريح تهب ، فيحك بعضه بعضا فيورى ، تخرج منه النار * ومثله العفار والدفلى قال الاعشى :
زنادك خير زناد الملسو
لك وافق منهن مرخ عفار
ولو كنت تقدح فى صخرة
بنبع حصاة لأوريت نارا

والنبع اقل الشجر نارا * والزند : عود مثل السواك ، يفرض له فى الزندة ، وهى عود عرضه اصبعان ، يفرض له فيه ، حتى يتمكن العود

(١) الفهرست لابن النديم 71 ط الرحمانية

(٢) انباه الرواة 3 : 327

الاعلى الذى يقال له الزند فى الزندة الاسفل ، فيقدح له فى الفرض ،
فياكل كل واحد منهما صاحبه ، حتى يحترق طرف الزند وما من من
الزندة ، وينقص الاعلى حتى لا يستطاع أن يقدح به ، وذلك اذا الح
عليهما القادح ، وكثر استعماله اياهما • قال ابن حرد التغلبى :

يعل والايام ينقصن عمره

كما تنقص النيران من طرف الزند (1)

هذه اول مادة فى كتاب المؤرج ، تحس معها ان الجو الذى كنت
فيه مع كتاب المفضل الضبى قد تغير فجأة ، كنت مع رجل قاص ، فاذا بك
مع رجل لغوى ، يروى لك معيشة العرب ، ويعرفك بالمسميات ، ويأتيك
بها مذكورة فى أقوال الشعراء ، وهو شديد التجاذب الى اللغة ، يستطرد
اليها فى كل مناسبة •

يقف عند قولهم « لم يحرم من فُصِدَ له » فيقول : أكثر ما سمعنا
بتسكين الصاد ومنهم من يجرها فيقول : فُصِدَ له • والفَصْدُ أن
يملا المصير دما من وداج بعير أو فرس ثم يشوى فيؤكل ، وذكر قصة اسر
حاتم الطائي وقوله لأسرته : هكذا فزدي أنه ، بلهجة طيء •

وقد تنسيه اللغة أنه يضع كتابا فى الامثال فيأخذ فى تحرير الفاظ
تحريريا معجميا لا وجه للامثال فيها انظره يقول ابتداء ومن غير مناسبة :
- المُبْسَلُ : المُسَلَّم قال الله عز وجل (اسئلوا بما كسبوا)
قال الشنفرى الازدى :

(1) الامثال لابی فيد مؤرج بن عمرو السدوسى 38 ط القاهرة 139 هـ
1971 م تحقيق د. رمضان عبد التواب

هناك لا أرجو حياة تسرنى
سمير الليالى مبسلا بالجرائر
أو يقول بنفس الطريقة :
- الفتنع : والفنع : الجدة والغنى ، قال عمران بن عصام
العنزي :

ولا اعتل فى فنع بمنع
إذا نابت نوائب تعترينى
ويفسر (الرعلاء) تفسيراً معجماً فى مادة على حدة بأنها المشقوقة
الاذن • (1)
- و « الجمئة » الجماعة التى يحصل أصحاب الحسالة • قال ابن
مكعب :

أو الجمئة الراجين أقران قومهم
صروا بين قوم بالذى كان أكرما

صروا = منعوا

- و « العرَضُ » نشاط البهم من المعزى ، ونشاط الحسيل من
اولاد البقر ، والواحدة : حسيلة • (2)

- و « الشواف » داء يأخذ الابل فيهلكها حتى تنفى ، وربما قالوا
« اساف » قال عمرو بن حسان الشيبانى :
أفى نابين نالهما لشواف
تألى طلتى ما ان تنام

(1) الامثال لابی فيد 53

(2) نفس المصدر 57

وبعضهم يقول « اساف » فيجعله رجلا ، وبعضهم يجعله داء ، قال
السنان بن عباد الشكري :

فأصبحت طليبا مطلقا من حباله
صحيح الاديم بعد داء اساف
— و « المنجود » المغلوب • قال ابو زيد :
صاديا يستغيث غير مغاث
ولقد كان عصرة المنجود (1)

— ولقد يأتي المثل استطرادا من التفسير المعجمي للمفردات كأن
يقول : « يقال للعسل الشديد البياض » (الضَّرَب °) قال الشاعر :

وما ضَرَبَ في رأس صعب ممنع
بتيهاء يستنزل العفر نيقها
بأطيب من فيها لمن ذاق طعمه
وقد جف بعد النوم للنوم ريقها

ويقال للرجل السيء المرأة ، الكريم الخبر « ضربة بياء في ظرف
سوء » • (2)

— أو يأتي بعبارات تستعملها العرب فيفسرها ، يقول : يقال « انها
لسماء جدا » وهي السماء العامة التي لا يأتي احد من وجه الا خبر بأنها
أصابتها • ويقال « ان خير فلان لجدا » قال الشاعر :

هو الغيث جدا لا فتق فيه
اذا أكل العوارق كل مال

(1) المصدر السابق 80 — 81

(2) المصدر 64

يقول : اذا عرقت السنون الناس كما يعرق العظم فيؤخذ كل ما عليه
من اللحم ، قال : جدا لا فتق فيه • (1)

— أو يأتي ببعض خصائص العريية كالاضداد ، من ذلك قوله :
« تقول العرب : « كريت ليلتى هذه كلها » فمنهم من يجعلها : نمت
كلها ، ومنهم من يجعلها سهرا ، وتقول : أصابنى الكرى ، وأما الذين
جعلوها نوما فمنهم الذى قال :
ظلت على فراشها تَكَرَّرَى

يقول نائمة • وأما الذى جعله سهرا فالذى وصف ناقته بأنها تطيل
العشاء ، وهو مما توصف به الناقة ان تكون طويلة العشاء مصباح
البكر تصبح فى مبركها وقال :
به كل مكرء العشاء مذللة
على الليل تأتي الصمد من كل جانب
وقال الحطيئة يصف ناقته :

*** **

*** معشاء الى السحر (2)

فأما بيت أبى نقيس من ولد يعلى بن منبه فانهم يختلفون فيه :
طال السفر عليهم
فكروا وملوا المركبا

(1) نفس المصدر 61

(2) تمام البيت كما اورده المحقق نقلا من الديوان :

قد يملأ الجفنة الشيزى فيترعها

من ذات خيفين معشاء الى السحر

يقول : ناموا ، ولو قال : سهروا لجاز * (1)

— او يأتى بعبارات الاتباع فيقول : وتقول العرب « حسن بسن »
و « مليح بليح » قال الصقب بن علقمة السعدى :

كأن لم أصادف أم قىء بموقف

مليح اصيلا العشى بليح (2)

— او يأتى بمجرد اختيار لأبيات كقوله : قال الراجز :

يا هند هند " بين خلبٍ وكبد°

أسقاك عنى هزرم الرعد برد

من الثريا نوؤه غير جحد (3)

— أو يتكلم فى اللغة عفو خاطر كأن يقول : « أوشم البرق » .
يقال للعنب الاسود اذا لان وهم أن يطيب قد أوشم وذلك اذا لان بعض
الحبة وتلون ، وبعضها لم يلم ولم يسود وهو شىء واحد ، انما هو بدا
بعضه ولم يتم كله ، ولا يقولون للعنب الابيض : أوشم لأنه لا يحدث لونا
سوى لونه ولكنهم يقولون قد ارق اذا لان بعضه ، وبعضه غير لين (ا)

هذا الفيض المتنوع من اللغة جاء نتيجة لامتلاء صدور الرواة بما
جسعوا من شيوخهم ، ومن الاعراب فى البادية وغير البادية ، ووجدوها
تتزاخم الى الافواه ، والذاكرة فقيدها تحت موضوعات كما سنعرف
بذلك فى الباب القادم — أو تغلبهم الرغبة فى النفع بها حين لا تجد تبويبا

(1) الامثال لابی فيد 58 — 59

(2) المصدر 76

(3) المصدر 77

تندرج تحته ، فتأتى فى المجالس ، والاملاء ولو لم تخصص لها هذه المجالس ولا تلك الكتب وانما تأتى غفو البديهة - اما اطلاق اسم الامثال على هذا الكتاب وفيه ما ترى من النوادر والغريب ، واختيارات الرجز والقصيد ، وخصائص العريية من اضداد واتباع السى غير ذلك فهو من قبيل اطلاق اسم البعض على الكل وهى تسمية صحيحة فجعل الكتاب فى الامثال .

الامثال — عند ابى عبيد القاسم بن سلام 223 هـ

ابو عبيد — كما يحكى المرزبانى ، ممن جمع صنوفا من العلم
وصنف الكتب فى كل فن من العلوم والادب روى عن ابى زيد
الانصارى . وعن ابى عبيدة ، والاصفى ، واليزيدى من البصريين —
وروى عن ابن الاعرابى ، وابى زياد الكلابى ، والاموى ، وابى عمرو
الشيبانى . والكسائى ، والاحمر ، والقراء . وأشهر كتبه : الغريب
المصنف فى اللغة . وغريب الحديث ، وله كتاب فى معانى الشعر ، وكتاب
فى الامثال .

ويقول القفطى عن كتاب الامثال : « وقد سبقه الى ذلك جميع
البصريين والكوفيين الا انه جمع رواياتهم فى كتاب ، وبوبه
ابوابا ، وأحسن تأليفه » . (1)

ولم يقع الى كتابه فى الامثال كاملا ، وفى يدى جزء منه يشير الى
تقاسيم الكتاب وقد جعل فى :

—————

- التقسيم السادس : ذكر الامثال فى مكارم الاخلاق
- التقسيم السابع : ذكر الامثال فى المنجد والجود
- التقسيم الثامن : ذكر الامثال فى الاخاء
- التقسيم التاسع : ذكر الامثال فى الاموال والمعاش
- التقسيم العاشر : ذكر الامثال فى العلم والمعرفة
- التقسيم الحادى عشر : ذكر الامثال فى اهل الالباب والحزم
- التقسيم الثانى عشر : ذكر الامثال فى الحوائج وصنوف مطالبها

(1) انباء الرواة 3 : 11

التقسيم الثالث عشر : ذكر الامثال فى الظلم وانواعه
التقسيم الرابع عشر : ذكر الامثال فى المعاييب والذم
التقسيم الخامس عشر : ذكر الامثال فى الخطأ والزلل فى الامور
التقسيم السادس عشر : ذكر الامثال فى البخل
التقسيم السابع عشر : ذكر الامثال فى العجب
التقسيم الثامن عشر : ذكر الامثال فى مرازى الدهر وحدثاته
التقسيم التاسع عشر : ذكر الامثال فى الجنايات
التقسيم الاخير : *****

وكان يلتزم فى كل تقسيم بتبويب داخلى يسهل معه البحث فكان من
التقسيم الثامن : امثال للمتصافين اللذين لا يفترقان ، وفى عناية الاخ
بأخيه واشاره اياه على نفسه الى غير ذلك . حتى بلغت التقاسيم الداخلية
فى الباب الثامن ثلاثة عشر . بدأ اولها بالمثل « هما كندمانى جذيمة »
فأسنده الى ابن الكلبي وغيره من العلماء الذين روى عنهم قصة المثل (1)
وأشار الى مجيئه فى شعر متمم بن نويرة اليربوعى يحكى عن نفسه واخيه
مالك بن نويرة :

وكنا كندمانى جذيمة حقة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كانى ومالكا
لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

(1) فى قصة المثل ان جذيمة الابرش الملك قد فقد ابن اخته عمرو بن
عدى ، ثم ان رجلين من بلقين (بنى القين) يقال لاحدهما مالك
والاخر عقيل وجداه . فقدموا به على جذيمة فمظم موقعه منه وقال
سلاني ما شئتما فسألاه ان يكونا نديميه ما عاش وعاشا فأجابهما
الى ذلك .

كما تمثل به عمر بن الخطاب فى نفسه واخيه زيد ، وذكرهما ابو خراش الهذلى فقال :

ألم تعلمى أن قد تفرق قبلنا
ندىما صفاء مالك ، وعقيل

والناظر فى كتاب ابى عبيد يلح فيه طبيعته اللغوية فيقول فى الباب الذى عقده فى عناية الاخ بأخيه واثيره اياه على نفسه : « ومن الاثار قول الشاعر يخاطب امرأته وهو ابو خراش :

أرد شجاع الجوع قد نعلمينه
وأوثر غيرى من عيالك بالطعم

شجاع الجوع : شديده من الشجاعة وهى شدة القلب ، يقال : شجاع ، وشجيع ، واشجع ، وشجع من قوم شجعمان وشجعة (بكسر التين) وشجعة (بضم الشين) • والمرأة شجاعة ، وشجيعة ، وشجعى ، وشجعة » •

وهو يروى غريب الامثال ، ويروى تأويله أيضا عن أبى زيد ، وسلمة ، والرواية عن البصريين والكوفيين دون تحيز لبلد منهما طبيعة فى ابى عبيد وفضيلة فيه فعن ابى زيد البصرى يروى فى سرعة اتفاق الاخوين قولهم : كانت لقوة فصادفت قبيسا ... وقال سلمة (الكوفى) وهى عندنا لكقوة ، مفتوحة ، وفنرها ابو عبيد فقال : اللقوة : السريعة الحمل ، والقبيس : الفحل السريع الالتاح •

والتقسيم السابع عشر جعله فى الجبن وأنواعه - فى سبعة ابواب - كان الباب الاول فى ذكر المثل فى الجبان وما يذم من اخلاقه فروى عن

هشام بن الكلبي قولهم : ان الجبان حثفه من فوقه ، فحكى عنه وعن
المفضل ان ذلك جاء في شعر عمرو بن امامة :
لقد وجدت الموت قبل ذوقه
ان الجبان حثفه من فوقه

قال ابو عبيد : أحسبه اراد ان حذره وجنبه ليس بدافع عنه المنية اذا
نزل به قدر الله ، وأورد ما يشابه ذلك فقال ، وهذا شبيه المعنى بالذي يحدث
به عن خالد بن الوليد فانه قال عند موته : لقد لقيت كذا وكذا زحفا ، وما
في جسدی موضع شبر الا فيه ضربة او طعنة او رمية ثم هأنذا اموت
حتف اتقى كما يموت العنز ويروى كما يموت البعير ، فلا نامت اعين
الجبنة - يقول ابو عبيد فما لهم يجبنون عن القتال ولم امت انا به انما
اموت بأجلی ، ومنه الشعر الذي تمثل به سعد بن معاذ يوم الخندق :

لبث قليلا يلحق الهيجا جمل
ما أحسن الموت اذا حان الاجل

ثم اورد ابو عبيد ما يشاكل ذلك من امثال ، وفسرها وأتبعها
بقصصها .

كتاب الفاخر - للمفضل بن سلمة

هو المفضل بن سلمة بن عاصم المتوفى سنة ٢٩١ ، تلمذ لوالده ،
ولابن السكيت ، ولأحمد بن يحيى ثعلب ، وهؤلاء الثلاثة من أعلام
الكوفيين .

وكتاب الفاخر — قد يتبادر الى ذهن القارئ ، أو لمن اطلع عليه في
عجلة أنه كتاب فى الامثال ، لا سيما وقد اعتمد عليه الميدانى حين أعد
كتابه (مجمع الامثال) .

والحقيقة انه كتاب لغة ، على نمط لم يسبق اليه — على قدر علمى —
بل دعت اليه ضرورة ظهرت لتوها فى عصر المفضل بن سلمة حين لاحظ
جمهرة المتعلمين فى المجتمع البغدادى لا يدرون معنى ما يتكلمون به مما
يجرى على السنتهم فى أمثالهم ومحاوراتهم ، والباحث عن مصادر اللغة
يستطيع ان يجد فى كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة وعاء يحمل تراكيب
وعبارات كانت تستعملها العرب فى مناسبات او ظروف خاصة لتعطى
دلالات خاصة ، قد تفهم بدلالة مفرداتها وقد لا تفهم ، ومثل هذه العبارات
يسكن ان تعيش ، ويستند بها الاجل ، وتعطى ثمارها من التبادل اللغوى فى
بيئة علمية كبغداد ، وكان من المستغرب ان يلحظ المفضل بن سلمة ان
المجتمع البغدادى بدأ يفقد سلطانه على اسرار العربية ، وتمر امامه
العبارات فلا يفهمها على ما وضعت وتواضعوا عليه ، ويضطر ان يجمع من
ذلك ما شاء له ان يجمع ، وأن يجلى غامضها ، وأن يبين الوجه العربى
فيها .

ولقد صادف المفضل فى هذا المسلك بعض المعاناة حين أخذ يبحث
عن دلالة العبارات فلا يجد اجماعاً من جمهرة الباحثين فى اللغة وكان

عليه ان يذكر وجوه الاختلاف كما يبدو من كلامه فى المقدمة :

هذا كتاب معانى ما يجرى على السن العامة فى امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون به من ذلك ، فينباه من وجوهه على اختلاف العلماء فى تفسيره ، ليكون من نظر فى هذا الكتاب عالما بما يجرى من لفظه ويدور فى كلامه •

والكتاب ليس كتاب أمثال وان كان فيه منها وما يجرى مجراها ، وكان فى النية ان اعرف به على انه مصدر من مصادر العربية ، فقد عنيت كتب الالفاظ بالالفاظ ، وجاء الشعر بالمفردات والتراكيب ، وحاولت المعاجم التعريف بالكلمات على جهة الاستقصاء ، وجمع الرواة من أحاديث الاعراب ما جمعوا ، وخلص الى الامثال بعض العلماء ييغون جمعها والتعريف بها ، وبقيت التراكيب التى لا تقع تحت قسم من هذه التقاسيم الى ان جمع المفضل بن سلمة منها ما استطاع • ولكى اقرب على القارىء فسأذكر له بعض ما يعرفه هو من هذه التراكيب ، اما ما لا يعرفه فلا بد له من عودة الى كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة •

— قولهم : بالرفاء والبنين

هذا مثل لما يجرى على السنتنا نحن ، وربما نستعمله فى اليوم الواحد أكثر من مرة مشافهة وكتابة ، ونبرق به الى اصديقائنا ، ونعرف من دلالاته انه تبريك للزوجين ودعاء لهما ان ينجبا البنين فما الرفاء اذن ؟

يقول المفضل : يقال ذلك عند التزويج • والرفاء : الاتفاق والالتئام ، وهو مأخوذ من رفأت الثوب ارفؤه اذا لأمت بينه وضممت بعضه الى بعض وقال ابن هرمة :

بَدَلْتُ من جِدَّةٍ الشَّيْبَةَ والـ
أَبْدَلْتُ ثوبُ المشيبِ اردؤها
مِثْلَةَ غيرِ جَدٍّ واسعةٍ
أَخِيطُهَا تَارَةً وارفؤها
وقال الاصمعي : يكون الرفاء من الهدوء والسكون من قولهم
رفوت الرجل اذا سكنته ، وأنشد لأبي خراش :

رفونى ، وقالوا يا خويلد لا ترع
فقلت وانكرت الوجوه هم هم

يريد : سكنونى

وقال أبو زيد : الرفاء : الموافقة ، وهى المرافاة بلا همز وأنشد :

ولما أن رأيت أبا رويم
يرافينى ويكره ان يلاما

وقال اليمامى : الرفاء : المال • (1)

وانت تسمع فى كل ساعة قولهم : وقع فى ورطة •

والكلمة عربية صحيحة ، ونقلتها الألسن والكتب إلينا ، ونقلناها
نحن بدورنا الى الآخرين نصيب مدلولها فى كثير من الاحيان على أنه
مأزق او موقف حرج • والامر كذلك حقيقة ولكن ما الورطة ؟ يحدثنا
المفضل بن سلمة فيقول :

قال ابو عمرو وغيره : هى الهلكة وأنشد :

ان تأت يوما مثل هذى الخطة

تلاق من ضرب نمير ورطة

(1) الفاخر 13 ط القاهرة 1380 — 1960 تحقيق عبد الحليم الطحاوى
ومراجعة محمد على النجار

وقال بعضهم : الورطة : الوحل والردغة يقع فيها الغنم ولا تقدر على التخلص . يقال : تورطت الغنم اذا وقعت فى الورطة ثم ضرب مثلاً لكل شدة وقع فيها الانسان .

وقال الأصمعى : الورطة أهوية منصوبة تكون فى الجبل يشق على من وقع فيها الخروج منها ، وأنشد لطفيل يصف ابلاً :

تهاب الطريق السهل تحسب انه

وعور وراط وهو يبداء بلقع (1)

ومن الفروق الدقيقة اسماء الاطعمة بحسب مناسباتها وان كانت تجمعها كلمة وليمة اما بسبب المساهلة ، او لعدم المعرفة بالاسماء الصحيحة فذكر المفضل الوجه الصحيح فى استعمال العبارة : اولم فلان ، وكنا فى وليمة فقال :

قال الفراء : الوليمة : طعام الاملاك ، وأما طعام الزفاف فانه العرس ، وطعام الولادة : الخرس ، وطعام حلق الرأس : العقيقة ، وطعام الختان : العذيرة ، وطعام بناء الدار : الوكيرة ، وطعام القادم من سفر : النقيعة ، والدعوة التى يتخذها الانسان لأصحابه : المأدبة ، وأنشد :

كل الطعام تشتهى ربيعة

الخرس ، والاعذار ، والنقيعة

وأنشد لمهلل :

انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم

ضرب القدار نقيعة القدام

القدار : الجزار ، النقيعة : الناقة التى ينحرها القادم للطعام يتخذه .
والقدام : جبع قادم . وقال دكين :

تجمع الناس وقالوا عرس
اذا قصاع كالأكف ملس
ففقئت عين ، وفاظت نفس

قال : وأنشدنا أبى فى المأدبة :

قالوا : ثلاثاؤه خصب ومأدبة
وكل أيامه يوم الثلاثاء
وقال الهذلى يصف عقابا :

كأن قلوب الطير فى جوف وكرها
نوى القسب يلقي عند بعض المآدب

وأعود فكرر عليك ، واشد انتباهك ان كتاب الفاخر ليس كتاب
امثال وان كان فيه منها كثير ، وان اعتمد عليه جل من كتب فى الامثال ،
ولقد اخترت ان اعرف به وانا اعرف بالامثال من طريق المشكلة او اطلاق
اسم البعض على الكل ، ولذلك حرصت على ان اتخير بعض مواده . والتي
تقنعك بأنها تراكيب لغوية قد يصل بها الامر ان تكون من كلمة واحدة
ظهرت فى المجتمع البغدادى فادرك دلالتها دون ان يدرك الاصل فيه ، من
ذاك قواهم :

الطفيل :

هذه لفظة واحدة لا تقيم مثلا من الامثال . ولكنها توحى بصفة
نطلقها كثيرا على من يقتحم مجلسا أو دارا . أو مأدبة لم يدع اليها ،

وهكذا فهمها اكثر الناس دون رغبة فى فهم أصلها أو فهم المزيد عما القوم
يقول المفضل : قال الاصمعى : هو الذى يدخل على القوم من غير أن
يدعوه ، وهو مأخوذ من الطثقل ، وهو اقبال الليل على النهار بظلمة
وقال ابو عمرو : الطثقل : الظلمة بعينها وأنشد لابن هرمة :

سمعت فيها عفيف الجن ساكنها

وقد علانى من لون الدجى طثقل

فيعنى بذلك انه يظلم على القوم امره فلا يدرون من دعاء ، و
كيف دخل عليهم .

وقال ابو عبيدة وغيره : الطفيلى : منسوب الى طفيل بن زلال
رجل من أهل مكة (1) من بنى عبد الله بن غطفان كان يأتى الولاثم
غير أن يدعى اليها ، وكان يقال له طفيل الاعراس والعرائس ، وكان يقول
وذدت أن الكوفة بركة مصهرجة فلا يخفى على منها شيء ، وكان هو أو
من فعل ذلك ، فأما العرب فانها تسمى الذى يجىء الى الطعام لم يدع
« الوارش » وقال الراجز :

ولا تزال وُرش " تأتينا

مهركلات ومهركلينا

فاذا كان يفعل ذلك على الشراب فهو الواغل وقال امرؤ القيس :

فاليوم فاشرب غير مستحقب

اثما من الله ولا واغل

قال ابو عمرو : يقال لذلك الشراب : الواغل وأنشد لعمر بن قيس

ان أك سكيما فلا أشرب ال

وغل ، ولا يسلم منى البعير

(1) فى اللسان : من اهل الكون

وقال ابن الاعرابى : يقال للطفيلى : الاعمضى ، والجمع : اللعامة
وأنشد :

لعامة بين العصا ولحائها

ادقاء نبالون من سقط السفر (1)

وسأكتفى بمثل هذه المواد التى نقلتها كاملة أو كالكاملة للتعريف
بجوهر الكتاب ، وبين سطوره من العزبية ما يجعل بك أن تنظر فيه
وتتعرف اليه . سأخذك معى لنمر سراجا بين صفحات الكتاب .

— قولهم : فلان ظريف

الاصعى وابن الاعرابى يقولان : لا يكون الظرف الا فى اللسان
ومن ذلك حديث عذر بن الخطاب : اذا كان اللص ظريفا لم يقطع . اراد
انه يكون له لسان يحتج فيدفع عن نفسه ، وقال غيرهما : الظرف حسن
الوجه والهيئة . (2)

— قولهم : هو يتحداه

اى يبادره ، والتحدى المبادرة (3)

— اقاموا على فلان ماتما

اصل المأثم مجتمع النساء والرجال على كل حزن أو فرح ثم كثر حتى
صبروه فى الموت خاصة . (4)

— دخل فى غمار الناس

وهذه عبارة غير صحيحة ولكنها سارت فى الناس على هذا الخطأ ،

(2) الفاخر 133

(4) الفاخر 144

(1) الفاخر 76 — 77

(3) الفاخر 136

والعرب تقول : دخل فى خمار الناس أى فىا يواريه ويستتره منهم حتى لا يبين وهو مأخوذ من خسر الوادى ، وخسره ما وارى من جرف او شجر او غيره • (1)

— دمدم عليه

وأصل الدمدة الغضب • (2)

— هلم جرا

اى تعالوا على هيئتكم كما يسهل عليكم من غير شدة وصعوبة • وأصل ذلك من الجر فى السوق وهو ان تترك الابل والغنم ترعى فى مسيرها ، وقال الراجز :

لطالما جررتكن جرا
حتى نوى الاعجف واسترا
فاليوم لا آلو الركاب شرا (3)

— لعنه الله

قال الاصمعى : معناه باعده الله ، واللعن : البعد وأنشد للشماخ :
ذعرت به القطا وثقت عنه

مقام الذئب كالرجل اللعين

اى المباحذ ، وقال غير الاصمعى اللعن : الطرد ، ومعنى كالرجل اللعين كالرجل المطرود ، والمعنيان متقاربان • (4)

وهكذا تجد فى كتاب الفاخر معجما على نمط معين : مجمعا للامثال ، ومعلبا للعبارات والمفردات التى تجرى على اللسنة ، يذكر بها ، ويصحح معناها ويورد أصلها •

(2) الفاخر 267

(4) الفاخر 8

(1) الفاخر 246

(3) الفاخر 32 — 33

الامثال في كتاب العقد الفريد - لابن عبد ربه

ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي ، ولد ونشأ وتعلم في قرطبة وتلمذ لعلمائها من امثال : الخشنى ، وابن وضاح ، وبقى بن مخلد واتصل بأدب المشاركة عن طريق ابى على القالى ومؤلفاته فظهر أدب المشرق فى أدب ابن عبد ربه . والحقيقة ان العلم كله كان يرد من المشرق وكان لاساتذة ابن عبد ربه رحلات الى المشرق فى طلب العلم وتحصيله .

صانع فى الشعر والموسيقى والطرف وكل ما يصلح للمنادمة ومجالسة الأمراء ، وظل طول حياته يتصل بهم وينادهم ، صحب الامير عبد الله امير قرطبة ومدحه وظل معه قرابة ربع قرن فلما مات انصل من بعده بالخليفة عبد الرحمن الناصر .

وكتاب العقد ، كتاب مختارات متنوعة فيه : اللغة ، والادب ، والاخبار . والسير ، والامثال الى غير ذلك . جعله صاحبه كالعقد ، وجعل ابوابه من خمس وعشرين حبة كريمة ، فى كل ناحية اثنتا عشرة حبة ، وواحدة فى الوسط فكان الباب الاول عنده كتاب اللؤلؤة فى السلطان ، والثانى كتاب الفريدة فى الحروب ، والثالث كتاب الزبرجدة فى الاجواد والاصفاد الى غير ذلك ، وفى الناحية الاخرى امثال هذه الحبات فهى اللؤلؤة الثانية فى الفكاهات والملح ، والفريدة الثانية فى الطعام والشراب ... وهكذا .

عقد الجوهرة الاولى فى « الامثال » وقدم لهذا الكتاب بقوله :

(قد مضى قولنا فى العلم والادب وما يتولد منهما وينسب اليهما من الحكم النادرة والفظن البارة ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى الامثال التى هى وشى الكلام وجوهر اللفظ وحلى المعانى والتى تخيرتها

العرب وقدمتها العجم ، ونطق بها فى كل زمان ، وعلى كل لسان فهمى ابقى
من الشعر ، وأشرف من الخطابة ، لم يسر شىء مسيرها . ولا عم عيومتها
حتى قيل : أسير من مثل وقال الشاعر :
ما أنت الا مثل سائر
يعرفه الجاهل والخاير

ثم قال : وقد ضرب الله عز وجل الامثال فى كتابه . وضربها رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى كلامه . . . فأول ما نبدا به أمثال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، ثم امثال العلماء ، ثم امثال اكثم بن صيفى وبزر
جمهر الفارسي وهى التى كان يستعملها جعفر بن يحيى فى كلامه ثم امثال
العرب التى رواها ابو عبيد وما أشبهها من امثال العامة ثم الامثال التى
استعملها الشعراء فى اشعارهم فى الجاهلية والاسلام) • (1)

ونلمح فى هذه المقدمة دور الامثال عامة ، ويهمنى فى المرتبة الاولى
هذه الامثال التى صدرت عن العرب اذ المقصد من المقال هو البحث عن
مصادر العربية وترى ابن عبد ربه يخص ابا عبيد القاسم بن سلام - ولم
يذكر المفضل الضبى مع سبته مما أثار رغبتي فى رؤية كتاب ابي عبيد ولم
يقع الى الا وريقات منه لا تكفى للتعريف به .

ولأول مرة - اذا لم يكن ابو عبيد قد نهج نفس السبيل - نجد
تقسима يشير الى امثال وردت فى القرآن الكريم ، ثم يذكر بعدها من
أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما بدا له امثالا أو كالامثال ، ثم
أمثال العلماء الى آخر النهج الذى رآه ابن عبد ربه وهذا ضرب من التنظيم
يعتبر تطورا اذا وضعناه الى جانب كتاب المفضل الضبى من ناحية الشكل
فهل كان له وجه أيضا فى الاختيار ؟

(1) العقد الفريد 3 : 63 ، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر .

كان عجلاً وهو يورد أمثالا جاءت في القرآن والسنة ولو انه اراد استيفاء ذلك أو الاكثار منه لوجد معينا يسده بالمدد الواسع ، لا يبعد عن علمه ، ولكنها طبيعة الرجل غير المتفرغ ، والذي يأخذ من دل فن بطرف ، فهو يأخذ مكانه في مجلس السلطان ، وعليه الا يطيل الا بما يحتمله المقام ويتسع له صدر صاحب المجلس . والقاء القرآن والسنة وظيفة رجل آخر لم تكن من تكوين ابن عبد ربه الذي كان يعرف الموسيقى ويشير الى مواقع الجمال فيها ، ويرى للخبر الذي يؤتى به على حالة خاصة فتوى أو تصريحاً يسمح بشربها . وكانت حجته بعد أن ذكر جانباً يسيراً من الامثال التي جاءت في احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : (وله صلى الله عليه وسلم وعلى آله أمثال كثيرة غير هذه ، ولكننا لم نذهب في كل باب الى استقصائه ، وانما ذهبنا الى ان نكتفي ببعض ونستدل بالقليل على الكثير ليكون أسهل مأخذاً للاحفظ وأزراً من الملالة والهرب) .

وفى الفقرة الثالثة من ترتيبه أمثال روتها العلماء - اختيارات - صيغ بعضها في قصة فحسن رونقها وأعان على بيان الوجه العربي : طبيعة ، ولغة ، وذوقاً وحسبك ان تقرأ في هذا ما قاله النعمان بن بشير على منبر الكوفة ، وعبد الله بن الزبير لأهل العراق .

والجزء الذي همت أن أتركه لبعده عن منهجنا « مصادر العربية » وهو امثال بزر جسر وجدته ومعه أمثال أكثم بن صيفى - الحكيم العربى - وأمثال الرجلين يجريان على العربية الفصحى لا اثر للفارسية فيها . وهذا الجزء بصفته العربية ما يحسن الاشارة اليه في هذا التعريف واكثر هذا النوع موجز معبر كثير التداول ومنه : العقل بالتجارب - القريب من قرب نفعه - فى كل خبرة عبرة - من مأمنه يؤتى الحذر - لا يعدو المرء رزقه وان حرص - اذا نزل القدر عمى البصر - القناعة مال لا ينفد - لن تعدم الحسناء ذاماً - اخر الشر فاذا شئت تعجلته - رب

كلام اقطع من حسام — البطنة تذهب الفطنة — النساء جبانن الشيطان
— الشقى شقى فى بطن امه — كثرة الصياح من الفشل — مقتل الرجل
بين فكيه — ليس من العدل سرعة العذل * (1)

وحيث أفرد الجوهرة الاولى فى كتابه العقد الفريد للأمثال ، لم يكن
بحاجة الى ما يقترن بها من قصص أو أدب ، ولذلك تناول كتاب ابى عبيد
فاستل امثاله وترك بقيته ونص على ذلك فقال : (ومن أمثال العرب مما
روى ابو عبيد ، جردناها من الآداب التى ادخلها فيها ابو عبيد اذ كنا قد
افردنا للادب والمواظ كتبنا غير هذا ، وضممنا الى امثلة العرب القديمة ما
جرى على ألسنة العامة من الامثال المستعملة وفسرنا من ذلك ما احتاج
الى التفسير) *

وبعض هذه الأمثلة نسب الى أصحابه فيقول فى حفظ اللسان :

لعمر بن عبد العزيز : التقى ملجم

لابى بكر الصديق : ان البلاء موكل بالمنطق

لابن مسعود : ما شئ أولى بطول سجن من لسان* الى غير ذلك (2)
ولكنه لم يسر على هذا النهج طويلا فلم يعن بتدوين النسبة الا لمشاهير
الناس ، واكتفى فى بقية الامثال بكلمة : وقالوا — أو — وقال بعضهم ..

والعبارات التى كالأمثال وليست فى الحقيقة كذلك تجرى على
طريقة المفضل بن سلمة كقولهم فى الدعاء بالخير :

(1) العقد 3 : 76 — 80

(2) العقد 3 : 81

خير مارءدّ فى أهل ومال

بلغ الله بك اكلا العمر

نعم عوفك — اى نعم بالك (1)

ومن تعبيرهم عن اللقاء وأوقاته :

— لقيت فلانا أول عين ، يعنى أول شىء ، وقال ابو زيد : لقيته أول عائنة ، ولقيته أول وهلة ، ولقيته أول ذات يدين ، ولقيته أول صوك وأول بوك (أى أول شىء وأول مرة) فان لقيته فجأة من غير أن تريده قلت لقيته نقابا ، ولقيته التقاطا اذا لقيته من غير طلب ، وقال الراجز :

ومنهل وردته التقاطا

وان لقيته مواجهة قلت : لقيته صفاحا ، ولقيته كفاحا (صفاحا اى بصفح وجهه) والمكافحة : (مصادفة الوجه للوجه) ولقيته كفة كفة ... فان لقيته فى اليومين والثلاثة قلت لقيته فى الفوط ولا يكون الفوط فى أكثر من خمس عشرة ليلة ، فان لقيته بعد شهر ونحوه قلت : لقيته من غفر . فان لقيته بعد الحول ونحوه قلت : لقيته عن هجر ، فان لقيته بعد اعوام قلت : لقيته ذات العويم . فان لقيته فى الزمان قلت : لقيته ذات الزمين *

والغب فى الزيارة هو الابطاء فيها ، والاعتبار فى الزيارة هو

التردد فيها * (2)

وجعل آخر الكتاب ابياتا مختارة من الشعر تستعمل أمثالا * وابن عبد ربه شاعر . ولذلك انتهز المناسبة فجعل لنفسه مكانا فى الكتاب فقال : ومن قولنا الذى هو أمثال سائرة :

(1) العقد 3 : 87

(2) العقد 3 : 134 وما بعدها .

قالوا : شبابك قد ولى فقلت لهم
هل من جديد على كر الجديدين
صل من هويت وان ابدى معاتبة
فأطيب العيش وصل بين الفين
واقطع جبال حل لا تلائمه
فربما ضاقت الدنيا على اثنين
الى غير ذلك • مما عمله هو (1)

(1) العقد 3 : 138 وما بعدها

جوهرة الامثال - لابی هلال العسكري 395 هـ

ابو هلال - الحسن بن عبد الله بن سهل صاحب كتاب الصنائع ، وديوان المعاني ، وشرح الفصيح ، نشأ وتعلم فى عسكر مكرم ، ذكرت له كتب الطبقات نحو من عشرين كتابا منها كتاب جوهرة الامثال الذى نعرف به الآن . وعما قليل نعرف بكتاب آخر هو « المعجم فى بقية الاشياء » .

اتجاه ابى هلال الى امثال العرب ، وعنايته بها آت من اقتناعه بأن هذا النوع من الدراسة جزء من عدة الاديب واللغوى وهو يذكر ذلك فى مقدمة كتابه فيقول « ثم انى رأيت حاجة الشريف السى شىء من أدب اللسان بعد سلامته من اللحن كحاجته الى الشاهد والمثل ، والشذرة والكلمة السائرة فان ذلك يزيد المنطق تفخيما ويكسبه قبولا ويجعل له قدرا فى النفوس وحلاوة فى الصدور ويدعو القلوب الى وعيه ... ومن عجائبها انها مع ايجازها تعمل عمل الاطناب . ولها روعة اذا برزت فى اثناء الخطاب . والحفظ موكل بما راع من اللفظ وندر من المعنى » .

وهو يرى تمام هذا الوجه بسرعة اصوله ، والسبب فى المثل ابتداء فيقول « ولما رأيت الحاجة اليها هذه الحاجة عزمت على تقريب سيلها وتلخيص مشكلها وذكر اصولها وأخبارها ليفهمها الغبى فضلا عن اللقین الذكى ، فعلت كتابى هذا مشتتلا منها على ما لم يشتمل عليه كتاب اعرفه وضمنته اياها ملخصة لا يشينها الاهذار ولا يزرى بها الاكثار » .

قسم ابو هلال ابواب الكتاب على حروف المعجم ، وقدم للبواب بسجمل لمحتوياته ، فاذا انتهى منه فهرس للامثال المضروبة فى التناهى والمبالغة لحيزة بن الحسن الاصفهانى فاذا فرغ من ذلك اعادها مفسرة ، مبينا بها اصلها وخبرها وهو طویل النفس واسع الاستطراد : يأتى بما يرادف المثل أحيانا ففى قولهم : « أفرط فأستط » قال : هو مثل قول

النبي صلى الله عليه وسلم « من كثر كلامه كثر سقطه » (1) أو يروى من الملح ما يخفف به سأم القارئ كما جاء فى شرح المثل الرابع « أول المعنى الاحتلاط » .

وفى أحيان تدفعه طبيعته اللغوية الى الاستطراد اللغوى الواسع اذا جاءت مناسبة ، فقد ذكر قولهم :

« ابن الايام ، وما يجرى فى بابه »

قال : يقال للرجل الجلد المجرب : ابن الايام ، وابن الملمة ، وهو الذى يقوم بها ، وابن جلا ، وابن أجلى ، الى آخر ما ذكر من ابناء ، يفسرها ويحتاج لها حتى كاد يعمل منها معجما ؛ فلما فرغ من الابناء ذكر البنات فكان منها : بنت الارض وهى بقلعة من الرمث ، وبنت الجبل للصدى وهو الصوت الذى يرجع اليك من الجبل وانت على معنى الصيحة ، وبنت الشفة للكلمة الى آخر ما ذكر مفردا وجمعا ثم ذكر البنين جمعا مذكرا ، ثم عاد للابناء مفردا ثم للآباء فكان منها :

ابو الحارث للاسد ، وأبو جمعة للذئب ، وأبو الحصين للشعلب ، وما جاء من ذلك كناية عن المعانى فكان منه ابو زيد للكبر ، قال الشاعر :

اما ترى° شِكَّتْ رَمِيحَ أبى

زيد فقد أحمل السلاح معا

وأبو مالك وأبو عمرة : الجوع ، ويقال فى المثل (أبى ابو عمرة الا ما أتاه) يقوله الرجل قد سلم للدهر وقال الشاعر :

ان ابا عمرة حل حجرتى

وصار بيت العنكبوت بُرْمَتى

(1) جمهرة الامثال 1 : 19 لابی هلال العسكري بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش ط القاهرة 1384 هـ - 1964 م

ثم ذكر الامهات فكان منها : ام حلس كنية الاتان وام الهنبر ايضا ،
والهنبر الجحش وعند فزارة ان ام الهنبر الضبع ، وأم حنين فيما
بقوله المنتجع بن نبهان هي الخمر فاذا كان لونها اسود فهي ام ليلي ذكر
ذلك ابو حنيفة الدينوري (1) .

وفي قولهم : برح الخفاء .

معناه : زال السر وانكشف السر وهو من قولهم : برح الرجل من
مكانه اذا زال عنه وقال ثعلب : معناه صار في براح من الارض وهو ما
ظهر منها فأما قولهم : ما برح فلان يفعل كذا فمعناه ما زال يفعله . وفي
القرآن (لا أبرح حتى ابلغ مجمع البحرين) اي لا أزال اسير حتى ابلغه ،
وأبرح الرجل اذا جاء بالبرحاء وهو الامر الجسيم قال الشاعر :

أبرحت ربا ، وأبرحت جارا

وبرح به الامر اذا صعب عليه واشتد ، وتباريح الشوق شدته (2)

وكان يميل الى بيان اختلاف الرواة في الكلمة اذا كان الخلف ففى
قولهم : « اذا عز اخوك فهن » قال : هن من قولهم : « فلان هيّن ليّن »
اذا كان سهلا منقادا ، وليس من الهوان . ورجل هين لين ، وهيّن ليّن
لغتان قال الشاعر :

هيّنون ليّنون ايسار ذوو يسر
ارباب مكرمة ابناء ايسار

وقال الزجاج : قوله (فهن) بضم الهاء خطأ انما (فهن) بكسر
الهاء قال و (هن) بالضم من الهوان وليس له هاهنا موضع وليس كما

(1) راجع المثل رقم 21 فهو غنى في مادته

(2) جمهرة الامثال 1 : 205 - - 206

قال انما هو من الهون بفتح الهاء وسكون الواو وهو الرفق واللين ، وفى القرآن (على الارض هونا) (1) .

وحظ الكتاب من اللغة عظيم ، وحظ الكتاب من الادب كحظه من اللغة وفيه أخبار وقصص وتاريخ وهو بهذا أوسع كتب الامثال استطرادا .

ولحمزة بن الحسن الاصفهاني ٣٦٠ هـ كتاب الدرّة الفاخرة فى الامثال التى على وزن أفعل ، وقد وضعه ابو هلال او جزءا منه فى كتاب الجمهرة ، وأشار الى ذلك فى مقدمته بقوله : « وميزت ما أورد حمزة الاصفهاني من الامثال المضروبة فى التناهى والمبالغة وهى الامثال على (افعل من كذا) فأوردت منها ما كان كان عربيا صحيحا وثقيت الموالد السقيم » .

(1) المثل رقم 41 ص 65 — 66

مجمع الامثال - للميداني 518 هـ

الميداني ، هو ابو الفضل احمد بن محمد النيسابوري - نسبة الى ميدان بجوار نيسابور ، من علماء اللغة والتفسير تلمذ لابى الحسن الواحدى المفسر . من كتبه جامع الامثال ، والسامى فى الاسامى ، والاموذج فى النحو ، والنحو الميداني ، ونزهة الطرف فى علم الصرف ، وكتاب شرح المفضليات .

وكتابه « مجمع الامثال » من أمثل الكتب فى هذا الفن ، فهو يحاول الاخبار والاستقصاء والترتيب ، ولا ننكر مع هذا فضل المفضل الضبى حين جمع القليل من الامثال ، وأطال البحث والكلام فى اسبابها فأضاف مادة واسعة جدا - صدقت أو لم تصدق - هي الزم ما تكون لمعرفة احوال العرب قديما ، ولا يتأتى فهم المثل الا بسند من تلك المعرفة ، بكل ظروفهم الاجتماعية والميتافيزيقية ايضا كما اوردها رجل كالفضل .

ومجمع الامثال حلقة متطورة رأى مؤلفه حالة الباحث يعجله وقته ، فدله على بعيته . وقسم لذلك الكتاب الى ابواب بعدد حروف المعجم ، وأتبعه فيما جاء منه على « أفعل » من هذا الباب متأثرا فى ذلك كتاب حمزة بن الحسن الأصفهاني . ثم بأمثال المولدين .

ولا يقف فضل الميداني عند حد الترتيب والتبويب ولكنه فى الحقيقة قد جمع ما نثر فى بطون الكتب ، وأفاد من مؤلفات السابقين فكان عوننا على مغالبة الايام التى أطاحت بهذه الكتب والتى لم يبق الا بعضها فى كتاب الميداني وهو يشير الى مراجعه فيقول : « فطالعت من كتب الأئمة الاعلام ما امتد فى تقصية نفوس الايام مثل كتاب ابى عبيدة وابى عبيد . والاصمعي وابى زيد ، وابى عمرو وابى فيد ، وفطرت فيما

جمعه المفضل بن محمد بن سلمة حتى لقد تهففت أكثر من خمسين كتابا ،
ونخلت ما فيها فصلا فصلا وبابا بابا » • ووضح فى مقدمته طريق الاستناد
فقال : « فاذا قلت المفضل مطلقا فهو ابن سلمه واذا ذكرت الآخر ذكرت
اسم ابيه » يعنى الضبى ، او ابن محمد •

وفى الباب الاول قدم لما جاء منه على « أفعّل » بمقال لغوى بين فيه
الوجه اذا كان للتفضيل ، وأنه فى ذلك على ثلاثة أحوال :

- ان يكون معه « من » نحو : زيد أفضل من عمرو •
- أن تدخل عليه الالف واللام نحو : زيد الافضل •
- أن يكون مضافا نحو : زيد أفضل القوم •

فاذا كان مع « من » استوى فيه الواحد والتثنية والجمع والمذكر
والمؤنث وقد تأتى « من » مضمرة كما جاء فى قوله تعالى (هـن
أطهر لكم) أى من غيرها •

وأذا كان مع الالف واللام ثنى وجمع وأنث ، تقول : زيد الأفضل •
والزيدان الأفضلان ، والزيدون الافضلون وان شئت الأفاضل • وهند
الفضلى ، وهندان الفضليان ، والهندات الفضليات وان شئت الفضلّ قال
تعالى : (انها لأحدى الكبر) — والالف واللام تعاقبان « من » فلا يجوز
الجمع بينهما، لا يقال : زيد الافضل من عمرو •

وقال: من شرط « أفعّل » الا يضاف الا الى ما هو بعض منه كقولك:
زيد افضل الرجال ، وهند أفضل النساء ولهذا لا يجوز : زيد
افضل اخوته لأن الاضافة تخرجه من جملتهم ، ويجوز : زيد افضل
الاخوة ، والاضافة فى جميع هذا ليست بمعنى اللام ، ولا بمعنى من ،
ولكن معناها ان فضل المذكور يزيد على فضل غيره •

وفرق بين قولهم « زيد افضل القوم » و « زيد افضل من القوم »
ففى الاولى كان زيد واحدا منهم ، وفى الثانية كان خارجا من جملتهم —
ولقد تناول هذه القضية من قبله ابو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى
فى مناظرة بينه وبين متى بن يونس • فقال ابو سعيد السيرافى : اذا قلت :
زيد افضل اخوته لم يجز ، واذا قلت : زيد افضل الاخوة جاز — والفصل
بينهما ان اخوة زيد هم غير زيد وزيد خارج من جملتهم •••• فاذا قلت :
زيد افضل الاخوة جاز لانه احد الاخوة (1) •

وقال الميدانى : ومن شرط افعل ان يكون مصوغا من فعل ثلاثى •••
ذلك ان بعض ما زاد على ثلاثة احرف يمتنع ان يبنى منه افعل فبنوا من
الثلاثى لفظا ينبىء عن الزيادة وأوقعوه على مصدر ما أرادوا تفضيله فيه
فقالوا : زيد اكثر افضالا ، وأعم احسانا الخ وضع الميدانى فى منهاجه
استقصاء الامثال بعجزها وبجرها حتى ما كان منها سىء الذوق ، وكنت
قديمما أضيق بتعبير ابى عبيدة معمر بن المثنى وهو يدل على فصاحة اللغة
التي تلقاها بقوله : أخذنا اللغة عن الاعراب البوالين على اعقابهم ، فاذا
الميدانى يذكر فى امثاله قولهم :

— بقطيه بطبك • ويقول فى تفسيره : التبقيط : التفريق ، والبقط :
ماسقط وتفرق من التمر عند الصرام ، وقال ، وأصل المثل : ان رجلا اتى
عشيقته فى بيتها فأخذه بطنه ، فأحدث فى البيت ، ثم قال لها : بقطيه بطبك
اى بحدقك وعلمك ، اى فرقية لئلا يظن اليه • (2)

— وقولهم فى عبارة عارية : ابنك ابن ايرك ليس ابن غيرك (3)

(1) معجم الادباء 8 : 213 — 214

(2) الامثال للميدانى 1 : 99 رقم 484

(3) الامثال للميدانى 1 : 107 رقم 543

وعندهم ما يغنى عن هذا ، عندهم قولهم : ابنك ابن بوحك ، وعندهم :
ولذلك من دمي عقبيك •

— ولا ينتظر من اجلاف الاعراب مراعاة الذوق فى الدعاء ، فلا
يحتشم وهو يخاطب الله سبحانه وتعالى ، ففى تفسير المثل « تربت يدك »
يقول ابو غبيد : يقال للرجل اذا قل ماله قد ترب أى افتقر حتى لصق
بالتراب ، وهذه كلمة جارية على السن الناس يقولونها ولا يريدون وقوع
الامر ، الا تراهم يقولون : لا أرض لك ، ولا أم لك ويعلمون أن له أرضاً ،
وأما • وقال المبرد: سُمع اعرابى فى سنة قحط بمكة يقول :

قد كنت تسقينا ، فما بدا لك

رب العباد ، مالنا ، ومالك

انزل علينا الغيث ، لا أبا لك

قال : فسمعه سليمان بن عبد الملك فقال : اشهد ان لا أبا له . ولا أم
ولا ولد • (1)

واذا ذكرت هذه الهنات ، مع أنها فى رأى الآخرين ليست كذلك ،
وانها آثار قوم يجب ان تجمع بقضها وقضيضها ، ففى الكتاب من اللغة
والادب واللغة ما هو متفق على جماله وكماله — ولقد كان هذا الاستقصاء
رغبة من الامير محمد بن ارسلان الذى اشار على الميدانى بجمع (كتاب
الامثال مبرز على ما له من الامثال ، مشتمل على غثها وسمينها محتو على
جاهليها واسلاميا) •

الفصل الثالث

المعرب والدخيل

أولا - قبل الاسلام وفي طوره الاول

وهذا مصدر من مصادر العربية لم ينشأ في أرضها ابتداء ، وانما وفد اليها بحكم التأثير والتأثر بين اللغات ، فلم تكن العربية حبيسة منعزلة في هذه الجزيرة ، وانما كان للمجتمع المكي رحلة الشتاء والصيف الى اليمن والشام ، وكانت القبائل الشرقية على صلة وثيقة بالعراق وفارس ، وكان اقليم ميسان مكان البصرة الحالية ملتقى السفن التواجر الآتية الى الخليج العربي ، وكانت القبائل التي سكنت البحرين وعمان على صلة دائمة به وتذهب في سعيها اليه حتى ذهب بلينوس - في وسط القرن الاول المسيحي - الى أن هذا الاقليم كان خاضعا لبعض القبائل العربية ، وكذلك كان يحكمها قبائل من عمان حين أخضعها أردشير لحكمه في القرن الثالث الميلادي ، وفي حديث للمثنى بن حارثة الشيباني وهو يهيم رجاله

للحرب يشير الى صلة العرب بهذا الاقليم وبما وراءه من حدوده الشرقية فيقول : « أيها الناس لا يعظمن عليكم هذا الوجه فانا قد تبجحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شقى السواد ، وشاطرناهم ولننا منهم واجترأ من قبلنا عليهم » (1) كما أن الفرس والأحباش وصلوا الى اليمن والحجاز غازين هذه البلاد .

ولا يمكن أن تمر هذه الصلات دون أن تترك أثرها فى اللغة ، يشير الجاحظ الى نزول ناس من الفرس قبل الاسلام الى المدينة فعلق أهل المدينة بألفاظ من الفاطهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ، ويسمون السميطة الرزدق ، ويسمون المصوص المزوز (2)

ولا تتشاور اللغة الدخيلة ، أو ترك بصماتها أسباب ، قد يكون من بينها تخفيف الجهد ، أو التطرف ، أو الحاجة الى ألفاظ لا تستطيع البيئة الوفاء بها ، ويدلنا الاستاذ ج . برجستراسر فى كتابه التطور النحوى على بعض الدخيل الذى تأثرت به العربية ، وعربته فيقول : (..... ونحن نكتفى بذكر بعض ما دخل العربية قبل الاسلام أو فى طوره ، منها اصطلاحات الادارة كالديوان ، والرزق ، والمرزبان ، والدهقان ، والفرسخ ، والتاج . ومنها ألفاظ دينية كالدين ، والجناح ، والمجوس ، والنيروز ، ومنها اساء الاشياء الخاصة بالعجم أو المجلوبة من عندهم كالصنّج ، والصواجان . والفيل ، والجاموس ، والمسك ، وانواع النسائج كالديباج والاستبرق ، والابريس ، والطيلسان ، والقسط ، ومنها غير ذلك كالسراج والخندق) (3)

(1) تاريخ الطبرى 2 : 631 ط الاستقامة 1357 هـ - 1939 م

(2) البيان والتبيين 1 : 19 ط عبد السلام هارون

السميطة = الأجر بعضه فوق بعض ، الرزدق اصله بالفارسية رسته أى السطر والصف من النخل وغيره

(3) التطور النحوى 144 للاستاذ ج . برجستراسر ط مصر سنة 1929

وذكر برجستراسر أن بعض هذه الكلمات قد تدخل العربية مباشرة، وقد تتأثر بها الآرامية ثم تنتقل ، وأحيانا لا تكون هذه الكلمة فارسية الاصل ، بل قد تكون منقولة من لغة أخرى قال : (ومشك ، أصلها هندي فدخلت الفارسية ، ثم الآرامية ، والعبرية وقد حدث ذلك مرارا) (1) .

وكثير من هذا الدخيل تعرب ، ككلمة (جناح) أصلها (كناه) فيقابل الكاف الفارسية الجيم العربية، وقال : ان الكلمات الآرامية المعربة كثيرة لا تكاد تحصى ، كما أشار الى الحبشية أيضا ونحن نكتفى بالاحالة الى كتابه .

وفى محاضرة القاها العلامة عبد القادر بن مصطفى المغربي صور وقوع العرب على السنة العرب ، والتمثيل له تمثيلا يدينه من المشاهدة نقتطف منها ما يلي :

(..... كثيرا ما يلحج في الألفاظ المعربة انها تدل على منازع اجتماعية وراء دلالتها على معانيها اللغوية الدالة عليها بالوضع ، ويظهر هذا بنوع خاص فى الكلمات التى اقتبسها العرب من جيرانهم الفرس .

فان العرب كانوا أكثر اختلاطا بالفرس من غير الفرس ، ومصالحهم السياسية والقبلية ومرافقهم الاقتصادية والمعاشية أعظم اشتباكا ، وأشد احتباكا .

وقد كانت المدائن عاصمة فارس والحيرة عاصمة العرب منتجع الفريقين ، وملتقى العقليتين أو الثقافتين (اذا صح هذا التعبير) وكان لعرب الجاهلية ثقافة يعتد بها .

ففى تينك الحاضرتين وغيرهما من قرى الحدود وداكرها كان

(1) المصدر السابق 145

الفرس والعرب. يتقارضون الكلمات والعادات مثلما كانوا يتقايضون السلع وضروب البياعات وذلك بالقدر الذى تطبيقه حالة عرب الجاهلية يومئذ ويتحملة محيطهم .

نزور مدينة الحيرة عاصمة العرب فى ذلك العهد ، ونجول فى ساحاتها وأرباضها فنرى هنا وفودا من العرب عقلوا أباعرهم ، ولاثوا عنائهم ، وتنكبوا قسيهم ، ومشوا الخيلاء بمطارف الخز ، وبرود اليمن ، وهم سمر صلع مسترسلو اللحي ، شم الأنوف من الطراز الاول .

ونرى هناك نساء من النصارى يرفلن فى الدمقس وفى الحرير ، يتراكفن الى الكنيسة ليسمعن قداسا يقوم به جاثليقها (صبر يشوع) .
وبجانبن على برازيق الطريق أسراب من أولادهن يهرولن الى الكتائب يحملون الديفاتر والألواح ، وفى اعناقهم وأعناق أمهاتهم صلبان الفضة والذهب ، وفى أرجلهم النعال من جلد (الأرندج) وهو الجلد الاسود أو المدهون بالدهان. الاسود (البويا) .

ثم لا نلبث أن نسمع قعقعة اللجم ووقع حوافر خيل البريد قادمة الى الحيرة من (المدائن) عاصمة فارس تنهب الارض فهبا تحمل الى ملكها (النعمان بن المنذر) رسائل الملك (كسرى) يأمره فيها وينهاه ومع البريد أساور ودهاقين من عظماء فارس حممر الوجوه صهب الشوارب مخلوقو اللحي على رؤوسهم القلائس البطح او الضاربة فى الهواء صعدا ، وقد أفرعوا على أبدانهم أقبية الحرير الملونة بالارجوان ، والمخوصة بالذهب ، وفى أوساطهم مناطق الفضة تتدلى منها السيوف والخناجر المرصعة .

واذا أحد هؤلاء الدهاقين يحاور رجلا فى أمر بيع وشراء ، وقد

ارتفع صوت الدهقان واحمر لونه ، فنسأل سوقيا من عرب الحيرة عن
الخبر فيقول لنا :

ان الدهقان أعطى هذا (السفسير) الذى يجادله (نُمِّيّا) لبيتاع له
(فصافص) لفرسه وكأن (الفصافص) لم تعجب الدهقان فردها الى
(السفسير) واسترد منه (نُسِّيَّة) • فقلنا للعربى الحيرى : ويحك ماذا
تقول ؟ فاننا لم نفهم مما قلت شيئا • فتفرس فى وجوهنا قليلا ثم قال :
السفسير : كلمة فارسية بمعنى السمسار •

الفصافص : جمع فصفصة : القت أو الباقية التى تغلفها الدواب •
وهى أى الفصفصة كلمة فارسية معربة من (اسفست) •
والنُمِّي : كلمة رومية تدل على ضرب من النقود يتعامل به أهل
بلدنا •

فامتعضنا وقلنا له : ويلكم يا أهل الحيرة ، أوقعتمونا من أمركم فى
حيرة ، تتكلمون بالكلمات الفارسية وأنتم عرب ؟ قال : وما علينا فى
ذلك ، وهذا النابغة شاعر مليكنا النعمان يصف ناقته التى لم تجرب ،
ويذكر شراء الفصفصة لها بالنمى بواسطة السفسير فيقول :

وقارفت وهى لم تجرب وباع لها

من الفصافص بالنمى سفسير (1)

لعل هذه الصورة الطريفة قد اعجبتك ، ورأيت فيها بعينى رأسك
كيف يقع المعرب على لسان العرب ، وكيف يأخذ أمكنته فى شعر الشعراء •

ترى ما الفرق بين المعرب والدخيل

لقد تركتك يا سيدى القارىء عن عمد ، وجعلت أذكر كلمة المعرب

(1) الاشتقاق والتعريب 86 — 88 للعلامة عبيد القادر بن مصطفى
المغربى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1366 هـ — 1947 م

مرة ، وكلمة الدخيل مرة لكى تدرك - ان شئت - كما أدركت أنا أن الفارق لا يكاد يبين فكلاهما آت أو دخيل من لغة أخرى ، أما أنه معرب فيعنى - كما أتصور - أنه هذب وشذب حتى أخذ هيكल العربية وطاع للاشتقاق فجاء من الفعل فاعل واسم فاعل ، وقد يأتى مفعول واسم مفعول ، وسار فى فلك العربية كما تسير الفاظ هذه اللغة ، وأما الدخيل فهو الذى دخل العربية على هيئته فى لغته او حرف قليلا ، ودخل على العربية حصنها ، ودار على ألسن أهلها بقوة الحاجة اليه . فاذا لم يكن كذلك فلك أن تفهم ما تشاء من أقوال العلماء السابقين وهذه بعضها :

يقول ابو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى
465 - 540 هـ فى كتاب المعرب ، فى باب ما يعرف من المعرب بائتلاف
الحروف :

- لم تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية ، فمتى جاءتا فى كلمة
فاعلم أنها معربة •

- ولا تجتمع الصاد والجيم فى كلمة عربية من ذلك الجص ،
والصنجة ، والصولجان ونحو ذلك •

- وليس فى أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعدها راء ، فاذا مر
بك ذلك فاعلم ان ذلك الاسم معرب نحو نرجس ، ونرس ، ونورج •

- وليس فى كلامهم زاي بعد دال الا دخيل من ذلك الهنداز
والمهندز وأبدلوا الزاي سينا فقالوا (المهندس) •

- ولم يحك أحد من الثقات كلمة عربية مبنية من باء وسين وتاء ،
فاذا جاء ذلك فى كلمة فهى دخيل (1) •

(1) المعرب للجواليقى 59 - 60 ط دار الكتب سنة 1389 هـ - 1969 م
تحقيق احمد محمد شاكر

فأنت ترى تعاقب الكلمتين : معرب ، ودخيل بمعنى واحد .

ويقول السيوطي 849 — 911 هـ تعريفا بالمعرب ، وقد عقد له الباب التاسع عشر من كتاب المزهري (هو ما استعمله العرب من الالفاظ الموضوعه لمعان في غير لغتها) ونقل عن صحاح الجوهري : (تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها تقول : عربّته العرب ، وأعربته أيضا) (1)

ويقول شهاب الدين أحمد الخفاجي 977 — 1069 هـ فسي كتابه (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل) :

(واعلم أن التعريب نقل اللفظ من العجمية الى العربية ، والمشهور فيه التعريب ، وسماه سيبويه وغيره اعرابا وهو امام العربية ، فيقال حينئذ : معرب ومعرّب) (2) .

ويقول عبد القادر بن مصطفى المغربي (ليس التعريب فسي اللغة العربية عملا بدعا ، وليس وجود اللفظ المعرب في جسم اللغة العربية كوجود جسم غريب في جسم الانسان من حيث يضر بقاؤه وتجب ازالته ، والمعرب — ويسمى أيضا دخيلا — هو ما استعملته العرب من الالفاظ الموضوعه لمعان في غير لغتها) (3) .

ولقد امتزج العربي بالمعرب والدخيل قبل الاسلام حتى لا يكاد يبين الا اذا عرضته على تلك الخصائص التي أشار إليها رجل كالجواليقي فسي أول كتابه المعرب حين قال : لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية فمتى

(1) المزهري 1 : 268 ط الحلبي

(2) شفاء الغليل فيما وقع في كلام العرب من الدخيل ص 3 ط

مصطفى محمد ، مصر

(3) الاشتقاق والتعريب 16

جاءتا فى كلمة فاعلم أنها معربة أو يقول : اسم تجتمع الجيم والقاف فى كلمة عربية الا بجازز ... الى آخر ما ذكر (1) •

والذين أوتوا نصيبا من المعرفة بأصول اللغات المجاورة تعلقوا ببعض هذا المعرب وقالوا : هو آت من الفارسية ، أو الآرامية ، أو الرومية ، أو الحبشية ، أو الهندية وكل هذا متقبل حسن •

وقال بعض العلماء انه لا يجوز الاشتقاق من المعرب منهم الجواليقى الذى قدم لكتابه المعرب بقوله :

(هذا كتاب نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمى ، ونطق به القرآن المجيد ، وورد فى أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وذكرته العرب فى أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح - ففى معرفة ذلك فائدة جلية وهى ان يحترس المشتق فلا يجعل شيئا من لغة العرب لشيء من لغة العجم فقد قال ابو بكر بن السراج فى رسالته فى الاشتقاق فى باب (ما يجب على الناظر فى الاشتقاق أن يتوقاه ويحترس منه) : ... مما ينبغى أن يحذر منه كل الحذر أن يشتق من لغة العرب شيء من لغة العجم فيكون بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت) •

وحكى عن أبى على قال : رأيت أبا بكر يدير هذه اللفظة (بوصى) ليشتها فقلت : أين تذهب انها فارسية انما هو (بوزيد) وهو اسم جدنا ! قال : ومعناه السالم ، فقال أبو بكر : فرجت عنى (2) •

(1) المعرب للجواليقى ص 59 د 142

(2) المصدر السابق 51 - 52

وهذا - من وجهة نظرنا - غير متقبل ويخالف ما فرض على جسيع اللغات من خضوعها للتأثر باللغات الأخرى تحت ظروف معينة إلا إذا كان المقصود أن الكلمة المعربة لم تشنق أصلاً من كلسة عربية فالمعرب والدخيل الذى تعارف الناس على دلالاته فى العصر الجاهلى والاسلامى المبكر قد أخذت العربية ودار على الألسن : وجاء فى شعر شعرائهم فتقبله روايتهم ، وتذوقه جمهورهم فلم ينفروا منه وكانت الحاسة اللغوية من أدق حواسهم . وهذه الكلسة بذاتها (بوصى) وردت فى شعر ثلاثة من قدامى الشعراء فيقول طرفة فى معقلته :

وأطلع نهاض اذا صعدت به
كسكان بوصى بدجلة مصعد
ويقول الأعشى :

ما يجعل الجدُّ الظنون الذى
جنب صوب اللجب الماطر
مثل الفراتى اذا ما طما
يقذف بالبوصى والماهر

الجد : بضم الجيم وتشديد الدال وضمها البئر الجيدة الموضع من الكلا - الظنون : الذى لا يوثق بمائه ، - اللجب : الكثير الصوت - طما : ارتفع - الماهر : السابح وقال الحطيئة :

وهند أتى من دونها ذو غوارب
يقمص بالبوصى معروف ورد (1)

(1) العرب 102 - 103

وفى الشعر القديم فيض من الألفاظ المعربة ، ولولا أن علماء العرب والدخيل أفردوا لها ، وأشار إليها رواة اللغة وأصحاب المعاجم لاختلط على أمثالنا الأمر فهي ليست أكثر غرابة من الألفاظ التي وردت في الرجز والشعر القديم ، ونحن نحتاج فسى كشف غامض الغريب الى المعاجم فننتعرف على معناه وننتعرف أيضا على رأى العلماء فى أصله هل هو عربى أم معرب *

وأكثر ما جاء العرب فى شعر عدى بن زيد ، والاعشى ، وحماد ابن ثابت ، وطرفة ، ونحن لا نريد أن نورد عليك أمثالا من ذلك ، والا قدمنا اليك كتابا ككتاب العرب للجواليقى ، أو استخلصنا من جبهة ابن دريد ما هو أكثر من كتاب العرب فقد كان ابن دريد كلفا بهذا النوع من الدراسة ، ونحن نحيلك على كتاب الجبهة فى اللغة لترى منه ما جاء فى شعر القدامى *

وجاء القرآن الكريم ، وفيه من هذه الألفاظ التى أشار إليها علماء اللغات ، فقال بعضهم بأنها أعجمية، وأنها آتية من هذه اللغة أو تلك، وهناك فئة من العلماء تحمسوا لنفى العجمة عن تلك الالفاظ فكان هذا رأى آخر ولكنه اتخذ طريقين ، كان محمد بن جرير الطبرى يرى من الكلام ما يتفق فيه اللفظ واللفظ بين لغتين وأكثر ولذلك لا يرى أحد الجنسين أولى من الآخر بنسبة الأصل الا بخبر يوجب العلم ويزيل الشك ويقطع العذر صحته، والصواب عند الطبرى أن يسمى اللفظ عربيا أعجميا ، او حبشيا عربيا اذا كانت الامتان له مستعملتين فى بيانها ومنطقها استعمال سائر منطقها وبيانها (1)

وفريق لا يتكلف هذا التكلف ، وانما يأخذ الامر سهلا على

(1) انظر تفسير الطبرى 1 : 15 - 16 وما كتبه عن هذا الاصل فى الباب الاول من هذا الكتاب

طبيعته - والذين قالوا بخلوص عربية القرآن لم يذهبوا هذا المذهب ايغالا
في التخرج الدينى، ولا مرضاة لوازع تمليه القومية، ولكنهم كانوا منطقيين
مع أنفسهم يرون أن العربية التى تكلم بها خلص العرب فى الفترة المبكرة .
وتعارفوا على دلالات الفاظها قد تم لها الادراك والبلوغ وكمال النشأة
فهى عربية بحكم هذا الواقع .

كان ابو عبيدة معمر بن المشنى يقول : (من زعم أن فى القرآن لسانا
سوى العربية فقد أعظم على الله القول) واحتج بقوله تعالى (انا جعلناه
قرآنا عربيا)

وكان أبو عبيدة القاسم بن سلام يزواج بين الرأيين بقوله .
(والصواب من ذلك عندى - والله أعلم - مذهب فيه تصديق القولين
جميعا ، وذلك أن هذه الحروف وأصولها عجمية كما قال الفقهاء ، الا انها
سقطت الى العرب فأعربتها بالسنتها ، وحولتها عن ألفاظ العجم الى
ألفاظها فصارت عربية ، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام
العرب ، فمن قال انها عربية فهو صادق ، ومن قال عجمية فهو صادق) (1)

ثانياً - بعد الاسلام

ترى هل ثوقف العرب والدخيل بعد أن تزحزحت الحدود العربية
الاسلامية الى الامام فى كل الاتجاهات ورحبت بها الأرض من الصين فى
مشارقتها الى الاندلس فى مغاربها ، وأصبح من مقاليد الأمور فى يدها
السيف ، والدين ، واللغة ؟

وهل بقيت العربية فى حصنها الذى يزداد لها وقد أخذوا يحيطونها

(1) الصاحبى فى فقه اللغة 29 ط القاهرة 1318 هـ - 1910 م

بكل وسائل الحماية ويدفعون عنها ألسنة الغرباء ويحرقون من شأن
الموالى ؟

يروى فى رحلة الليث بن المظفر الى البادية أن المظفر بن سيار مرّ
به عناق وابنه الليث قد حضره فقال له وأراد أن يخبره : ما هذا ؟ فقال :
(بز) بالفارسية فقال : لأسيرتك الى حيث لا تعرف (بز) فسيره الى
البادية ففيها تأدب (1) *

وكان الاصمعى يقول : ثلاثة تحكم لهم بالمروءة حتى يعرفوا : رجل
رأيته راكباً ، أو سمعته يعرب ، أو شست منه رائحة طيبة — وثلاثة تحكم
عليهم بالدناءة حتى يعرفوا : رجل شست منه رائحة نبيذ فى محفل ، أو
سمعته يتكلم فى مصر عربى بالفارسية ، أو رأته على ظهر الطريق ينازع
فى القدر (2) *

الحقيقة أن هذا السياج الذى ضرب حول العريية كان شيئاً يخالف
طبيعة اللغات فلم يدفع عنها دخيلاً — أو بحسب تعبيرى جديداً — جاءها
من الشعوب التى تعاملت معها ووسع من دائرة المعرب عاملان قويان :

- انشاء الديوان وتعريبه *
- وحركة الترجمة *

أما الديوان

فقد رأى عمر بن الخطاب بعد أن فتح الله على يديه أرجاء هذه
البلاد ، وأفاء عليه من خيراتها أن يحصى هذا الدخل ، وينظم توزيعه على

(1) معجم الأدباء 17 : 50

(2) عيون الاخبار لابن قتيبة 1 : 296

جنوده وقبائلهم فاستحدث نظاما لقيد الاسماء والعطاء وسمى ديوان الجيش ، وكان يحرر بالعربية على نظم بسيطة ، فلما أحسموا بأثر هذا التنظيم فى البلاد رأوا تعميمه فى عواصم الاقطار المفتوحة ، وسجلوا فيه القرى ومساحاتها وما يتصل بتنظيم الخراج ، الا أن هذا الديوان الجديد لم يكتب بالعربية وانما بلغات أهل البلاد المفتوحة فكان بالفارسية فى العراق وفارس ، وبالرومية فى الشام ، وفى مصر بالقبطية والرومية واستخدموا أهل هذه البلاد لأعداد هذا الديوان ، وظل أمره على ذلك حتى تولى الحكم عبد الملك بن مروان ، وكانت الدولة الاموية تنتصر لكل ما هو عربى فبدأ عبد الملك يضرب العملة العربية فى سنة أربع وسبعين ، وتبعه الحجاج فضرب الدراهم فى سنة خمس وسبعين ، وضربت فى أنحاء البلاد سنة ست وسبعين - وكانت الخطوة التالية أن عرب الديوان فى فارس والعراق والشام ومصر (1) .

كان من الطبيعى أن يدخل الى العربية كثير من ألفاظ هذه اللغات وخاصة تلك التى تتصل بالحساب ، والمساحة ، والمكاييل ، والأوزان ، والزراعة ، والتجارة مما لم يكن للعرب عهد به من قبل - فيعرب - أو - يدخل على هيئته فى لغته الاصلية . وكان لتعريب الديوان أثر آخر هو دخول عماله وموظفيه فى زمرة المتكلمين بالعربية ومنهم أهل البلاد الذين لا يجيدونها فكانوا من عوامل نشر الدخيل فى العربية .

واما الترجمة

فقد مضى القرن الأول والدراسات العربية تدور حول القرآن والحديث .

(1) الخبر مبسوط فى فتوح البلدان للبلاذرى ، وافدت من مقال
للاستاذ عبد الحميد العبادى . مجلة مجمع اللغة العربية العدد
التاسع ص 48

وتفرع من ذلك الفقه والأصول والغزوات الى غير ذلك ، وكان على تخوم البلاد ثقافات شتى بعضها من اليونان ، وبعضها من مدرسة الاسكندرية ، وأخرى كلدانية من الشرق ، وكانت الفلسفة والطب وعلوم الصنعة والكيمياء أهم ما نقل الى العربية ، وكان القائمون بالتعليم والترجمة من غير العرب ، وبعضهم من العرب الذين مازجوا بين ثقافات مختلفة .

بدأت حركة الترجمة فى العصر الأموى ، فكان خالد بن يزيد بن معاوية - كما يحكى ابن النديم - يسمى حكيم آل مروان ، وكان فاضلا ، وله همة ومجبة للعلوم ، فأمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد نفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب فى الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى (1) .

ونشطت الترجمة نشاطا ملحوظا فى العصر العباسى حين شاركت الدولة فى استحضار الكتب من البلاد الاجنبية وأوصت بترجمتها - ذكروا ممن ترجم عن الفارسية ابن المقفع ، وموسى ويوسف ابنا خالد ، وأبا الحسن عالى بن زياد التميمى ، وأحمد بن يحيى البلاذرى ، وجبله بن سالم كاتب هشام ، واسحق بن يزيد ، ومحمد بن الجهم البرمكى ، وهشام بن القاسم ، وموسى بن عيسى الكردى ، وزاذويه بن شاهويه الأصفهاني ، ومحمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني ، وبهرام بن مردان شاه ، وعمر بن الفرخان (2)

ومن الذين ترجموا من الهندية : منكه الهندى وكان يتصل بأسحق ابن سليمان بن على الهاشمى ، وابن دهن وكان اليه يمارستان البرامكة (3)

(1) الفهرست 338 ط الرحمانية

(2) الفهرست 342 ط الرحمانية

(3) نفس المصدر والصفحة

ومن مشاهير المترجمين ماسرجويه الذى نقل كتاب أهرن الى العربية
وهو كتاب فى الطب الفه صاحبه بالسريانية •

وبعد فتح عمورية وبلاد الروم نقلت كتبها وأودعت خزائن الدولة
وطلب الخليفة العباسى من يوحنا بن ماسويه العمل على ترجمتها ، ورتب
له كتابا حذاقا • ورغب يحيى بن خالد البرمكى فى معرفة كتاب المجسطى
لبطليموس ففسره له جماعة لم يتقنوه فندب لتفسيره أبا حسان ، وسلم
صاحب بيت الحكمة • وفى أيام المأمون تولى حنين بن اسحق رئاسة حركة
الترجمة خلفا ليوحنا بن ماسرجويه ، ثم اشتغل ابنه أيضا بالترجمة ففسر
اسحق بن حنين كتاب السياسة لأفلاطون ، وكان يحيى بن عدى ، وابن
البطريق من مشاهير التراجمة •

وعقد ابن أبى أصيبعة فصلا فى طبقات الأطباء عن النقلة الذين
نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليونانى الى اللسان العربى ذكر
جورجس ، وحنين بن اسحق وكان عالما بالعربية والسريانية واليونانية
والفارسية ، واسحق بن حنين ، وحبش الأعجم ، وعيسى بن يحيى ،
وقسطا بن لوقا ، وأيوب الأبرش ، وماسرجيس وكان ناقلًا من السريانى
الى العربى ، وابنه عيسى نقل كتاب الألوان ، وكتاب الروائح والطعوم ،
وشهرىا الكرخى وابنه ، والحجاج بن مطر الذى نقل للمأمون كتاب
اقليدس ثم أصلح نقله فيما بعد ثابت بن قرّة ••••• وآخرين (1) •

هذا الاتساع العلمى الجديد تعثر أمام اصطلاحات وتعاريف سم

(1) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة 302 - 304 ط الوهبية سنة
1300 هـ

تستطع العربية أن تقدم من كلماتها ما يعبر عنها فكان لا بد من تعريبها حتى ينتفع بها القارئ ، ويتيسر له فهم هذه العلوم الجديدة ، وحاول بعض العلماء تذييل هذه الصعاب بوضع كتب للمصطلحات لتعين المترجم والقارئ على السواء ، منهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (1) الذي يقول في مقدمة كتابه (مفاتيح العلوم) « دعتنى نفسى الى تصنيف كتاب يكون جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات متضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من المواضع والاصطلاحات التى خلت منها أو جلها الكتب الحاصرة لعلم اللغة حتى أن اللغوى المبرز فى الأدب اذا تأمل كتاباً من الكتب التى صنف فى أبواب العلوم والحكمة ، ولم يكن شداً صدرها من تلك الصناعة لم يفهم شيئاً منه ، وكان كالأمى الأغتم عند نظره فيه ولم اشتغل بالتفريع المفرط ولا بإيراد الحجج والشواهد اذ كان أكثر هذه الاوضاع أسامى وألقاباً اخترعت ، وألفاظاً من كلام المعجم أعربت ، وسميت هذا الكتاب (مفاتيح العلوم) اذ كان مدخلاً اليها ومفتاحاً لأكثرها » .

وكان لكل طبقة من العلماء عبارات اصطلاحوا عليها ، وعرفت فيما بينهم . كانت الفلسفة مثلاً من العلوم التى انتفع بها العقل العربى ، وأمدت العرب بكثير من الألفاظ تعربت ، أو دخلت العربية على هيئتها . كان المعتزلة من أول المؤسسين للنهضة العقلية المتحررة فى الاسلام ، وغلبوا حرية رأى المبنى على الدراسة والعقل على التسليم لمجرد التقليد ، فأفاد متكلموهم من المنطق والفلسفة ويقول الجاحظ :

(1) هو أبو الريحان البيرونى ، اتصل بالسلطان محمود الغزنوى ، وصاحبه فى رحلاته الى الهند فتعلم لغتهم وألف كتباً كثيرة ، وتوفى بفارزة فى حدود سنة ثلاث وأربعمائة عن سن عالية معجم الادباء 17 : 180

(وهم - يقصد المتكلمين - تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعانى .
واشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء واصطلحوا على تسمية ما لم
يكن له فى لغة العرب اسم) (1) وعمدوا فى سبيل هذا الى النحت لخلق
ألفاظ جديدة كالهوية ، والماهية ، وقد يضمنون لا النافية الى كلمة ما
ليخلقوا لفظا جديدا كاللانهائية ، واللاأدريه - فان أعوزتهم الضرورة ولم
يجدوا فى العربية واشتقاقها ونحتها متسعا عربوا عن اللغات الأجنبية .

والمشتغلون بالطب

جمعوا مادته من مدرسة الاسكندرية ، وجنديسابور ، وترجمت
مادته على أيدي آل بختيشوع ، وظلت العربية تعاني فقرا فى المسميات
فلم يجد ابن سينا من الاسماء العربية ما يصلح لتسمية الامراض فجاهد
فى تكوين التراكيب العربية وقال : قد تلحقها التسمية من وجوه ، اما من
الاعضاء الحاملة لها كذات الجنب ، وذات الرئة ، واما من اعراضها
كالصرع ، واما من اسبابها كقولهم : مرض سوداوى ، واما من التشبيه
كقولهم داء الاسد ، وداء الفيل ، واما منسوبها الى أول من يذكر أنه عرض
له كقولهم قرحة طيلانية منسوبة الى رجل يقال له طيلانى ، واما منسوبة
الى بلد يكثر حدوثه فيها كقولهم : القروح البلخية ، واما منسوبها الى من
كان مشهورا بالانجاء فى معالجتها كالقرحة السبروتية . واما من جواهرها
وذواتها كالحمى والورم (2) .

ويبدو من هذا الجهد محاولتهم التعلق بالعربية الى الحد الممكن .
ولكن الحاجة دفعتهم الى قبول ألفاظ من لغات أخرى : قالوا : الترياق أو

(1) مقال للاستاذ محمد الخضر حسين . مجلة مجمع اللغة العربية

العدد السادس 95

(2) نفس المصدر

الدرياق ، وقال فيه الخوارزمي انه مشتق من تيريون باليونانية وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالافاعي ونحوها ، والبحران لبعض أعراض الحمى عن السريانية (1)

ورجال الفقه

لجأوا الى الاتساع الاصطلاحي عندما أرادوا الخروج بمدلول لبعض الالفاظ على غير ما وضعت له لغة . فالصلاة بمعناها اللغوي مجرد الدعاء ، والحج : مجرد القصد ، والصيام هو الامساك فأصبحت تشير الى مدلولات أخرى فى طقوس العبادة والمناسك ، ولكن لم يسعفهم هذا الاتساع الاصطلاحي للتعبير عن مدلولات جديدة صادفت حياتهم الجديدة فاضطروا عندما يعرض لهم مسمى ولا عهد للعرب به الى تعريبه أو استعماله كما هو فقالوا :

السفتجة ، وهو لفظ فارسي ، والمراد به ان تقرض انسانا مالا . ليسلمه المقترض فى بلد آخر الى انسان يريد المقرض توصيله اليه ، وغرضه من الاقتراض أن يأمن خطر الطريق ولهذا جعله قرضا لا أمانة ، وتصرفوا فى اللفظ فجمعوه وقالوا (كرهت سفاتج الطريق) (2) وقد تجمع على سفتج يقول شهاب الدين الخفاجي : سفتج جمع سفتجة ، فارسية معربة وهى الخطوط ، وأصلها أن يكون لواحد بيلد متاع عند رجل أمين فيأخذ من آخر عوض ماله ، ويكتب له خوفا من غائلة الطريق (3) وقالوا :

-
- (1) مفاتيح العلوم ص 103-106
(2) مقال للاستاذ عبد الوهاب خلاف مجلة مجمع اللغة العربية العدد السابع ص 239
(3) شفاء الغليل فيما فى كلام العرب من الدخيل لشهاب الدين احمد الخفاجي ص 112

المسكة والكردار ومعناها ما يتوم به الزارع من حرث. وتهئية للأرض مما يكسبه أولوية زرعها .

وقالوا :

الكدك وهو ما يحدثه التاجر في حانوته من العمران والبناء فيعطيه هذا حق أولوية استتجاره .

وقالوا :

الخلو، والرصد قالوا عن الأول ما يدفعه المستأجر الى متولى الوقف من مال ليصرفه فى مصلحة الوقف ، والرصد دين للمستأجر على الوقف لصرفه فى عمارته باذن المتولى .

الى غير هذا

وهكذا استقر الدخيل فى الكلام العربى وربما تلون بلون العربية بالزيادة أو النقص فى حروفه ، وأخذ الرواة ينبهون اليه ويفرقون بينه وبين الصريح ويعربون منه ما دخل على هيئة العربية .

كان سيبويه من أوائل من تحدث فى هذه الظاهرة فقال : (... اعلم انهم يغيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة ، فربما الحقوه ببناء كلامهم فدرهم الحقوه ببناء هجرع - وبهرج الحقوه بسله ، ودينار الحقوه بديماس ، وديباج الحقوه لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم كما يلحقون الحروف بالحروف العربية كذلك ... وربما غيروا حاله عن حاله فى الأعجمية مع الحاقهم بالعربية غير الحروف العربية ، فأبدلوا مكان الحرف الذى هو للعرب عربيا غيره ، وغيروا الحركة ، وأبدلوا مكان الزيادة ولا يبلغون به بناء كلامهم نحو آجر ، وابريس ، واسماعيل ، وسراويل .

وربما تركوا الاسم على حاله اذا كانت حروفه من حروفهم ، كـ
على بنائهم أو لم يكن نحو : خراسان ، وخرم ، والكركم ، وربما غي
الذى ليس من حروفهم ولم يغيروه عن بنائه فى الفارسية نحو فرن
وبقم ، وآجر ، وجربز (1) •

ولم يكن موقف سيبويه من هذا الدخيل هو مجرد الوصف، ولم
دخوله العربية ، وهيته بها وانما حاول أن يجرى عليه دراسة عربية، و
نظر الى كلمة آجر وحاول اخضاعها لموازين الممنوع من الصرف حـ
نفسه قائلا :

(فان قلت أدع صرف الآجر لأنه لا يشبهه شيئا من كلام ال
فانه قد أعرب وتمكن من الكلام وليس بمنزلة شيء ترك صرفه من
العرب ، لأنه لا يشبه الفعل ، وليس فى آخره زيادة ، وليس من نحو
وليس بمؤنث وانما هو بمنزلة عربى ليس له ثان فى كلام العرب) (2)

وجاهد فى التعريب بمعنى الباس اللفظ ثوب العربية كثير من رج
اللغة كان الزمخشري يقول وهو يفسر سورة الدخان « ان معنى الت
أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أو
الاعراب » (3) •

وكان الحريرى يتكلف له ليدخله فى دائرة القياس يقول فى
الغواص « ويقولون للعبة الهندية الشطرنج بفتح الشين ، وقياس كـ
العرب أن تكسر لأن من مذهبهم أنه اذا عرب الاسم الأعجمى رد الـ

(1) الكتاب لسيبويه 2 : 342

(2) الكتاب لسيبويه 1 : 19

(3) الكشف للزمخشري 4 : 323 ط الاستقامة 1953

يستعمل من نظائره فى لغتهم وزنا وصيغة ، وليس فى كلامهم (فعلل)
بفتح الفاء وانما المنقول عنهم فى هذا الوزن (فعلل) بكسر الفاء ولهذا
وجب كسر الشين من الشطرنج ليلحق بوزن جردحل وهو الضخم من
الابل ، ثم انظر الى محاولة الحريرى ادخاله الدائرة العربية بقوة واستكراه
حين يقول : (وقد يجوز فى الشطرنج أن يقال بالشين المعجمة لجواز
اشتقاقه من المشاطرة ، وأن يقال بالسين المهملة لجواز أن يكون مشتقا
من التسطير عند التعبية * ومثله الدعاء للعاطس بالتشميت والتسميت
اشارة بالسين المهملة الى أن يرزق السمى الحسن ، وبالشين المعجمة الى
جمع الشمل لأن العرب تقول : تشمتت الابل اذا اجتمعت فى المرعى (1)

ودار فى فلك العربية كلم كثير ، واختلط بألفاظها ، واستعمل فى
تعاييرها وأصبح التفريق بين العربى والمغرب نوعا من التخصص الدقيق
أو المفاتشة لغرض معين ، وهل ترى ذلك سهلا وأنت تقرأ للجاحظ فعلا
مثل « بهرج » ؟ لقد قرأت هذا الفعل لأول مرة فى كتاب البيان والتبيين ،
حين كان الجاحظ يشير الى سليفة الأعرابى فيقول : (وأصحاب هذه اللغة
لا يفقهون قول القائل : « مكره أخاك لا بطل » و « اذا عز أخاك فهن »
ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم « ذهبت الى ابو زيد » و « رأيت أبى عمرو »
ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم يسمعوا
كلامه (2) .

فأنت ترى هذه الكلمة (بهرج) لا تكاد تبين بعد أن اشتقوا منها ،
بل لا تكاد تشك فى أنها عربية وأنها تعنى ما يعنيه الجاحظ من أنهم

(1) درة الفواص فى اوهام الخواص للحريرى ط حجر سنة 1273 هـ

ص 112 - 113

(2) البيان والتبيين 1 : 162 ط عبد السلام هارون

بهرجوه أى زيفوه ، ولكن الكلمة لها منشأ غير عربى كما يقول رواة اللغة وأصحاب المعاجم ففى اللسان :

بهرج : مكان بهرج : غير حمى ، والبهرج : الشئ المباح ، يقال : بهرج دمه ، ودرهم بهرج : ردىء ، والدرهم البهرج : الذى فضته رديئة، وكل ردىء من الدراهم وغيرها بهرج •
قال : وهو اعراب نبهرة ، فارسى •

ابن الأعرابى : البهرج الدرهم المبطل السكة ، وكل مردود عند العرب بهرج ، ونبهرج • والبهرج : الباطل والردىء من الشئ ، قال المعجاج :

وكان ما اهتض الجحاف بهرجا

أى باطلا •

وقيل هى كلمة هندية أصلها «نبهلة» وهو الردىء فنقلت الى الفارسية فقليل «نبهرة» ثم عربت «بهرج» •

وقال الأزهري : وبهرج بهم اذا أخذ بهم فى غير المحجة •
والبهرج : التعويج من الاستواء الى غير الاستواء (1) •
وقال اللحيانى : يقال درهم مبهرج ، ونبهرج ، وبهرج وأنشد لبعض الرجاز :

قالت سليمانى قوله تخرجا
يا شيخ ، لا بد لنا أن نخرججا
قد حج هذا العام من تخرجا
فابتغ لنا جمّال صدق فالنججا
لا تعطه زيفنا ، ولا نبهرجا

(1) اللسان بهرج

وأنشد ابن الأعرابي :

ان هويّا قل ما تخرجنا
أعطانى الناقص والنهرجا

وقال أبو عمرو : درهم بهرج ، ودرهم بهرج قال : والبهرج :
المعدول به عن جهته . والبهرج الدرهم المضروب فى غير دار السلطان (1)

وكان لا بد من الاختلاف حين تتباين وجهات النظر أو حين يدق
الفارق ، وقد دفعهم الايغال فى تنقية اللغة الى أن يقولوا فى العرب بشئ
يظنونه . جاء فى العرب للجواليقي قول ابن دريد (فأما « الجريب » من
الارض فأحسبه معربا) (2) وتحسبها فى اللسان عريية خالصة ، وفيه :
أقطع الوالى فلانا جريبيا من الأرض أى مبزر جريب وهو مكيلة معروفة (3)

بل أشاروا الى كلمات ظاهرة العروبة فقالوا بأعجميتها . قالوا عن
« الخباء » من الشعر والصوف عن أبى هلال انه فارسى معرب ! وأصله
« بيان » بالباء الموحدة ثم بالياء المثناة التحتية أعرب ف قيل خباء (4) وأنا
لا أدرى كيف ؟

على كل حال ، كان لهذا النشاط أثره فى اثراء العربية ، وتزويدها
بما تحتاجه من ألفاظ ، واللغة كما قلنا لا بد أن تحيى متجددة مليية
لرغبات أهلها ،

ولم يكن المعرب مصدر خير كله ، فمنه ما دخل العربية على خلف

(1) العرب للجواليقي 97 - 98

(2) العرب للجواليقي 159

(3) اللسان ج ر ب

(4) العرب 182

وببللة ، عربت كلمة الآجر عن الفارسية ، وأخذت أوزانا مختلفة منها :
آجرٌ بتشديد الراء ، وآجرٌ بتخفيفها ، وآجورٌ ، وآجورٌ ، وآجورٌ ،
وآجرُون . قال أبو دؤاد الأيادي :

ولقد كان ذا كتائب خضر
وبلاط يشاد بالآجرون
بضم الجيم وكسرها (1) وقال أبو كدراء العجلي :
بنى السعاة لنا مجدا ومكرمة
لا كالبناء من الآجر والطين
وقال ثعلبة بن صعير المازني :

تضحى اذا دق المطى كأنها
فدن ابن حية شاده بالآجر

وترك هذا الخلف أثره عند رجال الصرف . حكى عن الأصمعي
(آجرٌ) و (آجرٌ) والهمز في الآجر فاء الفعل كما كانت في
(أرْجان) بدليل قولهم : الآجور فالآجور ك (العاقول) و (الحاطوم)
لانه ليس في الكلام شيء على أفْعُول فاذا ثبت أنها أصل فالهمزة في
آجرٌ هي هذه التي ثبت أنها أصل . ولو حقرت الآجرٌ كنت في حذف
أى الزياتين شئت بالخيار ، فان حذفت الأولى قلت أجيْرٌ ، ولا
يستقيم ان تعوض من الزيادة المحذوفة . وان حذفت الآخرة قلت
(أويْجرٌ) وان عوضت قلت أويْجيرة (2) .

وكان لهذا النشاط ايضا هنات ، فكلما وجدوا مظنة العجمة

(1) المعرب للجواليقي 69

(2) المعرب للجواليقي 70

رجحوها أو قالوا بها . وحين تقرأ كتاب الألفاظ الفارسية المعربة (1) ، للسيد آدى شير تستطيع أن تجد من الألفاظ المعربة والدخيلة ما يستوجب حيرتك ، وتحمد الله أنه أشار بعلامة الى الألفاظ التي جاء بها هو والتي لم يسبقه أحد إليها .

والرأى عندي أن ترفع هذه الأقواس التي وضعت لتحاصر الألفاظ الدخيلة وتشير الى غربتها بعد أن فرضت نفسها بقوة الحاجة إليها ، وأصبحت باستعمالها المطرد ، وبسهولة تدليلها على المدلول - عريية - لا محل للتفريق بينها وبين اخوتها .

والاستاذ أنستاس مارى الكرملى يشير الى هذه الطبيعة القوية فى لفظ دخيل حاول اللغويون خنقه فما استطاعوا الى ذلك سبيلا . قال :

(هذه كلمة باذنجان فليس فى العربى لفظة أفشى انتشارا ، ولا أعرف منها ، وقد جاءتنا من جيراننا الفرس الأقدمين ، فحاول السلف مرارا خنقها ووأدها وهى فى مهدها فما زادوها الا تعميما وانتشارا وبثا بين كل ناطق بالضاد وعوضا من أن يقضوا عليها القضاء المبرم زادوها حياة ونشاطا وسريانا وانتشارا بين الناس - لا بل عمد بعضهم الى عمل فى منتهى القسوة ، انهم لم يثبتوها فى معاجمهم ليلجئوا الجميع الى عدها من حوشى اللفظ ، أو من العربى المستهجن ، ولهذا لا تجدها فى القاموس ، ولا فى تاج العروس ، ولا فى المصباح ، ولا فى مختاره ولا فى أساس البلاغة ، ولا فى كثير من كتب متون اللغة خوفا من أن ينبشها أحدهم ويعيدها الى الوجود .

ومن الغريب أنهم لم يحتاطوا لأنفسهم كل الاحتياط لأنهم لما ذكروا

(1) الألفاظ الفارسية المعربة للسيد آدى شير ط بيروت سنة 1908

ما يقابلها فى العربية المبنية شرجوه بقولهم (الباذنجان) فجاء عملهم هذا خداجا مضحكا والآن ، اذهب بنفسك الى العراق ، ومنه الى سورية ، فلسطين ، لبنان ، فديار وادى النيل ، فطرابلس ، فالسودان ، فليبيا ، فالجزائر ، فالمغرب الاقصى فالى جميع الربوع التى ينطق أهلها بلسان معد وعدنان فانك لا تسمع الا (الباذنجان) ولا يعرفون المغد ، ولا الوغد ، ولا الجدق ، والحدق ، ولا الحيصل ، ولا الكهكب ، او الكهكم أو القهقب ، ولا الانب ، ولا الشرجبان ، ولا الانقحة ولا . ولا . ولا . سواها (١) .

ولنا فى العرب القدامى اسوة فلم يكن الاعشى ، ولا طرفة ، ولا حسان ، ولا عدى بن زيد يضع مثل هذه الألفاظ بين قوسين وانما جاءت بها أشعارهم سهلة طيبة من غير كرازة ولا عنت .

(١) نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها 88 - 89 | للاب انستاس مارى
الكرملى ط مصر سنة 1938

الباب الخامس

جَمْعُ اللُّغَةِ

الفصل الأول

دواعي التعريف بالمفردات وبداية المعجم

دواعي التعريف بالمفردات

جمع الألفاظ ، لازالة غموضها ، وتوضيح معناها ، يحصل فى كل لغة يتسع مجالها الزمانى والمكانى ، أى حين يمتد بها الأجل ، وترحب بها الارض ، والمسافر من الاسكندرية مثلا فى طريقه الى أسوان قد يسمع عدة ألفاظ لمداول قد يفهمه لسبق المعرفة ، وقد يسأل عنه بديا ، فاذا كان ذلك كذلك بالنسبة لمجتمع مترابط فان سعته والعناية به فى مجتمع أقل ترابطا فرض قريب •

ولقد وصل الينا بعض ما صدر عن هذا الأصل فيما يحكى أن قريشا قد استصفت لغة القبائل ، أى تخيرت ذلك القدر المشترك من الألفاظ التى كانت تجرى على ألسنة الحجيج ، فتصيب دلالتها من غير مشقة - ومع مجيئ كلمة « سكين » مثلا فى لغة قريش ، ومجيئها فى القرآن الكريم فاننا نجد رجلا كابى هريرة لا يعرف كلمة السكين ، فلقد

سقطت من يد النبي صلى الله عليه وسلم ، فطلب أن يناوله إياها فنظر أبو هريرة إليها ، وبحث حولها ، ثم نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : ألمدية تريد ؟ فالسكين في القرشية التي استصفت لغة القبائل غير معروفة في قبيلة الأزد كما ترى • (1)

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم يوما لأبى تميمه (وإياك والمخيلة) فقال : يا رسول الله ، نحن قوم عرب ، فما المخيلة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبل الأزار) (2) •

وأبو بكر يقف عند قوله تعالى (وكان الله على كل شيء مقبلاً) ، وعمر يسمع قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فيقول : هذه هي الفاكهة فما الأب ؟ أو يسأل في كلمة « التخوف » من قوله تعالى (أو يأخذهم على تخوف) وابن عباس الذي كان يسمى البحر لسعة علمه يقول : ما كنت أعلم ما فاطر السموات والأرض حتى جاءني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتهما ، أى بدأت حفرها الى غير ذلك •

لو أننا دوننا هذه المفردات وأمثالها لكان لدينا أول معجم في الاسلام . ولكن كان الناس يجدون بغيتهم فيما يستفسرون عنه عند النبي صلى الله عليه وسلم وعند الصحابة الأول رضوان الله عليهم ، وكان مدار البحث في أغلب الأحيان ألفاظا تأتي في سياق العبادات ، وكان التفسير بالمأثور يفي بهذا الوجه •

الغريب والنوادير

ولم يطل الوقت حتى دعت الدواعي الى التعرف على الغريبة من

(1) انظر اللسان س ك ن

(2) الكامل للمبرد 2: 673 ط الحلبى - جاء فى الحديث (فضل الأزار فى النار) وكان الرجل يمشى وقد افضل من أزاره ، وتمشى المرأة وقد افضلت من ذيلها

خلال آثارها - ولهذا حديث طويل - وبدأنا نسمع عن كلمة الغريب حين جلس علماء العربية يبينون ما استتر من غريبها ، ولدينا في عصر مبكر مجالس لابن عباس تظهر فيها كلمة الغريب - لأول مرة فيما يبدو - وتعني الغامض من الكلام يقول لأصحابه : اذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب (1) كما كان له مجلس يجيب فيه عن العربية ، والشعر ، والغريب من الكلام (2) .

وعلى أثر ابن عباس جاء يحيى بن يعمر ، وهو رجل من القراء ، ومن أهل البصرة ، ومن رواة ابن عباس ، واشتهر أمره بالغريب (3) ويقول ابن أسحق موجها حديثه لابن سيرين « وانما نفتى فيما استتر من معاني الشعر وأشكل من غريبه (4) » .

من هذه النتف من سير قدامى العلماء يمكن تتبع مولد المعجم العربي، والذي يتمثل في توضيح الغامض أو المبهم من الألفاظ التي وردت في النصوص العربية وسمى هذا العمل ابتداء « التأليف في الغريب » .

كتب في غريب القرآن أبو عبيدة ، ومؤرج السدوسي ، وأبو محمد البيهقي . وألف في غريب الحديث : أبو عبيدة ، والنضر بن شميل ، وقطرب ، وأبو زيد سعيد بن اوس الانصارى ووصف بعض هذه الكتب مجد الدين أبو السعادات مبارك بن محمد بن محمد المعروف بابن الاثير الجزري في مقدمة كتابه « النهاية في غريب الحديث والاثار » وقال يصف

(1) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 1: 24

(2) حلية الاولياء 1: 107

(3) طبقات الزبيدي 22 - 23 .

(4) انباه الرواة 2: 107

كتاب أبى عبيدة « كان كتابا صغيرا ذا أوراق معدودات ثم جمع أبو الحسن النضر بن شميل المازنى بعده كتابا فى غريب الحديث أكبر من كتاب أبى عبيدة ، وشرح فيه وبسط على صغر حجمه ولطفه » (1)

ثم بدا لهذا الجيل من العلماء أن يتناول نفس النهج فى ما وراء القرآن والحديث من نصوص عربية فألف أبو زيد كتابا فى غريب الاسماء (2) وللأصمعى (غريب الحديث والكلام الوحشى) ونحن نرجح أن الحديث هنا هو حديث الأعراب وكان للأصمعى نشاط جم فى جمع الغريب من أفواه الأعراب فى المربد والبادية .

والأمر فى النوادر لا يبعد عن هذا النهج كثيرا فهو ذكر للفرائد التى تحتاج الى فضل بيان تأتى أحيانا فى صورة ألفاظ مفردة ، أو تراكيب ، أو لهجات ، أو صيغ (3) .

والتأليف فى الغريب والنوادر لا يحكمه تنظيم خاص مقيد ، وما قد يكون غريبا عند رجل قد لا يكون غريبا عند آخر ، وقد يكتب فيه مؤلفه اذا جاءت مناسبة فيقيده لنفسه ، أو يمليه على طلابه ، ومثل هذه الجهود اذا لم تنظم فانها لا تفيد الباحث فى اللغة الا بمعاناة وبحث شديدين ، فبدأوا كتابة المجاميع .

جمع اللغة فى وحدات متجانسة

أخذ طلاب العربية على شيوخهم فى مجالسهم ، وتزودوا من

(1) النهاية فى غريب الحديث والاثر 4 ط العثمانية سنة 1311 هـ

(2) الفهرست 81 ط الرحمانية

(3) انظر (رواية اللغة) للمؤلف ص 93 وما بعدها

الاعراب الوافدين ثم التقوا بهم في المربد ، ثم رأوا تمامهم في مشافهة الاعراب في البادية ، فرحل اليها من رحل ، وهناك تعرفوا على الألفاظ أمام مدلولاتها ، وثقفوا العبارات ، والمسميات على النحو الذي فصلنا فيه القول من قبل ، وجمعوا من وراء ذلك معرفة غزيرة كانوا يعبرون عنها بعبارات تنبىء عن جهد شديد ، وعناية بالغة .

لقد أمضى النضر بن شميل أربعين عاما في البادية (1) وذهب الكسائي يجمع من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج ورجع وقد أنقذ خمس عشرة قينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ (2) وعبر ثعلب عن معاناة أبي عمرو الشيباني فقال : « كان مع أبي عمرو من العلم والسماع عنده أضعاف ما كان مع أبي عبيدة ، ولم يكن من أهل البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم » ثم قال « دخل البادية ومعه دستيجان حبرا فما خرج حتى أفناهما يكتب سماعه عن العرب » (3) .

عاد الرواة وفي صدورهم وأوراقهم علم غزير ودوا لو يقيّدونه حفاظا عليه بطريقة تسمح بالنظر فيه ، والانتفاع به من غير ارهاق . فأعدوا لذلك كراسات تتضمن مجاميع بحسب الموضوعات : في خلق الانسان ، وصفة الخيل ، والابل ، والوحوش ، والمطر ، والمياه ، والجبال ، والدارات الى غير ذلك .

ومنهم من جمع في كتاب واحد أكثر من موضوع يحاول بذلك حصر ما يستطيع من ألفاظ العربية ، وأطلق على هذا النوع اسم (كتب

(1) نزهة الالباء 111

(2) انباه الرواة 2: 258 ، معجم الادباء 13: 169

(3) انباه الرواة 1: 221 ، 224

الصفات) ومن الذين كتبوا فى الصفات أبو خيرة الأعرابى ، والنضر بن شميل ، وأبو على محمد بن المستنير قطرب وجاء وصف كتاب النضر فى فهرست ابن النديم كذا يلى :

(كتاب الصفات ، وهو كتاب كبير يحتوى على عدة كتب :

الجزء الاول : يحتوى على خلق الانسان ، والجود والكرم ، وصفات النساء .

الجزء الثانى : يحتوى على الأخبية ، والبيوت ، وصفة الجبال والشعاب والامتنعة .

الجزء الثالث : للابل فقط .

الجزء الرابع : يحتوى على الغنم ، والطيور ، والشمس والقمر ، والليل والنهار ، والألبان ، والكمأة ، والآبار ، والحياض ، والأرشية ، والدلاء ، وصفة الخمر .

الجزء الخامس : يحتوى على الزرع ، والكرم ، والعنب . وأسماء البقول ، والأشجار ، والسحاب ، والأمطار (1) .

ولم يتوقف هذا الضرب من التأليف ، وان أخذ يتطور بمرور الأيام فكان بعض الرواة يجمعون المفردات بحسب الموضوعات تحت اسم (الصفات) أو اسم (الغريب المصنف) وكان أشهرها كتاب أبى عبيد القاسم بن سلام . (2)

وفى الوقت المبكر الذى كان يجرى فيه هذا الجمع بحسب الموضوعات ، على أيدي أوائل الرواة - كان الخليل بن أحمد يحاول حصر كلمات العربية ، على جهة الاستقصاء وعلى الوجه الذى ظهرت به فى كتاب العين .

(1) الفهرست 77 ط الرحمانية

(2) وتبعه كتاب مبادئ اللغة للاسكافى ، والمخصص لابن سيده

الفصل الثاني

المعاجم

كتاب العين

هذه - فيما يحدثنا التاريخ اللغوى - أول محاولة لجمع مفردات العربية على جهة الاستقصاء كما أرادها الخليل بن أحمد ، وكما ظهرت فى كتاب العين ، وقبل أن نصف الكتاب ، وقبل أن نستبين خطة الخليل فيه ، وقبل أن ندخل فى الخلف الشديد الذى دخل فيه العلماء حول نسبة الكتاب أهو للخليل أم لليث بن المظفر دعنا نستمع الى ملاحظ الخليل التى تنبئك عن شدة الفه بالعربية ، ومعرفته العميقة بخصائصها ، وتنبئك أيضا عن هذه العقلية التى بدأت كتاب العين على نهج رياض رتيب •

كان الخليل فيما تتصوره ، يجمع أمامه أسئلة ، أو يشمل بعض العقبات ، ويضع حلولها واحدة فى اثر واحدة •

— كيف يحصر الألفاظ ؟

— كيف ينتقى ما استعملته العرب ، ويترك ما أهملته ؟

— كيف يتعرف على العربى الأصيل ، وما هى علامات الدخيل ؟

— كيف يبدأ ؟

كان يحدث الليث بن المظفر فى مثل هذا ، فقال له يوما :
« لو أن انسانا قصد وألف حروف ألف ، وباء ، وتاء ، وثاء على ما
أمثله لاستوعب فى ذلك جميع كلام العرب ونهيا له أصل لا يخرج منه
شيء البتة قال الليث : وكيف يكون ذلك ؟

قال : يؤلفه على الثنائى ، والثلاثى ، والرباعى ، والخماسى فانه
ليس يعرف فى كلام العرب أكثر منه •

قال الليث : فجعلت استمهمه ، ويصف لى ، ولا أقف على ما يصف ،
فاختلفت اليه فى هذا المعنى أياما ، ثم اغتلت وحججت ، فما زلت مشفقا
عليه ، وخشيت أن يموت فى علته فيبطل ما كان يشرحه لى ، فرجعت من
الحجج ، وصرت اليه ، فاذا هو قد ألف الحروف كلها على ما فى صدر هذا
الكتاب ، فكان يملئ على ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لى : سل عنه ،
فاذا صح فائنته الى أن عملت الكتاب (1) •

وترتيب المجموعات — وهو ترتيب الأبواب أيضا عند الخليل ثنائى ،
وثلاثى ، كما جعل الرباعى والخماسى فى باب واحد • والثنائى عنده كل
ما تكون من حرفين ولو تكرر أحدهما مضعفا أو غير مضعف ، ولا يأتى
الثنائى عنده من حروف متحدة المخرج أو متقاربه الا أن يشتق فعل من
جمع بين كلمتين مثل حيعل من (حى على) ، ولهذا لم يأت الثنائى فى باب
العين مع الحاء ، والهاء ، والخاء ، والعين ، بل لم تأت العين والحاء مع شيء
من الحروف فى الثلاثى (2) •

(1) الفهرست 64 ط الرحمانية ، معجم الادباء 7 : 51-52

(2) كتاب العين 1 : 55

والثلاثي عنده نوعان صحيح ، ومعتل سواء كان حرف العلة فسى
الاول أو فى الوسط أو فى الآخر ، ويضم هذا الباب أكثر ألفاظ العربية ،
وقد رتبته مع تقاليبه بحيث يأتى كل حرف مضافا اليه الحرفان الآخران
فينتج عن ذلك ستة أصول يختار منها ما استعمله العرب فسى ض ر ب
يتفرع هذا الأصل الى :

ض • ر • ب / ض • ب • ر / ر • ب • ض / ر • ب • ض • ب • ض •
ر / ب • ر • ب • ض • ثم جعل الرباعى والخماسى فى تقسيم واحد يدل على
الكلمة فيه الحرف الاسبق فى تقسيم الخليل فجعفر فسى باب الرباعى
والخماسى من حرف العين ، وسفرجل فى باب الرباعى والخماسى من
حرف الجيم •

قال الخليل : وليس للعرب بناء فى الأسماء ولا فى الأفعال أكثر من
خمسة أحرف فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف فى فعل واسم فاعلم
أنها زائدة على البناء وليست من أصل الكلمة مثل « قرعلانة » انما أصل
بنائها « قرعل » ومثل « عنكبوت » انما أصل بنائها « عنكب » (1) •

ولكن كيف ينتقى العربى من هذا الرباعى والخماسى وهو لا يجرى
على اللسان ويدور فى الأفواه دوران الثلاثى ؟

للخليل فى ذلك أمارات يعرف بها اللفظ العربى الأصيل كما يعرف
اللفظ الأجنبى الدخيل ، وهو يحكى ذلك أيضا لتلميذه الليث حتى يكون
على بينة مما يضع ومما يدع بعد أن لاحظ أن الرباعى والخماسى لا يأتیان
الا معتمدين على حرف أو أكثر من حروف الذلاقة أو حرفى الطلاقة
ويقول :

(1) العين 1: 55

« اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهى ر . ل . ن . ف . ب . م وانما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الدلاقة فى المنطق انما هى بطرف أسلة اللسان والشفيتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة ، منها ثلاثة ذليقة ر . ل . ن تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم ، وثلاثة شفوية ف . ب . م مخرجها من بين الشفتين خاصة ، لا تعمل الشفتان فى شىء من الحروف الصراح الا فى هذه الأحرف الثلاثة فقط ، ولا ينطلق طرف اللسان الا بالراء واللام والنون ، وأما سائر الحروف فانها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج الناء الى مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان ليس للسان فيهن عمل أكثر من تحريك الطبقتين بهن ، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء ، واللام ، والنون »

فلما ذلقت الحروف الستة ، ومذل بهن اللسان ، وسهات عليه فى المنطق كثرت فى أبنية الكلام فليس شىء من بناء الخماسى التام يعرى منها أو من بعضها (1) ثم ينبه الليث : « فاذا وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرفة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون فى تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذاك فاعلم ان تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب »

قال ليث : فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشىء من هذه الحروف ؟
قال : نحو الكشعشج ، والخضعشج ، والكشعطج وأشباههن فهذه مولدات لا تجوز فى كلام العرب لأنه ليس فيهن شىء من حروف الذلق والشفوية .

ومن وراء هذه الحروف الستة يوجد حرفان أطلق عليهما اسم حرفى الطلاقة وهما العين والقاف لا يدخلان فى بناء الاحسانه - كما يقول الخليل - فمهما جاء من بناء اسم رباعى منبسط معرى من الحروف الذلق والشفوية فانه لا يعرى من أحد حرفى الطلاقة او كليهما ، ومن السين والبدال أو احداها (1) .

ولم تكن قضية البدء مسألة سهلة ، لا سيما وقد ترك الخليل ترتيب الأبجدية العادية : ا ب ت ث ، وانما رتب الحروف بحسب مخارجها ، وعلى توالى صدورها من الحلق الا من منحنيات بسيطة لا تسمح بالتسلسل الدقيق ، واذا وضعت الترتيب الصوتى عند الخليل بجانب ترتيب سيبويه خيل اليك ان الرجلين يختلفان فترتيب الخليل كما ورد فى كتاب العين يجرى على الوجه الآتى :

ع . ح . ه . خ . غ	حلقية
ق . ك	لهوية
ج . ش . ض	شجرية
ص . س . ز	أسلية
ط . د . ت	نطمية
ظ . ث . ذ	لثوية
ر . ل . ن . ف . ب . م	ذلقية
و . ا . ي	هوائية

ثم وضع الهمزة فى آخر الحروف .
وحين رتب سيبويه الحروف بحسب مخارجها جعل لها ستة عشر
مخرجا . فللحلق منها ثلاثة

(1) العين 1 : 60

- فأقصاها مخرجا الهنزة ، والهاء ، والالف
- ومن أوسط الحلق مخرج الغين والخاء
- وأدناها مخرجا من الفم الغين والخاء
- ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف •
- ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الاعلى مخرج الكاف •
- ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الاعلى مخرج الجيم ، والشين والياء •
- ومن بين أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس مخرج الضاد •
- ومن حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرف اللسان ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، وما فوق الضاحك والناب والرابعة والثنية مخرج اللام •
- ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج النون •
- ومن مخرج النون غير انه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام مخرج الراء •
- وما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء ، والدال ، والتاء •
- ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاى والسين والصاد •
- ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء ، والذال ، والثاء •
- ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء •
- ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو •
- ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة (1) •

(1) الكتاب لسيبويه 2 : 405

ولو اتفق مقصد الرجلين لما اختلف الترتيب ، فقد كان الخليل يبحث عن طريقة منطقية لترتيب أبواب كتاب العين تتفق أيضا وتواليها على الأحياز الصوتية ، ولما كانت أقصى الخارج كما يقول سيبويه هي للهزة والهاء والألف فإن الخليل كان يدرك ذلك أيضا ولكنه وجدها غير صالحة لغرضه كما يحكى محمد بن احمد بن كيسان فيقول :

« سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال : لم أبدأ بالهزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف ، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ، ولا في اسم ولا فعل الا زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها ، فنزلت الى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف وليس العلم بتقدم شيء على شيء لأنه كله مما يحتاج الى معرفته فبأى بدأت كان حسنا ، وأولاهها بالتقديم أكثرها تصرفا » (1) •

أما ما بقى من خلاف بين الخليل وسيبويه فإن الأول يحتاج في تبويبه الى توالى الحروف بينما يصفها سيبويه كما هي وبعضها لا يلى البعض وانما قد يوازيه أو يخرج من فوقه أو من تحته •

كيف تلقى العلماء كتاب العين

كانت طريقة ظهور الكتاب من أسباب ارتياب العلماء فى نسبته للخليل ، ذلك أنه لم يظهر فى حياته ، ولا فى البصرة بلدته ، ولا حملة عنه أحد تلامذته الملازمين له كالنضر بن شميل ، أو مؤرج بن عمر السدوسى ،

(1) الزهر 1 : 90 | ط الحلبي

أو نصر بن على الجهضمي ، وإنما جاء به إلى البصرة وراق من خراسان سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وكان في ثمانية وأربعين جزءا فباعه بخمسين دينارا ، وقيل آنذاك أنه كان في خوائن الطاهريين (1) .

وانقسم الناس في أمره بين من ينكر نسبه للخليل ، وبين من ينسبه إليه ، وبين من ينسب إليه الإيماة والفكرة والتوجيه ويترك لليث بن المظفر تحشية الكتاب ، وإذا سمعت رأى كل فريق وجدت له وجها ، وقد ظلت هذه الآراء على خلفها حتى يومنا هذا ، ولو أن هذه العناية وجهت إلى مادة الكتاب بقدر ما وجهت إلى تحقيق شخص واضعه لكان للعلم من وراء ذلك غنم كبير .

كان أبو حاتم السجستاني يوم ورود الكتاب صاحب اللغة في البصرة ، وعلى رأس علمائها فأنكره لأول وهلة لأنه لم يسمع به للخليل ، ولم يحمل عن رجل من تلامذته ، والذين نظروا في الكتاب وجدوا فيه بعض ما ينتزه للخليل عنه ، وجدوا هنات لغوية لا تصدر احتمالا عن الخليل ، ووجدوا روايات عن الكوفيين ولم يكن الخليل يروى عن الكوفيين . فقويت حملة الشك حتى نسب هذا الشك إلى من لم ير الكتاب حياته ، ولا أدري كيف أنكر شيئا لم يره . يحكى ياقوت : حدث الحاكم أبو عبد الله بن البيع في كتاب نيسابور عن العباس بن مصعب قال : سئل النضر ابن شميل عن الكتاب الذي ينسب إلى الخليل بن أحمد ، ويقال له كتاب العين فأنكره ، فقليل له : لعله ألفه بعدك فقال : أو خرجت من البصرة حتى

(1) الفهرست 64 ط الرحمانية

دفنت الخليل بن أحمد (1) ونحن تتساءل متى كانت هذه الحادثة ولم يظهر الكتاب الا فى سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وكان النضر قد مات منذ سنة ثلاث ومائتين •

ولكن فئة كبيرة من العلماء - لعلها الغالبية - كانت تدرك أن كتابا كهذا يقبل فى خلال مواده روايات من البصرة والكوفة ، ومن زملاء الخليل ومن تلامذته أيضا فلا يغير ذلك من نسبة الكتاب لل خليل - كان ابن دريد - وهو رجل له رأى فى هذا اللون من التصنيف - وصاحب (الجمهرة فى اللغة) المعجم الثانى فى العريضة ينسب الكتاب لل خليل ، ويقول فى مقدمة الجمهرة :

« وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد القرهودى رضوان الله عليه كتاب العين فأتعب من تصدى لغايته وعنى من سما الى نهايته » (2) •

وكان تفتويه ، وابن درستويه يريان الكتاب لل خليل ، فعمل الأول كتابا رد فيه على ملاحظ المفضل بن سلمة - وعمل ابن درستويه فى هذا الوجه كتابين أحدهما رد على المفضل بن سلمة ، والثانى جعله عاما للرد على من نفى كتاب العين عن الخليل (3) •

وكان أحمد بن فارس ينسب الكتاب لل خليل ويصرح بذلك فى

(1) معجم الادباء 51 : 17

(2) الجمهرة فى اللغة 3 : 1 ط حيدر آباد

(3) الفهرست 94 ط الرحمانية

مقدمة كتاب المقاييس قائلاً « أما كتاب العين للخليل بن احمد فقد حدثني به على بن ابراهيم القطان » واعترف أبو الأزهر البخارى فى كتابه (الحصائل) وقصد فيه تحصيل ما أغفله الخليل (1) .

وكذلك ألف أبو عبد الله محمد بن عبد الله الكرماني النحوى كتاب ما أغفله الخليل فى كتاب العين . وما ذكر أنه مهمل وهو مستعمل ، وما هو مستعمل وقد أهمل (2) .

أما السيرافى ، وأبو الطيب اللغوى ، وابن جنى فيتفقون - وان اختلفت عباراتهم - على أن الخليل بدأه ولم يتمه . يقول السيرافى « ان الخليل عمل أول كتاب العين المعروف المشهور الذى به يتهىأ ضبط اللغة » (3) .

ويقول أبو الطيب : « ان الخليل بدأ كتاب العين فى حياته ، ولكنه مات قبل أن يتمه وقد نصب تلميذه الليث نفسه لاداء هذه المهمة فأتم بقية الكتاب ولهذا نجد ان الكتاب لا يشبه أوله آخره » .

اما الأزهرى فكان يعيب الليث من خلال كتاب العين ، واذا قرأت الخبرين المنسوبين للأزهرى فى مقدمة التهذيب لم تقطع بنفى الكتاب عن الخليل ، وأول الخبرين حين ذكر مصادر كتابه وتناول الثقات من العلماء اولاً ، ومن هم دون الثقات بعد ذلك فقال :

(واذا فرغنا من ذكر الاثبات المتقنين ، والثقات المبرزين من اللغويين

(1) انباه الرواة 1 : 113

(2) الفهرست 117

(3) اخبار النحويين البصريين للسيرافى 30

فلنذكر بعقب ذلك أقواما اتسموا بسمعة المعرفة وعلم اللغة وألفوا كتباً
أودعوها الصحيح والسقيم وحشوها بالزال المفسد ، والمصحف المغير ...
فمن المتقدمين الليث بن المظفر الذى نحل الخليل بن احمد كتاب العين
جملة لينفقه باسمه (1) ثم قال :

(..... ولم أر خلافا بين اللغويين ان التأسيس المجل في أول كتاب
العين لأبى عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، وان ابن المظفر أكمل الكتاب
عليه بعد تلقفه إياه عن فيه ، وعلمت أنه لا يتقدم أحد الخليل فيما أسسه
ورسمه) (2) والخبران يستهدفان الليث - لا الكتاب ولا الخليل ، وإذا
كانت بداية الكتاب ، ومنهجه للخليل ، وأكملة الليث بعد تلقفه إياه عن
فيه فالكتاب - فيما نعتقد - كتاب الخليل . أما العبارة التى قال فيها
الازهرى ان الليث عدل كتاب العين ونحله الخليل لينفق باسمه فقد
ناقشها الاستاذ يوسف العش وقال : « الكتاب ابداع فنى يتمنى كل
انسان ان ينسب اليه » (3) .

وفى العصر الحديث ، كان الاب انستاس مارى الكرملى ممن يرى
الكتاب لليث بن المظفر ، جاء ذلك فى خبرين أولهما فى الجزء الثانى من
المجلد الرابع من مجلة لغة العرب قال فيه « أما رأينا الخاص فان مدون

(1) التهذيب للازهرى 1 : 28 دار القومية العربية للطباعة 1384 هـ -
1964 م

(2) التهذيب 1 : 41

(3) مقال فى مجلة المجمع العلمى بدمشق المجلد 16 العدد التاسع
1946 ص 424

العين هو الليث « (1) •

والخبر الثانى فى العدد السابع والثلاثين من مجلة الثقافة قصر فيه دور الخليل على مجرد الفكرة وقال « كان السلف الصالح أول من نظم فرائد المفردات على النحو الذى فكر فيه الخليل فأخرجه الى بصراء القوم وحذاقهم الليث » وكتب المستشرق براونليخ بحثا بعث به الى الأب الكرملى رأى فيه ان مؤلف كتاب العين هو الليث فصادف ذلك اتفاق الرجلين — وكان تعليق الكرملى عليه قوله :

« وهذا ما كنا قد استنتجناه نحن أيضا فى الجزء الثانى من المجلد الرابع من لغة العرب وهذا الجزء الذى لم ندخله فى السنة الرابعة الذى ابتدأنا بها بعد الحرب وكنا قد قلنا فى الصفحة المذكورة (أما رأينا الخاص فهو ان مدون العين هو الليث) » •

والآراء التى مرت بك — وان وجدت لها وجهها — فانهما ليست فوق الشبهات ، فأبر حاتم السجستاني عالم البصرة حين ظهر الكتاب بها شديد الحرج والتأثم كأنه هو نفسه يرتكب جريمة الانتحال لو أنه قال بنسبة الكتاب لل خليل ، فيأخذ جانب السلامة ، ولا يكلف نفسه مشقة البحث ، ولا صبر له على العوص فى اكتناه ما بدا له زائفا ، ويكفى ارفضه عنده انه لم يسمع به لل خليل ، ولا لأحد من تلامذته • وقديما وقف مثل هذا الموقف بالنسبة لكتاب جليل هو كتاب مجاز القرآن لأبى عبيدة ، فقد رفضه لأول وهلة ، وحمل لواء العداء لصاحبه لأنه فسر القرآن برأيه ، وكفر من يتناول الكتاب ، وأجاب حين سئل عنه :

« انه لكتاب ما يحل لأحد أن يكتبه ، وما كان شئ أشد على من

(1) | لغة العرب السنة الثامنة 9 : 711

أن أقرأه قبل اليوم ولقد كان أن أضرب بالسياط أهون على من أن أقرأه»
فلما أخذ الكتاب مكانه فى البصرة واضطر أبو حاتم الى قراءته صار يقرأه
وهو يحاول تلمس سقطه ، وكان يلتقى بأحمد بن المعذل فيقول كل منهما
لصاحبه « وقفنى على خطأ أبى عبيدة » (1) •

والأزهري لا يصدر فى رأيه عن حيدة علمية . ولكنه أراد الاشارة
بنفسه وبكتابه التهذيب الذى اختار له هذا الاسم يعنى به تهذيب كتاب
العين ، ومن طريقته فى هذا ان يقلل من شأن المؤلفين ومؤلفاتهم ، فلما لم
يستطع ذلك بالنسبة للخليل هاجم الليث ، وتخطى فى نسبة الكتاب •

ولقد استبقيت لك رأى ثعلب ، ورأى أبى الفتح عثمان بن جنى
فهما وان لم يتفقا مضمونا الا أن الرجلين قد تناولا الكتاب فى أناسة
وصبر يقول ثعلب :

« انما وقع الغلط فى كتاب العين لأن الخليل رسمه ولم يحشه ، ولو
أن الخليل هو حشاه ما بقى فيه شيئا لأن الخليل رجل لم ير مثله » قال
وقد حشا الكتاب قوم علماء الا انه لم يؤخذ عنهم رواية ، وانما وجد بنقل
الوراقين فلذلك اختل الكتاب » (2) •

وفى هذه الكلمات تتحقق النصفة للخليل فى مجموع الكتاب اذا
تعذر أن يكون ذلك فى جميعه ، فلقد فكر فى نهجه ، وفى خطته ، وتبويبه ،
وطريقة حصر العربية ، وكيفية النظر الى الدخيل والمهمل منها ، وأفضى
بذلك الى الليث ، وعاد الليث من الحج فوجد استاذاه قد فرغ من ذلك •

(1) طبقات الزبيدي 194

(2) المزهر 1 : 82

فرغ من مجموع الكتاب لا من جميعه ، وبقيت انفجوات التي تكون عادة في مثل هذا النوع من التأليف ، وهذه تشذ عن ادراك ، وعلم وسمع الخليل وغير الخليل ، فلم تخلص العربية بقضها وقضيضها لأي انسان ، ولا يستطيع فرد مهما أوتي من سعة الحفظ أن يحيط بأطرافها ، ولذلك ، كان الخليل يتوقف في كلمات لا يدري وجهها الصحيح كقواه في مادة ذ ع ق •

« الذعاق بمنزلة الزعاق - سمعناه فلا ندري ألغة هي أم لشغة » (1)
وبهذه المقدرة التي يمكن أن تحيط بشيء ، وتلمس بقيته فسي سماع أو سؤال ، أخذ في وضع الكتاب فكان كما يحكي الليث بعد أن رجع من الحج وصار إليه - أي الى الخليل (قد ألفت الحروف كلها على ما في صدر هذا الكتاب فكان يملأ على ما يحفظ ، وما شك فيه يقول لي : سل عنه فإذا صح فائتبه الى أن عملت الكتاب) (2) •

في الكتاب اذن ، أمكنة للعلماء ، والاعراب ، وكل من له معرفة موثقة بالعربية ، بقيت هذه الأمكنة تنتظر من يملؤها في حياة الخليل نفسه حين كان الليث يذهب في الطلب ، يسأل الأعراب وغير الأعراب ثم يعود فيعرض ما سمع على مسامع الخليل فيرجحها حيناً فيثبتها في مكانها من الكتاب ، ويشك فيها حيناً فيستبقيها الليث الى أن يسكن عند رأي ، أو يذكرها محاطة بشكوكها - ترى ذلك فيما يحكيه الليث بين السطور ، وفيه ما يعرفه الخليل ، وفيه أيضاً ما لا يعرفه الخليل •

يقول في مادة ن ق ع (النقع : الغبار ، قال الشويعر واسمه عبيد العزى :

(1) العين 168

(2) الفهرست 64 ط الرحمانية

فهن بهم ضوامر فى عجاج
يثرن النقع أمثال السراحي

قال الليث : قلت للخليل ما السراحي ؟

قال : أراد الذئاب ، ولكنه حذف من السرحان الألف والنون فيجمعه
على سراحي ، والعرب تقول ذلك كثيرا كما قال :

درس المنا بمنالغ فأبان

أراد المنازل فحذف الزاى واللام) •

فأنت ترى في هذه الفقرة أنه استفسر الخليل ووجد عنده بعينه •

وفي مرة أخرى - يعود - ويسأل الخليل فلا يعرف الخليل ما جاء
به الليث ، ويظل ذلك عالقا في ذهن الليث حتى ترجع الكلمة برواية أحد
الأعراب الرواة فيثبتها حينئذ ، ويثبت الى جانبها هذه المحاولات أيضا •

يقول : قلت للخليل ما تقول في المخلع ؟

قال : المخلع من العروض ضرب من البسيط والخليع من
أسماء الغول ، قال عرام : هي الخلوع لأنها تخلع قلوب الناس ، ولم يعرف
الخليع (1) يقصد : ولم يعرف الخليل الخليع ، والعبارة الأخيرة وردت
بهذا التفصيل في نسخة بغداد ، فأين الخليل ، وأين عرام ؟

الخليل عالم مستقر في البصرة •

وعرام أعرابي لا نسمع عنه في البصرة ولكنه أعرابي من الأعراب
الذين استقدمهم عبد الله بن طاهر الى نيسابور (2) وكتاب العين ملىء
برواياتهم التي تفسرها بأن الكتاب قد حمله الليث نور وفاة الخليل فأكسله

(1) العين 138

(2) معجم الأدباء 3 : 17 ترجمة احمد بن أبي خالد

من أفواه الرواة في شرق العراق •

وهذا تفسير لما تجده من اضطراب حين تنظر الى رجال السند في كتاب العين فتجد من الرواة العلماء رجالا عاصروا الخليل ، ومنهم من تلمذ له كالاصمعي ، وأبي عبيدة ، وسيبويه ... وآخرون تأخروا عنه ، وبعضهم لم يكن له ذكر في البصرة كابن الاعرابي الكوفي ، وأبي عبيدة الكوفي البغدادي ، وأحمد بن أبي خالد المعروف بأبي سعيد الضرير البغدادي أولا النيسابوري أخيرا . كما تجد أيضا عبارة : وقال غير الخليل •

وعلى ذكر الاعراب الرواة تجد في الكتاب روايات لأعراب نعرفهم في البصرة كأبي الدقيش وأبي خيرة وغيرهم ممن عاصر الخليل وعاش بقربه في بلدته ، ولكنك تجد أيضا من الأعراب الرواة من لم تسمع به في البصرة كعرام هذا ، وزائدة ، ومبتكر ، وحماس ، وأبي ليلى وغيرهم ولا أدري اذا كان الليث قد سألهم وحشا الكتاب من رواياتهم ، أم كان ذلك بفعل الوراقين كما يقول ثعلب •

ومات الليث ، وبقي في الكتاب أمكنة تحتاج من يهضمها — أو على الأقل تقبل التحشية في ثنايا المواد ، فتم ذلك كما يقول ثعلب وكما نرجحه أيضا — بفعل الوراقين •

كان من عمل الوراقين بصفة عامة أن يكتبوا عدة نسخ من الكتاب الذي تتضح أهميته — وقد وجدت عدة نسخ من كتاب العين كانت في حوزة الازهرى صاحب التهذيب كما يحكى ذلك في مقدمته ، وكان من عمل الوراقين أن يضخموا الكتاب فيتضخم رزقهم أيضا — وبعضهم قد أصبح لممارسة هذه الصناعة على علم بموضوعها فتأتى الزيادة التي يكتبها

صحيحة أحيانا ، كما قد تأتي خاطئة أحيانا . وهذا شأن كل كتاب تختلف روايته عن الطريقة التي كانت متبعة في عصر جيع اللغة وهي رواية التلاميذ له عن استاذهم مما يتحقق معه الاسناد الصحيح الموثق .

ولابن جنى عبارتان تختلفان بحسب مزاجه . ولكنهما يدلان قطعاً على عناية الرجل بالكتاب . وابن جنى على رأس علماء العربية جميعاً بلا منازع . وهو لذلك ينظر الى رأيه في المسائل العلمية بتقدير شديد . لرجل كما قلنا نظرتان ، الاولى حين ينظر الى الكتاب بعين السخط . وتتضخم أمامه الهنات ، وحينئذ يطعن عليه كما يطعن الناس . ويقول :

« وأما كتاب العين ففيه من التخليط والخلل والفساد ما لا يجوز أن يحمل على أصغر اتباع الخليل فضلاً عن نفسه ، ولا محالة ان هذا تخليط لحق هذا الكتاب من قبل غيره - رحمه الله - وان كان للخليل فيه عمل فانما هو أنه أوما الى عمل هذا الكتاب ايماء ، ولم يله نفسه ، ولا قرره ولا حرره » .

فاذا اطمأنت نفسه ، هفت الى هذا الابداع الذي لا يستطيعه غير الخليل بن احمد ، فينظر الى الكتاب بعين الرضى ويجد فيه كما يحكى « معاني غامضة ، ونزوات للفكر لطيفة ، وصنعة فسي بعض الأحوال مستحكمة » ثم يقول « وذاكرت به يوماً ابا على - رحمه الله - فرأيت منكراته ، فقلت له : ان تصنيفه منساق متوجه ، وليس فيه التعسف الذي في كتاب الجماهرة » فقال : الآن اذا صنف انسان لغة بالتركية تصنيفاً جيداً يؤخذ به في العربية ، أو كلاماً هذا نحوه (1) .

(1) الخصائص 3: 288 ط دار الكتب

فاجتمع على كتاب العين حظ عاثر . وتحريض متحامل من أبى على
الفارسى ، ولولا هذا فيما نعتقد لاتتفع الناس بنظرات ابن جنس فسى
الكتاب .

الاثار الفكرية حول كتاب العين

هذا السبق العقلى ، والابداع الفكرى الذى تجلى فى منهج العين
وتربيته يعزوه بعض العلماء الى تأثير البصرة بالثقافات الهلينية ، والهندية ،
والكلدانية التى وجدت سبيلها الى البصرة قبل الفتح الاسلامى ، فالاستاذ
برجستراسر يشير الى الهنود ، والعرب على انهم أقدم من تحدث فى
الدراسات الصوتية (1) عنى بها علماء الهنود كجزء من عنايتهم بكتابهم
المقدس ، وافترض انتقالها الى البصرة بعد ذلك ، وتأثر علماء المسلمين بها
فى دراستهم اللغوية فرض قريب .

ويذهب ابن أبى اصيبعة الى وجود صداقة علمية بين حنين بن اسحق .
والخليل بن أحمد (2) فبنى عليها الدكتور ابراهيم بيومى مذكور افتراضا
يوضحه بقوله :

« ومن اليسير أن تتصور أنه قد تبادل مع الخليل بعض القواعد
النحوية خصوصا وهو يعزى اليه أنه ترجم بعض كتب الأبروميّة
اليونانية ، وأتم مع ابنه اسحق البقية الباقية من كتب أرسطو المنطقية » (3)

الا أن التحقيق التاريخى يأبى هذا الفرض ، فالخليل لم يلتق بحنين .

-
- (1) التطور النحوى ص 5 ج . برجستراسر ط القاهرة سنة 1929
 - (2) طبقات الأطباء 1: 184 ط القاهرة 1299 هـ - 1881 م
 - (3) مجلة مجمع اللغة العربية العدد السابع مقال للاستاذ ابراهيم
بيومى مذكور

ولا يابنه اسحق ، فالخليل مات سنة سبعين ومائة او سبع وسبعين ومائة
في قول آخر قبل أن يولد حنين سنة أربع وتسعين ومائة - أما صديق
الخليل الذي يمكن أن يتأثر به ، أو يتبادل معه المعرفة فهو عبد الله بن
المقفع .

ذكر دى بور أن ابن المقفع أصاب بعض العلم بالكتب اليونانية التي
ترجمت الى الفهلوية ونقلها الى اللسان العربى (1) وقال : « وابن المقفع
الذى كان فى أول الامر صديقا حميما للخليل بن أحمد يسر للعرب الاطلاع
على كل ما كان فى اللغة الفهلوية من أبحاث لعوية ومنطقية » (2) ولكن
الاستاذ بول كروس رجح أن الذى قام بترجمة بعض كتب أرسطو هو
محمد بن عبد الله بن المقفع ، جاء ذلك فى مقال له بعنوان « التراجم
الارسطالية المنسوبة الى ابن المقفع » (3) .

لم يكد يظهر هذا الأثر الفكرى الفذ حتى أتجهت الاذهان اليه باعجاب
واهتمام شديدين ، فيهم من أنكره ، وهذا لون من الاهتمام وان أخذ هذا
اللون ، ومنهم من رأى فيه نقضا فألف تحت اسم « فائت العين » - ومنهم
من رأى خطأ فاستدرك عليه - ومن بعد هذا ، وكان معجم العين هو
المعجم الأول جاءت فى أثره المعاجم .

لعل الذى يسترعى النظر ما ذكره ابن النديم من أن الخليل بن أحمد
عمل كتابا باسم « فائت العين » وهذه مسألة يصعب تصورها ، ولما نتته

(1) تاريخ الفلسفة فى الاسلام 22 تأليف دى بور . ترجمة (ابو ريده)
ط لجنة التأليف والترجمة والنشر 1938

(2) تاريخ الفلسفة فى الاسلام 39

(3) التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية 101 ترجمة عبد الرحمن
بدوى ط الاعتماد سنة 1941

بعد من الشك حول خلوص كتاب العين له ، وتكاد الآراء تجمع على أنه لم يكمله .

وذكر ابن النديم أيضا ، من الذين استدرکوا على كتاب العين أبا فید مؤرج بن عمر السدوسی ونصر بن علی الجهمی (1) ونحن نشاءل اذا كان ظهور العين لأول مرة آتيا من خراسان من خزائن الطاهريين كان فى سنة ثمان وأربعين ومائتين فكيف استدرکا عليه ؟ وكذلك كيف عمل النضر بن شميل كتاب المدخل الى كتاب العين وهو لم يره - تحت التفسير السابق ؟

وعرض للكتاب من رجال الكوفة أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ، ويبدو أنه تناوله تحت تأثير الخصومة القائمة بين البصرة والكوفة وعبر أبو الطيب اللغوى عن مسلك المفضل بقوله : « رد أشياء من كتاب العين للخليل أكثرها غير مردود » (2) وقد أثارت هذه الحركة الجائسة حساسية علماء البصريين ، منهم من تناولها تناولاً علمياً خالصاً ، ومنهم من تأثر بالخصومة البلدية فقد تناول على بن مقلة ملاحظ المفضل بن سلمة على الخليل ، وقرأها أمام ابن دريد ، فكان ابن دريد يقول : صدق أبو طالب فى شيء اذا مر به ، وكذب أبو طالب فى شيء آخر (3) ثم جمعت هذه المناقشة فى كتاب سعى التوسط فى نحو المائة ورقة .

وتولى الرد على المفضل فى كتب مفصلة كل من ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وأبو محمد عبد الله بن جعفر بن درستويه الذى يذكر له ابن النديم كتابين فى هذا الاتجاه الأول رد فيه على المفضل ، والثانى رد فيه على من نفى كتاب العين عن الخليل (4) .

(1) الفهرست 65 ط الرحمانية

(2) المزهر 1 : 87 ط الحلبي

(3) الفهرست 92 ط الرحمانية

(4) الفهرست 94 ط الرحمانية

كتاب التكملة

وعمل أحمد بن محمد الخارزنجي البشتي كتاب التكملة ، أوماً الى أنه كسل بكتابه كتاب العين ، وذكر مصادره في صدر الكتاب (1) ودافع عن طريقته في الأخذ عن الصحف بأنه رجل يعرف الغث من السمين ، ومن قبله فعل ذلك أبو تراب في كتاب الاعتقاب حين روى عن الخليل بن أحمد ، وأبي عمرو بن العلاء ، والكسائي وبينه وبين هؤلاء فترة - وكذلك القتيبي روى عن سيويه والاصمعي وأبي عمرو وهو لم ير منهم أحداً ، ولكن الازهرى هاجمه بعنف ثم قال : « والصحفى يصحف فيكثر وأنا ذاكر لك حروفاً صحفها ، وحروفاً أخطأ فى تفسيرها من أوراق يسيرة كنت تصفحتها من كتابه ... فما عثرت عليه من الخطأ فيسا ألف وجمع : انه ذكر فى باب (العين والثاء) أن أبا تراب أنشد

ان تمنع صَوْبَكَ صَوْبَ المدمع

يجرى على الخد كضئب الشعث

فقيد البشتي بكسر الثاءين والصواب الشعث (بفتح الثاءين)

— وأنشد البشتي : فبأمر وأخيه مؤتر

ومعلل وبمطفئ الجسر

قال البشتي : سسى أحد أيام العجوز آمر لأنه يأمر الناس بالحد

منه ، قال : وسسى اليوم الآخر مؤتر لأنه يأتس الناس ، **أى يؤذنه**
(من الايذان وهو الاعلام) •

(1) انظر هذه المصادر الواسعة مفصلة فى ص 32 و 33 من الجزء الاول

من كتاب التهذيب ط الدار القومية العربية للطباعة سنة

1384 هـ - 1964 م

قلت : وهذا خطأ محض ، لا يعرف فى كلام العرب ائتمر بمعنى آذن . وفسر قول الله عز وجل (ان الملا يأتسون بك) على وجهين أحدهما يهمون بك ، والثانى يتشاورون فيك . وائتمر القوم وتآمروا ، اذا أمر بعضهم بعضا . وقيل لهذا مؤتمر لأن الحى يؤامر فيه بعضهم بعضا للظعن أو المقام فجعلوا المؤتمر نعنا لليوم ، والمعنى أنه مؤتمر فيه كما قالوا : ليل نائم أى ينام فيه ****

— وذكر فى باب (العين واللام) : أبو عبيد عن الاصمعى : أغللت الابل فهى عالة اذا أصدرتها ولم تروها .

قلت : وهذا تصحيف منكر ، والصواب أغللت الابل بالعين ، وهى ابل غالة . أخبرنى المنذرى عن أبى الهيثم عن نصير الرازى قال : صدرت الابل غالة ، وغوال ، وقد أغللتها ، من الغلة والغليل ، وهو حرارة العطش ***

— وروى البشتى فى باب (العين والنون) قال الخليل : العنة : الحظيرة وجمعها العنن وأنشد :

ورطب يرفع فوق العنن (1)

قال البشتى : العنن هاهنا : حبال تشد ، ويلقى عليها لحم القديد . قلت : والصواب فى العنة والعنن ما قاله الخليل ان كان قاله ، وقد رأيت حظرات الابل فى البادية تسوى من العرفج والرمث فى مهب الشمال كالجدار المرفوع قدر قامة لتناخ الابل فيها وهى تقيها برد الشمال . ورأيتهم يسمونها عننا لاعتنائها معترضة فى مهب الشمال واذا يبست هذه

(1) اللسان عن ن وصدر البيت ترى اللحم من ذابل قد ذوى ،
والبيت للاعشى

الحظرات فنحروا جزورا شرروا لحمها المقدد فوقها فيجف عليها •
ولست أدري عن أخذ ما قاله في العنة أنه الجبل الممدود ، ومد
الجبل من فعل الحاضرة ، ولعل قائله رأى فقراء الحرم يمدون الجبال بمنى
فيلقون عليها لحوم الهدى والأضاحى التى يعطونها ففسر قول الأعشى
بما رأى ••••

— وأنشد احمد البشتى :

يا رب شيخ منهم عنين
عن الطعان وعن التجفين

قال البشتى فى قوله (وعن التجفين) هو من الجفان أى لا يطعم
فيها (1)

قلت : والتجفين فى هذا البيت من الجفان والاطعام فيها خطأ ،
والتجفين هاهنا كثرة الجماع • رواه أبو العباس عن ابن الأعرابى ، وقال
أعرابى : (أضوانى دوام التجفين) أى أنحفنى وهزلنى الدوام على
الجماع ••••

وقال البشتى فى باب (العين والباء) : أبو عبيد : العبيبة : الرائب
من الألبان •

قلت : وهذا تصحيف قبيح وإذا كان المصنف لا يميز العين والغين
استحال ادعاءه التمييز بين السقيم والصحيح • وأقرأنى أبو بكر الأيادى
عن شمر لأبى عبيد فى كتاب المؤلف (أى غريب المصنف) الغيبة بالغين
المعجمة : الرائب من اللبن ••••

(1) فى اللسان : الجفان التى يطعم فيها

س وقال البشتى فى باب (العين والهاء والجيم) : العوهج : الحية
فى قول رؤبة

حصب الغواة العوهج المنسوسا

قلت : وهذا تصحيف دال على أن صاحبه أخذ عريته من كتب
سقيمة ، ونسخ غير مضبوطة والحية يقال له العومج بالميم وقيل
للحية عومج لتعديجه فى انسيابه اى لتلوييه ومنه قول الشاعر يشبه زمام
البعير بالحية اذا تلوى فى انسيابه :

تلاعب مثنى حضرمى كأنه

تعمج شيطان بذى خروج قفسر

وقال فى باب (العين والقاف والزاي) قال يعقوب بن السكيت :
يقال قوزع الديك ، ولا يقال قنزع .

قال البشتى : معنى قوله قوزع الديك أنه نفس برائله (البرائل :
ريش الطائر حول عنقه) وهى قنازعه .

قلت : غلط فى تفسير قوزع أنه بمعنى تنقيشه قنازعه ، ولو كان كذا
قال لجاز قنزع وهذا حرف لهج به عوام أهل العراق وصبيانهم ، يقولون :
قنزع الديك اذا فر من الديك الذى يقاتله ، وقد وضع أبو حاتم هذا
الحرف فى باب المزال المفسد وقال : صوابه قوزع ، وكذلك ابن السكيت
وضعه فى باب ما تلحن فيه العامة ، وروى أبو حاتم عن الاصمعى أنه قال :
العامة تقول للديكين اذا اقتتلا فهرب أحدهما : قنزع الديك :

وانما يقال قوزع الديك اذا غلب ولا يقال قنزع .

وقال البشتى فى باب (العين والضاد) قال : العيصوم : المرأة
الكثيرة الأكل

قلت : وهذا تصحيف قبيح دال على قلة مبالاة المؤلف اذا صحف ،
والصواب : العيصوم بالصاد

وقال فى باب (العين والضاد مع الباء) يقال مررت بالقوم أجمعين
أبضعين بالضاد

وهذا أيضا تصحيف فاضح يدل على أن قائله غير مميز ولا حافظ
كما زعم ، أخبرنى أبو الفضل المنذرى عن أبى الهيثم الرازى أنه قال :
العرب تؤكد الكلمة بأربع توكيدات فتقول مررت بالقوم أجمعين اكتبين
أبضعين أبتعين ، هكذا رواه أبو العباس عن ابن الاعرابى قال : وهو مأخوذ
من البصع وهو الجمع ***

وقال فى باب (العين والقاف مع الدال) قال يعقوب بن السكيت :
يقال لابن المخاض حين يبلغ أن يكون ثنيا : قعود وبكر ، وهو من الذكور
كالقلوص من الاناث

قال البشتى : ليس هذا من القعود التى يقتعدها الراعى فيركبها
ويحمل عليها زاده وأداته ، وانما هو صفة للبكر اذا بلغ الاثنا

قلت : أخطأ البشتى فى حكايته كلام ابن السكيت ثم أخطأ فيما
فسره من كيسه (من عنده) ***** فجعل البشتى (حتى) (حين)

وأحد الخطأين من البشتى فيما قاله من كيسه تأنيثه القعود ولا
يكون القعود عند العرب الا ذكرا - والثانى أنه لا قعود فى الابل تعرفه
العرب غير ما فسره ابن السكيت . ورأيت العرب تجعل القعود البكر من
حين يركب ، أى يسكن ظهره من الركوب . وأقرب ذلك أن يستكمل

نسبتين الى أن يشئ ، فإذا ثنى سمي جملاً ، والبكر والبكرة بمنزلة الغلام
والجارية اللذين لم يدركا ، ولا تكون البكرة قعوداً . وقال ابن الأعرابي
فيما أخبرني المنذرى عن ثعلب عنه : البكر : قعود مثل القلوص فى النوق
الى أن يشئ ، هكذا قال النضر بن شميل فى كتاب الابل (1)

وكان الأزهرى كعادته يتلصص الخطأ أو التصحيح ليكيل الاتهام
لصاحب كتاب التكملة ، بالرغم من أنه كان (امام أهل الأدب بخراسان فى
عصره بلا مدافعة) كما يقول الحافظ ابو عبد الله بن البيع فى تاريخ
نيسابور ، وكذلك شهد له بالتقدمة أبو عسر الزاهد ، ومشايخ العراق
بسبب كتاب التكملة هذا (2)

كتاب الحصائل لابي الازهر البخارى

وكذلك الف ابو الازهر البخارى كتاب الحصائل ، يقصد به تحصيل
ما أغفله الخليل ، وقد اثنى القفطى على هذا الكتاب ، ووصفه بأنه كتاب
جليل القدر جامع للغة ويقول « رأيت منه الجزء الأول فنظرته كتاباً جليلاً
جامعاً ، يشتمل هذا الجزء على ما فات الخليل فى حرف العين خاصة » (3)
ومع هذا فلم يسلم أبو الازهر من لسان الأزهرى الذى قال فيه « واما أبو
الازهر البخارى الذى سمي كتابه الحصائل فانى نظرت فى كتابه الذى ألفه
بخطه وتصفحته فرأيت أنه أقل معرفة من البشتى وأكثر تصحيحاً » (4)

مختصر الزبيدي

ثم اختصر كتاب العين محمد بن الحسن الزبيدي ، فحذف ما فيه من

(1) انظر التهذيب 1: 33-40 وانباه الرواة 1: 111-119

(2) انباه الرواة 1: 107

(3) انباه الرواة 4: 93 (ترجمة أبى الازهر البخارى)

(4) تهذيب اللغة 1: 40

الشواهد ، وأكثر الآيات القرآنية فخف حمله ، وسهل النظر فيه . وبهذا أعجب به فئة من الناس فقال أبو الحسن الشاربي في فهرسته : كان شيخنا أبو ذر يقول : المختصرات التي فضلت على الأمهات أربعة :

مختصر العين للزبيدي ، ومختصر الزاهر للزجاجي ، ومختصر سيرة ابن اسحق لابن هشام ، ومختصر الواضحة للمفضل بن سلمة (1)

ومع هذا فكان الشاربي ، وشيخه أبو ذر مع اعجابهما بهذا المختصر يجدان الزبيدي قد أخل بكتاب العين فيقول الشاربي « ومذهبي ومذهب شيخي أبي ذر الخشنى ، وأبى الحسن بن خروف أن الزبيدي أخل بكتاب العين كثيرا لحذفه شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب منه » (2)

فلما علم هذا من أمر مختصر الزبيدي عمل الامام تمام بن غالب بن عمر المرسى الأندلسي المعروف بابن النيانى كتابا سسمى (بفتح العين ؟) أو (تلقيح العين) كما جاء فى معجم الادباء ، قيل انه أتى فيه بما فى العين من صحيح اللغة الذى لا اختلاف فيه على وجهه دون اخلال بشيء من شواهد القرآن والحديث وصحيح أشعار العرب وطرح ما فيه من الشواهد المختلفة . والحروف المصحفة ، والأبنية المختلفة ، ثم زاد فيه ما زاده ابن دريد فى الجوهرة فصار هذا الديوان محتويا على الكتاتين جميعا (3) ويبدو أن هذا الكتاب نال استحسان معاصريه فقال فيه الحميدى (٠٠٠ لم يؤلف مثله اختصارا واكتارا) وقال ابن بشكوال بسنده عن ابن حبان فى ترجمة تمام بن غالب (وله كتاب جامع فى اللغة ، سماه تلقيح العين ، جم الفائدة) (4) •

(1) المزهر 1 : 87 ط الحلبي

(2) المزهر 1 : 88

(3) المصدر نفسه

(4) معجم الادباء 7 : 136 ، 137

ولقد ترى معى أن كتاب العين بسبقه ، وترتيبه ، ومنهجه ، والفلسفة
التي تراها فى افتتاحيته ، والتي تدل على شدة الف الخليل بالعريضة
وخصائصها - برغم ما قيل فيه - عمل ضخيم فتح للعلماء من بعد الخليل
أبوابا دخلت منها المعاجم الأخرى التي سنعرف بها الآن ، والتي تكشف،
أن اصحابها جميعا كانوا عيالا على كتاب العين *

جمهرة اللغة

نجم فى البصرة أيضا ، وفى بيت علم بها ، عالم لغوى وهب سعة فى الحفظ ، وقوة فى الذاكرة ، هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، ذكروا من قدرة استيعابه أن عمه عهد اليه بحفظ قصيدة من ديوان الحارث ابن حلزة ، فلما عاد بعد فترة الغداء مع معلمه وجداه قد حفظ الديوان .
وهكى الخطيب عن رأى ابن دريد انه قال : « كان ابن دريد واسع الحفظ جدا ما رأيت أحفظ منه ، وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق الى اتمامها ، وما رأيت قط قرىء عليه ديوان شاعر الا وهو يسابق الى روايته لحفظه له » .

وبهذه الحافظة الواعية تلمذ لأبى حاتم السجستاني، وأبى عثمان سعيد ابن هارون الاشناداني ، وأبى الفضل العباس بن الفرّج الرياشي ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أخى الأصمعي ، والحسين بن دريد عمه وآخرين .

فلما روعت البصرة بثورة الزنج فى سنة سبع وخمسين ومائتين ، وقتل فيها العباس بن الفرّج الرياشي ، ذهب ابن دريد فى صحبة عمه الحسين بن دريد الى عمان ، وأقام بها اثنتى عشرة سنة ، عاد بعدها الى البصرة ، ولكن هذه البيئة العلمية التى كانت مستقر العلماء ومهبط الطالبين قد فتر فيها الطلب بظهور بغداد ولم تطب مستقرا ومقاما لهذا

العالم النابه ، فلما جاءتة دعوة من عبد الله بن محمد بن ميكال وكانت له عمالة كور الأهواز ليؤدب ولده اسماعيل ، سارع الى اجابتها . وفي ظل هذه الأسرة ، هدأت نفسه ، ووجدت حافظته بمكنونها ، فأملى كتاب الجمهرة ، لا ليوازي به كتاب العين ، ولا ليصحح ملاحظ وجدها فيه ، أو يبرز مطعنا على صاحبه ، ولكن ابن دريد لم يقصد الى شيء من هذا ، بل وضع الاشادة بالخليل وكتاب العين في سطور الجمهرة الأولى وفي مقدمتها ، ويقول :

« ولم أجر في انشاء هذا الكتاب الى الازراء بعلمائنا ، ولا الطعن في أسلافنا ، وانما على مثالهم نحتذى ، وبسبلهم نقتدى ، وعلى ما أصلوا بنبى ، وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهودى رضوان الله عليه كتاب العين فاتعب من تصدى لغايته ، وعنى من سما الى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكل من بعده له تبع » (1)

وأعد كتاب الجمهرة يعنى بذلك الجمهور من كلام العرب ، صارفا النظر عن الوحشى والمهمل والمثروك ، ويختلف غرضه عن غرض الخليل ، فالخليل كان يريد حصر ألفاظ العربية على جهة الاستقصاء ، ويضعها أمام الخاصة والعامة كمعين من العلم يعترف منه من شاء بحسب قدرته ، ولكن ابن دريد وجد منهج الخليل يستعصى على العامة ، ولا يستطيع الانتفاع بمنهجه الا من أوتى حظا من المعرفة بالصرف والعلوم العربية ، فقرب ابن دريد من افهام الناس ، وأجرى كتابه على ترتيب الأبجدية العادية اذ كان علم العامة بها كعلم الخاصة .

بدأ الثنائى بالهمزة والباء ، ثم الهمزة والتاء وهو ما جاء على فَعْل (بفتح الفاء وسكون العين) ، وفَعْل (بضم الفاء وسكون العين) ،

(1) جمهرة اللغة 3:1 ط حيدر آباد 1344 هـ .

وفِعِلْ (بكسر الفاء) من الاسماء والمصادر ولا يكون حرفين البتة الا والثانى ثقيل حتى يصير ثلاثة أحرف ، وانما سمى ثنائيا للفظه وصورته ، فاذا صرت الى المعنى والحقيقة كان الحرف الأول أحد الحروف المعجمة ، والثانى حرفين مثلين احدهما مدغم فى الآخر أب ب • أت ت • أث ث • أج ج • أح ح • أخ خ • اد د • فلما انتهى ترتيب الثنائى الصحيح المدغم بدأ فى أبواب الثنائى الملحق ببناء الرباعى المكرر على النهج السابق: ب ت ب ت / ب ث ب ث / ب ج ب ج / فلما انتهى السى آخر الحروف هـ ي هـ ي عمل للهمزة بابا بنفس بناء الرباعى المكرر ب أب / ت أت / الى ي أى أثم عقد بابا للثنائى المعتل وما تفرع منه ب أو ي - ت أو ي • • •

وفى أبواب الثلاثى الصحيح لم يبدأ بالهمزة وانما بالباء ب ت ث / ت ج الى آخر الترتيب ، وب نفس التقاليد التى كانت فى كتاب العين •

ثم عاد فعقد بابا من الثلاثى يجتمع فيه حرفان مثلان فى موضع العين واللام ، أو العين والفاء ، أو الفاء واللام من الاسماء والمصادر وما تشعب منه •

ثم جعل للمعتل أبوابا ، فهذا ما كان عين الفعل منه أحد حروف اللين ، ثم ما لحق الثلاثى الصحيح بحرف من حروف اللين •

ثم جعل للهمز قسما بدأه بقوله (باب النوادر فى الهمز) رتبه على حروف المعجم : باب الألف فى الهمز : أنت الرجل يأت أنيتا ، وهو أشد من الأئين ، وأنأت اللحم اناءة أى تركته نيئا • • • الى غير ذلك •

باب الباء فى المهموز : ثم التاء • • • الى الياء فلما استوفاه عقد باب الليف فى الهمز رتبه على نفس النهج وعرض للأوزان المختلفة •

وأتبع ذلك بأبواب الرباعى الصحيح بدأه بباب الباء والتاء مع ما بعدهما • • • ثم الرباعى الذى فيه حرفان مثلان (دردق - كركم -

قرقف) ولم أعرف له فى هذا الباب ترتيبا ، ثم ما جاء من الرباعى على فعلّ بتشديد اللام ، وما الحق بالرباعى فى مثل : فرس سبطر ، وأسد ضبطر ، وما جاء على فيعمل وفوعل ، وما ألحق بالرباعى بحرف من حروف الزوائد فلما أكثر من التقاسيم على هذا الوجه لجأ الى الصفات فكان من ذلك :

— باب ما جاء على فعلى من الاسماء والصفات

— وما جاء من ذلك على فعلى بضم الفاء

— وما جاء فى الشدة والصلابة ، والقصر ، والسرعة ، والمضاء ، والنهم ، والسعة ، والسهولة الى غير ذلك .

فلما دخل الى الخماسى كان على هذا النمط من البعثة حتى اذا وصل الى نهايته ، افتتح زيادة تحت اسم (أبواب اللفيف) فسر به بقوله : وانما سميناه لفيفا لقصر أبوابه والتفاف بعضها الى بعض . وفى آخر الكتاب عقد أبوابا فى النوادر تضمنت كثيرا من خصائص العريضة وفرائدها .

ويصف أبو العباس اسماعيل بن عبد الله الميكالى طريقة وضع الجهرة فيقول :

« أملى علىّ أبو بكر الدريدى كتاب الجهرة من أوله الى آخره حفظا فى سنة سبع وتسعين ومائتين فما رأيته استعان عليه بالنظر فى شيء من الكتب الا فى باب الهمزة واللفيف فانه طالع له بعض الكتب .

تعدد نسخ الجهرة

وظاهر للجهرة عدة نسخ لأن ابن دريد أملاها أكثر من مرة من حفظه ، ولذلك لاحظ جامعو نسخ الجهرة اختلافا فى بعض النسخ بالنقص أو الزيادة .

وطبعت النسخة الموجودة بأيدينا عن ثلاث مخطوطات أحدها نسخة المكتبة الآصفية فرغ منها كاتبها سنة ١٠٧٨ هـ وهى من نسخة قرئت على ابن خالويه وأبى العلاء المعرى ، وعليها حواش لهما . والثانية نسخة مكتبته بالكنى فور ، والثالثة لا خير فيها وكأنها منقولة عن النسخة السابقة .

ويشير المستشرق فريتس كرنكوى بمقابلة عدة نسخ من الجُمهرة فى مكاتب أوزبة ، أحدها النسخة القديمة المحفوظة فى مكتبة جمعية العلوم بليدن وهى فى ثلاث مجلدات ، فى المجلد الاول نقص يبلغ نحو ستين ورقة ، ولكن هذا الخرم أكمل حديثا من نسخة لا يعلم أين هى ، اما المجلدان الثانى والثالث فهما من رواية أبى سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى وهى أكمل روايات الكتاب .

والنسخة الثانية محفوظة فى خزانة المتحف البريطانى فى لندن ولا يوجد منها الا جزآن من سبعة أجزاء وخطهما على ثلاثة أشكال أحدها بالخط المغربى القديم فى غاية الحسن والصحة من رواية أبى على اسماعيل القالى أحد تلامذة ابن دريد ، والقسم الثانى لا يجاوز مائتى سنة بالخط العراقى وليس هو فى الصحة كالأول والثالث ، أما الخط الثالث فهو بالخط القديم ويظنه كرنكوى كتب فى القرن الرابع أو أوائل الخامس ، والرواية أقصر من سائر النسخ ولكنها فى غاية الصحة وفيها زيادات فى بعض المواضع .

وفى المتحف البريطانى نسخة أخرى ، وهى مختصر الجُمهرة ، الا أنها قديمة الخط جدا ، كتب فى أولها أنها كتبت فى عهد المؤلف وهذا ما يوافق كينية الخط لأنها بالخط البغدادى القديم فى أكمل الضبط وأحسنه غير أن الكاتب أسقط من هذا المختصر كل شاهد من التنزيل ، والشعر ، وغير ذلك .

أما النسخة الرابعة فهي نبذة من آخر الكتاب محفوظة فى المتحف البريطاني - يظن كرنكوى أنها كتبت قريبا من عهد المؤلف ، وعلى حواشيتها تصحيحات لأبى عمر غلام ثعلب وهو أحد تلامذة ابن دريد ، ويذكر انه روى الجمهرة وألف كتابا فى تنبيهات على أغلاط المؤلف .

ويقول كرنكوى : قد بذلت الجهد فى تصحيح الكتاب ، وقابلته بالكتب المؤلفة فى اللغة العربية ، بعضها أخذ من الجمهرة مثل محكم ابن سيده ، ومجمل ابن فارس والصفحات التى طبعت من كتاب العين فى بغداد ، وعدة دواوين لقدماء وشعراء العرب . وقال : وكثيرا ما ذكر ابن دريد أبياتا من الشعر ولم يسم قائلها ، فزدتها بعد خط فاصل ليعلم انه ليس من أصل الجمهرة .

وفى مقدمة الجمهرة - كمقدمة العين - بحث لغوى ، بناه ابن دريد على منطق حروف المعجم ، فبين فيه الحروف المستقلة بذاتها ، والحروف التى تأتى من بين حرفين وهذه تبدو فى لهجات بعض القبائل ، كالحرف الذى بين الجيم والكاف فى لغة اليمن فيقولون فى جمل (كمل) ومثل الحرف الذى بين (الياء والجيم) ، وبين (الياء والشين) فيقول بعضهم فى غلامى : غلامج ، ويقول المتكلم غلامش (1) وكذلك ما أشبه هذا من الحروف المرغوب عنها ، فأما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقولون الكوم يريدون القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف ، وهذه لغة معروفة فى بنى تميم ، قال الشاعر :

(1) وفى نسخة المتحف البريطانى قال ابو بكر : الحرف الذى بين الشين والجيم والياء فى المذكر غلامج ، وفى المؤنث غلامش ، وكذلك فيما يشبه هذا من الحروف المرغوب عنها فأما بنو تميم فانهم يلحقون القاف باللهاء الجمهرة ص 5

ولا أكلول لكدر الكوم كد نضجت
ولا أكلول لباب الدار مكفول
والكاف الفارسية قريبة من نطق الجيم فى صعيد مصر ، وأصل البيت:

ولا أقول لقدر القوم قد نضجت
ولا أقول لباب الدار مقفول
وكذلك الياء المشددة تحول جيسا فيقولون بصرج ، وكوفج كما قال
الراجز :

خالى عويف وأبو علج
المطعمان اللحم بالعشج
وبالغداة فلق البرنج
وبعضهم يقلب كاف المخاطبة شينا ، وأنشد أبو بكر لمجنون ليلى :
فعيناش عيناها وجيدش جيدها
اراد عيناك ، وجيدك •

ثم تكلم عن الحروف المصنعة ، والمذلفة ، وبين مخارجها ، والفروق
الدقيقة فى هذه المخارج ، وكيف أن الحروف القريبة فى مخارجها لا تأتلف
فى كلمة واحدة الا بحواجز ويقول : (.....) فاذا جاءتك كلمة مبنية من
حروف لا تأتلف مثلها العرب ، عرفت موضع الدخول منها فرددتها غير هائب لها)
وابن دريد متأثر فى هذا بمقدمة الخليل فى كتاب العين ، وقد نقل منها
فقرات مسبوقة بكلمة « قال الخليل » •

ثم عقد بابا فى معرفة حروف الزوائد ، ومواقعها وهى : الهمزة ،
والألف ، والياء ، والواو ، والميم ، والنون ، والتاء ، واللام ، والسين ،
والهاء وبين مواقعها حين تأتى زائدة ، وختم المقدمة اللغوية ببيان الامثلة
فهى ثلاثية ، ورباعية وخماسية •

ملاحظ في كتاب الجمهرة

هناك ملامح عامة في كتاب الجسورة تدلك على الكثير من شخصية ابن ذريد ، ونظراته في اللغة ، فهو لا يرجح كفة الا اذا اقتنع هو نفسه ، أو رجحت عنده أسانيدھا ، فاذا لم يتوفر له ذلك ، ولم ير سبيلا الى رفضه ، ذكر الشيء كما سمعه .

من ذلك ما جاء في مادة ح ل ل قال : (ومنه قولهم هذا حل وبل ، وقال بعض اهل اللغة : بل اتباع ، وقال آخرون : البل : المباح ، لغة حميرية) (1) فهل تراه لا يجوز الاتباع ؟

— وفي حضض يقول :

(الحضض دواء معروف . وذكروا أن الخليل كان يقول : الحضض ، بالضاد والطاء ، ولم يعرفه أصحابنا) (2) وقد ترك القاريء في حيرة ، هل ابن ذريد يوافق الخليل ، أو يوافق أصحابه ، أم له رأى يختلف به عن الرأيين ؟

— أو يقول :

(..... ومحة البيضة صفرتها ، وخالص كل شيء محه ، والمحاح في بعض اللغات الجوع ، ولا أدري ما صحته) (3) .

— وفي خ ز ز يقول :

(1) الجمهرة 1: 64 ا (الف يعنى النهر الايمن ، ب النهر الايسر من الصحيفة)

(2) الجمهرة 1: 61 ا

(3) الجمهرة 1: 64 ب

(٠٠٠٠ وزخ فى قفاه أى دفع ، وكل دفع زخ ، وربما كنى به عن
الجماع ، وقد روى عن على عليه السلام :

أفلح من كانت له مزخة

يزخها ثم ينام الفضة

وهذا شىء لا أقدم على الكلام فيه ، وأحسب المزخة أن ينفخ فى
نومه ولا أدرى ما صحته (1) .

وهو لا يقتصر على العموميات ، وإنما يوضح الوجه فيما انتهت اليه
المسميات التى عرفت عند اللغويين ، ففى القرء كان اللغويون يقولون أنها
من الأضداد ، ولذلك فهى تعنى الطهر ، وتعنى الحيض فأوردها ابن دريد
على جلاء أوضح فقال :

(وأقرأت المرأة اقراء ، فهى مقرأ ، واختلفوا فى ذلك ، فقال قوم :
هو الطهر ، وقال قوم : هو الحيض ، وكل مصيب لأن الاقراء هو الجمع
والانتقال من حال الى حال ، فكأنه انتقال من حيض الى طهر وهو الأصح
والأكثر ، ويجوز أن يكون انتقالا من طهر الى حيض) (2) .

وابن دريد يضع بذلك أمام الباحثين فى خصائص العربية وفى فلسفتها
أصول هذه الخصائص ليرى الوجه فى استنباطها ، أما هو فلا يصرح بهذا
الوجه ، فهو فى هذه المادة يكتفى بما فسر ، ولا يقول بالتضاد ، والأمـر
كذلك فى مواد مشابهة ذكرت فى الجبهة ففى (ب ك) يقول :

بك الشىء ييكه بكا اذا خرقة ، أو فرقته .

وبالك : الازدحام ، وكأنه من الأضداد عندهم ، من قولهم : تبالك

(1) الجبهة 1 : 66 ب

(2) الجبهة 3 : 276

القوم اذا ازدحموا وركب بعضهم بعضا ، قال الراجز (هو عامان بن كعب)
اذا الشريب أخذته آكته
فخلاه حتى يبك بكته

قال ابو بكر : الاكته : الحر الشديد مع سكون الريح ، والشريب :
الذى يورد ابله مع ابله (1) .

وفى ب ر غ وتقالبيه يقول :

والغابر : الماضى ، والغابر : الباقي ، وكأنه عندهم من الأضداد ،
وفى ابو عبيدة قوله تعالى (الا عجوزا فى الغابرين) فى الباقي ، والله
أعلم ، (2) .

وفى ج ر ب س وتقالبيه يقول :

والسجر : من قولهم سجرت التنور وغيره اذا ملأته حطباً ونارا ، وكل
شئ ملأته من شئ فقد سجرته به ، وفى التنزيل (والبحر المسجور) قالوا :
البحر المسجور المملوء والله أعلم ، وزعم قوم : أنه الفارغ ، قال الشاعر
(النمر بن تولب العكلى) :

اذا شاء طالع مسجورة

ترى حولها النبع والساسما

.... وأما قوله تعالى (واذا البحار سجرت) أى خلت من الماء ،
وزعموا أنه من الأضداد ، ولا أحب أن أتكلم فيه (3) .

فاذا كنت تلمح فى كل هذا اتجاها لابن دريد لعدم التسليم بالتضاد

(1) الجوهرة 1 : 36 ب

(2) الجوهرة 1 : 268 أ

(3) الجوهرة 2 : 76 أ ب

فى اللغة فلعلك ترجح هذا الاتجاه ، وتستبين وجهة ابن دريد فى مادة ب
ش ع وتقاليلها يقول :

(والشعب الافتراق ، والشعب الاجتماع ، وليس من الأضداد - انما
هى لغة قوم) (1) •

ويبدو أنه لا يعترف بظاهرة الابدال أيضا ، كظاهرة أو خاصة مسن
خصائص العربية ، ولكنه يذكر ما يقابله منها دون اشارة الى كلمة ابدال ،
ففى ب ض ض يقول :

(اذا كان الرشح أو التتح من دهن أو سمن فهو النث ، والمث (2)
وفى مادة ت ن ه وتقاليلها يقول :

(وهنتت السماء هتنا ، وهتونا ، وهو مثل الهطلان سواء) (3) •

الاحتجاج والشواهد

وابن دريد يتمتع بذاكرة واعية ، فما باله يكتفى فى الاحتجاج بالشعر
والرجز بمجرد قوله : قال الراجز (4) أو قال الشاعر (5) أو قال الآخر (6)
أو يتردد فى اسم قائل الشاهد ، كأن يقول فى مادة أ ر ر (أرّ الرجل المرأة
يورها أرّا اذا جامعها ، والرجل مثر اذا كان كثير الجماع ، قال الراجز
(وأحسبه الأغلب العجلى او ليلى بنت الحمارس) (7) الا اذا كانت
هذه الزيادة من الناشر •

الاستطراد

والاستطراد يتنافى وفكرة الاختصار والتخفيف التى كان يقصد اليها

-
(1)	الجمهرة 1 : 291 ب ، 292 أ
(2)	الجمهرة 1 : 33 أ (3) الجمهرة 2 : 31 أ
(4)	الجمهرة 1 : 14 أ (5) 14 : 1 ب
(6)	الجمهرة 1 : 14 ب (7) 17 : 1 أ

ابن دريد فقد رأيناه أحيانا يحتج للكلية بيت من الشعر أو الرجز ، ثم يستطرد فيفسر شيئا من مفردات البيت ، ففي مادة أ د د يقول :

« والآدء ، والأيد ، والآدء (بالتخفيف) القوة ، يقال : رجل ذو آد .
وأيد . قال الراجز :

أبرح آد الصلتان آدا
اذ ركبت أعوادهم أعوادا

وفي التنزيل (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة واللّه أعلم ، وقال
الراجز فى الأد وهى القوة :

نَضَوْن عُنَى شِرَّةٍ وَأَدَا
من بعد ما كنت صلاباً نهدا

ثم اخذ يفسر مفردات من البيت الأول فقال :
(ويقال : أبرح الرجل اذا جاء بالدهية والبرحاء الامر العظيم قال
الشاعر الاعشى :

أقول لها حين جد الرخيل

أبرحت ربا وأبرحت جارا

« أعوادهم » أى وقع السهم على القوس فهى الأعواد على
الأعواد (1) •

وفي مادة أ ز ز

از يؤز ازا - والأز : الحركة الشديدة ، وأزت القدر اذا اشتد
غليانها ، وفي كتاب الله تعالى (تؤزهم أزا) والمصدر الأز والأزيز والازاز
قال رؤبة :

(1) | الجمهرة 1: 16

لا يأخذ التأفيك والتحزى
فينا ولا طيخ العدى ذو الأز
ثم أخذ يفسر مفردات الشاهد فقال :

« التأفيك ، من قولهم أفك الرجل عن الطريق اذا ضل عنه ، وفسى القرآن العزيز (يؤفك عنه من أفك) قال يصرف عنه ، وقوله عز وجل (فأنى يؤفكون) أى يصرفون ، والله أعلم ، والتحزى : التكهن ، والحازى : الكاهن ، والطيخ : التكبر والانهماك فى الأباطيل ، يقول : اننا لا نستضعف (1) »

ولكن ، هل هذا مأخذ على كتاب الجهرة ؟ وهل من الهنات أن وضع فى حساباته التخفيف فاستطرد ؟ الرأى عندى أن لا ، فالاختصار يتبعه استفسار يكمن بين ما صعب بين السطور ، وأنه لا يكفى فى الإيجاز أن يفسر الشيء بالشيء ويحتج له ببيت يحمل من المفردات ما يصعب دركه ، فيضيع المقصود من الاحتجاج وعلى هذا فالكتاب يتمم بعضه بعضا ، وان هذا الاستطراد هو مجرد ملاحظة تأخذ مكانها الصحيح من الكتاب •

الاحتجاج بالحديث

وهناك فئة من اللغويين تخرج من القول فى الحديث ، وبالتالي لا تحتج به ، ولا تشير اليه فى سياق التفسير ، ولكنا رأينا صاحب العين يستشهد بالحديث ، وابن دريد كذلك ، وفى مناسبات عديدة • فمن ذلك :

— يفسر الفلذ بأنه القطعة من الكبد ، ويحتج لذلك بقول أعشى باهلة يرثى المنتشر الباهلى :

(1) 17:1 ، ب

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها
من الشواء ويروى شربة الغسر

فيقول : (الغمر) قدح صغير ، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :
(هلموا غمري) وأخذ من التغمير وهو الشرب دون الري (1)

— وفي ب ع ع ، غب في الاثناء يعب عبا ، وهو تتابع الجرع ، قال
الراجز :

يكرع فيها ويعب عبا
محبا في مائها منكبا

أي منكسا رأسه ، رافعا عجزه ، وفي الحديث (مصوا الماء
مصا ولا تعبوه عبا فان الكباد من العب) (2)

— وفي ب غ غ الغب من أورد الابل أن ترعى يوما ، وترد يوما من
الغد ، وبذلك سميت الحمى الغب لأنها تأخذ يوما وترفعه يَوْمًا — قال
أبو بكر ، قال أبو مالك : سألت العرب عن الغب فقالوا أن تشرب يوما ،
وترد بعده يوم فيكون وردها الماء يوما واحدا وكان ينبغي أن يسمى ثلثا —
والربع أن يفوتها الماء يومين ، والخمس أن يفوتها الماء ثلاثة أيام ، ثم كذلك
الى العشرة ، وانبا سمي عشرا لأنها تشرب يوما ثم ترعى ثمانية أيام وترد في
اليوم العاشر . وفي الحديث (ادَّهِنُوا غِبا) والمثل السائر « زرغبنا تزدد
حبا » (3)

— ث ج ج ثججت الماء ائجه ثجا اذا صببته كثيرا ، وكذلك فسر في

(1) مادة اذ ذ 16 : ب

(2) مادة ب ع ع 35 : أ

(3) 35 : ب

التنزيل في قوله جل وعز (ماء ثجاجا) وهذا مما جاء في لفظ فاعل والموضع مفعول لأن السحاب يشج الماء وهو مشجوج، وقال بعض أهل اللغة: ثجبت الماء وثج الماء واثج الماء كما قالوا ذرفت العين الدمع ، وذرف الدمع فهو ذارف ومذروف قال الراجز :

حتنى رأيت العلق الثجاجا

قد اخضل النحور والأوداجا

وفى الحديث (تمام الحج العج والثج) فالعج العجيج فى الدعاء ، والثج : سفك دماء البدن وغيرها (1) .

— وفى ح ش ش والحش مصدر حششت النار أحشها اذا أوقدتها: وفلان محش حرب اذا كان يسعرها لشجاعته ، وفى الحديث ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لابی جندل بن سهيل (ويل أمة محش حرب لو كان معه رجال) (2) •

— وفى ت ف ك الفتك (بفتح الفاء وكسرها) جميعا معروف ، وفى الحديث : (قيد الاسلام الفتك لا يفتك مسلم) والرجل القاتك الذى اذا هم فعل (3) •

— وفى ت ق و القوت مصدر قات عياله يقوتهم قوتا، والاسم القوت وهى البلغة من الطعام، والجمع أقوات، ويقال قات الرجل أهله، وأقاتهم وفى الحديث (كفى بالرجل اثما أن يضَيِّع من يقوت) (4) •

(1) 43 : 1 ب

(2) 60 : 1 ب

(3) 23 : 2 ب

(4) 27 : 2

اللغات

وهو شغوف بالاشارة الى اللهجات ، وخاصة اليمنية ونحن نورد عليك امثلة من ذلك :

— يقول : جح الشيء يجحه جحا اذا سحبه * لغة يمانية وكل شجر انبسط على وجه الأرض فهو عندهم الجح كأنهم يريدون أنه انجَحَ على الأرض اذا انسحب ، ويسمون صفار البطيخ قبل نضجه الجح وكذلك الحنظل الذي يسميه أهل نجد الحدج (1)

— والضجاج ، ثمر نبت أو صمغ تغسل به النساء رؤسهن — لغة يمانية (2)

— والألفت في لغة بني تميم الأعسر ، وفي لغة غيرهم الأحق (3)

— ومن فروق اللغات ترك الهمز في الحجاز وتحقيقه في بقية اللغات يقول ابن دريد في د ف ف : (قال أبو بكر : جاء قوم بأسير الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرعد فقال : (ادفوه) فقتلوه ، أراد عليه السلام أدفئوه ، ولغته بترك الهمز وهم ذهبوا الى لغتهم ادفوه أى اقتلوه (4)

ومن ذلك (برأت من المرض ابرأ برأ وهذه لغة الحجاز ، وسائر العرب يقولون : برئت من المرض ابرأ ، والمصدر فيهما البرء (5) *

وأنشد في (بح) لخفاف بن ندبة :

إذا الحسناء اسم ترحض يديها

ولم يقصر لها بصر بستر

(1)	48:1 ب ، 49 أ	(2)	53:1 أ
(3)	24:2 ب	(4)	74:1 ب ، 75
(5)	277:3 أ		

قروا أضيافهم ربحا ببح
يعيش بفضلهم الحى سمر

قال أبو بكر رخص يرحض (بفتح حاء المضارع) ورحض يرحض
(بكسر حاء المضارع) لغة هذا الشاعر وهى لغة أهل العالية (1)

— وأنشد لابن أحرر فى قولهم ربت فى معنى رب :

وربت سائل عنى حفى
أعارت عينه أم لم تعارا

« تعارا مكسورة التاء » قال أبو بكر : هكذا لغته أى صارت عوراء
ويقال عرت العين وعورتها (2)

— والسبب بلغة هذيل الجبل . وقال أبو ذؤيب :

تدلى عليها بين سب وخيطة
شديد الوصاة نابل وابن نابل

يصف الذى يشتار العسل فيتدلى بالجبل الى موضع العسل ، وقال
أبو عبيدة : الخيطة فى هذا البيت الجبل ، والسبب : الود (3)

— وفى ث ش ش قال : الشث ضرب من الشجر واحتج له بقول
الشاعر :

بواد يمان ينبت الشث فرعه
وأسفله بالمرخ والشبهان

(1) 1 : 24 | ب

(2) ب د د 1 : 28 | ب

(3) 1 : 30 | ب س س

- فقال : الشبهان : الشام ، لغة يمانية (1) •
 - وقد يفاضل بين فصيح وأفصح كقوله : البر : المعروف أفصح من قولهم القمح والحنطة (2) •
 - وقد يصوب لغتين كأن يقول : خصب وخِصب (بفتح الخاء وكسرها) وكُتب وكِتب (بفتح الكاف وكسرها) لغتان جيدتان (3) الى غير ذلك •

الأمثال

- وهو يشير الى الأمثال فلا أدري هل يحتاج بها أم هي مجرد اشارة ونوجز أمثلة بعد :
 - فى ب ز ز يقول بز الشيء ييزه بزا اذا اغتصبه ، والمثل السائر - (من عزّ بز) أى من قهر اغتصب (4) •
 - بس بالناق ، وأبس بها اذا دعاها للحلب ، ومثل من أمثالهم (لا أفعل ذلك ما أبس عبد بناقة) (5) •
 - وبض الماء يبيض بضاً وبضوضاً اذا رشح من صخرة أو أرض ومثل من أمثالهم (فلان لا يبيض حجره) أى لا ينال منه خير (6) •
 - وفى ب ي ي قال : هـى° بن بى° - مثل لمن لا يعرف ، وقالوا : هَيَّان بن يَّان اسمان لمن لم يعرف ولم يعرف ابوه وأنشد لابن أبى عيينة :
 لثام من بنى هـى° بن بى°
 وأنذال الموالى والعبيد (7)

(1)	45:1 ب	
(2)	27:1 ب ، ب ر ر	(3)
(4)	29:1 ا ، ب ز ز	(5)
(6)	33:1 ا ، ب ض ض	(7)
- 46:1 ب ، ت غ غ (3)
 30:1 ا ، ب س س (5)
 38:1 ب ، ا 39 ، ب ي ي (7)

— وفى ح ش ف يقول : ... وحشف التثر رديئه ويابسبه الذى لا
حلاوة فيه ... ومثل من أمثالهم (أحشفا وسوء كيلة) (1) •

المعرب والدخيل

وهو ينبه على الفاظ كثيرة بأنها ليست عربية فيقول مثلاً : الحب ضد
البغض وأما الحب الذى فيه الماء فهو فارسى معرب : وهو مولد ، قال أبو
حاتم : أصله خنب فعرب فقلبوا الخاء حاء ، وحذفوا النون (2) •
ويقول : البوصى : السفينة ، وكانت بالفارسية بالزأى فقلبتها العرب
صادا (3) •

وفى ج ص ص يقول : الجص معروف وليس بعربى صحيح (4) •

المساهلة في ترتيب الكلمات

وثمة ملاحظة تصل الى حد الخطأ عندما يأخذ هذا العالم الكبير فى
ترتيب الكلمات على حروف المعجم فيداخل الهاء مع التاء المربوطة فيقول فى
ح م هـ :

(..... والحنة مخففة حرارة السم وليست كما تسمى العامة حمة
العقرب ابرتها وسألت أبا حاتم عن الحمة فقال : سألت الأصمعى عنها فقال :
هى فوعة السم أى حرارته) (5) •

او يقول فى ح ن هـ (حنة الرجل امرأته) (6) •

وفى ح و هـ أشار الى الحوة فى الألوان (7) •

(1)	2 : 158	ب	(2)	1 : 25	ا
(3)	1 : 50	ا	(4)	1 : 52	ب
(5)	2 : 196	ب	(6)	2 : 197	ب
(7)	2 : 198	ا			

وثمة ملحظ آخر ، لقد وعد ابن دريد أن يأتي بجمهرة الألفاظ . وهى الكلمات التى تدور على الألسنة ، لا المستكره منها ولا الميت ، ولذلك اختار لكتابه اسم « الجمهرة » فما باله يتجاوز ما وعد ؟ فسر فى باب الباء والتاء من أبواب الرباعى الصحيح كلمة (جعتب) فقال : اسم من فعل ممات ، والجعتبة : الحرص والشره ، أو يقول فى نفس الباب : دعتب ، موضع قد جاء فى شعر شاذ ، أنشدنا أبو عثمان لرجل من كلب :

حلت بدعتب أم بكر والنوى

مما تشتت بالجميع وتشعب

ثم يقول : وليس تأليف دعتب بالصحيح (1) .

أو يقول : بخضع : اسم ، وليس بثبت (2) الا أن تكون الكلمة سائرة على الألسن فى عهده ويريد أن يشير الى عدم ثبوتها . وبعد ،

فكتاب الجمهرة ، من أصل كتب اللغة وأوثقها ، وإذا كان الاختصار قد قلل من حجمه ، واضطرب تنظيم الأبواب فيه ، فقد استكمل ما ذهب به الاختصار فى بحث شامل ختم به الكتاب تحت اسم النوادر . ولا يكاد الباحث يقلب صفحات الكتاب حتى يدرك طريقة الترتيب ، ووجهة ابن دريد فيه .

ونحن حين نذكر هذا الرجل لا ننسى أنه أملى الجمهرة من ذاكرته لم يرجع الى كتاب مدون الا فى الهمز واللفيف ، أما ما يقوله نبطويه وتليذه الأزهري من طعن فى ابن دريد ، فسرده - فيما أعتقد - الى المعاصرة ، والمعاصرة حجاب .

أبو اسماعيل بن القاسم القالي 288 - 356 هـ وكتابه (البارع)

ولد أبو علي بمناز كرد ، من أرمينيا سنة ثمان وثمانين ومائتين ورحل الى بغداد طلبا للعلم سنة ثلاث وثمانمائة ، وكانت عمره آنذاك خمسة عشر عاما ، فأدرک فيها ابن الأنباري ، وابن درستويه ، ونفطويه ، وابن دريد ، والزجاج ، والأخفش ، وأخذ عن ابن قتيبة كتب أبيه ، وقرأ على أبي بكر أحمد بن محمد القرآن الكريم بقراءة أبي عمرو بن العلاء أكثر من مرة ، كما أخذ عنه كتابه في القراءات السبع - وقرأ على ابن درستويه كتاب سيبويه عن المبرد ، وناظره فيه ، واستفسره مشكلاته ، وقال : (وقرأ معي الكتاب أجمع أبو جعفر ابن أبي محمد بن درستويه تعليما ورواية) وكتب الحديث عن أبي بكر السجستاني ، ويحيى بن صاعد ، وأبي عمرو محمد ابن يوسف القاضي ، وأبي القاسم البغوي وآخرين (1) .

ويبدو أن الحاجة قد دفعت بأبي علي الى تغيير أسلوب حياته . وبلغت به الشدة أن باع كتاب الجمهرة وكان بخط صاحبه ابن دريد : وتبعته نفسه فقال متحسرا :

أنت بها عشرين عاما وبعثها
وقد طال وجدى بعدها وحنيني

(1) انباه الرواة 1 : 205 - 207 ، بغية الوعاة 210

وما كان ظنى أننى سأبيعها
ولو خلدتنى فى السجون ديونى
ولكن لعجز وافتقار وصيبة
صغار عليهم تستهل شئونى
فقلت ولم أملك سوابق عبرتى
مقالة مكوى الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين (1)

وتوجه الى الأندلس وقد جاوز الأربعين بعامين ، فقصده عبد الرحمن
الناصر الاموى فأكرمه بقدر ما قدم له ولابنه الحكم المستنصر من العلم
والمعرفة .

ومن مؤلفات القالى : كتاب الأمالى والنوادر الذى أملاه من حفظه
فى مسجد الزهراء ، وكتاب المقصور والممدود ، والابل وتناجها ، وكتاب
حلى الانسان ، والخيول وشياتها ، وكتاب فعلت وأفعلت ، ومقاتل الفرساء ،
وكتاب فى القصائد والمعلقات وتفسيرها واعرابها ، ومعجمه البارع .

كتاب البارع فى اللغة

هو أول معجم يظهر فى المغرب ، يصنفه الزييدى — وكان تلميذا لأبى
على القالى — بأنه فاق كتاب العين بأربعمائة ورقة ، لأن القالى ذكر بعض
الأصول التى كان يراها صاحب العين مهمة ، ورتبه القالى كترتيب العين
الا من اختلاف فى ترتيب الأبجدية ، وقد أخبره ولده ، أن أباه بدأ كتاب

(1) المزهر 1 : 95

البارع فى رجب سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ، ثم قطعتة علل وأشغال ، ثم عاود النظر اليه بأمر أمير المؤمنين وتأكيد عليه ، فبدأ فيه ثانية فى سنة تسع وأربعين وثلاثمائة حتى أكمله ، وبدأ بنقله حتى أتم كتاب الهمز ، والهاء ، والعين ، ثم مرض وتوفى قبل أن يتمه (1) فشارك فى إتمامه محمد بن الحسين الفهرى الوراق ، ومحمد بن معمر الجياني .

ويبدو أن أبا على ، وقد استشعر ما تبوأ كتاب العين من أهمية ، وحيرص ابن دريد على أن يخرج معجم الجمهرة — رأى أن يسلك هذا المسلك متأثرا بأستاذه ابن دريد ، فعمل البارع الذى يقول فيه السيوطى : (وأصح كتاب وضع فى اللغة على الحروف بارع أبى على البغدادي ، وموعب ابن التياني) (2) .

ولقد عثر على قطعتين من معجم البارع ، احدهما فى المتحف البريطانى والأخرى فى المكتبة الاهلية فى باريس ، نشرهما وقدم لهما الاستاذ أ . س . فلتن .

وقال فى المقدمة : من بين الأوراق التى عثر عليها أمناء المتحف البريطانى وثيقة ترجع شهرتها الى هذا النموذج من الخطوط القديمة ، وهى مكتوبة بخط أندلسى يرجع الى القرن الحادى عشر الميلادى تقريبا ، يتضمن المخطوط جذازات من معجم عربى كبير اسمه الكتاب البارع فى اللغة ، وكان كتابا مشهورا ألفه صاحبه فى قرطبة فى القرن العاشر الميلادى .

وعندما عثر على هذه الوثيقة كانت الأوراق مربوطة بعضها الى بعض

(1) انباه الرواة 1 : 209

(2) المزهر 1 : 89

فى غير نظام ، وكان الترتيب الأبجدي يقودنا الى الترتيب الصحيح .
والمخطوط الآخر المماثل - والذي وجد بمحض الصدفة فى مكتبة
غير مفهومة ، يحتمل أن تكون فى شمال أفريقيا أو الشرق الأدنى كان
على جزازات حفظت فى المكتبة الأهلية بباريس - وهو أيضا مكتوب
بخط أندلسى يرجع الى نفس العصر الذى كتبت فيه الأوراق الاولى ،
ولكن بخط ناسخ آخر - أكثر تألقا - وتبلغ المجموعة الاولى ثلاثة
أضعاف ونصف القطعة الثانية ، ولا تشترك القطعتان الا فى ثمانى صفحات
فقط - وعالجت كل واحدة ، فيما عدا هذا ، مادة تخالف الأخرى (...)

تهذيب اللغة

لابى منصور محمد بن أحمد الأزهرى

370 — 282

والأزهرى ، نسبة الى أبيه الخامس ، فهو محمد بن أحمد بن طلحة ابن نوح بن الأزهر — ولد وتلقى عن رجال الشافعية فى هراة ، احدى عواصم خراسان ، ولما نيف على الثلاثين ، ذهب يؤدى فريضة الحج ، فوقع فى أسر القرامطة حين عودته وطال مقامه بينهم ، ففصح بفصاحتهم ، وهو يحكى ذلك فيقول :

« وكنت امتحنت بالاسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهير ، وكان القوم الذين وقعت فى سهمهم عربا ، عامتهم من هوازن ، واختلط بهم أصرام من تميم ، وأسد ، بالهير ، نشأوا فى البادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ، ويرجعون الى اعداد المياه ، ويرعون النعم ، ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التى اعتادوها ، ولا يكاد يقع فى منطقهم لحن أو خطأ فاحش ، فبقيت فى اسارهم دهرا طويلا ، وكنا ننشئ الدهناء ، وتربع الصمان ، وتنقيظ الستارين ، واستفدت من مخاطباتهم ومحاورة بعضهم بعضا ألفاظا جمّة ، ونوادير كثيرة ، أوقعت أكثرها فى مواقعها من الكتاب ، وستراها فى موضعها اذا أتت قراءتك

عليها ان شاء الله » (1) *

فلما أفلت من اساره ، عرج على العراق ، فجلس في بغداد الى أبى عبد الله ابراهيم بن محمد بن عرفه المعروف بنفطويه ، وأبى بكر محمد بن السرى المعروف بابن السراج ، ولما عاد الى هراة تلمذ على أبى الفضل محمد بن جعفر المنذرى ، وجماعة من العلماء *

كتب الأزهرى فى مقدمة التهذيب تعريفاً بقدامى اللغويين ، وبكتبهم التى انتهى علمه اليها ، وكيفية وصولها اليه حتى سمعها شفاهاً من شيوخه ، فكان هذا التعريف وهذا الاسناد نوعاً من التأليف أحسب الناس فى حاجة اليه حاجتهم الى كتاب التهذيب نفسه * ولولا ضيق هذا المكان لشغلته بمقدمة الأزهرى فى هذا الوجه ، ولكن لا بأس من بعض يشير الى البعض *

عنون لحديثه بقوله « باب ذكر الأئمة الذين اعتمدادى عليهم فيما جمعت فى هذا الكتاب » - فأولهم : أبو عمرو بن العلاء ، أخذ عنه البصريون والكوفيون من الأئمة الذين صنفوا الكتب فى اللغات ، وعلم القرآن والقراءات ، وكان من أعلم الناس بالفاظ العرب ونوادير كلامهم وفصيح أشعارهم وسائر أمثالهم و ٠٠٠ ٠٠٠ *

وحدثنى ٠٠٠٠ أنه قال : كان عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى أول من بعج النحو ومد القياس والعلل ٠٠٠٠ وكان عيسى بن عمر أخذ عن ابن أبى اسحق ، وأخذ يونس عن أبى عمرو بن العلاء ٠٠٠٠ *

ومن هذه الطبقة خلف الأحمر ٠٠٠٠ ، وكان الخليل بن أحمد ٠٠٠٠ ومن هذه الطبقة المفضل بن محمد الضبى الكوفى *

(١) تهذيب اللغة 1 : 7 ط القاهرة سنة 1384 هـ - 1964 م بتحقيق وتقديم عبد السلام هارون ، ومراجعة محمد على النجار

الطبقة الثانية

ومن الطبقة الذين خلفوا هؤلاء أبو زيد سعيد بن أوس
الانصارى ، ومن هذه الطبقة من الكوفيين أبو الحسن علي بن
حمزة الكسائي ، وعنه أخذ

وما كان فى كتابى لأبى عبيد عنه (يقصد عن أبى زيد) فما كان منه
فى تفسير غريب الحديث فهو مما أخبرنى به عبد الله بن هاجك عن أحمد
ابن عبد الله بن جبلة عن أبى عبيد ، وما كان فيه من الغريب والنوادر فهو
مما أخبرنى به أبو بكر الأيادى عن شمر لأبى عبيد عنه ، وما كان فيه من
الأمثال فهو مما أقرأنيه المنذرى وذكر انه عرضه على أبى الهيثم الرازى ،
وما كان فيه من نوادر أبى زيد فهو من كتاب ابن هانئ عنه ، وما كان فى
كتابى لأبى حاتم فى القرآن عن أبى زيد فهو مما سمعته من أبى بكر بن
عثمان السجزي حدثنا به عن أبى حاتم ، وأفادنى المنذرى عن ابن اليزيدى
عنه فوائد فى القرآن ذكرتها فى مواضعها من الكتاب *

..... وأما أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمى

..... وما وقع فى كتابى لأبى عبيد عن الأصمى فما كان منه فى
تفسير غريب الحديث (1) فهو مما أخبرنى عبد الله بن محمد بن هاجك عن
أحمد بن عبد الله عن أبى عبيد ، وما كان منها فى الصفات والنوادر
والأبواب المتفرقة فهو مما أخبرنى به أبو بكر الأيادى عن شمر لأبى عبيد،
وما وقع فى كتابى لأبرهيم الحربى عن أبى نصر عن الأصمى فهو مما
فادنيه عن الحربى ، وما كان من جهة أحمد بن يحيى رواية عن أبى نصر

(1) بدأت ثقتى تهتز فى الأزهرى فلم يكن للأصمى نشاط فى تفسير
الحديث - تخرجاً

عن الأصمعي فهو من كتاب ابى عمر الوراق » (يقصد الزاهد غلام تعلق)
ونكتفى بهذا البعض فقد نقلت منه بدايات بعدها نقط تشير الى
الكثير من الاختصار ، واكتفيت بفقرتين كاملتين ، ولكن المقدمة فى هذا
التعريف طويلة وهامة شغلت من الصفحة الثامنة حتى الأربعين - والعلم
بالرواة وكتبهم وتلاميذهم ، والعلاقة بين الجزئيات وحاملها والمتخصصين
فيها ورواتها ، وتسلسل السند فى هذه الجزئية أو تلك مسألة ألفت فيها
الكتب فقصرت عن هذه الغاية التى تراها فى مقدمة الأزهرى ، ويبدو أنه
أحس بالزهد فور فراغه منها فعقب قائلًا :

« ولو أنى أودعت كتابى هذا ما حوته دفتارى وقرأته من كتب
غيرى ووجدته فى الصحف التى كتبها الوراقون ، وأفسدها المصحفون
لطل كتابى ثم كنت أحد الجانين على لغة العرب ولسانها - ولقليل لا
يخزى صاحبه خير من كثير يفضحه » .

ولم أودع كتابى هذا من كلام العرب الا ما صح لى سماعا منهم أو
رواية عن ثقة أو حكاية عن خط ذى معرفة ثابتة اقترنت اليها معرفتى اللهم
الا حروفا وجدتها لابن دريد وابن المظفر فى كتابيهما فبينت شكى فيها ،
وارتياى بها ، وستراها فى مواقعها من الكتاب ووقوفى فيها » .

ولما كانت مقدمة العين من فلسفة الصوتيات التى لا يرقى اليها الا
افذاذ العربية فقد نقلها الأزهرى بسندها الى الخليل بن أحمد ، فنقل أبنية
كلام العرب على الثنائى ، والثلاثى ، والرابعى ، والخماسى ، وكذلك باب
القباء الحروف ومدارجها نقله بطوله ، كما نقل باب أحياز الحروف .

وبعد أن نال من الليث ، وابن دريد ، والبشتى ، وأبى الأزهر
البخارى بين قصده من تأليف كتابه فقال :

« وقد سميت كتابي هذا تهذيب اللغة لأنني قصدت بما جمعت فيه من نفي ما أدخل في لغات العرب من الألفاظ التي أزالها الأغبياء عن صيغتها ، وغيرها الغتم عن سننها فهذبت ما جمعت في كتابي من التصحيف والخطأ بقدر علمي ، ولم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذي لم أعرف أصله ، والغريب الذي لم يسنده الثقات الى العرب » .

وربما لفتك أيها القارئ ، هذه العبارة في سبب تسمية الكتاب بالتهذيب ، وكان القصد تهذيب اللغة مما لحقها بفعل الأغبياء والغتم - يقصد هؤلاء العلماء الذين اشتغلوا بالعين والجمهرة - وما كان لعالم جليل كالأزهري أن يحتد بهذه الحدة حين يريد أن يعلن عن مرتبته في العلم ومرتبة كتابه ، وكان يكفي في ذلك هذا الثبت من العلماء الذين تلقى عنهم ، وهذا الثبت الضخم من كتب الرواة التي سمعها بأسانيدها .

كان الأزهري صاحب الحملة على كتاب العين . وهو لا يستطيع أن ينال من الخليل فنال من الليث ، وهو مع ذلك ينقل عن الليث ، ويعتمد عليه أكثر من أي لغوي آخر وربما أضأنا هذا الوجه ونحن نعرف بالكتاب . وكان المعجم الثاني جمهرة اللغة لابن دريد فوقع في ابن دريد ووصفه بما لا يستحق وقال فيه :

« ومن ألف في عصرنا الكتب ، فوسم بافتعال العربية ، وتوليد الألفاظ التي ليس لها أصول وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامهم أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب كتاب الجمهرة ، وكتاب اشتقاق الاسماء وكتاب الملاحن ، وحضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيت يروى عن أبي حاتم ، والرياشي ، وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي ، فسألت أبراهيم بن محمد بن عرفه الملقب بنفطويه عنه فاستخف به ، ولم يوثقه في روايته » .

كان الأزهرى تبع لأستاذه ثقطويه فى هذه الخصومه ، والوجه الثانى أن ابن دريد صاحب المعجم الثانى فى العريية والذى يسبق التهذيب • والحملة على الليث ، وابن دريد اهون من الحملة الصاخبة الشعواء التى شنّها على رجلين فى شرق العراق هما احمد بن محمد الخارزنجى البشتى الذى الف التكملة (تكملة العين) وأما الرجل الآخر فهو أبو الازهر البخارى ، صاحب كتاب الحصائل ، يقصد به تحصيل ما أغفله الخليل •

ولا يغير هذا الظاهر الحاد من باطن سمح يبتغى فى عمله مرضاة الله ورسوله من خلال هذه اللغة ، لغة القرآن ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول :

(قلت : قد قال الشافعى - رحمه الله تعالى - فأحسن ، وأوضح فبين ، ودل سياق بيانه فيما ذكرناه عنه آثقا وفيما لم نذكره ايجازا ، على أن تعلم العريية التى بها يتوصل الى تعلم ما به تجرى الصلاة من تنزيل وذكر ، فرض على عامة المسلمين ، وان على الخاصة التى تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون اليه لدينهم الاجتهاد فى تعلم لسان العرب ولغاتها

وكتابتى هذا وان لم يكن جامعا لمعانى التنزيل وألفاظ السنن كلها فانه يحوز جملا من فوائدها ، ونكتا من غريبها ومعانيها غير خارج فيها عن مذاهب المفسرين ومسالك الأئمة المأمونين من أهل العلم وأعلام اللغويين المعروفين بالمعرفة الثاقبة والدين والاستقامة •)

من أسباب وضع الكتاب

ويقول متابعا حديثه السابق (ولقد دعانى الى ما جمعت فى هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها خلال ثلاث :

منها : تقييد نكت حفظتها ووعيتها من أفواه العرب الذين شاهدتهم وأقامت بين ظهرانيهم سنوات اذ كان ما أثبتته كثير من أئمة أهل اللغة في الكتب التي ألفوها والنوادر التي جمعوها لا ينوب مناب المشاهدة ولا يقوم مقام الدربة والعادة •

ومنها النصيحة الواجبة على أهل العلم لجماعة المسلمين في افادتهم ما لعلهم يحتاجون اليه ، وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (ألا ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم) •

والخلة الثالثة هي التي لها أكثر القصد أنى قرأت كتب تصدى مؤلفوها لتحصيل لغات العرب فيها مثل كتاب العين المنسوب الى الخليل ، ثم كتب من احتذى حذوه في عصرنا هذا ، وقد أخل بها ما أنا ذاكره من دخلها وعوارها •••• وألفت طلاب هذا الشأن من أبناء زماننا لا يعرفون من آفات الكتب المصحفة المدخولة ما عرفته ، ولا يميزون صحيحها من سقيمها كما ميزته ، وكان من النصيحة التي التزمتموها توخيا للمثوبة من الله عليها ان انضح عن لغة العرب ولسانها العربى الذى نزل به الكتاب وجاءت به السنن والآثار •••) (1)

ترتيب التهذيب

لم يختلف ترتيب الأزهري عن ترتيب الخليل ، ولم يستطع أن يتخلص من أسر لحقه من كتاب العين ، فكما نقل مقدمة الخليل في ترتيب حروف المعجم بحسب مخارجها وأحيازها تأثر أيضا بترتيب الابواب فكان:

ابواب المضاعف من حروف العين - وجاء بها مع الجاء ، والهاء ،

(1) تهذيب اللغة 1: 5-7

والحاء ، والغين الى آخر تقاسيم الخليل ، ثم أبواب الثلاثى الصحيح من حروف العين مرتبة على هذا النهج ، ثم الثلاثى المعتل ، واللفيف ، والرباعى ، والخماسى •

صورة عامة

لا تكاد تقرأ صفحات من التهذيب حتى تتغير أمامك الصورة التى استقرت فى ذهنك بعد المقدمة • فالليث ، وابن دريد جرى عليهما من الأوصاف ما استبعدت معه أن أرى احدهما ضمن رواة التهذيب فاذا بسى أرى الليث عمدة فى هذا الكتاب ، واذا وضعت الرواة مرتبين بقدر مشاركتهم فى رواية التهذيب لوقف الليث فى المقدمة بلا مكابرة - فارتفع الليث من حيث أريد له الدنو ، والصورة العامة التى توحى بها قراءتك للتهذيب أن الأزهرى وضع العين ، ووضع الجمهرة أمامه ، وحاول أن يضع معجماً يكبرهما حجماً - فكان له ذلك - دون أن يكبرهما علماً ، ومعظم مادة العين الا من محاولة طفيفة لتغليفها جاءت فى كتاب الأزهرى أما ما وعد به من التخفيف والاختصار فقد ذهب فى رغبة الغلب والاكتثار • لقد كان لابن دريد خطة واضحة هى معاونة عامة الناس على ادراك جمهرة اللغة ، اما التهذيب فبغير خطة موضوعة أعد كتاباً على نهج العين ، ومن مادته ، ومن جمهرة اللغة ، ومن كتب الرواة ما قرأه وما سمعه ، ومما حققه من معرفة بالمشافهة والدربة فى اسر القرامطة فخرج كتاب فى العربية له وزن يستمد من طول النفس والاستطراد ، وهذا شئ يستحب فى مثل هذه الموسوعات •

الاستطراد العلمى النافع

ونحن لا نستطيع أن نستطرد ، فى استطراد الأزهرى فتأخذنا السعة بعيداً عما نؤيناه من التعريف بالمعاجم موجزين ، وحسبنا أمثلة مختارة •

كان الأزهري يضع أمام القارئ أقوال العلماء في بعض ظواهر اللغة دون أن يشترك مع فريق منهم ، ففي (عس) عرض لكلمة (عس) فأورد قوله تعالى (والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس) وقال :

(قال ابن جريج : قال مجاهد في قوله (والليل اذا عسعس) قال : هو اقباله ، وقال قتادة : هو ادباره واليه ذهب ابن الكلبي •

قال الفراء : اجتمع المفسرون على أن معنى عسعس : أدبر ، قال : وكان بعض أصحابنا يزعم أن عسعس معناه دنا من أوله وأظلم • وكان أبو البلاد النحوي ينشد بيتا :

عسعس حتى لو يشاء ادنا
كان له من ضوئه مقبس

قال : ادنا : اذ دنا ، فأدغم ، قال الفراء : وكانوا يرون أن هذا البيت مصنوع •

وكان أبو حاتم ، وقطرب يذهبان الى أن هذا الحرف من الأضداد ، وكان أبو عبيدة يقول ذلك أيضا : عسعس الليل أى أقبل ، وعسعس اذا أدبر وأنشد :

مدرعات الليل لما عسعسا

أى أقبل ، وقال الزبرقان :

وردت بأفراس عتاق وفتية

فوارط في أعجاز ليل معسعس

أى مدبر •

وقال أبو اسحق بن السري : عسعس الليل اذا أقبل ، وعسعس اذا أدبر وقال : والمعنيان يرجعان الى أصل واحد ، وهو ابتداء الظلام في أوله

وإدباره فى آخره •

أبو العباس عن ابن الأعرابى قال : السعسة : ظللة الليل كله ،
ويقال إدباره وإقباله ، قال أبو العباس : وهذا هو الاختيار (1) •

ومع هذه السعة ، وهذا الجمع لأقوال الرواة ، فإن الأزهرى لم
يتكلم فى الظاهرة اللغوية ، ولم يقل رأيه فى الأضداد •
وكذلك فى المقلوب ، فقد ذكر عن الليث :

— العيبرة من النساء التى لا تستقر نزقا فى مكان ، فى غير عفة •

— وقال الليث أيضا : يقال هيبرت المرأة ، وتهيبرت اذا كانت لا
تستقر فى مكان •

فقال الأزهرى : كأنه عند الليث مقلوب من العيبرة لأنه جعل معناهما
واحدا (2) •

فأنت ترى الأزهرى صاحب مكتبة لا صاحب مدرسة ، فهو ناقل
مكرر ، ولا يصانع فى مناقشة الظواهر اللغوية ، ولا تحليلها •

الاستثناس بالحديث

لقد تركت كلمة الاحتجاج ، وكلمة الاستشهاد عن عمد ، واخترت
كلمة الاستثناس لأنها تأتى قرينة لترجيح كفة الرواية ، والأزهرى فى هذا
تبع لسابقه من أصحاب المعاجم فصاحب العين ، وصاحب الجمهرة كانا
يذكران حديث النبى صلى الله عليه وسلم بالرغم من أن بعض اللغويين
كان لهم رأى يعارض هذا الوجه ، وكان الأزهرى ، بين آونة وأخرى :

(1) التهذيب 1 : 78 - 79

(2) التهذيب 1 : 140 ع هـ ر

وكلمنا واثته المناسبة ، يذكر من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يعينه على تكملة مادته (1) •

الأمثال

وكصاحبيه ، صاحب العين وصاحب الجمرة ، كان يشير الى الأمثال
يتمم بها شرحه ويستطرد اليها ، وتأخذ مكانها كالشواهد ، ففي مادة ع ق
يقول :

« ومن أمثال العرب السائرة في الرجل يسأل ما لا يكون ، وما لا
يقدر عليه : (كلفتني الأبلق العقوق) ومثله (كلفتني بيض الأنوق)
والأبلق ذكر ، والعقوق الحامل ، ولا يحمل الذكر ، وأنشد اللحياني :
طلب الأبلق العقوق فلما
لم يجده أراد الأنوق (2)

وفى ع ج يقول :

« قال أبو العباس ، قال ابن الأعرابي : الجمع صوت الرحي ، ومنه
مثل العرب (جمجمة ولا أرى طحنا) (3) •

وفى ع س يقول :

أبو عبيد : من أمثالهم في الحث على الكسب قولهم : (كلب عس
خير من كلب ربض) وبعضهم يقول : (كلب عاس خير من كلب
رابض) (4) •

ومن أمثالهم (عم ثوباء الناعس) يضرب للحدث يحدث ببلدة ثم

(1) انظر مثلاً من الجزء الاول صفحات 89 - 105 - 118 - 130

(2) التهذيب 1 : 61 - 62 151 - 140 - 138

(3) التهذيب 1 : 69 (4) التهذيب 1 : 80

يتعداه الى سائر البلدان ، وأصله أن الناعس يتثائب فى المجلس فيعدى
ثوباؤه أهل مجلسه (1) وهذه نماذج يجرى على مثلها العمل فى عامة
الكتاب *

رواة يحتاجون الى تعريف

وبعض الرواة لا يعرفهم القارئ فى يسر ، ولا يقوم الأزهرى
بالتعريف بهم ، ولا الرواية نفسها تعين على ذلك فمثلا من أبو سعيد ؟
نحن نعرف من آباء سعيد الذين يصطنعون الرواية وهذا الوجه من
العلم :

أبا سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى ، وهو شيخ رواة العربية فى
آباء السعداء ، ولكنى عهدت الأزهرى يدعوه بلقبه الأصمعى *

ومنهم أبو سعيد الحسن بن الحسين السكرى ، وكان كلفا بجمع
أشعار الشعراء ، ورواية الدواوين وشرحها ، ومن تصانيفه : شرح ديوان
جران العود ، وأخبار اللصوص ، وشرح ديوان الهدلين ، وشرح ديوان
كعب بن زهير ، والفرزدق * ومادته هذه لا تأتلف معنا فى رواية اللغة ولا
فى هذه الاخبار التى رويت عن (أبى سعيد) *

ومن آباء سعيد أيضا : أبو سعيد الضريير أحمد بن أبى خالد
البغدادى التلقى ، وكان طاهر بن عبد الله بن طاهر قد استقدمه من بغداد
الى خراسان ، وأقام بنيسابور ، وأما بها المعانى والنوادر ، وهو بذالك
أقرب سببا الى مادتنا فلعله هو ، وانيك بعض مقولاته كما يحكيها
الأزهرى :

(1) التهذيب 1: 121 ع م

— قال أبو سعيد : تصعصع وتضعضع بمعنى واحد اذا ذل وخضع ، قال : وسمعت ابا المقدام السلمى يقول : تصرع الرجل لصاحبه ، وتضرع اذا تذلل واستخذى (1) .

قال ابو سعيد.: الضعصة : نبت يستشوى به (2) .

قال ابو سعيد : تقول العرب : أنا علّان بأرض كذا كذا اى جاهل ، قال : وامرأة علانة جاهلة ، قال : وهى لغة معروفة (3) قال الأزهرى : لا أعرف هذا الحرف ، ولا أدرى من رواه عن أبى سعيد .

وقال أبو سعيد : رجل علهان علان ، فالعلهان : الجازع ، والعلان : الجائع (4) والغريب فى أمر أبى سعيد هذا ان مقولاته غير مقرونة باسناد عنه او اسناد ينتهى اليه ويعرف من سلسلته من هو الا ان نطن انه ابو سعيد الضريز احمد بن ابى خالد .

ثم من ابن هانئ ؟

يقول الأزهرى : وروى ابن هانئ عن أبى زيد أنه قال : العضاه : اسم يقع على شجر من شجر الشوك له اسماء مختلفة يجمعها العضاه (5)

وأنا لا أعرف رجلا من رواة أبى زيد اسمه ابن هانئ ، ولم يوضح الأزهرى من هو .

كراهيته لليث

أما الملفت مع العجب حقا ، أن الأزهرى أكل من مأددة الليث حتى

(1) التهذيب 1 : 77 ع ص
(2) التهذيب 1 : 78 ع ص
(3) التهذيب 1 : 107 ع ل
(4) التهذيب 1 : 142 ع ه ل
(5) التهذيب 1 : 75 - 131

بشم ، وملا كتابه من مقولاته ، ونظرة واحدة فى كتاب التهذيب ترىك أن
بناء الكتاب ، وأساسه ، من مقولات الليث ، وإذا به بين آونة وأخرى
يلسنه ، أو يغضى من شأنه ، واليك (عينة) انسودج ينتهى بصفحة ٥٥
من الجزء الأول من التهذيب :

— قال الليث فى ن ه ع

نعم ينهم نهوعا اذا تهوع للمقء ولم يقلس شيئا

قلت (اى الازهرى) هذا حرف مريب ولا أحقه (1)

— وقال الليث : الهيمع : الموت الوحى ، قال : وذبحه ذبحا هيمعا

اى سريعا

قلت (اى الازهرى) هكذا قال الليث الهيمع بالعين والياء قبل

الميم . وقال أبو عبيد سمعت الأصمعى يقول : الهيمغ : الموت ، وأنشد
للهدلى

من المربعين ومن آزل

اذا جنه الليل كالناحط

وقبله

اذا وردوا مصرهم عوجلوا

من المرت بالهميغ الذاعط

هكذا رواه الرواة بكسر الهاء والياء بعد الميم

قلت (اى الازهرى) وهو الصواب . قلت : والهيمع عند البصراء

تصحيف (2)

(1) التهذيب 1 : 147 .

(2) التهذيب 1 : 149 .

— وفى العين والదال

قال : (قال ابن المظفر : العد : موضع يتخذُه الناس يجتمع فيه ماء كثير ، والجميع الأعداد • قال والعد : ماء يجتمع ويعد

قلت : (أى الأزهرى) غلط الليث فى تفسير العد ، والصواب فى تفسير العد ما رواه أبو عبيد عن الأصمعى أنه قال : الماء العد : الدائم الذى لا انقطاع له مثل ماء العين وماء البئر — وجمع العد أعداد ، وأنشد لذى الرمة يذكر امرأة حضرت ماء عدا بعدما نشئت مياه الغدران فى القيظ فقال :
دعت مية الأعداد واستبدلت بها

خناطيل آجال من العين خُذَل

استبدلت بها ، يعنى منازلها التى ظنعت عنها حاضرة أعداد المياه :
فخالفها إليها الوحش ، وأقامت فى منازلها •

قال شمر : قال أبو عبيدة : العد القديمة من الركيا • قال : ومنه قولهم : حسب عد أى قديم وأنشد :

فوردت عدا من الأعداد

أقدم من عاد وقوم عاد

قال : وقال أبو عدنان : سألت أبا عبيدة عن الماء العد فقال لى : الماء العد بلغة تميم : الكثير قال : وهو بلغة بكر بن وائل : الماء القليل • قال : بنو تميم يقولون : الماء العد مثل كاظمة جاهلى اسلامى لم ينزح قط • قال : وقالت لى الكلابية : الماء العد : الركى يقال : أمن العد هذا أم من ماء السماء وأنشدتنى :

وماء ليس من عد الركيا

ولا حلب السماء قد استقيت

وقالت : ماء كل ركية عد قل أو كثر (1) .
فاذا استخرجت المعانى منسوية للرواة بعيدا عن الحواشى لم تجد
مبررا للحملة على الليث ، فهو فى كتاب الازهرى على الوجه التالى
الليث : العد = موضع يتخذہ الناس يجتمع فيه ماء - . ماء يجمع
ويعد .

الاصمعى الماء العد = الدائم مثل ماء العين والبئر .
ابو عبيدة = القديم من الركايا ، ماء عد = ماء كثير بلغة تميم ، وماء قليل
بلغة بكر بن وائل .

الكلاية = الماء العد = الركى .

ومن اللسان ، بعد أن ذكر روايات الازهرى كلها قال :

قيل : العد = ماء الأرض الغزير .

وقيل = ما نبع من الأرض .

وقيل = الماء القديم الذى لا ينترح (2) .

فهل ترى ما جاء به الليث يبعد عن كل هذا اذا أدركته على أقوال
الرواة ؟ فالبئر ، والعين ، والقديم من الركايا ، والركى ، وماء الأرض
الغزير ، وما نبع من الأرض ، والماء القديم الذى لا ينترح لا يختلف عن
قول الليث : العد موضع يتخذہ الناس يجتمع فيه ماء كثير .

ولم أحد فرقا أو مباينة واضحة فى قوين متوالين أحدهما لليث
والثانى للازهرى ، قال الليث : الدعاة حبة سوداء يأكلها فقراء البادية اذا
أجدبوا ، قال : ويقال لنملة سوداء تشاكل هذه الحبة دعاة ، والجبيع

(1) التهذيب 1 : 88 ع د

(2) اللسان ع د د

دعاع • ورجل دعّاع • فثّاث يجمع الدعاع والفت ليأكلهما •
قال الأزهرى : هما جبتان بريتان اذا جاع البدوى فى القحط دقهما
وعجنهما واختبزهما فأكلهما (1) •

— والعرب تقول : رجل معّم مخوّل (بفتح العين والواو) اذا كان
كريم الأعمام والأخوال ومنه قول امرئ القيس :
بجيد معّم فى العنيرة مخوّل

وقال الليث : يقال فيه معّم مخول (بكسر العين والواو) فقال
الأزهرى : ولم أسمع له غيره (2) •

اما حملته على ابن دريد فتتوازى وحجّم كتابه ، وان لم تكن فى
حديثها أقل من الحسله على الليث ، فهو مثالا يروى عنه قوله : الهطيع :
الطريق الواسع ، ثم يقول الأزهرى : ولم أسمع الهطيع بمعنى الطريق
لغيره وهو من مناكيره التي ينفرد بها (3) •

ونسى الأزهرى أن مثل هذه الموسوعات لا تسلم من التصحيف فى
خلال الكتابة أو النسخ أو النقل أو الاملاء ، ولكن كان الرجل مصابا
بالليث وابن دريد •

(1) التهذيب 1 : 94

(2) التهذيب 1 : 122

(3) التهذيب 1 : 135

تاج اللغة وصحاح العربية
وشهرة الكتاب « الصحاح »
لابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري

الجوهري ، رجل من شرق العراق ، من فاراب ، أخذ عن خاله
ابراهيم الفارابي وعن أبي سعيد السيرافي ، وسمع من أهل البادية ، وعاد
الى خراسان فأقام بنيسابور مدة ، وبرز في اللغة •

ذكر صاحب البلغة في أصول اللغة (1) نبذات عن الصحاح منسوبة
الى رجال اللغة من ذلك قول الخطيب التبريزي :

« وكتاب الصحاح ، كتاب حسن الترتيب ، سهل المطالب لما يراد منه ،
وقد أتى بأشياء حسنة ، وتفاصيل مشكلات من اللغة ، الا انه مع ذلك فيه
تصحيف لا يشك في أنه من المصنف لا من الناسخ لأن الكتاب مبني على
الحروف ، ولا تخلو هذه الكتب الكبار من سهو يقع فيها ، أو غلط ، غير
أن القليل منه الى جنب الكثير الذي اجتهدوا فيه ، وأتعبوا أنفسهم في
تصحيحه وتنقيحه معفو عنه » •

وقد علل ياقوت لما وجد في الكتاب من تصحيف بأنه لما صنفه

(1) البلغة في أصول اللغة للسيد محمد صديق حسن خان بهادر ط
الجواب سنة 1296

الجوهري للأستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى سمع عليه الى باب الضاد المعجمة ، ثم مات الجوهري على أثر حادث ذكره ياقوت فبقى سائر الكتاب مسودة غير منقحة ، فيبضه تلميذه ابراهيم بن صالح الوراق فغلط فيه فى مواضع (1) ولكن هذا رأى لم يجد قبولا لأن التصحيف وجد فيما قبل ، وبعد حرف الضاد ، ويحكى ياقوت حكاية لعبد الغافر الفارسى يقول : انه وجد على ظهر كتاب الصحاح وكان مجلدة واحدة كاملة بخط الحسن بن يعقوب بن احمد النيسابورى ما صورته :

« قرأ على هذا الكتاب من أوله الى آخره ، بما عليه من حواشيه من الفوائد معارضا بنسختى مصححا اياها ، صاحبه الفقيه الفاضل السيد الحسين بن مسعود الصرام ، بارك الله فيه له ، وهو اجازة لى عن الاستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى عن المصنف (2) وهذا يعنى أن الكتاب وضع وصحح وقرئ بجميعه على الجوهري .

ترتيب الصحاح

يعتبر الجوهري صاحب ابتكار وتطور فى نظام المعاجم ، وهو رائد من مفكرى رجال اللغة ، أدرك ما يعانى به الباحث فى كتاب العين ، وأن صاحب الجهرة أراد أن يخفف العبء فلم يوفق الى تنظيم يكفل الراحة للباحثين ، وجاء الأزهرى فلم يغير كثيرا عن سابقه وبقيت المشكلة كما هى ، كيف يبحث الطالب فى المعجم ؟

يقول فى مقدمة وجيزة بدأ بها كتاب الصحاح « قد أودعت هذا الكتاب ما صح عندى من هذه اللغة التى شرف الله تعالى منزلتها وجعل

(1) معجم الادباء 6 : 157

(2) معجم الادباء 6 : 163

علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق اليه ، وتهذيب لسم
أغلب عليه في ثمانية وعشرين بابا ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا
على عدد حروف المعجم وترتيبها الا أن يهمل من الأبواب جنس من
الفصول بعد تحصيلها بالعراق رواية ، واتقانها درايسة ، ومشافهتي بها
العرب العاربة في ديارهم بالبادية »

هذا البيان الموجز الذي قدم به لكتابه يحمل تطورا ضخما يحتاج
الى شرح وفضل بيان ، ولقد عرف به كل من الشيخ أبو الوفا نصر
الهوريني في مقدمة النسخة المطبوعة في مصر ، والسيد محمد صديق بن
حسن حان القنوجي في كتاب البلغة في شذور اللغة .

ولقد أفدت من الرجلين حين أخذت في شرح خطة الجوهري .

قسم الجوهري كتاب الصحاح الى ثمانية وعشرين بابا بحسب أواخر
الكلم ، ثم نظر ثانيا الى أوائل الكلم فجعل في كل باب فصوله بعد أن
يجرد المادة من حروف الزيادة في أولها وآخرها ، فمثال المزيد كما يحكى
الهوريني : الأرنب ، والأزيب ، والانبوبة لأن الكلمة اذا كان في أولها ألف
وبعدها ثلاثة أحرف فأكثر تكون زائدة لا تعد من الأصول فيقال في أرنب
وزنه أفعل ، وفي أنبوبة أفعولة فالحروف المقابلة للفاء والعين واللام هي
الأصول - وتأسيسا على هذا الشرح فانه يذكر هذه الألفاظ الثلاثة في
فصل الراء والزاي والنون من باب الباء .

وكذلك ما بعد الحرف الاول رتبه على ترتيب حروف المعجم فاذا
قال :

باب الباء ، بدأ فيه بفصل الألف ، وجاء فيه بحروف الوسط على
الترتيب حتى يصل الى الألف التي تليها الواو ، فيقدمها على ما تليها الهاء
وهكذا في كل فصل - يقدم فصل الواو من كل باب على فصل الهاء .

ويؤخر الياء بخلاف الأبواب فإنه قدّم فيها باب الهاء قبل الواو ليجعلها
— اى الواو — مع الياء فى باب واحد فصارت الحروف التى بوب لها
سبعة وعشرين الا أنه لما كانت الألف على قسمين مهموزة ولينة جعل
الأولى فى اول الابواب وعقد للثانية وهى اللينة غير المنقلبة عن باء، أو واو
بابا أخيرا عقب باب الواو والياء الذى فى ضمنه المنقلبة عن واو أو ياء
فكملت الأبواب ٢٨ •

المواد المهمة

قد رأيت فى نظام التقاليد ما تأتى به من كلمات لا معنى لها ، أو
غير مستعملة فتركت ، والأمر هنا لا يختلف عن هذا القصد ، فكملت
الأبواب ، وسقطت بعض فصولها ولكى اقرب عليك ، انظر الى باب الباء
مثلا ، وابحث له عن فصل الفاء ، وأدره على الحروف فانك لا تجد كلمة
مستعملة ، فأسقطها الجوهري ، ووضع الشيخ الهورينى جدولا فى آخر
المقدمة بين فيه عدد الفصول الساقطة من كل باب •

وفى التحشية أيضا ، تجد فجوات واسعة فى الحروف الوسطى ، فلا
محل مثلا لحروف التاء ، والثاء ، والجيم ، والحاء ، والخاء ، والشين ،
والصاد ، والضاد ، والظاء ، والعين ، والغين ، والقاف ، واللام ، والميم ،
والنون من باب الهمزة فصل الباء •

أما فى فصل التاء من نفس الباب فلا يوجد غير الهمزة ، والهاء ،
والنون ، وبقية الحروف مهلة فى التحشية •

صورة عامة

فى مثل هذه الكتب الكبيرة ، لا يكتفى فيها بمجرد التعريف الموجز ،
والاتجاه فى التأليف واختلاف عمل المؤلف عن عمل أقرانه الذين سبقوه

فى ميدانه ، ولكن لا بد من الكشف عن الروح العامة التى حكمت تأليف الكتاب ، ولما كان هذا العمل لم يؤد فى وقت واحد ، ولا تحت ظروف واحدة فقد جاء لذلك مبسوط الشرح أحيانا يستطرد على سجيته فيأتى بالعزيز المفيد ، وقد تفرقت الهمة وتضيقت النفس — أو يحسن المؤلف الظن بالقارىء — فتأتى المادة موجزة قصيرة مبتسرة •

فمن الاستطراد المفيد الا يكتفى ببيان المعنى وانما يذهب الى سبب التسمية

— نفى ذأب يقول :

« تذأبت الريح ، وتذأبت بسعنى ، أى اختلفت ، وجاءت مرة كذا ومرة كذا قال الأصمعى : أخذ من فعل الذأب لأنه يأتى كذلك » (1) •

— ومن الاستطراد المفيد التماس المناسبة للكلام فى التشابه من الفرائد يقول فى رمح :

الرمح جسعه رماح ، وأرماح ورجل رامح أى ذو رمح ولا فعل له مثل لابن وتامر • (2)

— ومنه فضل البيان فى فعل وافعل

كقوله فى جفأ (..... والجفأ ما تفاه السيل ، قال الله تعالى (فأما الزبد فيذهب جفأ) أى باطلا وجفأ الوادى جفأ اذا رمى بالقذى والزبد ، وكذلك القدر اذا رمت بزبدتها عند الغليان • وأجفأت لغة فيه ، وجفأت القدر أيضا اذا كفأتها او أملتتها فصببت ما فيها ، ولا تقل أجفأتها) فتراه هنا يفرق فى استعمال الصيغتين فاذا كان ذلك بفعل الوادى نفسه أو القدر نفسها جاز فعل وأفعل ، واذا كان ذلك بفعل الانسان لم يجوز الا فعل •

(1) الصحاح 1 : 51

(2) الصحاح 1 : 175

وقال أبو عبيدة خطيء وأخطأ لغتان بمعنى واحد ولكن
الأموى فرق بينهما فاسم الفاعل من الرباعى (المخطيء) من أراد الصواب
فصار الى غيره ، واسم الفاعل من الثلاثى (الخطيء) من تعمد لما لا
ينبغي .

ومن الفروق الدقيقة.

فى سبأ ، سبأت ومسبأ اذا اشتريتها لتشربها . قال الشاعر :
يغلو بأيدي التجار مسبوها

اى انها من جودتها يغلو اشتراؤها ، واستبأتها مثله ، ولا يقال ذلك
الا فى الخمر خاصة ، والاسم السبأ على فعال بكسر الفاء ومنه سميت
الخمر سبيئة قال حسان :

كأن سبيئة من بيت رأس
يكون مزاجها عسل وماء

ويسمون الخمار : السبأ ،

فاذا ما اشتريتها لتحملها الى بلد آخر قلت سبيت الخمر - بلا

همز (١) .

الأخرب ، والأخرم

فى خرب ، كل ثقب مستدير فهو خربة ، والمخروب المشقوق ، ومنه
قيل رجل أخرب للمشقوق الاذن ، وكذلك اذا كان مشوب الاذن - فاذا
انخرم بعد الثقب فهو آخرم .

الخوبة والخوبة

يروى عن أبى عمرو : اذا قات أصابتنا خوبة (بالمعجمة) فمعناه

المجاعة واذا قلت : أصابتنا حوبة بالحاء غير المعجمة فسمعناه الحاجة (1) *

الوثاجة ، والوثارة

أبو زيد : الوثاجة : كثرة اللحم ،

والوثارة : كثرة الشحم

قال : وهو الضخم فى الحرفين جميعا .

وفى فوخ ، ينفق الاصمعى وأبو عبيدة على أن فاخت منه ريح طيبة تفوخ وتفيخ مثل فاخت . ويقول أبو زيد فاخت الريح تفوخ اذا كان لها صوت ، قال : وأفاخ الانسان أفاخة ، وفى الحديث « كل بائلة تفيخ » قال : وأما الفوخ بالحاء فمن الريح يجدها لا من الصوت . وقال النضر بن شميل : اذا بال الانسان أو الدابة فخرجت منه ريح قيل أفاخ وأنشد لجريير :

ظل اللهازم يلعبون بنسوة

بالجوّ يوم يفخن بالأبوال

أى على الأبوال (2) *

الفروق فى المعانى باختلاف المصادر

فى برأ

تقول : برئت منك ، ومن الديون ، والعيوب براءة .

وبرئت من المرض برءا (بالضم) .

وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برءا (بالفتح) .

والجوهرى هنا يفرق بين البراءة من الديون والعيوب - وبين البرء

(1) الصحاح 1 : 50

(2) الصحاح 1 : 207

من المرض ، كما يفرق بين منطقها عند سائر العرب بضم الباء ، وعند
الحجازيين بفتحها (1) •

اللغات

وفى حصب ، وحصب ، وخطب قال :
الحصب ، ما يحصب به فى النار أى يرمى •

والحضب لغة فى الحصب ، ومنه قرأ ابن عباس « حطب جهنم » قال
القراء : يريد الحصب قال : وذكر لنا أن الحضب فى لغة أهل اليمن
الخطب ، وكل ما هيجت به النار وأوقدتها به فهو حضب ، والمحضب
المسعر ، قال الأعشى :

فلا تك فى حربنا محضبا
لتجعل قومك شتى شعوبا (2)

وقد يشغلنا بشىء لا حصىلة من ورائه ، كأن يقول : (هليج : الاهليج
معرب ، قال ابن السكيت : هو الاهليج والاهليجه بالكسر ولا تقل
هليجة ، وقال ابن الأعرابي : هو الامليج بفتح اللام الأخيرة قال : وليس
فى الكلام افعيل بالكسر مثل اهليج وابريسم واطريفل)
وترك السائل يقول ما الاهليج ؟

اختصار ، والايضاح اجود

ومع ما رأيت من استطراد وسعة أحيانا ، ففى الصحاح اختصار يبدو
أن الجوهري افترض فى القارىء معرفة بما أوجزه ، مثال ذلك :
فى جرأ :

(1) الصحاح 3 : 1

(2) الصحاح 44 : 1

(الجرعة مثال الجرعة الشجاعة ، وقد يترك همزة فيقال : الجرعة مثل الكرة كما قالوا للمرأة مرة ٠٠٠٠) (1)

وكان الأفضل أن يبين الجوهري هل ترك الهمز وتحقيقها يصدر عن ناطق واحد ؟ ، وإن كان المعروف أن أهل الحجاز لا يهمزون ، وقد تكررت عبارة يهمز ولا يهمز في أماكن كثيرة من غير تعليل ولا بيان ، جاء ذلك مثلاً في

حتاً : فيقول : حتأت الكساء حتاً إذا فتلت هديه ، وكففته ملزقا به — يهمز ولا يهمز ، فيقال : حتوته حتوا ، وقال ، أبو زيد في كتاب الهمز : احتات الثوب بالآلف إذ فتلت مثل الأكسية •

وفي حجا يقول :

(حجات بالامر : فرحت به ، وحجئت بالشئ حجا إذا كنت مولعا به ضنيها يهمز ولا يهمز) ولم يبين هل ترك الهمز وتحقيقه في حجات بفتح عين الفعل أو حجئت بكسرهما ، أم في الاثنين ، وهل يصدر ذلك عن ناطق واحد ؟

ويقول في حضاً :

حضأت النار سعرتها ، يهمز ولا يهمز •

وفي خطأ يقول

(الخطأ نقيض الصواب ، وقد يمد ، وقرئ بهما قوله تعالى « ومن قتل مؤمناً خطأ » ، تقول منه : أخطأت ، وتخطأت بمعنى واحد ولا تقل أخطيت ، وبعضهم يقوله) فمن هؤلاء البعض ؟

(1) الصحاح 1: 5

وبعد

فهذه جلسة مع كتاب الصحاح تعرفنا فيها على طريقة الجوهري .
ومسلكه ، وترتيبه اما الذين أطالوا النظر فى هذا الكتاب ، وجعلوا همهم
مدارسته فقد صدر عنهم من العلم الغزير ما يتجاوز مجرد التعريف ، منهم
من عنى بجزئية منه كما فعل السيوطى الذى خرج أحاديثه فى مختصر
سماه (فلق الاصباح فى تخريج احاديث الصحاح) ومنهم من استدرك
عليه أو شرحه ، من أوائلهم ابو سهل محمد بن على الهروى ، فيحكى انه
نقل الصحاح من خط الجوهري رواية عن اسماعيل بن محمد بن
عبدوس - ولأبى القاسم الفضل بن محمد القصبائى كتاب اسمه
(حواشى الصحاح)

وبدأ ابن القطاع على بن جعفر كتابا فى تحشية الصحاح ، وتوفى
دون أن يكمله فحاول هذه الرغبة تليذه ابو محمد عبد الله بن برى فكتب
« التنبيه والايضاح عما وقع من الوهم فى كتاب الصحاح » وصل فيه الى
مادة و ب ش فأكملة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن البسطى
الأندلسى .

وألف محمود بن أبى المعالى بن الحسن الحوارى كتابين ، الاول
« ضالة الأديب فى الجمع بين الصحاح والتهذيب » ، والثانى اختصر فيه
كتاب الصحاح ، وجرده من الشواهد ، وضم اليه أشياء من تهذيب اللغة
للأزهري ، والشامل لأبى منصور الجبان والمقاييس لابن فارس وسمى
هذا الكتاب « ينابيع اللغة »

ولعل أهم الكتب التى ترتبط بالصحاح هو كتاب « التكملة والذيل
والصلة » للاستاذ اللغوى الكبير رضى الدين الحسن بن محمد الصغانى
الى غير ذلك مما تناوله المعلقون على كتاب الصحاح .

أما أشهر هذه المؤلفات وأكثرها وجودا فى أيدي الناس فهو كتاب

« مختار الصحاح » الذى سنفرده له تعريفاً ، ومن قبله كتب محمود بن احمد الزنجاني اختصاراً للصحاح اجراه مرتين ، وهو يوضح ذلك فى مقدمة كتابه « تهذيب الصحاح » فيقول :

(..... لما فرغت من كتاب ترويح الارواح فى تهذيب الصحاح وقع حجمه موقع الخمس من كتابه « آى من كتاب الجوهري » من غير اهمال شىء من لغته ، وكان قد حداني الى تهذيبه - أعنى تجريد لغته من النحو والتصريف الخارجين عن فنه ، وحذف ما فيه من حشو وتكرير ، واسقاط ما لا حاجة اليه من الأمثال والشواهد الكثيرة روم التخفيف والايجاز ، ليسهل حفظه ، ويقرب ضبطه ، ثم نظرت ثانياً فرأيت همم بنى الزمان ساقطة ، ورغباتهم نائمة ، وحرصهم قليلاً ، وحفظهم قليلاً ، فأوجزته ايجازاً ثانياً حتى وقع حجمه موقع العشر من كتاب الجوهري ، ولا يعوزه من لغته أكثر من العشر ليكون تذكيرة لنفسى مدة حياتى وأثراً بعد وفاتى) (1) •

أما مختار الصحاح

فقد ألفه محمد بن أبى بكر الرازى ، وقال فى مقدمته ؟

« هذا مختصر فى علم اللغة جمعته من كتاب الصحاح لما رأيته أحسن أصول اللغة ترتيباً ، وأوفرها تهذيباً ، وأسهلها تناولاً ، وأكثرها تداولاً وسميته « مختار الصحاح » واقتصرت فيه على ما لا بد منه لكل عالم فقيه ، أو حافظ ، أو محدث أو أديب من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن مما هو الأهم فالأهم خصوصاً ألفاظ القرآن العزيز ، والاحاديث النبوية ، واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلباً •

(1) تهذيب الصحاح للزنجاني 4 بتحقيق عبد السلام هارون واحمد عبد الغفور عطار ط دار المعارف مصر

للاختصار وضمت اليه فوائد كثيرة من تهذيب الأزهرى وغيره من اصول اللغة الموثوق بها ، ومما فتح الله تعالى به علىّ ، فكل موضع مكتوب فيه قلت فانه من الفوائد التى زدتها على الأصل .

ومختار الصحاح معجم مفيد سهل الحمل ، ولذلك تناوله الناسخون بالنسخ ، فتعددت مخطوطاته ، وكذلك تعددت طبعاته حين شئ له أن يطبع .

ثم رأت وزارة المعارف أن ينتفع به طلاب المدارس فكلفت الاستاذين محمود خاطر والشيخ حمزة فتح الله أن يتعاونوا على اعداده لهذا الغرض ، فحذفنا منه بعض المواد التى قد تفسد مسامع الطلاب ، كما غيرا ترتيبه . ومع هذا - احتفظنا للكتاب باسم « مختار الصحاح » ، على غير ما تقضى به آداب النشر وتقاليده ، فبقى فى عالم المطبوعات مختار الصحاح الذى عمله الرازى ، ومختار الصحاح الذى عمله محمود خاطر وصاحبه حمزة فتح الله .

ويبدو أن هذا العمل لم يحقق غرضه ، ولهم يرق لبعض العلماء المحدثين فعمل الاستاذان محسد محيى الدين عبد الحميد ، ومحمد عبد اللطيف السبكى كتابا باسم المختار من صحاح اللغة ، فاختارا كتاب مختار الصحاح الذى ألفه الرازى ليكون اساس الكتاب الجديد ، وأضافا اليه زيادات ذات بال من كتب اللغة الموثوق بها وأرشدوا الى مصدرها ليرجع اليها من أراد المزيد ، أما الترتيب - فقد اختاروا ترتيب الحرف الأول والثانى من اصول المادة ، كما صنع الزمخشري فى أساس البلاغة ، والقيومى فى المصباح المنير ، وابن الأثير فى النهاية .

وبعد .

فالجوهري ليس أحسن اللغويين الذين سبقوه ، أو عاصروه

والصحاح وان جاء بفتح جديد وطريقة مبتكرة فى الترتيب ، ليس أوسع المعاجم علما ولا أكثرها دقة ، ولكن لأمر ما ، قد يكون التوسط بين السعة والايجاز وجد الناس فيه غناء مع سهولة الحمل ، فذاع وشاع ، وعملت له المختصرات والتهذيبات ، وعنى به الناس على اختلاف مشاربهم — هبة من الله .

ويقول الرافعى : « بلغ من اهتمامهم بكتاب الصحاح أنه كان فى بلاد قرمان مدرسة مشهورة بمدرسة السلسلة ، شرط بانها الا يدرس فيها الا من حفظ كتاب الصحاح للجوهري » (1) ♦

(1) تاريخ آداب العرب للرافعى 1 : 321 ط مصر سنة 1912 م

أحمد بن فارس بن زكريا

329 — 395

وكتابا المقاييس والمجمل

تعريف بابن فارس

نشأ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي في قزوین ، وأخذ عن أبيه (1) ثم رحل الى بغداد بادیء الأمر طالبا للحديث فيقول « ... فحضرت مجلس بعض اصحاب الحديث ، وليست معي قارورة فرأيت شابا عليه سمة من جبال ، فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته ، فقال : من انبسط الى الأخوان بالاستئذان فقد استحق الحرمان » *

ثم أخذ النحو عن أبي بكر أحمد بن الحسن الخطيب راوية ثعلب ، وقرأ كتاب العين على أبي الحسن علي بن ابراهيم بن سلمة القطان ، وأخذ كتابي ابي عبيدة : غريب الحديث ، والغريب المصنف على أبي الحسن علي

(1) قال ابن فارس : سمعت ابي يقول : سمعت محمد بن عبد الواحد يقول : سمعت ثعلبا يقول اذا نتج ولد الناقة في الربيع ومضت عليه ايام فهو ربع ، فاذا انتج في الصيف فهو هبع ، فاذا انتج بين الصيف والربيع فهو بعة نزهة الالب 392

ابن عبد العزيز ، وتلمذ لأبى عبد الله أحمد بن طاهر بن المنجم فأعجب به ، وقال فيه : أنه ما رأى مثله ، ولا هو رأى مثل نفسه •

وأخذ عنه أحمد بن الحسين المعروف بالبديع الهمداني ، وأقام بالرى بعد ان استدعى من همدان ليقراً عليه أبو طالب فخر الدولة على بن ركن الدولة البويهى وهناك التقى بالصاحب اسماعيل بن عباد فتحابا ، فكان الصاحب يقول : « شيخنا أبو الحسين ، رزق التصنيف ، وأمن من التصحيف » ، وكان ثمرة هذا اللقاء كتاب فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها الذى ألفه ابن فارس ، وأطلق عليه اسم الصاحبى حين أهدها للصاحب اسماعيل بن عباد (1) •

صانع ابن فارس فى صنوف العلم ، وجمع الى دراسة اللغة النظر فى الحديث والفقه والسير ، وجانبه اللغوى لا يخلو من عمق وفلسفة • لقد نجم فى عصر واحد مع الجوهري صاحب الصحاح ، ونجم الاثنان فى شرق العراق ، وتأثرا بما ظهر من المعاجم وخاصة العين والجمهرة ، وبما صدر عن علماء اللغة فى بغداد من امهات الكتب كغريب الحديث، والغريب المصنف لأبى عبيد الى غير ذلك فهل كان لهذا الجو المتماثل أثر فى صدور الصحاح عن الجوهري ومعه فكرة عميقة فى تطور المعاجم ، وصدور المقاييس ومعها فكرة عميقة فى خصائص العربية وفى الناحية المعجمية أيضا ؟

هذا فرض قريب ، فالأجواء المتشابهة تأتى بشمر متشابهة •

وجهد ابن فارس لا يقف عند المقاييس ، والمجمل ، ولكن له فى اللغة نظرات وصلت به الى حد الالغاز للآخرين كفن يتزايد به على الناس جمعه فى كتاب سماه « فتيا فقيه العرب » أشار اليه السيوطى فى النسوع

(1): راجع ترجمته فى نزهة الالباء 392 وانباء الرواة 1 : 92

التاسع والثلاثين : معرفة الملاحن ، والالغاز وفتيا فقيه العرب (1) ويسدو أنه تأثر فيه بكتاب أبى بكر الحسن بن دريد ، فكتابه الملاحن لا يختلف عن هذا الوجه من الالغاز اللغوى قال فى أوله :

(هذا كتاب الفناه ليفزع اليه المجبر المضطهد على اليمين ، المكسر عليها فيعارض بما رسمناه ، ويضمّر خلاف ما يظهر ليسلم من عادة الظالم ، ويتخلص من حيف الغاشم) •

والكتاب يدور على المشترك اللفظى ويورى عما يريد اخفائه بشىء ظاهر وليس هو المراد • من ذلك أن تقول : (والله ما عندى صقر ولا أملكه ، فالصقر : دبس الرطب ، والصقر : لبن حامض أشد حموضة تكون ، والصقر عند بعضهم : الخطط من الشعر فى باطن أذن الفرس) (2) •

وجاء فى انباه الرواة أن ابن فارس كان يومئذ الى أصحابه اذا وجد فقيها أو متكلماً أو نحويًا أن أسأله ، فإن وجده بارعاً جدلاً فى علوم الفقه أو النحو جره الى علوم اللغة فعليه (3) •

وكتب فى الاتباع والمزاوجة كتاباً خفيفاً ، نشره رودلف برونو سنة ١٩٠٦ ، كما نشر مرة أخرى بتحقيق كمال مصطفى سنة ١٩٤٧ وطبع فى القاهرة بدأه بقوله :

« هذا كتاب الاتباع والمزاوجة ، وكلاهما على وجهين ، أحدهما أن تكون كلمتان متواليّتان على روى واحد ، والوجه الآخر أن يختلف

(1) انظر فى المزهرة 1 : 622

(2) الملاحن ط القاهرة 1347 « طبع الملاحن مرات اولها بعناية المستشرق رايت فى ليدن سنة 1859 ، ونشره توربكه فى جوتا سنة 1882 ثم حققه ابراهيم اطفيشر الجزائرى »

(3) انباه الرواة 1 : 94

الرويان ، ثم تكون بعد ذلك على وجهين أحدهما أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف الا أنها كالاتباع لما قبلها ، والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى ولا بنية الاشتقاق » •

أما كتاب المقاييس ، وكتاب المجمل فهما فى عداد المعاجم وان كان للمقاييس وجه تأملى آثرت أن أفرد له •

كتاب المقاييس

أعجب ابن فارس بجهد نقر من السابقين ، من أصحاب المعاجم ، فكان يتناول هذا التراث بهدوء وعشق ، وأتيح له وهو يدرس كتاب العين على أبى الحسن على بن ابرهيم القطان أن يلحظ الكثير من خصائص هذه اللغة ، ورأى أن المادة الواحدة تعطى معنى لا يختلف كثيرا فى تقاليبها ، ونحن نعرف أن الخليل هو صاحب فكرة التقاليب كما شرحت فى كتاب العين - فلما اطردت الفكرة مرات أمام مخيلة ابن فارس ، نظر فى تغليب الوجه الذى رآه ، وهو ان المادة أصل يضاف على مشتقاتها وتقاليبها معانيها •

وهذا وجه مما تأثر به ابن فارس من الخليل بن احمد من خلال نظام التقاليب ، والفكرة ليست بعيدة أيضا عن عقلية ابن دريد صاحب الجمهرة ، وان لم تكن قد برزت فى الجمهرة ، وانما فى كتاب الاشتقاق • ترى ما دوافع الاشتقاق عند ابن دريد وما هى فكرته ؟

لقد سمع ما قيل للعتبى : ما بال العرب سمت ابناءها بالاسماء المستشعة وسمت عبيدها بالاسماء المستحسنة ؟ فقال : لأنها سمت ابناءها لأعدائها ، وسمت عبيدها لأنفسها • أعجب ابن دريد بهذا الرد فقال : قد أحاب العتبى بجملة كافية ، ولكنها محتاجة الى شرح يوضحها الاشتقاق ، وسنأتى على ذلك ان شاء الله •

عمل كتاب الاشتقاق ، وبدأه باشتقاق اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم باشتقاق أسماء آبائه ، فمحمد مشتق من الحمد ، وهو مُفعِلٌ ، ومفعِل صفة تلزم من كثر منه فعل ذلك الشيء ... كما تقول كثر مكرهته وهو مُكْرَهُمٌ . (1)

ومنه في اشتقاق أسماء أعمام النبي صلى الله عليه وسلم :
« الحارث بن عبد المطلب ، قال : واشتقاق الحارث من أحد شيئين
أما من قولهم حرث الأرض يحريها حرثا إذا أصلحها للزراعة ، أو يكون من
قولهم : حرث لندياه إذا كسب لها ، ومنه قوله عز وجل (من كان يريد
حرث الآخرة نزل له في حرثه) الآية أي يكتسب لآخرته .

ويقال : أحرث الرجل ناقته أحرثا إذا هزلها بالسير والتعب .
والمحراث : خشبة تحرك بها النار أو التنور ، والجمع محارث ، والحرث
الزراعة بعينه ، وربما سمي الإصلاح للزراعة حرثا ، والأول أعلى لأنه في
التنزيل (ويهلك الحرث والنسل) » .

ثم استمر ابن دريد فكتب اشتقاق الأعلام ، والقبائل ، وأسماء
مفردة ، وما اشتق من أسماء الشجر .

هذا الوجه أيضا لا يبعد عن فكرة المقاييس التي جاء بها ابن فارس ،
ورأى أن قاعدته هذه تطرد فوضع اللغة كلها على القياس ، وقال في كتاب
الصاحبي وهو في طريقه إلى الاقتناع بفكرته (أجمع أهل اللغة إلا من شذ
عنهم أن للغة العرب قياسا ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض)
وقال في تفسير هذا : (إن الجن مشتق من الاجتنان ، وإن الجيم والنون
تدلان أبدا على الستر ، تقول العرب للدرع جنة ، وأجنة الليل ، وهذا

(1) الاشتقاق 8 لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد بتحقيق عبد السلام
هارون ط الخانجي سنة 1378 هـ - 1958 م

جنين أى هو فى بطن أمه ، أو مقبور ، وأن الانس من الظهور ب يقولون
آنست الشىء أبصرته (1) •

وكان ابن فارس يحس أن نظريته تحتاج الى كثير من الاقتناع ،
فأوهم أن الخليل قد رأى رأييه من قبل ، يقول فى المقاييس : (قال الخليل :
يقال جذا يجذو ، مثل جثا يجثو الا أن جذا أدل على اللزوم ، وهذا الذى
قاله الخليل فدليل لنا فى بعض ما ذكرناه من مقاييس الكلام ، وال خليل
عندنا فى هذا المعنى امام) (2) •

ونحن نعرض عليك شيئا من كتاب المقاييس ،

جاء فى الثلاثى من كتاب الباء :

بقر - الباء والقاف والراء أصلان ، وربما جمع ناس بينهما ، وزعموا
أنه أصل واحد ، وذلك البقر • والأصل الثانى : التوسع فى الشىء وفتح
الشىء ، فأما البقر فجماعة البقرة ، وجمعها أيضا البقير والباقر كقولك
حمير وضئين قال :

يكسعن أذناى البقير الكنس

وقال فى الباقر :

وما ذنبه ان عافت الماء باقر

وما ان تعاف الماء الا ليضربا

والباقر مثل الجامل فى الجمال ، قال أبو عبيدة : يقال للذكر أيضا
بقرة كما يقال للديك دجاجة •

(1) فقه اللغة وسنن العرب فى كلامها (الصحبى) 33 ط القاهرة

سنة 1328 هـ - 1910 م

(2) المقاييس 1 : 439

قال الأصمعي : يقال رأيت لبنى فلان بقرا وبقيرا وباقرا وباقورة .
قال وأبقور مثل أمعوز . قال وأنشدني ابن أبي طرفة
فسكنتهم بالقول حتى كأنهم
بواقر جالس أسكنتها المراتع

قال : والبواقر جمع لا واحد لها ، ويجوز أن يكون جمع باقرة . قال :
والبقير لا واحد له ، وهو جمع مثل الضئین والشَّوْرى « جمع شاة » .
ويقال : بقر الرجل اذا نظر الى بقرة كثير مفاجأة فذهب عقله .
ومما حمل على هذا الباب قولهم فى العيال البقرة ، يقال : جاء فلان
يسوق بقرة أى عيالا كثيرا . وقال يونس : البقرة المرأة .

وأما الأصل الثانى فالتبقر التوسع والتفتح من بقرت البطن . قال
الاصمعي : تبقر فلان فى ماله أى أفسده . واليه يذهب فى حديثه صلى
الله عليه وسلم « أنه نهى عن التبقر فى الأهل والمال » .

قال الاصمعي : يقال ناقة بقر ، للتي يقر بطنها عن ولدها . وفتنة
باقرة كداء البطن ، والمور البقير الذى تموت أمه قبل النتاج فيقر بطنها
فيستخرج . قال ابو حاتم للمهر اذا خرج من بطن أمه وهو فى السلا
والماسكة ، فيقع بالارض جسده هو بقر، وضده السليل .

ومن هذا الباب قولهم : بقروا ما حولهم ، أى حفروا ، يقال : كم
بقرتم لفسيحكم . والبقيرى لعبة لهم ، يدقدقون دارات مثل مواقع
الحوافر ، وقال طفيل

وملن فما تنفك حول متالع
لها مثل آثار المبقر ملعب

ومنه قول الخضرى :

نيط بحقوقها جميش أقمر

جَهْم " كِبْغَار الوليد أشعر

فهذا الأصل الثانى ، ومن جمع بينهما ذهب الى أن البقر سميت لأنها
تبقر الارض وليس ذلك بشىء (1)

من هذه المادة من كتاب المقاييس ، ترى ابن فارس لا يعرض لنظريته
ويقف ، أو يكتفى بالأصل أو الأصلين أو الثلاثة أو غير ذلك مما يتفرع عن
المادة ، وانما يدخل فيما استقر عليه فهنا من مهمة المعجم الواسع الذى
يبين معنى الكلمة وكيف جاءها هذا المعنى ، ومكانها من الافراد والجمع ،
وما يلحقها من تعبير مجازى الى غير ذلك مما تلحظه وأنت تقرأ هذه المادة.

مناقشة نظرية المقاييس

نظرية ابن فارس وان اعتنقها اكثر من واحد من رجال اللغة ، وخاصة
تلامذته فانها لا تجد اقتناعا سهلا الا على تعمل وتأويل ، وهى ان وجدت
الطريق ذلولا سهلا أحيانا فى أبواب الثنائى والثلاثى فانها تتعثر فى بقية
الأبواب ، ولا يكاد يسعفها تعمل ولا تأويل مهما أغرب - ويلحظ ابن
فارس هذا - فيخرج بتبرير يقول فيه ان الكلمات التى تزيد على ثلاثة
أحرف أكثرها منحوت مثل قول العرب للرجل الشديد ضبط ، من ضبط ،
وضبر - وفى قولهم : صهلق أنه من سهل ، وضلق ، وفى الصلدم أنه
من الصلد ، والصدم (2) وعلى هذا فان مقاييسها تتبع أصولها قبل
النحت .

(1) المقاييس 1: 277 - 280

(2) فقه اللغة (الصحاح) 227

ويحترز لهذا التبرير بقوله : ان ما زاد على ثلاثة أحرف لا يعدو أن يكون مشتقا على نفس القاعدة أو منحوتا بادی النحت أو موضوعا وضعاً على عادة العرب في مثله (1) ويعتمد في اثبات النحت على ما ذكره الخليل من قولهم حيعل الرجل اذا قال : حىّ على ولفظة أخرى متفق عليها وهى قولهم عبشمية وربما وجد ابن فارس فى هذا النحت ، وهذه الأمثلة مع سعة فى التأويل معيناً وسنداً على اقامة نظريته •

وما طريقة النحت عند ابن فارس ؟ هذه أيضا فى نظره على وجهين ، أحدها موضوع وضعاً لا مجال له فى طريق القياس — واذا كانت موضوعة هكذا لا مجال لها فى القياس فكيف قال بأنها منحوتة ؟ ولماذا لم تكن موضوعة كأصل من أصول الرباعى او الخماسى ؟ انه هو الآخر يقف حائراً لا يصل الى معرفة القياس فيه ، ولكنه مشدود الى نظريته ويعلل توقفه بقوله : (قد يجوز أن يكون له قياس خفى علينا موضعه والله أعلم بذلك) (2) •

أما الوجه الآخر فأغلب المنحوت مأخوذ من كلمتين كقولهم يحتر وهو القصير المجتمع الخلق فهذا منحوت من كلمتين (بتر) كأنه حرم الطول فبتر خلقه ، والكلمة الثانية (حتر) من حترت وأحترت وذلك أن لا تفضل على أحد • يقال : أحتر على نفسه وعياله أى ضيق عليهم ، فقد صار هذا المعنى فى القصير لأنه لم يعط ما أعطيه الطويل (3) •

ومن ذلك كلمة (بلهس) فهو يردها الى أصلين : بهس وقد فسرها بقوله : (ان الأسد يسمى يبهسا ، وبله وهو صفة الأبله ومعنى الكلمة المنحوتة : اسرع) (4) والامر — فى نظرى — يحتاج الى عمق واغراب فى

(2) المقاييس 2 : 141

(4) المقاييس 1 : 331

(1) المقاييس 2 : 337

(3) المقاييس 1 : 329

التأويل لكى أصل الى ما رآه ابن فارس من ان صفة الأسد مع البله
تعنى الاسراع .

ويتعقد الأمر وأنا أقلب نظرية ابن فارس عندما ييجيز النحت من ثلاثة
أصول كقوله : السحب : الوادى الواسع ، وكذلك القرية الواسعة
سحبة . يقول : (فهذا منحوت من سحل اذا صب ، ومن سبل ، ومن
سحب اذا جرى وامتد ، وهى منحوتة من ثلاث كلمات ، تكون الحاء
زائدة مرة ، وتكون الباء زائدة ، وتكون اللام زائدة ، واذا عدنا الى
قراءة المواد متجردة من هذه الزيادات ، لم أجد رابطة اطمئن بها على
نظرية ابن فارس . بل هو نفسه يدركه الملل فتراه فى أبواب الرباعى مثلا
تقل مناقشته للألفاظ على طريقة المقاييس ، ويكتفى بالاثيان باللفظ
والمعنى . (1)

وبالرغم مما أشرنا اليه من شكوك فى اطلاق نظرية المقاييس
وتعميمها على جميع الأبنية فان الكتاب عالج بعض خصائص العربية بعمق
لا يتيسر الا للعلماء الكبار .

المجمل

وكتاب المجمل ، أقل مادة من المقاييس ، ولكنه أكثر شهرة وتداولاً ،
ربما لسهولة الحمل ، وقرب التناول ، واختصار المادة ، ويبدو أنه اعد
بهذه الصفات استجابة لطلب أحد الرؤساء ، يقول ابن فارس فى مقدمته
(..... فانك لما أعلمتنى رغبتك فى الأدب ، ومجبتك لعرفان كلام العرب ،
وأنتك شامت الأصول الكبار فراعك ما أبصرته من بعد تناولها ، وكثرة
أبوابها ، وتشعب سبلها ، وخشيت أن يلفتك ذلك عن مرادك ، وسألتنى

(1) انظر مثلا الباب الثالث من الرباعى 1 : 335

جمع كتاب فيه يدل لك صعبه ، ويسهل عليك وعره أنشأت كتابى هذا
بختصر من الكلام قريب ، يقل لفظه ، وتكثر فوائده

ويوضع المجلد الى جانب المعاجم الكبرى التى سبقته أو عاصرتة .
ويشير السيوطى اليه بعد الصحاح بقوله : « وأول من التزم الصحيح
مقتصرا عليه الامام أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري ولهذا سمي
كتابه الصحاح وكان فى عصر صاحب الصحاح ابن فارس فالتزم أن
يذكر فى مجمله الصحيح ، وردد من كلام صاحب المجلد « وقد ذكرنا
الواضح من كلام العرب والصحيح منه دون الوحشى والمستنكر ،
كما قال فى آخر المجلد : قد توخيت فيه الاختصار ، وآثرت فيه الإيجاز ،
ياقتصر على ما صح عندى سماعا ، ومن كتاب صحيح النسب مشهور ،
ولو لا توخى ما لم أشك فيه من كلام العرب لوجدت مقالا » (1) .

ترتيب الكتابين

وترتيب ابن فارس فى الكتابين يختلف عن ترتيب المعاجم السابقة ،
لا يلتزم بنظام التقاليد كما فى العين والتهذيب ، ولا بنظام الحرف الأخير
كما فى الصحاح وانما جعل مواده كتباً بحسب حروف المعجم ،
وكل كتاب جعله ثلاثة أبواب ، الثنائى ، والثلاثى ، وما جاء على أكثر من
ثلاثة أصلية

وكلما أخذ حرفاً وانتهى به الى الياء بدأ يأخذه مع الهمزة والياء الى ان
يصل الى حيث بدأ .

وجهة نظر فى المحكم

حكم السيوطى على المحكم وهو يضعه الى جوار الصحاح مستمد

من وصف ابن فارس لكتابه ، وواقع الحال واستقراء الكتاب يشير - من وجهة نظري - الى أن الكتاب أعد على عجل ، ولم يلتزم وجها واحدا من التأليف ، فهو لا يوجز ويلتزم الايجاز ، ولا يستطرد فيلتزم بالاستطراد ، ولا هو وسط بين الاثنين ، فهو في أماكن كثيرة يستشهد بصدر بيت أو عجزه ، أو جزء منه كأن يحتاج للكلمة « بداد » بقوله :

فشلوا بالرماح بداد

فلا يذكر قائله ، ولا يذكر البيت بتمامه (1)

أو يقول في برز برز الرجل والفرس اذا سبقا ، وكتاب مبروز أي منشور قال لييد (المبروز والمختوم) (2) ويقف عند ذلك . وقد يوجز أكثر من هذا فيحتاج للكلمة (بسل) بعد أن يقول انه : الحرام وكل شيء ممتنع ، بقول زهير : (فانهم بسل) ويكتفى بهذا .

بينما هو كذلك اذا تراء قد دخل في عننة واستطرد كأن يستحب ايجازه ، فيقول مثلاً في (برد) البرد خلاف الجر ، والبرد النوم في قول الله عز وجل : (لا يذوقون فيها برداً) وربما قالوا : منع البرد البرد، وبرد الشيء : دام . أنشدنا محمد بن هارون الزنجاني عن علي بن عبد العزيز قال : أنشدنا الأثرم عن أبي عبيدة :

اليوم يوم بارد سمومه

من جزع اليوم فلا تلومه

الى آخر ما ذكر .

-
- (1) البيت لحسان وهو : كئاشمانية وكانوا جحفلا
لجبا فشلوا بالرماح بداد
- (2) وتمامه :
او مذهب جدد على الواحه
الناطق المبروز والمختوم

ولم يمنعه ايجازه أن يشير فى مرات كثيرة الى المعرب والدخيل ، او يرجح أن الكلمة من الابدال لأنه سمع : مأفول ومأفون بمعنى ناقص اللب الى غير ذلك

ولا يغير من قيمة الكتاب ، ولا من دوره فى المعاجم ان يكون به مثل هذه الهنات التى لا تخلو منها الكتب الكبيرة التى يعانى اصحابها جهدا يجب أن يقابل بالشكر والعرفان •

ابن سيده 398 - 458 هـ وكتبا المخصص ، والمحكم

ابن سيده ، هو أبو الحسن على بن اسماعيل الضير ، ولد حول سنة ٣٩٨ هـ في مدينة شرقى قرطبة ، وتلقى العلم على أبيه (1) الذى تلمذ للزبيدي ثم أخذ عن أبى العلاء صاعد بن حسن الربعى البغدادى الوافد على الأندلس كما أخذ عن أبى عمر أحمد بن محمد الطلمنكى الحافظ القارىء المحدث المفسر .

وقد عوضه الله عن فقدان البصر بنعمة البصيرة ، فكان من مشاهير الحفاظ وبلغ فى العلم مرتبة رفيعة ، قال عنها مترجموه : « لم يكن فى زمانه أعلم منه فى النحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها » (2) وقال عن نفسه : انى أجدر علم اللغة أقل بضائعى وأيسر صنائعى اذا أضفته الى ما أنا به من علم حقيق النحو ، وحوشى العروض وخفى القافية وتصوير الأشكال المنطقية والنظر فى سائر العلوم الجدلية التى يمنعنى من الاخبار بها نبو طباع أهل الوقت وما هم عليه من رداءة الأوضاع والمقت .

ويبدو أنه أسرف فى ذكر شأنه ، وعلو مكانته ، وأخذ يعتب على

(1) نكت الهميان فى نكت العميان 204

(2) بغية الوعاة 327

معاصريه جهلهم فيقول : « وأما ما فى كتاب الاصلاح ، والألفاظ ، وكتب ابن الأعرابى ، وأبى زيد ، وأبى عبيدة ، والأصمعى وغيرهم من أمثال هذا الذى وضعت فأكثر من الذى يحصى مدده أو يحصر عدده ، وهل يقوم بانتقاد هذا النوع الا مثلى من ذوى الحفظ الجليل ، والاضطلاع بعلم النحو ، وصناعة التحليل ، وان كنت بين حثالة جهلت فضلى وأساء الدهر فى جمعهم بمثلى » (1) •

ثم يتلمس المعاذير ان أخطأ أو هنا « واذا كان المنفردون لكتابة اللغة وتكميشها واحتطابها وتقميشها كأبى عبيدة ، والأصمعى قد غلطوا فى بعض ما دونوا فأنا أحرى بذلك اذ هم جاوروا أهل البادية ، وأطالوا احتلاب الابل النابية » (2) ويتوقع أن يكون خطؤه قليلا معدودا ويقول « ولا أنكر فى كل ذاك أن تختل قضية من خمسة آلاف ، أو حرف من حروف عديدة أضعاف » (3) •

وهكذا ترى ابن سيده فى صورة فذة تارة بأقلام عارفيه، وتارة نقله هو.

آثاره

من كتب ابن سيده : المخصص ، والمحكم ، وشرح اصلاح المنطق لابن السكيت ، والوافى فى علم احكام القوافى ، وشاذ اللغة وشرح كتاب الأخفش ، وكتاب الأنيق فى شرح الحماسة ، وشرح العالم والمتعلم على المسألة والجواب ، وكتاب فى التذكير والتأنيث ... ووصل من كتب ابن سيده : شرح مشكل شعر المتنبى ويحتوى على ١٨٩ ورقة مخطوط بدار الكتب برقم ٢ أدب م ، والمحكم والمخصص •

(1) المحكم 1 : 8 الحلبى بتحقيق السقا ونصار

(2) المحكم 1 : 8 ط الحلبى

(3) المحكم 1 : 16

المخصص

لم يكن فى النية أن نتحدث عن المخصص فالسلسلة التى مررت بها منذ وقت قصير تتحدث عن المعاجم التى حاولت ذكر ألفاظ العربية على جهة الاستقصاء، وعلى طريقة رتيبة موصلة الى هذا الغرض ، وكان المحكم يجرى مع هذه السلسلة ، ولكن وجدت المناسبة مواتية للحديث عن الوجهين الرئيسيين فى جمع اللغة ، أحدهما المعاجم التى حاولت استقصاء الألفاظ ، ونحن على هذا الدرب منذ فكر الخليل بن أحمد فى كتاب العين ، وتبعه ابن دريد فى الجمهرة ، والقالى فى كتاب البارع ، والأزهرى فى التهذيب ، والجوهري فى الصحاح ، والفيروزبَادى فى القاموس ، وابن سيده فى المحكم ... الى آخر هذه السلسلة .

والوجه الثانى ، نشأ حين نشأ الأول ، ولم يكن أحدهما خطوة متطورة بالنسبة للآخر كما يرى بعض العلماء ، وكما ناقشنا ذلك فى كتابنا « رواية اللغة » فى صفحة 102 و 103 منه .

فقد جمع اللغويون ما جبعوا من أساتذتهم ، ومن أفواه الأعراب فى الأمصار ، ومن أحاديث الأعراب فى البوادي ، وعادوا يضعونها أكواما ، أو مجموعات ليسهل طلبها والانتفاع بها ، والذين نظروا الى هذه الأكوام وجدوها تدخل تحت عناصر ثلاثة .

— أسماء لكائنات تقع تحت بصر العربى وسمعه كالجمل ، والوحوش والجمال ...

— وأخرى فى صيغ تتحدث فى الاشتقاق ، وفعل وأفعل ، والتأنيث والتذكير ..

— وثالثة وجدوها حيث هى مستقرة فى صميم الأدب العربى

كالأراجيز ، والقصائد المشهورة ، وأحاديث الأعراب السى غير ذلك ،
فشرحوها •

واعتبرت هذه المجموعات أو الأكوام نوعا أو اتجاها فى جمع اللغة،
ولم يكن حلقة تتبعها حلقات ، ولكن جمع اللغة اتخذ الوجهين فى وقت
واحد ، هذه الكراسات التى تتحدث عن موضوع بعينه ، وبعضهم رأى
أن يضم مجموعة أكوام الى بعضها فظهرت تحت اسم الصفات ، والغريب
المصنف ، والألفاظ... الى غير ذلك - والمعاجم الشاملة •

وتحت اسم الصفات كتب أبو خيرة الأعرابى ، والنضر بن شميل ،
وقطرب محمد بن المستنير ، وعبد الملك بن قريظ الأصمعى ، ولم يرد من
ذلك - فيما أعلم - الا ما جاء وصفا لكتاب النضر بن شميل فى كتاب
الفهرست لابن النديم فقال انه كان فى خمسة أجزاء ، تضمن الجزء الأول
خلق الانسان ، والجود والكرم ، وصفات النساء • وتضمن الجزء الثانى:
الأخبية والبيوت ، وصفة الجبال ، والشعاب ، والأمتعة • واقتصر الجزء
الثالث على الابل ، وفى الجزء الرابع تكلم عن الغنم ، والطيور والشمس
والقمر ، والليل والنهار ، والألبان ، والكمأة ، والآبار ، والحياض ،
والأرشية ، والدلاء ، وصفة الخمر • ويحتوى الجزء الخامس على الزرع،
والكرم والعنب ، وأسماء البقول ، والأشجار ، والرياح ، والسحاب
والأمطار •

وجاء أبو غبيد القاسم بن سلام فعلم الغريب المصنف ، وهو معجم
رتب على الموضوعات ككتب الصفات تماما، بقول فيه أبو الطيب اللغوى.
أخذ كتب الأصمعى فبوب ما فيها وأضاف إليها شيئا من علم أبى زيد
الأنصارى ، وروايات عن الكوفيين (1) وفى دار الكتب بالقاهرة نسخة

(1) | معجم الادباء 255: 16

منه تحتوى على عدة أبواب تختلف طولاً وقصراً فى خلق الانسان :
والنساء ، واللباس ، والطعام ، والدور ، والأرضين ، والرحل ، والخيول ،
والسلاح ... الى غير ذلك وعقد باين أحدهما لنوادر الأسماء والآخر .
لنوادر الأفعال .

وشارك ابن السكيت فى هذا الوجه ، وكتابه الألفاظ يعتبر خطوة
متطورة فى هذا اللون فلم يكن أبو اسحق كسابقيه يجمع المفردات
بحسب الموضوعات ويعرف بها ويكتفى بهذا الجمع ، ولكنه توسع فى
تصنيف الأبواب ، وأحاط بدقائق لم تظهر فى ذلك التعميم المتبع عند
السابقين فنيبت الأبواب فى كتاب الألفاظ على مائة وخمسين باباً منها ما
هو صفات للناس كالغنى والفقر ، ونعوت النساء فى الولادة ، وما يكره من
خلق الانسان ... الى غير ذلك كقوله فى باب الفقر : « يقال أقفر الرجل
اقراراً اذا بات فى الفقر فلم يأو الى منزل ولم يكن معه زاد » الأصمعى :
يقال بات فلان القواء يريد بات فى الفقر ...

ومن هذا الوجه كتاب مبادئ اللغة الذى وضعه محمد بن عبد الله
الاسكافى وجعله أبواباً منها : أسماء الكواكب ، وأسماء البروج ،
والأزمنة والأوقات ، والليل والنهار ، وصفة الحر والبرد ، والرياح ،
وأسماء الرعد والبرق ، والمياه وأوصافها وأماكنها ، والجبال ، والخيول الى
غير ذلك - ولم يضع الاسكافى كلمة يعرف بها كلمة أخرى ، وإنما وضع
المفردات فى عبارات تبين معانيها وتبين أيضاً الفروق الدقيقة التى تلابسها
كأن يقول « جاء غسق الليل ، وغطشه ، ودمسه ، اذا لم يبق شفق - وبعد
هذه من الليل ، وموهن من الليل لنحو من الربع ... الى غير ذلك (1) » .

وجاء ابن سيده ، وأتيح له أن يسمع أمهات كتب اللغة ، وأعانتة
حافظته على استيعابها ، فرأى أن يجمع هذا الشتات فى حيز واحد اذ ليس

(1) مبادئ اللغة للاسكافى ص 10

فى واحد من كتب الماضين غناء مع ما تحتويه دفتيه من غرر العربية وفوائدها ، ويقول وصفا لهذا الدافع •

(..... الا انى وجدت ذلك نشر غير ملتئم ، وثرا ليس بمنتظم اذ كان لا كتاب نعلمه الا وفيه من الفائدة ما ليس فى صاحبه ، ثم انى لم أر لهم فيها كتابا مشتملا على جلها فضلا عن كلها) (1) •

فجمع أمانه كتب الأصمعى ، وأبى عبيدة ، وأبى زيد ، والنضر ، ما وجد من ذلك بمفرده ، وما وجد من رواياتهم فى ثانيا كتب الطبقة التالية لهم من أمثال أبى حاتم ، والرياشى ، والجرمى - وكان ابن السكيت وأبى عبيدة القاسم بن سلام قد جمعا علم البصرة الى علم الكوفة كما فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « رواية اللغة » فكانت هذه الحصيلة ، وما أتيح لابن سيده من مصادر غيرها ، عدته فى وضع كتاب المخصص ، بل كانت عدته فى وضع كتابه المحكم أيضا الا أنه وجه لكل كتاب وجهته من التأليف ، فصدر عن هذا الضرير تقييد أكثر العربية على وجهيها المعروفين ، الاول بحسب الموضوعات ، والثانى على سبيل الحصر ولقد أخذ الرجل فى عمل الكتابين فى وقت واحد يعينه فى ذلك اعتماده على مصادر واحدة ، فهو يذكر المخصص فى كتاب المحكم ، ويذكر المحكم فى كتاب المخصص ، ولكن المهم أنه يمارس هذا العمل الضخم المرهق الذى ينتجه وجهتين مختلفتين ، ويمارس هذا عن اقتناع بوجهة نظر أن أحدهما ليس فيه غناء عن الآخر ، ولكل فائدته ويقول :

« لما وضعت كتابى الموسوم بالمحكم مجنسا لأدل الباحث على مظنة الكلمة المطلوبة ، أردت أن أعدل به كتابا أضعه مبوبا حين رأيت ذلك أجدى على الفصيح المدره ، والبلغ المفسوه ، والخطيب المصقع ،

والشاعر المجيد المدقع فإنه اذا كانت للمسمى أسماء كثيرة ، وللموصوف
أوصاف عديدة تنقى الخطيب والشاعر منها ما شاء ، واتسعا فيما يحتاجان
اليه »

ولقد كان الرجل رتبا منطقيا أيضا ، وهو كما تعلم صاحب نظر فى
المنطق فرتب كتاب المخصص بادئا بخلق الانسان ، وبادئا به من حيث
بداية تكوينه ، الحمل ، والولادة ، والرضاع الى حيث ينتهى موضوعه ،
وقد استغرق « خلق الانسان » كل الجزء الأول وجزءا من الثانى - وكتاب
المخصص كتاب ضخيم يكاد يجمع كتب السابقين وفى الصفحات القادمة
نقرد تعريفا بكتاب (المحكم) •

المحكم والمحيط الأعظم

فيما يروى أن ابن سيده ، اتصل بالأمير أبى الجيش مجاهد بن عبد
الله العامرى ، وألف له كتابى المخصص والمحكم بعد أن عاق الأمير عن
التصنيف فيها ما نيط به من علائق السياسة وأعباء الرياسة فالتمس من
يؤهل لذلك من لباب عبيده - قال ابن سيده - « فأمرنى بالتجرد لهذه
الارادة فأعلقت وأفلقت ، وألفت كتابى الملخص ، الذى سميته
المخصص ، وهو على التبويب فى نهاية التهذيب ثم أمرنى بالتأليف
على حروف المعجم فصنفت كتابى الموسوم بالمحكم » •

وهذا فيما يبدو حديث مجاملة ، صادف استعداد ابن سيده ، ورغبته
فى أن يجمع اللغة فى نهريها - بحسب الموضوعات كما رأيت فى المخصص ،
وعلى سبيل الحصر كما أراد فى المحكم ، ومصدر الكتاين من يده قريب ،
وله ملاحظ على كتب القدامى التى استقى منها مادته بعد أن أبرز تقييدات
أشار اليها فى مقدمة المحكم ، وهنات لا يخلو منها كتاب وان عظم ، ولكنها
طريقة ورثها عالم عن عالم حتى وصلت الى أيامنا هذه - فلا يشفع لباحث

جد ولا اجتهد - ولا نصب وهبه لوجه العلم حتى ترى فئة من العلماء الذين أوكل اليهم نظر كتاب بعينه ، وقد تغضنت جباههم من الغضب ، وعلت نبراتهم من الاحتجاج ، وذهبت اشارات أيديهم يمنة ويسرة ، أو تنفجر منهم الضحكات الساخرة لان الباحث أهمل همزة ، أو أن الباء اختلطت بالياء لعدم ظهور النقطتين أو غير ذلك من سخافات تدور فى مناقشة الرسائل الجامعية فى عصرنا من بعض علماء أتهمهم بخفة الوزن - كنا نثره عن هذه الصورة أساتذة أفاضل كابن سيده ، فاذا بنا نراه وأمامه فضل عزيز من معلوم القدامى ، يعدد كتبهم ليسمو بهذه الكتب ، ثم بعد ذلك يلسنهم ، ثم يقيم لهم فى أول كتاب المحكم ميزان جور لا ميزان عدل سرعان ما ينسى به كل الخير اذا وجد زلة أو هفوة ، وكأن دستورته (ان السيئات يذهبن الحسنات) .

يقول مشيرا الى ابن السكيت :

(..... وأى شئ أذهب لزين ، وأجلب لعبّر عين من معادلته فى كتابه الموسوم بالاصلاح « يقصد اصلاح المنطق » الرّيم الذى هو القبر والفضل ، بالرّيم الذى هو الطبى ظن التخفيف فيه وضعا)

ويقول فى أبى عبيد القاسم بن سلام ، ونحن نعلم أن كتبه عمد من مصادر ابن سيده :

(وأى شئ أدل على ضعف المثنة ، وسخافة الجئنة من قول ابى عبيد القاسم بن سلام فى كتابه الموسوم بالمصنف « يقصد الغريب المصنف » : العِفْرِية مثال فِعْليلة فجعل الياء أصلا ، والياء لا تكون أصلا فى بنات الأربعة)

وتناول ابن الأعرابى بعد سطر من الشتائم ، ثم ختم قضيته بقوله : (فأين علم أبى عبد الله الأعرابى بأسرار هذه الصيغ من علمى ، أو فهمه

بغوامض تأولها من فهمى الى غير ذلك مما لو تفحصيته لأتعبت خاطر وملأت القماطر - ويقول : لكنى آثرت طريق التقليل اذ أقل من ذلك كاف فى التمثيل .

ويشير الى كتابه وبراعته فى الاختصار مع تمام المادة بقوله :
(..... فرب سطر من كتابى يغترف من كتب اللغة فى الخط سطورا ،
فاذا حصل جوهر الكلام عادت أبوابهم لأبوابى شطورا) (1) .

فاذا فرع من النقد ، وأسرف على نفسه من المحاسن ، وجاء ببعض القضايا والامثال المؤيدة لما قال عاد يذكر من كتب هؤلاء القدامى عدته ومصادره لكتاب المحكم فقال : (وأما ما ضمناه كتابنا هذا من كتب اللغة فمصنف أبى عبيد ، والاصلاح ، والألفاظ ، والجمهرة ، وتفسير القرآن ، وشروح الحديث ، والكتاب الموسوم بالعين ما صح لدينا منه وأخذناه بالوثيقة عنه ، وكتب الأصمعى ، والقراء ، وأبى زيد ، وابن الأعرابى ، وأبى عبيدة ، والشيبانى ، واللحيانى ما سقط إلينا من جميع ذلك وكتب أبى العباس أحمد بن يحيى : المجالس ، والفصيح ، والنوادر ، وكتابا أبى حنيفة وكتب كراع الى غير ذلك من المختصرات كالزبرج ، والمكنى ، والمبنى ، والمثنى ، والأضداد ، والمبدل ، والمقلوب ، وجميع ما اشتمل عليه كتاب سيبويه من اللغة وهو حلى كتابى هذا وزينه ، وجماله وعينه مع ما أضفته اليه من الأبنية التى فأت كتاب سيبويه معللة ، عربية كانت أو دخيلة .

وأما ما نثرت عليه من كتب النحويين المتأخرين المتضمنة لتعليل اللغة فكتب أبى على الفارسى : الحلييات ، والبغداديات ، والأهوازيات ، والتذكرة ، والحجة ، والاغفال ، والايضاح ، وكتاب الشعر ، وكتب أبى الحسن بن الرمانى كالجامع ، والاغراض ، وكتب أبى الفتح عثمان بن جنى

(1) راجع فى كل هذا مقدمة ابن سيده لكتاب المحكم

كالمغرب ، والنمام ، وشرحه لشعر المتنبي ، والخصائص ، وسر الصناعة ،
والتعاقب ، والمحتسب الى اشياء اقتضيتها من الأشعار الفصيحة ، والخطب
الغريبة الصحيحة (1) •

ترتيب المحكم

يعتبر ترتيب المحكم حلقة في السلسلة التي بدأها الخليل وسار على
نهجها أبو على القالى فى كتاب البارع ، والأزهرى فى التهذيب ، والزبيدى
حين حاول اختصار العين - وابن سيده الذى يربطه بالقالى والزبيدى
رابطة التلمذة - سار على نفس النهج بعد أن أفاد من الزبيدى طريقته
الاختصار ، وطرح ما تكرر من الشواهد ولا يكاد يختلف عن هذا فى
شئ من الجواهر ، وانما هى وجهات نظر فى ترتيب الحروف بحسب
المخارج ، وترتيب المواد طبقا لها •

وأفاد صاحب المحكم مما سبقه من تطورات ، واتبع أحسنها وقسم
الكتاب الى :

- - الثنائى المضاعف الصحيح •
- - الثلاثى الصحيح •
- - الثنائى المضاعف المعتل •
- - الثلاثى المعتل •
- - الثلاثى اللفيف •
- - الرباعى •
- - الخماسى •

وأراد بالثنائى المضاعف ما ندعوه الثلاثى المضاعف مثل شد •
واستمد هذا التقسيم من أستاذه الزبيدى فى مختصره للعين ، ثم زاد

عليه بابا. بسماء السلداسى أو الملحق بالسداسى ، وبعض ملاحظات هينة
أفادها من الزيدى فى مختصره .

ملاحظات فى المتن

وعد بالايجاز ، ومع ذلك حرص على ذكر ما يحضره مع تفاوت أهميته
ومن غير ترجيح لوجه خاصة ، يقول فى : همع :

همع الدمع والماء ونحوهما يهمع (بفتح الميم) ويهمع (بضم الميم)
همعا : (بسكون الميم) وهمعا (بفتح الميم) وهموعا وهمعانا ، وأهمع :
سال . قال المعجاج :

بأدر من ليل وطل أهمعا

قال اللحيانى : وزعوا أن همعت لغة (1) .

— وينهى عن لغة ، فلا يذكر وجهته فيها كأن يقول : (ولا تلتفت
للهميع بالعين فانه بالعين ، وان كان قد حكاه بالعين قوم ، وبالعين والعين
قوم آخرون) (2) .

— وفى صق — فسر — وذكر قصة رجل اسمه (الصق الكلابى)
فقال : « أحد فرسان العرب ، سمي بذلك لأنه أصابته صاعقة ، وقيل سمي
بذلك لأن بنى تميم ضربوه ضربة على رأسه فأمته » فكان اذا سمع الصوت
الشديد صق فذهب عقله .

قال أبو سعيد السيرافى : كان يطعم الناس فى الجذب بتهامة ، فهبت
الريح فهالت التراب فى قصاعه ، فسب الرّيح ، فأصابته صاعقة فقتلته ،
واسمه خويلد ، وفيه يقول القائل :

(1) المحكم 1 : 68

(2) نفس المصدر والصفحة

بأن خويابدا فابكى عليه
قتيل الريح في البلد التهامي (1)

ويحرص على بيان الفروق الدقيقة

ففى خشع يقبول :

خشع بصره : انكسر ، ولا يقال أخشع • قال ذو الرمة :

تجلى السرى عن كل خرق كأنه

صفيحة سيف طرفه غير خاشع

وقيل : الخشوع قريب من الخضوع ، الا أن الخضوع فى البدن ،
وهو الاقرار بالاستخذاء والخشوع فى الصوت والبصر كقوله تعالى
(خاشعة أبصارهم) سورة المعارج 44 (وخشعت الأصوات للرحمن)
سورة طه 108 ، والتخشع نحو التضرع - ويقول : الخاشع : الراكع فى
بعض اللغات (2) •

ومن هذه الفروق الدقيقة : رجل خُدعة (بفتح الدال) يخدع كثيرا ،
بفتح الياء ، وخدعة (بسكون الدال) يخدع كثيرا بضم الياء أى مبنى
للسجھول (3) •

ومن الفوائد

المخدع - بضم الميم - الخزانة (أى الحجر الصغيرة) قال
سيبويه : لم يأت مفعل اسما الا المخدع ، وما سواه صفة (4) •

(2) المحكم 69 : 1

(4) المحكم 71 : 1

(1) المحكم 81 : 1

(3) المحكم 70 : 1

والعروس : نعت للرجل والمرأة ، رجل عروس فى رجال أعراس -
وامرأة عروس فى نسوة عرائس (1) *

والعانس - للرجل والمرأة - يقول ابن سيده :

عنست المرأة ، تعنس عنوسا ، وعناسا ، وهى عانس من نسوة عنّس ،
وعنّست ، وهى معنس ، وعنّسها أهلها حبسوها عن الأزواج حتى جازت
فتاء السن ولما تعجز ورجل عانس : كذلك ، قال أبو قيس بن رفاعه :

منا الذى هو ما ان طر شاربه

والعائسون ، ومنا المرد ، والشيب (2)

أما الهنات الخفيفة فمنها الاستطراد الذى يتنافى فى مع ما وعد به
صاحبه من ايجاز ، فتجد قصة لا داعى لها كما ورد فى مادة (صقق)
وحرصه على ذكر كل ما يحضره من أقوال حول هذه القصة ، والتأليف فى
اللغة مستغن عن كل هذه الاطالة التى لا شأن لها بالموضوع فى أساسه ، أما
النحو والصرف فما ترك مناسبة للاطالة والتفريع الا انتهزها يعينه على ذلك
ذاكرته الواعية التى وعت ما قرأت أو سمعت من كتب القدامى ، فكان يعيد
الفقرة والفقرات بل الصفحة والصفحات وكأنها من عنده هو ، وينقل
بالنص والحرف من غير اشارة الى المؤلف الأول فلا أدري أنسيان أم تناسى
وهو صاحب الذاكرة الواعية *

ففى المحكم ، نقل فصلا فى تفسير النحو ؛ كتب به ابن جنى فى
الخصائص حيث يقول :

(باب القول على النحو - هو انتحاء سمت كلام العرب فى تصرفه)

(1) المحكم 1 : 297

(2) المحكم 1 : 307

من اعراب كالتثنية والجمع ، والتحقيق والتكسير ، والاضافة والنسب والتركيب وغير ذلك ، يلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها فى الفصاحة فينطق بها - وان لم يكن منهم - وان شد بعضهم عنها رد به اليها ، وهو فى الأصل مصدر شائع ، أى نحوت نحوا كقولك : قصدت قصدا ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم ، كما أن الفقه فى الأصل فقهاء الشيء أى عرفته ، ثم خص به علم الشريعة من التحليل والتحرير (1) . وفى المخصص ، عقد بحثا عن اللغة أهى الهام أم مواضعة فكتب يقول : (وقد لزمت التنقيير والبحث مع ذلك عن هذا الموضع ، فوجدت الدواعى والخوارج قوية التجاذب لى ، مختلفة جهات التغول على فكرى ، وذلك لأننا اذا تأملنا حال هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة) ص 6 المخصص ، وهذا الكلام فى كتاب ابن جنى (الخصائص ص 47) .

وتناول ابن جنى فى كتاب الخصائص رأى أبى على الفارسى الذى يقول فيه ان اللغة من عند الله لقوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) فقال ابن جنى (وهذا لا يتناول موضع الخلاف ، وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله « أقدر آدم على أن واضع عليها » وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة ، فاذا كان ذلك محتملا سقط الاستدلال به) (2) .

فجاء ابن سيده ، وعالج النقطة فى الرد على أبى على الفارسى بعبارة ابن جنى نفسها وقال - أى ابن سيده - (وقد اختلفوا فى اللغة ، أمتواؤها عليها أم ملهم اليها وهذا موضع يحتاج الى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة انما هو تواضع واصطلاح لا وحى ولا توقيف الا أن أبا على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان الفارسى النحوى قال : هى

(1) النظر الخصائص 1 : 34 ط دار الكتب ، ولسان العرب 64 : 310 ط

دار صادر بيروت

(2) الخصائص 1 : 41

من عند الله ، واحتج بقوله سبحانه « وعلم آدم الاسماء كلها » وهذا ليس
باجتجاج قاطع ، وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن
واضع عليها ، وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة فاذا كان ذلك
محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به (1) .

وهكذا ترى ابن سيده وقد نقل كلام ابن جنى بالحرف تقريبا من غير
إشارة إليه كأنه من كلامه هو يرد به على أبى على الفارسي .

وبعد

فهذه ليست من الهنات الكبيرة ، وحسب المرء فخرا أن تعد مأخذه .
ومع هذا فكتاب المحكم الذى أفاد من جميع الكتب التى سبقته مادة
وتبوييا يعتبر من أحسن المعاجم ، ومن أجل هذا يعده صاحب اللسان من
أهم مراجعه ، ويقول فيه (ولم أجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة
لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري ، ولا اكمل من المحكم (2) ، وكذلك
يعتمد عليه صاحب القاموس ويشير الى ذلك فى خطبة كتابه ، ويقول
السيوطى : « أعظم كتاب ألف فى اللغة بعد عصر الصحاح كتاب المحكم
والمحيط الأعظم لأبى الحسن على بن سيده الاندلسى الضرير » (3) .

(1) مقدمة المخصص 4

(2) مقدمة اللسان 7 ط دار صادر

(3) المزهر 1 : 10

الزمخشري ، وأساس البلاغة

467 - 538 هـ

الزمخشري ، أبو القاسم . جار الله . محمود بن عسر . ولد في زمخشري قرية من قرى خوارزم سنة سبع وستين وأربعمائة ، أخذ عن أبي مضر محمود بن الاصبهاني وأبي الحسن بن المظفر النيسابوري ، وأبي منصور نصر الحارثي ، رحل الى بخارى في طلب العلم ثم الى بغداد ففى طريقه الى الحجاز فالتقى بأبي السعادات هبة الله بن الشجزي ، ثم ذهب الى الحجاز فجاور بمكة ، كان الزمخشري معتزليا يجاهر بمذهبه ويلقب نفسه بالزمخشري المعتزلي ، وكان اماما فى التفسير والنحو واللغة والادب ، صنف معلمة واسعة يجدر بك أن تلم ببعضها منا :

الكشاف فى تفسير القرآن ، الفائق فى غريب الحديث ، نكت الأعراب فى غريب الأعراب (فى غريب اعراب القرآن الكريم) كتاب متشابه أسماء الرواة . مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة ، الكلم النوابع فى المواعظ ، أطواق الذهب فى المواعظ ، نصائح الكبنار ، نصائح الصغار ، مقامات فى المواعظ ، نزهة المستأنس ، الرسالة الناصحة ، رسالة المسامة ، الرائض فى الفرائض ، معجم الحدود ، المنهاج فى الأصول ، ضالة الناشد ، كتاب عقل الكل ، النموذج فى النحو ، المفصل فى النحو أيضا ، المفرد والمؤلف فى النحو ، الأمالى فى النحو ، أساس البلاغة ، صميم العربية ، جواهر اللغة ، كتاب الأجناس ، مقدمة الأدب ، كتاب الاسماء ، القسطاس فى العروض ، حاشية على المفصل ، روح المسائل ، سوائر الامثال ، المستقصى فى الامثال ، ربيع الأبرار فى الأدب والمحاضرات . تسليية الضير ، رسالة الأسرار ، أعجب العجب فى شرح

لامية العرب ، شرح المفصل ، ديوان التمثيل ، شرح كتاب سيبويه ، كتاب الجبال والأمكنة ، شافى العى من كلام الشافعى ، شقائق النعمان فى حقائق النعمان فى مناقب أبى حنيفة • المحاجة • المفرد والمركب فى العريية (1) وتوفى سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة بـجـرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة •

وسنكتفى من مؤلفاته بكتاب أساس البلاغة لقربه من موضوع المعاجم •

أساس البلاغة

نهج الزمخشري نهجا جديدا فى كتابه أساس البلاغة يخرج به عن هذا النطاق الذى لمحنه فى المعاجم السابقة - فهو لا يفسر كلمة مكان كلمة ، ولا يتغنى حصر اللغة حصرا شاملا ليعرف بـفـرداتها ولكنه تنقل فى البلاد العربية وأتيح له أن يسمع (من الاعراب فى بواديها ، ومن خطباء الحل فى نواديها ، ومن قراضبة نجد فى أكلائها ومرائعها ، ومن سمسرة تهامة فى أسواقها ومجامعها وما تراجزت به السقاة على أفواه قلوبها ، وتساجعت به الرعاة على شفاه غلبها ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم فى ساعات الماتنة وما تزاملت به سفراء ثقيف وهذيل فى أيام المقاتنة) كما استطاع أن يستخرج من بطون الكتب ، ومتون الدفاتر روائع الألفاظ وجوامع الكلم (2) •

ومن هذه الثروة اللغوية الضخمة استطاع الزمخشري أن يدرك أن اللفظة ومعناها ليست الطريق للتعريف بروح العريية ولا تكشف عن سرها وإنما ذلك يأتى من (تخير ما وقع فى عبارات المبدعين وانطوى تحت

(1) انظر معجم الادباء 19 : 126 ، وفيات الاعيان 2 : 81

(2) مقدمة أساس البلاغة ص د ط دار الكتب

استعمالات المفلّحين أو ما جاز وقوعه فيها وانطوائه تحتها من التراكيب التي تملح وتحسن (♦♦♦♦) فعمل كتابه وسماه أساس البلاغة يتجاوز به هدف أصحاب المعاجم الذين اقتصروا على التعريف بالعربية في نطاق مفرداتها •

وكما اختلفت وجهة التأليف اختلفت أيضا طريقة الترتيب ورأياء يسلسل للكلمات بحسب أوائلها •

وكانت طريقته في تصنيفه أن يضع أمام القارئ استعمال الكلمة في أساليب متعددة مما تحدثت به العرب (مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية الى مرشد حر المنطق) وكان مما يهدف اليه تأسيس قوانين فصل الخطاب ، والكلام الفصيح بافراد المجاز عن الحقيقة والكتابة عن التصريح (1) •

وقد أتاح بطريقته هذه والاستكثار من استعمال الكلمة أن يدرك القارئ مفاهيمها ، ومجاز القول فيها ، ونسوق فيما يلي نموذجا من هذا الكتاب •

استفتح كتابه بباب الهمزة — وبدأ بالهمزة مع الباء فقال :
أب —

اطلب الأمر في ابانه ، وخذه بربانه أي أوله وأنشد ابن الأعرابي :

قد هزمتني قبل ابان الهرم
وهي اذا قلت كلى ، قالت نعم
صحيحة المعدة من كل سقم
لو أكلت فيلين لم تخش البشم

(1) مقدمة اساس البلاغة

وأب للمسير اذا تهيأ له وتجهز ، قال الأعشى :
صرمت ولنم أصرمكم وكصارم
أخ قد طوى كشحا وأب ليذهبا
وتقول : فلان راع له الحب ، وطاع له الأب أى زكا زرعه واتسع
مرعاه .

— أبـد

لا أفعله أبـد الآباد ، وأبـد الأبيد ، وأبـد الآبدين . وتقول رزقك الله
عمرا طويل الآباد بعيد الآماد ، وأبـدت الدواب وتأبـدت : توحشت .
وهى أوابد ومتأبدات — وفرس قيد الأوابد وهى نقر الوحوش — وقد
تأبد المنزل سكنته الأوابد ، وتأبد فلان توحش ، وطيور أوابد خلاف
القواطع .

ومن المجاز فلان مولع بأوابد الكلام وهى غرائبه ، وبأوابد الشعر
وهى التى لا تشاكل جودة — قال الفرزدق :

لن تدركوا كرمى بلئوم أيبكم
وأوابدى بتنحل الأشعار

وقال النابغة :

نبئت زرعة والسفاهة كاسمها
يهدى السىّ أوابد الأشعار

وجئنا بآبـدة ما نعرفها .

ولعلك لاحظت أن الزمخشري قد أطلق اسم الشيء ، وصفته عليه
نفسه كأسلوب مجاز ، من جواز الاستعمال كما رأيناه فى المادة السابقة
يعنى بأوابد الشعر غريبه بينما المعنى الحقيقى لكلمة الأبـد هى الدهر (1) .

(1) سميت الوحوش أيضا أوابد ، وأبـد — للذكر أبـد وللأنثى آبـدة .
سميت بذلك لبقائها على الأبـد اللسان 12 : 68 ط دار صادر بيروت

الصغاني 577 - 651 هـ

هو رضى الدين ، أبو الفضائل ، الحسن بن الحسن بن حيدر العامري الصغاني ، ولد في لاهور بالهند سنة سبع وسبعين وخمسمائة ونشأ بها ، ودخل بغداد سنة خمس عشرة وستمائة ، شارك في علوم الحديث والفقه على المذهب الحنفي ، كما كان اماما في اللغة والنحو (1) .

ونحن اذ نعرف به على أنه مؤلف كتاب العباب نذكر أنه كان ممن علق على كتاب الصحاح للجوهري ، وألف في ذلك كتاب التكملة والذيل والصلة ، ومن كتبه التي ذكرها من ترجم له :

كتاب الشوارد في اللغة - توشيح الديريديّة - كتاب التركيب والأضداد - كتاب الأثر - كتاب العروض - كتاب أسماء الذئب - كتاب في علم الحديث - كتاب في شرح البخاري - كتاب در السجادة في معرفة طبقات الصحابة - كتاب الفرائض - شرح أبيات المفصل - كتاب في المناسك .

ذكره الحافظ الدمي على بقوله : كان الصغاني شيخا صالحا صدوقا صوتا اماما في اللغة والفقه والحديث (٢) توفي ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان سنة خمسين وستمائة ، ودفن بداره في الحرم الطاهر ثم نقل الى مكة ودفن بها وكان أوصى بذلك وجعل لمن يحمله ويدفنه بمكة خمسين دينارا (2) .

التعريف بالعباب

ليس في دار الكتب الا الجزء الأول منه تحت رقم 141 لغة ، وعلمت

(1) فوات الوفيات 1 : 170

(2) الجاسوس 78

وأنا فى زيارة لمجمع اللغة العربية أنهم عثروا على الجزء الرابع ويبدو أنه ليس من نسخة الجزء الأول ، وإن سعيًا يبذل للحصول على المعجم لتحقيقه والتعريف به ، وأعتقد أن الطريق سيكون ميسورًا إن شاء الله فقد كانت هناك نسخة للعباب أشار إليها ابن حجر العسقلاني فى كتابه الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة فى سياق ترجمته لابن مكتوم (1) •

وقال محمد صديق خان فى كتاب البلغة فى أصول اللغة «•• العباب الزاخر واللباب الفاخر فى اللغة فى عشرين مجلدًا ••• وترتيبه كصحاح الجوهري وقد جمع تاج الدين بن مكتوم بينه وبين المحكم » (2) •

ورأى الشدياق ١٨٨٧ م نسختين من العباب أحدهما فى خزانة كتب أيا صوفيا ، والثانية فى خزانة كتب المرحوم محمد باشا الكوبريلى (3) ولا أدرى ما صحة هذا مع ما يقواه الشدياق ، وغير الشدياق (4) أن هذا الكتاب لم يتم فإن المنية اخترمت مؤلفه عند تحريره مادة ب ك م فقال فيه بعض الأدباء •

ان الصغانى السدى

حاز العلوم والحكم

كان قصارى أمره

أن انتهى الى بكم

الا أن تكون هذه النسخ - على هذا الحد من التأليف وتنتهى عند حرف الميم •

(1) الدرر الكامنة 1 : 174

(2) البلغة فى أصول اللغة ط الجواب سنة 1296 هـ ص 136

(3) الجاسوس على القاموس 74

(4) الزهر 1 : 100 ط الحلبي

منهجه في العباب

تمرس الصغاني في الدراسات اللغوية ، وفي الناحية المعجمية بخاصة فكانت له قبل العباب دراسات على صحاح الجوهري كان من نتائجها كتاب التكملة والذيل والصلة ، وكتاب مجمع البحرين ، ويبدو أنه حاول في هذا الكتاب الأخير « العباب » أن يجمع ما تفرق في المعاجم الأخرى فقال : « هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق في كتب اللغة المشهورة ، والتصانيف المعتبرة المذكورة ، وما بلغني ما جمعه علماء هذا الشأن والقدماء الذين شافهوا العرب العرباء ، وساكنوها في داراتها وسايروها من نقلها من مورد الى مورد ، ومن منهل الى منهل ومن منتجع الى منتجع ، ومن بعدهم من أدرك زمانهم ولحق أوانهم آتيا على عامة ما نطقت به العرب خلا ما ذهب منها بذهاب أهلها من المستعمل الحاضر والشارد والنادر مستشهدا على صحة ذلك بأى من الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبغرائب أحاديث من هو بمنزل من خطل القول وخلفه ، فكلامه هو الحجة القاطعة والبينة الساطعة ، وبغرائب أحاديث صحابته الأخيار وتابعيهم الأخبار ، وبكلام من له ذكر في حديث أو قصة في خبر وهو عويس - وبالفصيح من الأشعار والسائر من الأمثال .

والصغاني اذ يحتج بالأحاديث فانه يعتمد الى ضبطها والتأني لها ويقول « وقد سردت الأحاديث الغريبة المعاني المشككة الألفاظ تامة مستوفاة ، فان كان في حديث عدة ألفاظ أتيت به تاما وفصلت كل لفظة منها في بابها وتركيبها ، وذكرت أن تمام الحديث مذكور في تركيب كذا ليعلم سياق الحديث ويؤمن التكرار والاعادة » ويعمل لمسلكه هذا بقوله : « انى رأيت فى ما جمع من قبلى + + + + غير مبينى النبوى من الصحابى . والصحابى من التابعى ، وربما أطلقوا لفظ الحديث على المثل وانظ المثل

على الحديث « ويساك هذا المساك نى الشجر أيضا حين يأتى » بالأشعار على الصحة غير مختلة ولا مغيّرة ، ولا مداخلة غير مقلد أحدا من أرباب التصانيف وأصحاب التأليف ولكن مراجعا دواوينهم معتاما أصح الروايات مختارا أقوال المتقنين الثقة » .

ثم يقول فى صفة كتابه « أولف كتابا فى صفة العرب يكون ان شاء الله تعالى جامعا شتاتها وشاردها حاويا مشاهير لغاتها وأوابدها يشتمل على أدانى التراكيب وأقاصيها ، ولا يغادر منها — سوى المهسلة — ، صغيرة ولا كبيرة الا وهو يحصيها . . . »

ومما جاء فى تقرير هذا الكتاب قول السيوطى (وأعظم كتاب ألف فى اللغة بعد عصر الصحاح » كتاب المحكم والمحيط الأعظم لأبى الحسن على بن سيده الاندلسى الضرير ثم كتاب العباب للرضى الصغانى) (1) وقال صاحب الجاسوس : (الصغانى أدخل فى العباب أشياء كثيرة ليست من اللغة فى شىء) (2) ولم أفهم حقيقة ما يريده الشدياق .

نموذج من العباب

باب الهمزة فصل الهمزة

أجأ — ابن الأعرابى

وأجأ أحد جبلى طيىء ، والآخر سلمى ، وأجأ مؤنث ، قال ذلك ابن الأنبارى فى كتاب المذكر والمؤنث من تأليفه وأنشد لامرئ القيس :

أبت أجأ أن تسلم العام جارها

فمن شاء فلينهض لها من مقاتل

(1) الزهر 1 : 100 ط الحلبي سنة 1958

(2) الجاسوس 521

وانما صرفها لضرورة الشعر ، ومن العرب من لا يهمزها ، فحيث
موضع ذكرها من الحروف اللينة .

وقال ابن الكلبي : أجأ لبني نبهان خاصة ، وسلمى لسائر طيء ،
وتزعم العرب ان أجأ في الأصل كان اسم رجل ، وكان عاشقا سلمى ، وكانت
العوجاء وهى امرأة أخرى تجمع بينهما ، - وأنهم أخذوا فصلبوا على هذه
الأجبل ، يعنى أجأ ، وسلمى والعوجاء ، فسميت الأجبل بأسمائهم

وقال محمد بن حبيب : أجأ هو ابن عبد الجبن ، عشيق سلمى بنت
حام بن حمى من بنى عمليق بن حام ، وهى أولى امرأة سميت سلمى فهرب
بها أجأ ، فاتبعها اخوتها منهم الغميم ، وفدك ، وفائد فأدركوهم
بالجبلين ، فأخذوا سلمى ففلقوا عينيها ووضعوها على أحد الجبلين فسمى
سلمى ، وكنفوا أجأ ، ووضعوه على الجبل الأحمر فسمى أجأ (1)

وأنت ترى أنه يستعين على مادته بما أثر عن العرب من أساطير ،
وينتهى الجزء الأول عند (عجرد) ويتبع فى ٢٤٧ صفحة ، والصفحات
مرقمة بالقلم الرصاص .

(1) الجزء الاول من العباب ص 10 مخطوط رقم 141 لغة ، دار الكتب

ابن منظور 630 - 711 ولسان العرب

ابن منظور ، هو أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الانصاري ولد فى تونس ، وكان يميل الى قراءة كتب الأدب ، فاستوعب أكثرها ، وحاول اختصارها ، وخاصة المطول منها كالأغانى والعقد والذخيرة وتاريخ دمشق ونشوار المحاضرة ومفردات ابن البيطار - ويقول الصنفدى : لا أعرف فى الأدب وغيره كتابا مطولا الا وقد اختصره (1) لذلك تضخم كتاب لسان العرب لسا دخله من الاستطراد والشواهد والاستعانة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية مما استوعبه من هذه المطولات

ويقول ابن حجر : (جمع فى اللغة كتابا اسماه لسان العرب ، جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة (2) والنهاية ، وحاشية الصحاح ، جوده ما شاء ورتبه ترتيب الصحاح (3) ويقول الشدياق

(1) الدرر الكامنة فى اعيان المائة الثامنة 4 : 263 ط الهند سنة

1350 هـ

(2) يقول احمد زكى باشا ان الجمهرة ليست مما جمعه

(3) مقدمة اللسان ط دار صادر

معلقا على تضخم اللسان » انه كتاب لغة وفقه ونحو وصرف وشرح
للحديث وتفسير للقرآن (1) •

وترتب على هذا أن نقل صاحب اللسان بعض ما عيب به أصحاب
المعاجم الأخرى ، وإذا كان من عيوب الجوهرى مثلا أن يستشهد فى
الصحاح بإسحق بن إبراهيم الموصلى فإن ابن منظور قد تابعه فى هذا (2)
وكذلك استشهد بأبى تمام (3) •

ولسان العرب ، موسوعة لما حوته المعاجم السابقة ، بلغ فى طبعة
بולاق سنة 1307 هـ عشرين مجلدا ضخما ، وأعيد طبعه فى بيروت فى
مطبعة دار صادر سنة 1955 م فى خمسة وستين جزءا

وعلى رأس المعاجم التى اعتمد عليها ابن منظور محكم ابن سيدة ،
وقد أشار الاستاذ محمد على النجار حين حقق الخصائص لابن جنى وقدم
لها ، أن ابن سيدة انتفع بكتاب الخصائص فنقل منه دون أن يشير الى
ابن جنى • فنقل ابن منظور عن المحكم ونسب ما نقله الى ابن سيدة (4) •
ومن تلك المعاجم التى اعتمد عليها : تهذيب الأزهرى ، ويرى ابن منظور أن
التهذيب والمحكم من أمهات كتب اللغة ، وما عداهما بالنسبة اليهما ثنيات
للطريق •

وامتدح الجوهرى وجهوده فى كتابه الصحاح الا من سقطات يذكر
بسببها فضل ابن برى فى شرحه عليه حيث « تتبع ما فيه ، وأملى عليه
أماليه مخرجا لسقطاته مؤرخا لغطاته » (5) •

(1) الجاسوس على القاموس 79

(2) اللسان 1 : 59

(3) اللسان 22 : 178 ط دار صادر

(4) انظر مقدمة محقق الخصائص ص 29 ط دار الكتب

(5) مقدمة اللسان ص 7 ط دار صادر

ورثب ابن منظور معجبه لسان العرب على طريقة الصحاح حسب
أواخر الكلمات وأشار الى الاستطرادات التي ضمها كتابه من جليل
الأخبار وجميل الآثار والكلام على معجزات الذكر الحكيم ما أفاده من
أبى السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى بعد أن وضعها فسى
اماكنها الحقيقية من لسان العرب •

وهو اذ يعتمد اعتمادا كبيرا على الأزهرى ، وابن سيده ، ويرى انهما
لم يتركاه مقلدا « ولم يخليا لأحد مجالا » ، وأنهما عينا فى كتابهما عن روبا
وبرهنا عما حويا ، ونشرا فى خطيهما ما طويا ، وأنهما جمعا فأوعيا وأتيا
بالمقاصد ووفقيا « لهذا فانه يتحلل أو يعتذر عن الوقوع فى الخطا مكتفيا
بهمة النقل ولا يدعى فيه بدعوى يقولها كأن يقول (شافهت أو سمعت أو
فعلت أو وضعت أو شددت أو رحلت أو نقلت عن العرب العرباء أو
حملت) (1) •

وأشار صاحب اللسان بالاضافة الى التهذيب ، والمحكم ، والصحاح ،
الى كتاب الأمالى لابن برى ، والنهاية لابن الاثير الجزرى •

ويبدو أن صاحب اللسان لم يعتمد على كتاب العين فى نقوله اعتمادا
مباشرا وانما عرفه عن طريق النقل والرواية عن الأزهرى فسى التهذيب
فيقول فى كثير من المواضع « حكاه الأزهرى عن الليث » ومعنى هذا أنه
يشك فى نسبة العين للخليل ، أو اقتنع برأى الأزهرى فى ذلك •

وعقد ابن منظور قبل أن يبدأ فى معجبه فصلا فسى تفسير حروف
القرآن المقطعة ومقالا عن بعض خصائص العربية كسا فعل أصحاب المعاجم
من قبل ، وبابا عن طبائع الحروف تحدث فيها عن المجهور والمهموس الى

(1) مقدمة اللسان ص 8 ط دار صادر

غير ذلك • وبالجملـة فلسـان العرب كتاب أدب وحديث وفقه وتاريخ
بالإضافة إلى صفته الأصلية كـمعجم جامع •

التصحيح في لسان العرب

ذكرنا ونحن نتحدث عن التصحيح والتحريف أن بعض الأخطاء
الناشئة عنهما بقيت إلى أيامنا هذه تمر أمام اللغريين فيتصيدونها المحققون
الذين يتناولون الكتاب على تـؤدة وروية فيشيرون إلى وجه الصحة فيها
— أو تظل صحيحة — حسب تعارف الناس عليها إلى أن تبعث ومعها
أسانيدها الصحيحة •

من المحققين الذين كشفوا عن بعض هذه التصحيفات الاستاذ المحقق
احمد تيمور ووضع كتابا فيما لاحظته من أخطاء القاموس ، وآخر لأخطاء
اللسان ، وبالرغم من أن القائمين على طبع اللسان أشاروا في هوامشه إلى
أخطاء تداركوها فقد ظهرت الطبعة الثانية في بيروت وبها أخطاء في المؤاد
والشواهد التي شوهها التحريف أيضا ، وأشار الاستاذ عبد الستار فراج
إلى بعض هذه الأخطاء التي عثر عليها في سياق تحقيقه لكتاب المحكم —
ونذكر فيما يلي مثالا منها ونحيل القارئ إلى المصدر •

(باب الهمزة — ذكر اللسان أن من العرب من يحقق الهمزتين فيقرأ
أنذرتهم قرأ به عاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وقرأ أبو عمرو : أنذرتهم
مطولة ... وقرأ أبو عبد الله بن أبي اسحق أنذرتهم بألف بين الهمزتين ،
وذكر صاحب اللسان لأحمد بن يحيى قوله :

خرق إذا ما القوم أجروا فكاهة

تذكر آياها يعنون أم قردا (1)

(1) اللسان 1 : 18 ط دار صادر سنة 1955

وصوابها حُزْقٌ“ كما يقتضيه القياس ، وقد وردت على التصحيح
الأخير فى مادة ح ز ق فى نفس المعجم ، وورد بها الشاهد السابق مضبوطا
حزق ، وجاء فى تفسيره : (الحزق الضيق القدرة والرأى الشحيح ، فاذا
كان قصيرا دميما فهو حزقة أيضا وهذا يتششى مع سياق المعنى فى الشاهد)
هذا مثال من عديد الأمثلة التى أشار إليها الأستاذ عبد الستار فراج
فى أكثر من بحث نشره فى مجلة مجمع اللغة العربية (1) .

(1) انظر العدد 12 : 171 - 13 : 177 - 15 : 58

الفيروزبادي 729 - 817 هـ والقاموس المحيط

ولد أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزبادي الشيرازي في سنة تسع وعشرين وسبعمائة بكارزين من أعمال فارس ، وأنتم حفظ القرآن بها ، ثم انتقل الى شيراز ، ثم طوف في العراق ، والشام ، ومصر ، والحجاز ، وزار الهند واليمن .

سمع من محمد بن يوسف الزيدى المدنى ، وابن القيم . وابن الخباز ، والصلاح الصفدى ، والبهاء بن عقيل ، والكمال الأسنوى ، وابن هشام

ومن أهم ما عنى به في دراسته ، الحديث ، واجتهد في علم اللغة الى أن (بهر وفاق من حضر ومن غبر) ويقول عن نفسه (واني قد نبغت في هذا الفن قديما وصبغت به أديما ولم أزل في خدمته مستديما) (1) .

وتلمذ عليه السيد محمد مرتضى الزبيدي ، والحافظ بن حجر المستقلاني وقال : (اجتمعت بالمجد اللغوي في زييد وفي وادي الخصيب وناولني جل القاموس وأذن لي وقرأت عليه من حديثه ، وكتب لي تقریفا على بعض تخاريجي) .

وألقى عصا التسيار في زييد باليمن ، فتولى القضاء عشرين سنة

(1) مقدمة القاموس المحيط ص ٣

وبالغ في اكرامه سلطان اليمن الأشرف اسماعيل (1) • ومن تصانيفه التي تزيد على أربعين مؤلفا : تسهيل الوصول الى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول ، والاصعاد الى رتبة الاجتهاد في أربعة أسفار . وشرح مطول على البخارى بلغ عشرين سفرا ، وشوارق الأسرار في شرح الأنوار ، والروض المسلوف فيما له اسمان الى الوف ، وتحرير الموشين فيما يقال بالسین والشين ، والصلات والبشر في الصلاة على خير البشر •

دوافع وضع القاموس

يعتقد الفيروزبادي بالعلاقة الواشجة بين اللغة والدين فقال يؤكد هذا الوجه (وان بيان الشريعة لما كان مصدره عن لسان العرب ، وكان العسل بموجه لا يصح الا باحكام العلم بمقدمته ، وجب على رؤام العلم ، وطلاب الأثر أن يجعلوا عظم اجتهادهم واعتمادهم وأن يصرفوا جل عنايتهم في ارتيادهم الى علم اللغة والمعرفة بوجوهها) (2) •

فقاده هذا الغرض - بالاضافة الى تمرسه الواسع باللغة الى أن يقتنى كتابا « جامعا بسيطا ، ومصنفا على الفصيح والشوارد محيطا » •

ويبدو أنه لم يقنع بكتاب الصحاح للجوهري الذي كان من مميزاته الايجاز وكان هذا الكتاب دائرا في أيدي الناس •••• فلما أعياه الطلاب شرع في وضع كتاب أسماء اللامع الماعلم العجائب الجامع بين المحكم والعجائب - يقصد محكم ابن سيده ، وعجائب الصغاني ، وهما في نظره من أمثل كتب اللغة ، أو كما يقول هو (هما غرنا الكتب المصنفة في هذا الباب) ولكن الفيروزبادي لم يقتصر في مراجعته على هذين الأصلين ، بل زاد عليهما من عنده ، ومن المراجع الأخرى ما جعل الكتاب يتضخم ويتعذر

(1) الجاسوس 72 نقلا عن شارح التاج

(2) مقدمة الفيروزبادي للقاموس المحيط 3

تناوله حتى لقد خسنه فى ستين سفرا •

كان هذا هو غرض الفيروزبادى أولا ، ولم يتضح الى أى حد سار فى منهجه هذا الواسع الا ما يشير اليه الشدياق من أنه أتم خمس مجلدات ، ولكن الفيروزبادى يشير فى باب الهاء أنه بين بعض ما أورده من هذا الباب فى كتابه اللامع (1) ويقول : « سئلت تقديم كتاب وجيز على ذلك النظام ، وعسل مفرغ فى قالب الايجاز والاحكام . مع التزام اتمام المعانى ، و ابرام المباني ، فصرفت صوب هذا القصد عنانى ، وألفت هذا الكتاب محذوف الشواهد ، مطروح الزوائد ، معربا عن الفصح والشوارد . وجعلت بتوفيق الله تعالى زفرا فى زفر . ولخصت كل ثلاثين سفرا فى سفر . وضمنت خلاصة ما فى العباب والمحكم . وأضفت اليه زيادات من الله تعالى بها وأنعم ، ورزقنيها عند غسوضى عليها من بطون الكتب الفاخرة الدأماء العظمى ، وأسميته القاموس المحيط (2) •

منهج الفيروزبادي

بيننا فى دوافع وضعه لهذا الكتاب محاولته للوصول الى معجم يجمع محاسن السلف . ويكمل ما فاتهم ، وهو وان اعتمد على الصحاح والتهذيب والمحكم والنهاية وحواشى ابن برى والجمهرة ، فانه تناول بالنقد المار كتاب الصحاح الذى كان فى ذلك الوقت من المعاجم البارزة . ويعتبر فى ذاته تطورا فى فن المعاجم ... وكان الناس بدورهم مقبلين على كتاب الصحاح - فهل كان الفيروزبادى يتغنى عمل شىء فذ أكبر من الصحاح ؟

انه يجيب على بعض ما يساورنا بأنه اختار الصحاح لحملته هذه مع

(1) الجاسوس على القاموس 101

(2) مقدمة الفيروزبادى للقاموس 3 و 4

اعترافه بما فى الكتب الأخرى من هنات ومآخذ - لان الصحاح اكثر تداولاً ، وقال : (اختصت كتاب الجوهري من بين الكتب اللغوية مع ما فى غالبها من الأوهام الواضحة والأغلاط الفاضحة لتداوله واشتهاره بخصوصه ، واعتماد المدرسين على نقوله ونصوصه) (1) •

وهو لا يكاد ينصف الجوهري الا على أساس تفوقه هو عليه ، ويقول فى هذا (ولما رأيت اقبال الناس على صحاح الجوهري ، وهو جدير بذلك ، غير أنه فاتته نصف اللغة أو اكثر (2) اما باهمال المادة ، أو بترك المعانى الغريبة النادرة ، أردت أن يظهر للنظر بادية بدء فضل كتابى هذا عليه فكتبت بالجمرة المادة المهملة لديه - وفى سائر التراكيب تتضح المزية بالتوجه اليه ، ولم اذكر ذلك اشاعة للمفاخر ، بل اذاعة لقول الشاعر: كم ترك الأول للآخر) (3) •

الاختصار

وعد الفيروزبادى فى منهجه أن يتوخى الاختصار ، وتقريب العبارة . وإيراد المعانى الكثيرة فى الألفاظ اليسيرة ، فاستعمل لذلك بعض الاصطلاحات - العين للموضع - والبدال للبلد - والتاء المربوطة للقربة - والجيم للجمع - والميم للمعروف ، وفى سبيل الوفاء بوعده بالايجاز حذف الشواهد وأسماء اللغويين والنحاة (4) ولكن لا يجرى مع هذا ذكره لأعلام الفقهاء ، والمحدثين ، وأسماء الأدوية • يقول الشدياق « ومع

-
- (1) المصدر السابق
 - (2) الذى حمله على هذا الادعاء انه قرأ كتاب الصغاني « التكملة والذيل والصلة » وكان فى حجم الصحاح فظن انهما تقاسما المجد الادبى فى هذا اللون من التصنيف لان صاحب التكملة استدرك فى كتابه ما فات الصحاح - انظر 76 من الجاسوس
 - (3) مقدمة القاموس المحيط ص 3
 - (4) الجاسوس 80

بسط عبارة هذه الكتب التى تيسر لى مطالعتها لم أجد فيها ما وجدت نسى
القاموس من وصف الأدوية والعقاقير وأسماء المحدثين والفقهاء ، ويقارن
بين هذا الاتساع الذى لا محل له وبين ما حذفه من الصحاح فيقول : ان
أول ما يقع عليه نظر الناظر الى الصحاح الأبيات التى استشهد بها فيحكم
بأن مؤلفه لغوى أديب ، فاذا وقع نظره على المواد المكتوبة فى القاموس
بالجمرة حكم بأن مؤلفه طبيب وذلك نحو قوله : الأشيخ ، والبرنج .
والسفانج ، والبابونج ، والبهرامنج ، والجسبرج ، والجوزاهنج ،
والاسفيداج ، والشفانج ، والشهدانج (1) .

والفيروزبادى يختم مقدمته — وهى غالبا ما تكتب فى آخر الكتاب
— فى تواضع ويعترف فيها بهفوات الانسان . ويقول ضارعا الى من ينظر
الى عمله أن يستر عثاره وزلله . ويسد بسداد فضله خلله ويصلح ما طغى
به القلم ، وزاغ عنه البصر ، وقصر عنه الفهم ، وعقل عنه الخاطر .
فالانسان محل النسيان (2) .

دراسات حول القاموس

ونشطت الدراسات حول القاموس على غرار الدراسات التى عقدت
حول الصحاح فاكتفى بعض العلماء بشرح مقدمة القاموس كمحمد بن
يحيى الترافى المصرى ١٠٠٨ هـ فى كتابه : القول المأنوس بشرح مغلق
القاموس (3) والمناوى ١٠٣١ هـ فى شرح خطبة القاموس (4) .

ومن العلماء من علق عليه ونقده ، ومن عقد مقارنة بين القاموس

(1) الجاسوس 108

(2) مقدمة القاموس المحيط 7

(3) مخطوطة بدار الكتب برقم 11 لفة

(4) مخطوط بدار الكتب برقم 6

والصحيح - فقد عمل القرافي كتاباً أسماه (بهجة النفوس في المحاكمات بين الصحاح والقاموس) وكتب القاضي ادريس بن محمد ١٠٣٧ هـ كتابه مرج البحرين ، وعمل عبد الله بن محمد الفاسي ١١٧٠ هـ كتابه « أضواء الراموس وافاضة الناموس على أضواء القاموس وعسل الشدياق كتاب الجاسوس ، وذكر الزبيدي لفيفا من العلماء شاركوا في دراسات مختلفة حول القاموس سنشير اليهم في حديثنا عن التاج .

احمد فارس الشدياق وكتاب الجاسوس

تناول الشدياق كتاب القاموس وصاحبه بالنقد الشديد . وكما قال الفيروزبادي انه تناول كتاب الصحاح لتداوله بين الناس ، كانت هذه أيضاً حجة الشدياق فقال : (لما رأيت في تعاريف القاموس للامام القاضي مجد الدين الفيروزبادي قصورا وابهاما ، وايجازا وابهاما ، وترتيب الأفعال ومشتقاتها فيه محجوج الى تعب في المراجعة ، ونصب في المطالعة والناس راوون منه وراضون عنه ، أحببت أن أبين في هذا الكتاب من الأسباب ما يحض أهل العربية في عصرنا هذا على تأليف كتاب في اللغة ، واضح التعاريف شاملا للألفاظ التي استعملها الأدباء والكتاب ، وكل من اشتهر بالتأليف سهل المجتنى ، دانى الفوائد ، بين العبارة ، وافى المقاصد) (١) .

وعقد أربعة وعشرين نقدا لكتاب القاموس المحيط بعد مقدمة طويلة بلغت تسعين صحيفة ، تكلم فيها عن فروع شتى من المعارف اللغوية ، وتناول أكثر المعاجم بالاشارة وترجم لأصحابها كما ترجم لبعض اللغويين . وكان النقد الأول لمقدمة القاموس ، فأورد المتن وشرحه ، وعلق عليه ، وانتصر للجوهري ، وفند حملة الفيروزبادي عليه ، كقول صاحب

(١) مقدمة الجاسوس

القاموس ان الجوهري فاته نصف اللغة أو ثلثها - قال الشدياق (ان الجوهري لم يقصد الجمع والاحاطة وانما التزم الصحة وجعلها شرطاً فيما أورده وأراد - على أن لصاحب الصحاح أن يدعى أحسنية كتابه وتفوقه على القاموس لأن جمع ما صح وان قل أحسن من مطلق الجمع) (1) .

ويعزو الشدياق بعض الهنات والمآخذ في القاموس الى اشتغال الفيروزبادي بالتأليف في أكثر من موضوع واحد في وقت واحد ، وقال انه كثيراً ما يكرر اللفظة في مادتها ، أو يحيل ذكرها الى موضع ولا يذكرها فيه حتى انه ربما أثبت شيئاً في مادة ثم أنكره (2) .

تصحيح القاموس المحيط

وعلى ذكر الأخطاء فقد عدها على الفيروزبادي الاستاذ المحقق أحمد تيمور في كتاب سماه « تصحيح القاموس المحيط » قال في مقدمته :

« أما بعد فهذه تنبيهات على ما وقع من الأغلاط في نسخة القاموس المحيط وقد كنا قيدنا ما استطعنا تحقيقه من تلك الأغلاط بحواشي نسختنا أثناء المراجعة ، ثم رأينا تجريد ما قيدناه وجمعه في هذه الرسالة رجاء تعيين نفعه ، ورتبناه ترتيب الكتاب تسهيلاً للرجوع الى مواضعه فيه بعد أن أضفنا اليه ثلاثة أغلاط رأينا التنبيه عليها في مجلتي الضياء ، ولغة العرب ستأتي في مادة خ س س ، تين ، نسو ، معزوة الى محققها - ورأينا كلاماً عن غلط آخر في مادة ح ج ل ذكره المفتي محمد سعد الله في القول المأثور في صفات القاموس ظهر لنا أنه لم يصب فيه فأثرنا إirاده للتنبيه

(1) الجاسوس 105

(2) الجاسوس 73

عليه — ثم ذكر النسخ التي كانت في عهده مخطوطة ومطبوعة (1) •

تفريظ القاموس

أما الزبيدي ، صاحب التاج — فقد وضع القاموس في مرتبة عالية ، وقال فيه وفي صاحبه (... وكان فيها — يقصد العربية — كتاب القاموس المحيط للإمام مجد الدين الشيرازي أجل ما ألف في الفن لاشتماله على كل مستحسن من قصارى فصاحة العرب العرباء. وبيضة منطقتها ، وزبدة حوارها ، والركن البديع الى ذرابة اللسان وغرابة اللسن ، حيث أوجز لفظه وأشبع معناه وقصر عبارته وأطال مغزاه ، لوّح فأغرق في التصريح وكنّى فأغنى عن الأفصاح ... ولعمري هذا الكتاب قد اخترق الآفاق مشرقا ومغربا وتدارك سيره في البلاد مصعدا ومصوبا ... وجلت منته عن أهل الفطن ... (2)

(1) مقدمة تصحيح القاموس المحيط

(2) مقدمة الزبيدي ص 4

الزبيدي 1145 - 1205 هـ وتاج العروس

الزبيدي ، ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بالسيد مرتضى الحسيني . ولد في قرية هندية تسمى بلكرام ، ارتحل ففى طلب العلم فذهب الى مكة ، والتقى بالسيد عبد الرحمن العيدروس وقرأ عليه مختصر السعد ولازمه مدة ، أجازته بعدها بمروياته .

ثم زار مصر سنة ١١٦٧ هـ وجلس لألقاء درس الحديث ، وكان موضع ثقة شيخ العرب همام - واعتنى به اسماعيل كشخدا ، وشرع فى شرح القاموس حتى أتمه فى عدة سنين وسماه : تاج العروس ، وهو الذى سنعرف به الآن - وله غير ذلك اتحاف السادة المتقين بشرح اسرار احياء علوم الدين ، وبلغة الغريب فى مصطلح آثار الحبيب ، وتلبية العارف البصير على اسرار الحزب الكبير ، وعقد الجواهر المنيفة فى ادلة مذهب الامام أبى حنيفة ، ونشوة الارتياح فى بيان حقيقة الميسر والقдах .

تاج العروس

كما رأينا القاموس المحيط يقوم على سبب أو أكثر يتصل بصحاح الجوهري ، فلقد قام تاج العروس كحلقة من الدراسات التى قامت حول القاموس - لاحظ الزبيدي اتساع الدراسات حول الصحاح ، واختلاف وجهات النظر فيها وتنوعها ، وأنها شملت المقدمة ، وشرح المتن ، والنقد ، والمقارنة بينه وبين القاموس فأراد الزبيدي أن يفيد من كل هذا ، فوضع

كتابه ، وسماء تاج العروس من جواهر القاموس مع فارق واضح هو أن الفيروزبادي عمل كتابه بعد أن انتقص من أمر الجوهري • والزبيدي يكمل القاموس ويذكر شروحه مع الاشارة به وبصاحبه ويقول :

(..... وأنا لا أدعى فيه دعوى فأقول شافهت ، أو سمعت . أو رحلت ، أو أخطأ فلان أو أصاب أو غلط القائل في الخطاب ، فكل هذه دعاوى لم يترك فيها شيخنا لقائل مقالا ويتحدث في تواضع فيقول : « وليس لى فى هذا الشرح فضيلة أمت بها ، ولا وسيلة أتمسك بها سوى اننى جمعت فيه ما تفرق فى تلك الكتب من منطوق ومفهوم » (1)

وكان من الدوافع أيضا - اعتقاده بأن العربية أصل لكل العلوم ، وقديما ربط العلماء بين اللغة والدين ، وأبرز معظم أصحاب المعاجم هذه الناحية فى كثير من التقديس كما أشرنا ، وقال الزبيدي (فتدبرت فنون العلم التى أنا كائن بصدد تكميلها ، وقائم بازاء خدمتها ، وتحصيلها ، فصادت أصلها الأعظم الذى هو اللغة العربية ، ويقول اننى لم أقصد سوى هذه اللغة الشريفة اذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية) (2) •

وكان ايجاز القاموس مما دفع الكثير من العلماء (3) الى المشاركة فى

(1) مقدمة التاج ص 5

(2) مقدمة التاج

(3) ذكر الزبيدي كثيرا منهم ، وبين جهودهم فقال (فمنهم من اقتصر على شرح خطبته كالمحب بن الشحنة ، والقاضى عيسى بن عبد الرحيم الكجراتى ، وميرزا على الشيرازى - ومنهم من تقيد بسائر الكتاب كعلى بن غانم المقدسى ، وسعدى افندى والشيخ محمد عبد الرؤوف المناوى وسماء القول المانوس وصل فيه الى حرف السين (ولم يعثر عليه الزبيدي) وعبد الله بن الامام شرف

كشفت غموضه وجاء دور الزبيدي الذي رأى أن يدلى برأيه فقال (.. فلما انست من تناهي فاقة الأفاضل الى استكشاف غوامضه والغوص على مشكلاته قرعت ظنوب اجتهادي واستسعيت يعبوب اعتنائى فى وضع شرح عليه مزوج العبارة - جامع لمواده - بالتصريح فى بعض ، وفى البعض بالإشارة ، واف ببيان ما اختلف من نسخه - والتصويب لما صح منها من صحيح الأصول حاو لذكر نكتته ونوادره ، والكشف عن معانيه والانباء عن مضاربه وماآخذه بصريح النقول والتقاط أبيات الشواهد له مستمداً ذلك من الكتب التى يسر الله تعالى بفضلها وقوفى عليها ، ونقلت بالمباشرة لا بالوساطة عنها (1) ثم ذكر بعض هذه الكتب وقد بلغت أكثر من مائة كتاب .

وقد حدد الزبيدي فى مقدمته هذه منهجه فى كتاب التاج الذى تتلخص نقاطه الهامة فى :

→

الدين وسماه : كسر الناموس والبدر محمد بن يحيى القرافى وسماه : بهجة النفوس فى المحاكمة بين الصحاح والقاموس - والامام أبى العباس أحمد بن عبد العزيز (حدثه به بعض شيوخه) وشرح أبى عبد الله محمد بن الطيب الفاسى فى مجلدين ضخمين (اثنى عليهما الزبيدي) وذكر من الذين استدرکوا على الكتاب عليا بن محمد الحسينى ، وعبد الله بن المهدي الحميرى اذ استدرک عليه وعالى الجوهرى فى مجلد - وملا على بن سلطان الهروى وسماه : الناموس . وللشيخ الامام أبى عبد الله محمد بن أحمد المناوى عليه كتابة حسنة ، وكذا الشيخ ابن حجر المكى له فى التحفة مناقشات معه ، وللشهاب الخفاجى فى العناية محاورات ومطارحات ، وقال : بلغنى ان البرهان بن همام بن محمد الحلبي قد لخص القاموس ...)

(1) مقدمة التاج ص 3

أولاً - محاولته الاختصار ما أهكته ذلك على أن يبقى على جوهري الكتاب ، وسيعمل في سبيل ذلك الى التحريض ان اقتضى المقام أو التلميح ان رأى فيه الكفاية . وقال (ولم آل جهداً في تحري الاختصار وسلوك سبيل التنقية والاختيار وتجريد الألفاظ من الفضلات التي يستغنى عنها) .

ثانياً - محاولته جمع نسخ المحيط المتعددة ، ومقابلة أصولها بعضها ببعض لينتقى أصحها .

ثالثاً - إعادة الشواهد - فقد قامت خطة صاحب القاموس على حذفها توخيها لما وعد به من الاختصار - ولاحظ الزبيدي أن هذا الاختصار يحتاج الى نوع من التكملة والتوضيح ، ورأى أن ينير بها بعض ما غمض من المحيط - فجمع الشواهد والأدلة وقارن بينها فيما تيسر له من كتب السابقين ، ووجدها أمثل طريقة لتنقيتها وتصويبها « لأن كل واحد من العلماء انقرد بقول رواد ، أو سماع أدّاه ، فصارت الفوائد في كتبهم مفرقة (1) قال : فجمعت منها في هذا الشرح ما تفرق وقرنت بين ما غرب منها وبين ما شرق فانتظم شمل تلك الأصول والمواد كلها في هذا المجموع ، وصار هذا بمنزلة الأصل وأولئك بمنزلة الفروع (2) .

أما الترتيب - فهو نفس ترتيب القاموس فبدأ باب الهمزة . فصل الهمزة ، ثم فصل الباء من باب الهمزة الى آخر التقسيم ، وتميز بالأسهاب الكبير في المقدمة التي قسمها الى عشرة مقاصد عالج فيها بعض الدراسات اللغوية كالكلام عن اللغة هل هي توقيفية أو اصطلاحية ، وعن العرب وتقسيمهم الى عاربة ومتعربة ومستعربة ، وأنسابهم ، الى غير ذلك .

(1) مقدمة تاج العروس 4

(2) مقدمة تاج العروس 5

ويبدو بوضوح اعتماده على السيوطى ، وخاصة ما جاء فى المزهـر ، فنقل عنه جل هذه الأبحاث •

وفى آخر مقدمة الزبيدى بدأ فى شرح مقدمة القاموس ، بعد أن وضع المتن بين أقواس ، وتوسع فى الشرح وأورد كل ما يتصل به من النحو والصرف وغير ذلك •

وكما اعتمد على السيوطى فى المقدمة فيما تضمنته من أبحاث لغوية تلمح اعتماده فيما اتسع فيه من مواد المتن على شيخه ابن الطيب بالإضافة الى مراجعته الأخرى بالرغم من أن شيخه ابن الطيب كان قد وضع حاشية على كتاب القاموس لم يكن هواه فيها مع الفيروزبادى ، فنقل عنه الزبيدى ولم يتأثر بحملة شيخه ابن الطيب عليه ، بل كان فى أكثر من مناسبة يثنى على شرح أبى عبد الله محمد بن الطيب الفاسى الذى يقع فى مجلدين ضخمين •

ونحسب على الزبيدى احدى الهنات ، وهو الذى اطلع على هذه المراجع التى زادت على المائة من أمهات الكتب ، واستوعب أغلب ما جاء فى المعاجم السابقة فالذى يتصدى لعمل مثل هذه الموسوعة لا يجب أن يقف دوره عند النقل فقط ، فهذه الزيادات التى أضافها لم تكن استنتاجا ، ولا عن اعمال فكر ، ولا صدرت عن دراسة مقارنة متأنية ، ولا اقتناع يؤازره السند اللغوى ، ولا دخل فى قضية عللها وانتصر وباهى بنتيجتها - ولكنه اكتفى بالنقول - وآثر السلامة تحرجا فيما يبدو من قوله (..... فلم أبدل شيئا فيقال : فانما ائمه على الذين يدلونه - بل أدت الأمانة فى شرح العبارة بالنص ، وأوردت ما زدت على المؤلف بالنص فليعد من ينقل من شرحى هذا عن تلك الأصول والفروع) (1) كأنه تأثر

(1) مقدمة التاج ص 5

فى هذا سنهـ السوطى •

وتأسيسا على هذا - لا نستطيع أن نعفيه من المآخذ التى وقع فيها
أسلافه ونقلها هو كما هى ، كهذا الاسراف الذى لوحظ على القاموس فى
ايراده اسماء الأعشاب ، والأدوية ، وأسماء المحدثين والفقهاء بالرغم من
ادعاء صاحبه الاختصار ، نجدها هنا أيضا - وليس لها محل حتى فى
التوسع والتوضيح الذى أرادہ الزيدى •

ومع هذا فهو معجم جامع لا يقلل من قيمته الكبرى مثل هذه
الهنات •

مراجع البحث ومصادره

- ابراز المعاني من حرز الأمانى
عبد الرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم بن
عثمان الدمشقى المعروف بابى شامة ،
ط. مصطفى البابى الحلبي سنة 1349 هـ
رقم 9185 ج .
- الابل
ابو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعى ؛
ضمن كتاب الكنز اللغوى ابتداء من صفحة
66 نشره وعلق عليه الدكتور اوجست
هفتر المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين
بيروت سنة 1903 م رقم 3524 ج .
- اتحاف فضلاء البشر فى
القراءات الاربعة عشر
احمد بن محمد الدمياطى ط مصر سنة
1285 هـ . 699 ج ؛
- الاتقان فى علوم القرآن
جلال الدين عبد الرحمن السيوطى ط
القاهرة سنة 1317 هـ 543 ب .
- الاخبار الطوال
ابو حنيفة احمد بن داود الدينورى ط
مصر 52204 .

أخبار النحويين البصريين

أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي .
تحقيق طه محمد الزيني ، ومحمد عبد
المنعم خفاجي ط الحلبي سنة 1374 هـ
1955 م 8800 د .

أساس البلاغة

أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ط
دار الكتب سنة 1923 م 3868 ب .

أسد الغابة في معرفة الصحابة

أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم
الجزري المعروف بابن الاثير ط جمعية
المعارف 1286 هـ 120 ج .

الاشتقاق

أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ط
جوتنجن سنة 1854 م رقم 3981 ج ،
وحققه عبد السلام هارون . مؤسسة
الخانجي سنة 1958 م رقم 56098 .

الاشتقاق والتعريب

عبد القادر بن مصطفى المغربي . لجنة
التأليف والترجمة والنشر سنة 1948 م
8988 د .

الاصابة في تمييز الصحابة

شهاب الدين احمد بن علي المشهور بابن
حجر العسقلاني ط كلكتا سنة 1873
وط مصر سنة 1327 هـ رقم 885 ب .

اصلاح المنطق

أبو يوسف يعقوب بن السكيت شرحه
الاستاذان أحمد شاكر ، وعبد السلام
هارون . دار المعارف 1949 م وسنة
1951 م رقم 11044 ج

الأضداد

مجموعة تضم كتاب الاضداد عن عبد
الملك بن قريب الاصمعي . وكتاب أبي حاتم
السجستاني ، وثالث لأبي يوسف يعقوب
ابن السكيت ، ومذيل بكتاب في الاضداد
للحسن بن محمد الصفاني . نشرها
الدكتور أوجست هفتر ط الآباء
اليسوعيين بيروت سنة 1912 م 5505 ج

الأضداد في اللغة

محمد بن القاسم بن محمد (ابن بشار
الانباري) ط مصر سنة 1325 هـ 3313 ب

اعلام الموقعين

ابو عبد الله محمد بن ابي بكر المعروف بابن
قيم الجوزية 1099 ب - 925 ب .

الأغاني

ابو الفرج الاصفهاني نسخة ط القاهرة
وفهرست 3860 ب، واخرى ط دار الكتب
3746 ب .

الاغراب في جدل الاعراب

ابو البركات عبد الرحمن كمال الدين بن
محمد الانباري نشره سعيد الافغاني ط
الجامعة السورية سنة 1957 م .

الاقتراح في أصول النحو

جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ط
حيدرآباد سنة 1310 هـ . 3304 ج .

الاقتضاب

ابن السيد البطليوسي ط بيروت سنة
1901 م 8002 ج .

الألفاظ

ابو يوسف يعقوب بن السكيت بشرح
التبريزي ط بيروت 1895 م 397 د .

الألفاظ الفارسية المعربة

آدي شير ط بيروت 1908 م 5125 ج .

الألفاظ المترادفة

ابو الحسن علي بن عيسى الرمانى ط
الموسوعات سنة 1331 هـ رقم 3653 ب .

امالى الزجاجي

ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق
الزجاجي ط السعادة سنة 1324 هـ
4937 ج .

امالى القالى

ابو على اسماعيل بن القاسم البفدادى ط
دار الكتب سنة 1926 م 2094 ب .

أمالى المرتضى

ابو القاسم على بن الطاهر المرتضى ط
السعادة 1907 م رقم 2471 ج .

الامتناع والمؤانسة

أبو حيان التوحيدي ط لجنة التأليف
والترجمة والنشر سنوات 1939 و 1942
و 1944 / 7756 د / 8116 د / 9871 ج .
أبو عبيد القاسم بن سلام ط جوتنجن
1936 رقم 3617 د

الأمثال (جزء من الكتاب)

الأمثال

أبو فيد مؤرج بن عمر السدوسي
ط القاهرة 1391 حققه الدكتور رمضان
عبد التواب .

أمثال العرب

المفضل بن محمد بن يعلى الضبى ط
الجواب 1300 هـ رقم 3298 ج .

انباء الرواة على انباء النحاة

جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف
القفطى حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ط
دار الكتب طبع الجزء الاول سنة 1950
والرابع سنة 1973 وارقامها بالترتيب :
11017 ج - 4074 ب - 63784 -
80961 .

الانصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين

أبو البركات عبد الرحمن بن الانبارى
بتحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد
ط السعادة سنة 1955 50214 .

الأيام والليالى والشهور

أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء - مخطوط
المجموعة 13 أدب ش دار الكتب بالقاهرة .

البحر المحيط

أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسى ط
القاهرة رقم 1949 ب و 1950 ب .

البخلاء

أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
الجاحظ ، حقق نصه وعلق عليه الدكتور
طه الحاجرى ط دار الكتاب المصرى سنة
1948 رقم 10239 ج .

محمد بن عبد الله الزركشى ط دار احياء
الكتب العربية سنة 1957 رقم 54906 .

عبد الرحمن السيوطى ط السعادة سنة
1326 هـ 2096 ب

احمد بن ابى يعقوب بن واضح المعروف
باليقوبى ط بريل سنة 1890 م 5400 ج
محمد صديق حسن ط الجوائب سنة
1296 هـ 167 ج .

محمود شكرى الالوسى ط الرحمانية
3142 هـ 1924 م . رقم 6641 ج .

ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب
الجاحظ ط الاستقامة 1366 هـ 1947 م
رقم 10955 ج وطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ١٣٦٧ هـ 1948 .
هارون 10925 ج .

السيد محمد مرتضى الزبيدى ط الخيرية
1306 هـ . رقم 25 ا و 27 ا .

اسماعيل بن حماد الجوهرى 24 ب/ 250
528 ب

مصطفى صادق الرافعى ط الاخبار سنة
1329 هـ 911 / 5682 ج .

كارل نالينو ط دار المعارف سنة 1954
رقم 18466 د .

جورجى زيدان مطبعة الهلال 4378 ج .

البرهان فى علوم القرآن

بغية الوعاة فى طبقات
اللغويين والنحاة

البلدان

البلغة فى اللغة

بلوغ الأرب فى معرفة
أحوال العرب

البيان والتبيين

تاج العروس من جواهر
القاموس

تاج اللغة وصحاح العربية

تاريخ آداب العرب

تاريخ الآداب العربية من
الجاهلية حتى عصر بنى أمية

تاريخ آداب اللغة العربية

- تاريخ بغداد
احمد بن على الخطيب البغدادي ط
السعادة سنة 1349 هـ 1931 م 8128 ج
- تاريخ التشريع الاسلامي
محمد الخضري ط مصر سنة 1970 م
رقم 75259 .
- تاريخ الرسل والملوك
(تاريخ الطبري)
محمد بن جرير الطبري ط دار المعارف
1960 م / 50858 - 52204 .
- تاريخ الفلسفة في الاسلام
دى بور ترجمة ابو ريذة ط لجنة التأليف
والترجمة والنشر 1938 م 9030 ج .
- تأويل مشكل القرآن
عبد الله بن مسلم بن قتيبة شرحه وحققه
السيد احمد صقرط الحابسى 1954 م
12548 ج .
- تحصيل عين الذهب من معدن
جواهر الادب في علم مجازات
العرب
يوسف الشنتمرى مع كتاب سيبويه ط
بولاك 571 ب .
- تجوير الموشين في التعبير
بالسين والشين
محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزبادي ط
الجزائر سنة 1327 هـ 4599 ج .
- التراث اليوناني في الحضارة
الاسلامية
نخبة من المستشرقين ترجمه عبد الرحمن
بدوى 9272 ج .
- تصحيح القاموس المحيط
احمد تيمور المطبعة السلفية سنة 1343 هـ
1929 ب .
- تصحيح لسان العرب
احمد تيمور المطبعة السلفية 1334 هـ
1642 ب مكرر .
- التصحيح والتحريف وشرح
ما يقع فيه
الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ط
القاهرة 1326 هـ 1901 دار الكتب
11522 - ز .

- التطور النحوى للغة العربية ج . برجستراسر ط القاهرة 1929 م
8276 ج .
- تفسير الطبرى انظر جامع البيان عن تأويل آى القرآن .
- تفسير القرطبى انظر الجامع لأحكام القرآن .
- التقريب (فى اصول الحديث) للنووى فى مقدمة البخارى ط مصر 1351 هـ - 1932 م 8940 ج .
- التقريب لأصول التعريب طاهر بن صالح الجزائرى ط السلفية سنة 1919 م 5143 ج .
- التنبية على أوهام أبى على القالى فى أماليه لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى دار الكتب سنة 1344 هـ - 1926 م مذيّل للأمالى 2094 ب .
- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس اعده محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزبادى ط الحلبي سنة 1378 هـ - 1959 رقم 49349 .
- تهذيب الصحاح محمود بن احمد الزنجاني بتحقيق عبد السلام هارون واحمد عبد الغفور عطار ط دار المعارف 1952 م 11844 ج .
- تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن احمد الازهرى ط القاهرة حققه نخبة من العلماء وطبع من سنة 1384 هـ - 1964 م الى سنة 1387 هـ 1967 م برقم 65165 و 68138 .
- الجاسوس على القاموس احمد فارس الشدياق ط الجواثب 1299 هـ 390 ب/ 621 ب/ 718 ب .
- الجامع لأحكام القرآن ابو عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبى ط دار الكتب من 1354 هـ - 1935 وما بعدها 2659 ب

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن
ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ط مصر 4206 ب وطبع اكثر من مرة وله ارقام مختلفة بمكتبة الاسكندرية .
- جمهرة الامثال
ابو هلال العسكري ط بمباى سنة 1307 هـ 1617 ب .
- جمهرة أنساب العرب
على بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي ط دار المعارف 1962 م / 54379 .
- الجمهرة في اللغة
ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد ط حيدرآباد سنة 1344 هـ 3800 ب .
- حلية الاولياء وطبقات الاصفياء
لابى نعيم احمد بن عبد الله الاصفهاني ط السعادة 1351 هـ - 1932 م 10490 ج
- الحيوان
ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، ط الحلبي 1947 م 6957 ج .
- خزانة الادب ولب لباب لسان العرب
شرح على شواهد شرح الكافية للرضى تأليف عبد القادر بن عمر البغدادي ط السلفية 1347 هـ 11973 ج .
- الخصائص
عثمان بن جنى بتحقيق محمد على النجار ط دار الكتب من سنة 1952 الى 1955 م - 55559 / 55560 / 55561 للاجزاء الثلاثة على التوالي .
- خلق الانسان
عبد الملك بن قريب الاصمعي ، نشره اوجيست هفتر ط اليسوعيين سنة 1903 م رقم 3524 ج .
- الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة
احمد بن على بن حجر العسقلاني ط الهند سنة 1350 هـ رقم 3868 ج

- ديوان المفضليات
للمفضل الضبى - بشرح محمد القاسم
ابن محمد الانبارى عنى بطبعه كارلوس
يعقوب لایل بيروت 1960 م / 3830 ب
- ديوان الهذليين
رواية ابو سعيد السكرى طدار الكتب
1364 هـ - 1945 م / 3757 ب
- رسالة فى تعريب الالفاظ
الفارسية
لابن كمال باشا غير مبين بها سنة ومكان
الطبع - رقمها فى مكتبة الاسكندرية
4523 ج و 14181 د
- رواية اللغة
دكتور عبد الحميد الشلقانى ط دار
المعارف 1971 م / 73050
- ابو زكريا الفراء ومذهبه
فى النحو واللغة
دكتور احمد مكى الانصارى ط القاهرة
سنة 1964 م رقم 62036
- زهر الآداب وثمر الالباب
ابراهيم بن على الحصرى القيروانى شرحها
دكتور زكى مبارك ط القاهرة سنة
1344 هـ - 1925 م 6584 ج
- السيرة
لابى محمد عبد الملك بن هشام ط القاهرة
سنة 1356 هـ 1937 م رقم 8884 ج
- شرح طيبة النشر
احمد بن محمد بن محمد الجزرى ط
الحلبى 1370 هـ 1950 م / 11882 د
- الشعر والشعراء
لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط
دار احياء الكتب العربية سنة 1364 هـ
12060 د
- شفاء الغليل فيما فى كلام
العرب من الدخيل
الصاحبى
لشهاب الدين احمد الخفاجى مطبعة
الاتحاد الاخوى بدون تاريخ رقم 12914 ج
انظر فقه اللغة

- صباح الاعشى
لابى العباس احمد القلقشندي ط
القاهرة 4342 ب
- طبقات فحول الشعراء
محمد بن سلام الجمحي شرحه محمود
شاكر ط دار المعارف 1952 م 11860 ج
- طبقات القراء
لابن الجزري . نشره برجستراسر - انظر
غاية النهاية
- الطبقات الكبرى
محمد بن سعد الواقدي ط دار صادر
بيروت 1376 هـ 1957 م رقم 42954
- طبقات النحويين واللغويين
ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ط
السعادة سنة 1373 هـ 1954 م رقم
12539 ج
- طبيعة النشر
لابن الجزري ط مصر سنة 1308 هـ برقم
290 د و ط سنة 1950 / 11869 د
- العباب الزاخر واللباب الفاخر
للحسن بن محمد بن الحسن الصفاني
الجزء الاول من المخطوط رقم 141 لفة
دار الكتب بالقاهرة .
- العربية : دراسة في اللغة
واللهجات والاساليب
يوهان فك ترجمة دكتور عبد الحليم النجار
ط دار الكتاب العربي سنة 1370 هـ
1951 م 11177 ج
- العقد الفريد
احمد بن محمد بن عبد ربه شرحه احمد
امين / احمد الزين / ابراهيم الابياري ط
لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة
1359 هـ 1940 م رقم 3840 ب
- العمدة في صناعة الشعر ونقده
الحسن بن رشيق القيرواني ط هندية
سنة 1925 م رقم 7333 ج
- العين
جزء مطبوع في 144 صفحة اعده الكرمل
ونشر الجزء الاول د عبد الله درويش ط
العراق سنة 1967 م

- عيون الاخبار
 ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط
 دار الكتب سنة 1343 هـ 1925 م 2901 ب
- عيون الانباء في طبقات الاطباء
 ابو العباس احمد بن القاسم (ابن ابي
 اصيعة) ط الوهبة سنة 1299 هـ
 1883 م رقم 2928 ب
- غاية النهاية في طبقات القراء
 محمد بن محمد الجزري . نشره
 برجستراسر ط السعادة سنة 1932 م
 رقم 10481 ج و 10895 ج
- الفاخر
 ابو طالب المفضل بن سلمة ط الحلبي
 سنة 1960 م / 54892 .
- الفاضل
 للمبرد ، حققه عبد العزيز الميمنى ط دار
 الكتب 375 - 21829 د
- الفائق في غريب الحديث
 محمود بن عمر الزمخشري دار احياء
 الكتب العربية 1364 هـ 1945 م
 11055 ج
- فتوح البلدان
 احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ط ليدن
 1865 م / 2315 ب و ط مصر سنة
 1901 م رقم 1172 ج
- فعلت وأفعلت
 ابراهيم بن السرى الزجاج ط السعادة
 سنة 1325 هـ / 6265 د
- فعلت وأفعلت
 لابي سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي
- الفهرست
 ابو الفرج محمد بن اسحق النديم ط
 لبيزج سنة 1871 برقم 3022 ب وطبع
 مصر (الرحمانية) برقم 12781 ج
- فوات الوفيات
 محمد بن شاکر بن احمد ط القاهرة
 سنة 1283 هـ برقم 11289 ج

- القاموس المحيط
للفيروزبادى ط القاهرة سنة 1303 هـ
ج 12368
- القلب والابدال
يعقوب بن السكيت ضمن كتاب الكنز
اللغوى نشره اوجست هفتر ط اليسوعيين
سنة 1903 م رقم 3524 ج
- قواعد التحديث من
فنون مصطلح الحديث
صنفه مد جمال الدين القاسمى . حققه
محمد بهجة العطار .
دار احياء الكتاب العربى 1385 - 1961
رقم 54904 .
- الكامل فى اللغة والادب
محمد بن يزيد المبرد ط الخيرية سنة
1308 هـ 12810 ج .
- كتاب الصناعتين
ابو هلال العسكري ط دار احياء الكتب
العربية بتحقيق على محمد البجاوى وابو
الفضل ابراهيم 11657 ج .
- كتاب القريين
احمد بن محمد الهروى بتحقيق محمود
محمد الطناحى ط المجلس الاعلى للشئون
الاسلامية .
- الكتاب لسيبويه
ابو بشر عمرو بن قنبر ط بولاق سنة
1316 هـ رقم 571 ب وبيروت رقم
71966 ، وحققه عبد السلام هارون فى
طبعة ثالثة 75011 .
- الكشاف عن حقائق وغوامض
لتنزيل وعيون الاقاويل فى
اجسوه التأويل
محمود بن عمر الزمخشري ط الاستقامة
سنة 1953 رقم 12448 ج .
- لكفاية فى علم الرواية
للخطيب البغدادي احمد بن على ط حيدر
آباد 1357 هـ / 11214 ج .

- لسان العرب
محمد بن مكرم ط دار صادر بيروت سنة
1374 هـ 1955 م 4299 ب .
- اللغات في القرآن
اسماعيل بن عمر نشره صلاح الدين المنجد
ط الرسالة 1365 - 1946 رقم 9990 د
- اللسب واللبأ
سعيد بن اوس نشره اوجست هفتر ط
اليسوعيين سنة 1908 / 2627 ج .
- لمح الأدلة
عبد الرحمن كمال الدين بن محمد الانباري
ط الجامعة السورية 1957 م .
- المائور
ابو العميث الاعرابي نشره الدكتور كركوى
بيروت 1925 م 10478 د .
- مبادئ اللغة
ابو عبد الله محمد بن عبد الله الاسكافى
ط- مصر 1325 هـ 2319 ج .
- مجاز القرآن
ابو عبيدة معمر بن المثنى حققه دكتور
محمد فؤاد سزكين ط الخانجى سنة
1374 - 1955 رقم 58025 .
- مجالس ثعلب
احمد بن يحيى ثعلب بشرح عبد السلام
هارون دار المعارف 1948 م 10410 ج .
- مجلة لغة العرب
كان يصدرها الاب انستانس مارى الكرملى
5541 ج / 5540 ج
- مجلة المجمع العلمى بدمشق
بارقام 1924 ب / 2924 ب .
- مجلة مجمع اللغة العربية
الاعداد 6/7/9/12/13/15 رقم 56358
وما بعدها .
- مجمع الامثال
احمد بن محمد بن احمد الميدانى ط مصر
1374 - 1955 / 18145 د .
- المجمل
احمد بن فارس ط السعادة سنة 1332 هـ
2905 د .

- المحتسب
أبو الفتح عثمان بن جنى ط القاهرة 1386
هـ رقم 72747 / 66395 .
- المحكم والمحيط الاعظم
على بن اسماعيل بن سيده ط الحلبي سنة
1958 م 45450 / 49515 .
- مختار الصحاح
محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي ط
الخيرية 1308 هـ 13174 د .
- مختارات الاغانى في
الاخبار والتهاى
ابن منظور محمد بن المكرم سلسلة تراثنا ط
الحلبي 1385 هـ / 1966 م 64023 وما
بعدها .
- مختصر جامع بيان العلم
وفضله
يوسف بن عبد البر القرطبي ط مصر
1320 هـ 1609 ج .
- المخصص
على بن اسماعيل بن سيده ط بولاق سنة
1316 هـ 2941 ب .
- المخصص (دراسة ودليل)
محمد الطالبي المطبعة العصرية تونس رقم
48816 .
- المزهر في علوم اللغة
عبد الرحمن جلال الدين السيوطى ط
الحلبي سنة 1958 م 55352 .
- المصاحف
أبو بكر عبد الله بن ابي داود السجستاني
رقم 6967 د .
- المطر
أبو زيد سعيد بن اوس الانصارى رقم
4087 ج .
- معانى الشعر
للأشنانداني ط دمشق سنة 1922 م
10205 د .
- معانى القرآن
يحيى بن زياد الفراء ، حققه احمد يوسف
نجاشي ومحمد على النجار ط دار الكتب
سنة 1374 هـ 1955 رقم 53227 .

- معجم الادباء
ياقوت بن عبد الله الحموي ط دار المأمون
رقم 2849 ب .
- معجم البلدان
ياقوت بن عبد الله الحموي ط السعادة
1906 م رقم 4163 ج .
- المعجم في بقية الاشياء
للحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال
المسكري . علق عليه ابراهيم الايباري
وعبد الحفيظ شلبي ط دار الكتب 1934 /
56126 .
- المغرب
ابو منصور موهوب بن احمد الجواليقي
ط ليبزج 1897 م / 4244 ج .
- المعمرون من العرب
ابو حاتم السجستاني ط السعادة سنة
1905 م / 4652 د .
- مفاتيح العلوم
ابو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف
الخوارزمي ط الشرق سنة 1342 هـ
6608 ج .
- المفردات في غريب القرآن
الحسين بن محمد المعروف بالراغب ط
مصر 1971 م رقم 76796 .
- المقاييس
احمد بن فارس بن زكريا دار احياء الكتب
العربية 1366 هـ رقم 12008 ج .
- مقدمتان في علوم القرآن
مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة ابن عطية
نشرهما آرثر جفري ط السنة المحمدية
1954 م 12537 ج .
- مقدمة ابن خلدون
عبد الرحمن بن خلدون ط بولاق 1320 هـ
812 د .
- الملاحن
محمد بن الحسن بن دريد ط السلفية سنة
1347 هـ / 5253 د .

- الملل والنحل
 لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم
 الشهرستاني على هامش الفصل في الملل
 والنحل لابن حزم رقم 3081 ب 3085 ب
- نزهة الألبا في طبقات الادبا
 ابو البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري
 ط حجر/ 2590 د .
- النشر في القراءات العشر
 محمد بن محمد الدمشقي (ابن الجزري)
 رقم 54563 .
- نشوء اللغة العربية ونموها
 واكتهاها
 الاب انستانس ماري الكرمل ط العصرية
 بمصر سنة 1938 / 8888 ج .
- نكت الهميان في نكت العميان
 صلاح الدين ايبك الصفدي المطبعة
 الجمالية سنة 1912 / 2977 ج .
- النهاية في غريب الحديث
 والأثر
 ابو السمادات المبارك الجزري (ابن الاثير)
 المطبعة العثمانية سنة 1311 هـ رقم
 4318 ب .
- النوادر في اللغة
 ابو زيد سعيد بن اوس الانصاري ط
 اليسوعيين سنة 1894 م رقم 3180 د /
 1936 ج/ 1821 ج .
- النوادر
 ابو مسحل الاعرابي حققه الدكتور عره
 حسن ط مجمع اللغة العربية بدمشق سنة
 1961 .
- الوساطة بين المتنبي
 وخصومه
 على بن عبد العزيز الجرجاني - دار احياء
 الكتب العربية 1364 هـ - 1945 م
 9845 ج .
- وفيات الاعيان
 ابن خلكان ط دار المأمون برقم 9037 ج ،
 وط اليمنية سنة 1310 هـ برقم 2404 ب

الفهارس العامة

- ١ - فهرس الاعلام ورجال السند
- ٢ - فهرس القبائل والشعوب والجماعات
- ٣ - فهرس البلدان والاماكن
- ٤ - فهرس الموضوعات

أولاً - فهرس الاعلام ورجال السند

- ابراهيم الفارابي 632
 ابراهيم بن محمد بن عرفة (نقطويه)
 571 — 582 — 610 — 611 —
 616 — 619 — 620
 ابراهيم بن نافع 338
 ابراهيم النخعي 155
 الاثرم = على بن المغيرة
 اثير بن عمرو السكوني 275
 ابن الاثير = مبارك
 ابن الاثير = محمد
 ابي بن كعب 42 — 43 — 44 — 45 —
 61
 ابو امامة = زياد الاعجم
 الاجدع بن مالك الهمداني 485
 أحمد تيمور 685 ، 693
 أحمد بن حاتم (صاحب الاصمعي)
 399
 احمد بن الحسن الخطيب (راوية
 ثعلب) 645
 احمد بن الحسن الكندي 174
 احمد بن الحسين (بديع الزمان
 الهمداني) 646
 احمد بن الحسين (ابن الخباز) 687
- آدم ابو البشر 9 — 10 — 11
 آدي شير 553
 ابان بن تغلب 402
 ا. ب. كوسان دي برسفال 202
 الابرش = جديمة
 ابراهيم بن اسماعيل بن سيار
 83 — 306
 ابراهيم بيومي مذكور 580
 ابراهيم الحربي 617
 ابراهيم الخليل 142 — 207 — 208 —
 209
 ابراهيم بن السري بن سهل الزجاج
 128 — 401 — 523 — 611
 623
 ابراهيم بن صالح الوراق 633
 ابراهيم اطفيش الجزائري 647
 ابراهيم بن عبد الله بن حسن 395
 ابراهيم بن على (ابن هرمة)
 285 — 342 — 346 — 508 —
 512

- أحمد بن الحسين (أبو الطيب المتنبي) 400 — 407 — 408 — 409
667 — 411 — 410 — 409
- أحمد بن حنبل 148 — 150
- أحمد بن أبي خالد 577 — 578 — 626 — 627
- أحمد بن أبي داود (أبو حنيفة الدينوري) 451 — 452 — 523 — 666
- أحمد زكي باشا 682
- أحمد بن سليمان بن أبي شيخ 172
- أحمد بن طاهر (ابن المنجم) 646
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية 14
- أحمد بن عبد العزيز 697
- أحمد عبد الغفور عطار 642
- أحمد بن عبد الله بن أحمد (أبو نعيم) 40
- أحمد بن عبد الله 617
- أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي) 160 — 173 — 591
- أحمد بن علي السقلاني (ابن حجر) 150 — 155 — 166 — 678 — 682 — 687
- أحمد بن فارس بن زكريا 9 — 10 — 168 — 571 — 596 — 641 — 645 — 646 — 647 — 648 — 650 — 652 — 653 — 654 — 655 — 656
- أحمد فارس الشدياق 678 — 680 — 682 — 688 — 689 — 690 — 692 — 693
- أحمد بن القاسم 543 — 580
- أحمد القلقشندي (صاحب صبح الاعشى) 178 — 179
- أحمد بن المبارك 431
- أحمد بن محمد (أبو بكر) 611
- أحمد بن محمد الخارزنجي البشتي 468 — 583 — 584 — 585 — 586 — 587 — 588 — 618 — 620
- أحمد بن محمد الدمياطي الشافعي 487
- أحمد محمد شاكر 534
- أحمد بن محمد الشهاب الخفاجي 535 — 546 — 697
- أحمد بن محمد الطلمنكي 658
- أحمد بن محمد (ابن عبد زبه) 60 — 477 — 492 — 513 — 515 — 516 — 517 — 519
- أحمد بن محمد بن عبد الله البزي 49
- أحمد بن محمد الفيومي (صاحب المصباح) 643
- أحمد بن محمد الميداني النيسابوري 492 — 507 — 525 — 527 — 528
- أحمد بن محمد النحاس المصري 128 — 409

- احمد بن محمد الهروي (صاحب
الغريبين) 174 — 175
احمد بن محمد اليزيدي 56
احمد بن المعدل 80 — 575
احمد بن موسى (القاريء) 55
احمد بن يحيى البلاذري 258 — 367 —
542
احمد بن يحيى ثعلب (ابو العباس)
82 — 174 — 323 — 374 —
381 — 395 — 399 — 473 —
506 — 523 — 561 — 575 —
578 — 588 — 617 — 624 —
625 — 645 — 666 — 685
الإحمر = علي بن المبارك
ابن الإحمر الباهلي 20 — 423
424 — 425 — 426 — 427 —
428 — 607
الإحوص = عبد الله بن محمد
أحيحة بن الجلاح 73
أبو الأخرز الحماني 342
الأخطل = غياث بن غوث
الإخفش = علي بن سليمان
الإخنس بن شريق بن عمرو بن وهب
الثقفي 33 — 215
أدريس بن عبد الكريم الحداد
البغدادي 55
أدريس بن محمد 692
ابن أذينة = عروة بن يحيى
أثر جفري 58 — 382
أردشير 469 — 529
- أرسطو 11 — 201 — 580 — 581
أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن
قصي 230
أرنست رينان 12 — 143
أبو الأزهر البخاري 572 — 588 —
618 — 620
الأزهري = محمد بن أحمد
ابن اسحق المؤرخ = محمد بن اسحق
اسحق بن إبراهيم الموصلي 296 —
682
اسحق بن إبراهيم بن عثمان المروزي
البغدادي 55
اسحق بن حنين 543 — 580 — 581
اسحق بن راهويه 153
اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي
542
اسحق بن مرار الشيباني (أبو عمرو)
393 — 394 — 395 — 414 —
470 — 477 — 487 — 503 —
509 — 512 — 525 — 551 —
583 — 666
اسحق بن يزيد 542
أسد بن موسى الأموي 153
الاسكافي = محمد بن عبد الله
الاسكندر المقدوني 390
اسام القاريء 52
اسماء بنت أبي بكر 235
اسماعيل عليه السلام 209 — 428
اسماعيل بن أمية 166
اسماعيل بن جامع 282

- اسماعيل بن جعفر القارىء 54
اسماعيل بن حماد الجوهرى | 21 —
— 632 — 535 — 438 — 25
— 639 — 635 — 634 — 633
— 643 — 642 — 641 — 640
— 677 — 660 — 655 — 646
— 683 — 682 — 679 — 678
— 693 — 689 — 692 — 688
697 — 696
- اسماعيل بن عباد (المصاحب) 646
اسماعيل بن عبد الرحمن السدى
71 — 69
اسماعيل بن عبد الله الميكالى 592—
594
اسماعيل بن عمرو القارىء 122
اسماعيل بن القاسم القالى البغدادي
(ابو على) 25 — 167 — 357 —
— 486 — 467 — 458 — 438
— 611 — 595 — 536 — 515
667 — 660 — 613 — 612
اسماعيل بن القاسم (ابو العتاهية)
330 — 296
اسماعيل كتحدا 695
اسماعيل بن ابن محمد 496
اسماعيل بن محمد بن عبدوس 641
اسماعيل بن محمد بن يزيد (السيد
الحميرى) 296 — 297 —
— 301 — 299 — 300 — 298
345 — 330
- اسماعيل بن يسار 304 — 305
ابو الاسود المثلوى = ظالم بن عمرو
الاسود بن عبد يفوٲ 220
الاسود العنسى = عبهله بن كعب
الاسود بن يعفر 377
اسيد بن خالد الانصارى 356
الاشرف اسماعيل سلطان اليمى 678
الاشعث بن قيس الخارجى 289
الاشناندانى = سعيد بن هارون
ابو الاشهب العطاردى 54
دم الاصبع = حرثان بن الحارث
الاصمى = عبد الملك بن قريب
الاضبط بن قريع 201
ابن الاعرابى = محمد بن زياد
اعشى باهله 603
اعشى بنى عكل 380
الاعشى = ميمون بن قيس
الاعلم الشنتمرى = يوسف بن
سليمان
الاعمش الكوفى = سليمان بن مهران
الاسدى
الاغلب العجلى 601
افلاطون 201 — 543
الاقرع بن حابس 233 — 239 —
240 — 247 — 248 — 272
اقليدس 543
اكثم بن صيفى 516 — 517

- امرؤ القيس بن حجر (الشاعر)
 76-91 — 98 — 182 — 191 —
 192 — 193 — 194 — 201 —
 203 — 242 — 329 — 334 —
 337 — 343 — 354 — 357 —
 359 — 371 — 482 — 512 —
 631 — 680
- امية بن ابي الصلت 20 — 209 —
 221 — 241 — 427 — 428 —
 429
- امية بن خلف الخزاعي ، 196 — 197
 ابن الانباري (صاحب الانصاف) =
 عبد الرحمن بن محمد
 ابن الانباري — محمد بن القاسم
 ابن بشار
 انس بن زعيم 230
 انس بن مالك 50 — 148 — 153 —
 155 — 159 — 160 — 169 —
 218 — 242
- انستاس ماري الكرملي 553 — 554 —
 573 — 574
- اهاب بن عمير 342
 اهرن 543
 الاهوازي 51
- الاوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو
 اوس بن مفرأ الهجيمي 344 — 355
 اوس بن حجر 193 — 195
 اوبس 149
 اوفية ابو الفتح القاري 56
- ايوب الابرش 543
 ايوب بن تميم 52
 ايوب السخثياني 132
- ب
- ابو بابل = اهاب بن عمير
 الباهلي 370
 بحدل 318
 بجير بن زهير 230 — 238
 البختري = الوليد بن عبيد بن يحيى
 الطائي
 البخاري = محمد بن اسماعيل
 ابو البختري = العاص بن هشام
 بختيشوع 545
 بديل بن عبد مناف 230
 البراء بن عازب 60
 ابو براء بن عامر 40 — 41
 براونليخ 574
 برج بن مسهر الطائي 113
 برجستراسر 35 — 36 — 530 —
 531 — 580
 ابو بردة بن ابي موسى الاشعري =
 عامر بن عبد الله بن قيس
 برد بن بهمن (والد بشار) 307
 بزهان بن همام 697
 ابن بري = عبد الله
 ابو بريدة الوضاحي 82
 بزرجمهر 516 — 517
 بزرج محمد العروضي 394

- بشار بن برد 20 — 285 — 287 —
 296 — 297 — 307 — 308 —
 309 — 310 — 330 — 345 —
 346 — 347 — 430 — 431 —
 433 — 434 — 447 —
 بشر بن ابي خازم الاسدي 372
 بشر بن ربيعة 257
 بشر بن مالك الحرسى 295
 ابن بشكوال 589
 ابن البطريق 543
 بطليموس 201 — 543
 البطليوسى = عبد الله بن محمد
 البعيث = خدّاش بن بشر
 البفدادى = عبد القادر
 البفوى = على بن عبد العزيز
 بغيض بن عامر بن شماس 270
 ابو البقاء 147
 بقى بن مخلد 515
 ابو بكر الايادى 585 — 617
 ابو بكر بن محمد بن حزم (والسى
 المدينة) 153
 ابو بكر السجستاني 611
 ابو بكر الصديق = عبدالله بن عثمان
 بكر بن حبيب 157
 ابو بكر بن عثمان السجزي 617
 البكرى صاحب التنبيه = عبد الله
 ابن عبد العزيز ابو عبيد
 ابو البلاد النحوى 623
 البلاذرى = احمد بن يحيى
- بلال بن ابي بردة 125 — 340 — 342 —
 447 — 448
 بليّوس 529
 البهاء بن عقيل 687
 بهرام بن مردان شاه 542
 البهنسى القارىء 56
 بول كراوس 581
 ابو البيداء الرياحى 322 — 468
- ت
- تأبط شرا 482
 تبع 66
 ابو تراب 583
 ابو ترسيس الامرابى 342
 تماضر بنت عمرو بن الشريد
 (الخنساء) 21 — 196 —
 224 — 434
 تمام بن غالب 589 — 613
 ابو تمام = حبيب بن اوس
 تميم بن ابي (ابن مقل) 254 —
 267 — 344 — 392
 ابو تيمية 558
 توربكه 647
 التوزى = عبد الله بن محمد
 ابن التيانى = تمام بن غالب
 ابن تيمية = احمد بن عبد الحليم
- ث
- ثابت بن قرة 543
 ثابت بن قيس بن شماس 181 —
 242

- جريج الراهب 424
 ابن جريج = عبد الملك بن عبدالعزيز
 جرير بن عبد الله البجلي 288
 جرير بن عطية الخطفي 20 — 51 —
 79 — 118 — 279 — 282 —
 283 — 284 — 285 — 286 —
 287 — 288 — 297 — 300 —
 308 — 315 — 335 — 336 —
 337 — 338 — 347 — 348 —
 372 — 421 — 475 — 638
 ابن الجزري = محمد بن محمد
 جعدة بن عبد الله الخزامي 230
 جعفر بن حمدان (سجادة) 56
 جعفر بن محمد الطيالسي 160
 جعفر بن محمد الفريابي 72 — 134
 ابو جعفر المنصور = عبد الله بن
 محمد بن علي العباسي
 جعفر بن يحيى البرمكي 516
 جعيل بن سراقبة الضمري 179 —
 240
 جفنة الهزاني بن جعفر بن عباية 288
 ابن جماز = سليمان بن مسلم بن
 جماز الزهري
 ابن جماعة 169
 جميل بن عبد الله بن معمر 183
 جنادة بن الحنبل 206
 جنادة بن محمد الهروي 251
 جنادة بن مليحة 219
 جندب بن جنادة (ابو ذر) 63 —
 261
 ابو ثروان العكلي 91 — 398 — 414 —
 470
 ثعالب = احمد بن يحيى
 ثعلبة بن صغير المازني 344 — 552
 ابو ثمامة الكلبي 316
 نوبة بن الحمير 118
 ج
 جابر بن سمرة 241
 الجاحظ = عمرو بن بحر
 جارية بن الحجاج (ابو دؤاد الايادي)
 20 — 372 — 405 — 422 —
 487 — 552
 ابن جامع = اسماعيل بن جامع
 جبلة او (كلدة) بن الحنبل 267 —
 268
 جبلة بن سالم 542
 ابن جبير = سعيد
 الجحدري = عاصم
 جذيمة الابرش 342 — 504
 ابو الجراح العقيلي 414 — 470
 اجرجاني = علي بن عبد العزيز
 الجرمي = صالح بن اسحق
 جرويل بن اوس (الحطيئة) 16 —
 141 — 193 — 254 — 255 —
 270 — 271 — 343 — 344 —
 358 — 422 — 437 — 482 —
 500 — 537
 ابو جرويل الجشمي 244

الحارث بن مصرف 342
الحارث بن هشام 221
حبیب بن أوس (أبو تمام) 315 —
— 403 — 402 — 401 — 400
— 422 — 409 — 405 — 404
683
حبیش الاعجم 543
الحجاج بن خزیمة بن الصمة 263
الحجاج بن علاط 223
الحجاج بن مطر 543
الحجاج بن يوسف الثقفی 150 — 20
— 288 — 287 — 279 — 209
— 541 — 428 — 302 — 295
ابن حجر العسقلانی = احمد بن علی
ابن حجر المکی 697
حذیفة بن الیمان 44 — 46 — 62 —
155
الحرنان بن الحارث بن ثعلبة 326 —
328 — 327
ابن حرد التغلبی 497
الحرمازی الاعرابی 468
الحریری = القاسم بن علی
ابو حزام العکلی 337
ابن حزم = علی بن احمد
ابو حسان 543
حسان بن ثابت 191 — 192 — 196 —
— 223 — 221 — 219 — 197
— 232 — 230 — 226 — 225
— 241 — 240 — 234 — 233
— 256 — 255 — 254 — 245
— 554 — 538 — 258 — 257
656

جندل بن المثنی الطهوی 342 — 440
ابو جندل بن سهیل 605
ام جندب زوج امریء القیس 191 —
192 — 195
ابن جنی = عثمان بن جنی
ابو جهل = عمرو بن هشام
جواس بن قعطل 318
جورجیس 543
ابن الجوزی = عبد الرحمن بن علی
الجوهري = اسماعیل بن حماد
جؤیة بن عائد 136
جواد علی 184

ح

ابو حاتم = سهل بن محمد
السجستانی
حاتم بن عبد الله بن سعد الطائی
97 — 183 — 447 — 484 —
497
حاجب بن زرارة 354 — 357
الحارث بن ابی ربیعة 294
الحارث بن الاسود = الحارث بن
زمعة
ابو الحارث القاریء = الليث بن
خالد البغدادی
الحارث بن حسان البکری 52
الحارث بن حلزة 344 — 591
الحارث بن خالد المخزومی 278 —
341
الحارث بن زمعة 220
الحارث بن عبد المطلب 649

الحسن بن عليل العنزي 496
الحسن بن محمد الصفاني رضى
الدين 641 — 690
الحسن بن هانيء (ابو نواس) 20 —
21 — 311 — 312 — 370 —
434 — 435

أبو الحسن الواحدى 525
الحسن بن يعقوب بن احمد
النيسابورى 633
الحسين بن ابراهيم الجوزقانى
14 — 161

الحسين بن احمد (ابن خالويه)
407 — 410 — 434 — 435 —
466 — 467 — 595

الحسين بن ثابت 297
حسين الجعفى 53 — 56
الحسين بن دريد 591
الحسين بن على بن ابي طالب 300 —
315 — 316

الحسين بن على (ابن سينا) 545
حسين بن محمد (الراغب الاصفهاني)
30

الحسين بن مسعود 633
الحسين بن مطير الاسدى 342 —
346 — 391

الحضرمى = يعقوب بن اسحق
حطام المجاشعى 342
الحطيئة = جرول بن اوس
حفص بن سليمان الهمداني الخلال
او سامة الوزر 470

الحسن بن احمد (ابو على الفارسى)
130 — 177 — 403 — 407 —
580 — 632 — 666 — 671 —
672
الحسن البصرى 48 — 50 — 129 —
130 — 138 — 149 — 150 —
155 — 409

الحسن بن الحسن بن حيدر
(الصفانسى) 161 — 677 —
678 — 679 — 680 — 688 —
689

الحسن بن الحسين (ابو سعيد
السكرى) 80 — 155 — 358 —
364 — 468 — 626

الحسن بن دريد 647
الحسن بن رشيق القيروانى 198 —
199 — 246 — 264

حسن السندوبى 360
الحسن بن سهل 83
أبو الحسن الشارى 589
الحسن بن عبدالله الاصفهاني (لفدة)
368

الحسن بن عبد الله السيرافى
398 — 415 — 527 — 572 —
595 — 632 — 668

الحسن بن عبد الله ابو هلال
السكرى 24 — 158 — 385 —
492 — 521 — 524 — 551

الحسن بن على بن ابي طالب 153 —
164 — 300

- حفص بن سليمان بن المغيرة 51 — 52
حفص بن عمرو بن عبد العزيز
البغدادي الضريس القاريء
(الدوري) 51 — 54 — 56
حفص بن غياث 149
الحكم بن ايوب بن يحيى 287
الحكم المستنصر 612
الحكم بن معمر بن قنبر الخضري
342 — 652
حكيم بن امية بن حارثة السلمي 231
حماد بن الزبرقان 158
حماد بن سابور (الراوية) 199 —
284 — 336 — 337 — 339 —
390 — 391 — 392 — 393 —
394 — 446 — 448
حماد بن سلمة بن دينار 153
حماس الاعرابي 578
حمد بن محمد بن احمد الخطابي
البستي 174
أبو حمدان القاريء 56
حمزة بن حبيب الزيات 48 — 53 —
55 — 685
حمزة بن حسن الاصفهاني 368 —
521 — 524 — 525
حمزة بن عبد المطلب 221 — 223
حمزة فتح الله 643
حمزة بن القاسم الاحول 54
حمزة بن يوسف السهمي 151
حميد الاعرج 50 — 67
- حميد بن بحدل 317 — 318
حميد بن قيس 69
الحميدي 589
أبو حنيفة = النعمان بن ثابت
أبو حنيفة الدينوري = احمد بن داود
حنين بن اسحق 543 — 580 — 581
حوط بن ابي جابر اليربوعي 494
الحويذرة 344
ابن حيان 589
أبو حيان 543
أبو حية انس 342
حيى بن اخطب 227
- خ
- خارجة بن ثابت الانصاري 43 — 56
أم خالد 250
خالد بن صفوان 302
خالد بن الصقب 410
خالد القسري 319 — 320
خالد بن كلثوم 337
خالد بن الوليد 203 — 247 — 248 —
251 — 273 — 506
خالد بن يزيد 316 — 542
ابن خالويه = الحسن بن احمد
ابن الخباز = احمد بن الحسين
خبيب بن عدي 225
خداس بن بشر البعيث المجاشعي
287 — 288
خداس بن زهير العامري 376

- الخدرى = سعد بن مالك بن سنان
 أبو خراش الاعرابى 509 — 505
 ابن خروف = على بن محمد
 خرنق بنت بدر بن هفان الشاعر
 100 — 78
 خزاعي بن عبد نهم 234
 خزيمة بن ثابت 42
 الخشنى = محمد بن عبد السلام
 أبو الخطاب 128
 الخطابى 174
 خطام المجاشعى 342
 الخطيب البغدادي = أحمد بن على
 الخطيب التبريزى 632
 خفاف بن زكريا بن داود 56
 خفاف بن ندبة 345 — 606
 أبو خلاد القارىء 56
 خلاد بن خالد الشيبانى الكوفى
 القارىء 53
 أبو خلدة المحدث 151
 ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد
 خلف بن أبى عمرو بن العلاء 430 —
 431
 خلف الأحمر 322 — 343 — 378 —
 430 — 448 — 458 — 616
 خلف بن هشام أبو محمد القارىء
 55 — 53 — 48
 أبو خليفة = الفضل بن الحباب
 الجمحى
- الخليل بن أحمد الفراهيدى 18 —
 19 — 25 — 53 — 108 — 183
 — 403 — 441 — 470 — 477
 — 496 — 562 — 563 — 564
 — 565 — 567 — 568 — 569
 — 570 — 571 — 572 — 573
 — 574 — 575 — 576 — 577
 — 578 — 579 — 580 — 581
 — 582 — 583 — 584 — 588
 — 590 — 592 — 598 — 616
 — 618 — 619 — 620 — 621
 — 622 — 648 — 650 — 660
 667 — 684
 الخمساء = تماضر
 خوات بن جبير 227
 الخوارزمى = محمد بن أحمد
 خويلد بن خالد (أبو ذؤيب) 106 —
 193 — 358 — 359 — 439 —
 462 — 607
 أبو خيرة الاعرابى 19 — 342 — 416 —
 462 — 463 — 468 — 475 —
 562 — 578 — 661
 أم أبى خيرة 463
- د
 الدارقطنى = على بن عمر
 ابن داود بن مئيم بن نويرة 250 —
 456 — 463
 أبو دثار الاعرابى 414 — 470
 دحية الكلبي 182

د

الراعى = عبيد بن حصين بن معاوية
 الراغب الاصفهاني = حسين بن محمد
 ابو رافع الصحابي 63
 المستشرق رايت 647
 الربيع بن انس 43
 الربيع بن زياد الحارثي 368
 الربيع بن صبيح 153
 الربيع بن يونس بن محمد بن ابي
 فروة (الوزير العباسي) 310
 ربيعة الرقي 468 — 356
 ابو رجاء الاسواني = محمد بن احمد
 ابن رشيق = الحسن بن رشيق
 ابن الرملاء الشاعر 80
 رفيع بن مهران الرياحي (ابو العالية)
 50
 الرماح بن ابرد 342 — 285
 ابو الحسن بن الرماني 666
 ابو رمثة التميمي 52
 رمضان عبد التواب 497
 الرؤاسي = محمد بن علي
 روبة بن العجاج 19 — 21 — 334 —
 342 — 355 — 427 — 436 —
 438 — 463 — 475 — 586
 روح بن عبد المؤمن بن عبدة الهذلي
 55
 رودلف برونو 647
 رويس القاريء = محمد بن المتوكل
 الاولوي

ابو الدرداء = عويمر بن مالك

ابن درستويه = عبد الله بن جعفر
 ابن دريد = محمد بن الحسن
 دريد بن الصمة 96 — 97 — 120
 دهميل الخزاعي 321
 ابو الدقيش الاعرابي 578
 دكين (مكين ؟) العذري 342 — 511
 دلامر البهلول 468
 الحافظ الدمياطي 677
 ابن الدمينه = عبد الله بن عبيدالله
 ابو دهميل = وهب بن زمعة
 ابن دهن 542
 دهمج بن محرز 468
 ابو دؤاد الايادي = جارية بن الحجاج
 الدوري = حفص بن عمرو
 ابن ابي دياكل 359
 دي بور 581
 ديسم العنزي 431 — 432
 ديمقراطس 201

ذ

ابو ذر = جندب بن جنادة
 ابن ذكوان = عبد الله بن احمد بن
 بشير الدمشقي
 ذو الخرق الطهوي = جندل
 ذو الرمة = غيلان بن عقبة
 الذهبي الحافظ الدمشقي 50 — 54 —
 148
 ذؤيب بن كعب بن عمرو بن تميم 201
 ابو ذؤيب = خويلد بن خالد

الزبير بن احمد الشافعي ابو عبدالله
القاريء 55

الزبير بن العوام بن خويلد الاسدي
القرشي 250

الرجاج = ابراهيم بن السري بن
سهل (ابو اسحق)

ابو الزحف 342

زرعة بن اذبول 337

الزركشي = محمد بن عبد الله

زفر بن الحرث الكلابي 317 — 319

الزمخشري = محمود بن عمر

زمنة بن الاسود 213 — 220 — 221

ابو الزناد = عبد الله بن ذكوان

الزهري = محمد بن شهاب

زهير بن ابي امية 213

زهير بن ابي سلمى 66 — 192 —

193 — 194 — 195 — 252

253 — 264 — 335 — 353

354 — 355 — 359 — 656

زياد بن سليمان الاعجمي 294 — 342 —

360 — 361 — 362 — 363

364 — 365 — 366 — 367

368 — 369 — 370

زياد بن ابي سفيان 289 — 368

زياد بن طارق الجشمي 244

ابو زياد الكلابي = يزيد بن عبد الله
ابن الحر

زياد بن لبيد البياضي 260 — 261

ابو رياش اليمامي 509
الرياشي = عباس بن الفرج

ز

زائدة الاعرابي 578

زادويه بن شاهويه 542

ابنة الزباء 494

زبان بن العلاء التميمي (ابو عمرو)

13 — 19 — 20 — 23 — 48 —

49 — 50 — 51 — 54 — 55 —

56 — 74 — 125 — 126 — 127 —

128 — 129 — 141 — 157 —

158 — 176 — 181 — 183 —

329 — 334 — 335 — 336 —

337 — 339 — 340 — 341 —

344 — 346 — 347 — 351 —

359 — 378 — 392 — 396 —

416 — 421 — 423 — 430 —

437 — 443 — 447 — 448 —

457 — 458 — 459 — 462 —

476 — 482 — 487 — 496 —

583 — 611 — 616 — 637 —

685

الزبرقان بن بدر 232 — 239 — 254 —

255 — 270 — 345 — 623

ابو زيد 399

الزبيدي صاحب طبقات النحويين =

محمد بن الحسن

الزبيدي صاحب التاج = محمد بن

محمد بن محمد بن عبد الرزاق

مرتضى الزبيدي

- زياد بن معاوية (النابغة الديباني)
 — 78 — 117 — 191 — 192 —
 — 195 — 252 — 253 — 264 —
 — 355 — 359 — 430 — 483 —
 533 — 676
- زيد بن ثابت 41 — 42 — 43 — 44 —
 — 45 — 46 — 47 — 54 — 61 —
 63 — 64 — 152
- زيد بن حصين الطائي 289
- زيد بن الخطاب 249 — 505
- زيد الخيل 194 — 345
- زيد بن علي القاريء 134
- زيد بن عمرو بن نفيل 208
- زيد بن كثوة 19 — 464
- ابو زيد = سعيد بن اوس
- ابو زيد المدني 134
- زيد بن مهلهل الطائي 183 — 194
- زينب بنت يوسف بن الحكم اخت
 الحجاج 279 — 280
- س
- سابور ملك الفرس 305
- سابير 11
- ساسان 310
- ساعدة بن جؤية الهذلي 116
- ساعدة بن جويرية ١٠
- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
 43 — 125
- سالم بن معقل 56
- السائب بن ابي السائب المخزومي 49
- السجستاني = محمد بن عزيز
- السجستاني = سهل بن محمد
- سحيم بن وثيل 134
- السخاوي 50
- السدي = اسماعيل بن عبد الرحمن
- ابن السراج = محمد بن السري
- ابو سرار الفنسوي (ابو سوار ؟)
 الاعرابي 322
- سراقة بن مرداس البارقى 288 —
 475
- السري بن يحيى التميمي 113
- ابن سريج = عبد الله بن سريج
- ابن سعد = محمد بن سعد
- ابن ابي سعد 468
- سعد بن ابي وقاص 258
- سعد بن زيد مناة بن تميم 200
- سعد بن مالك بن سنان (ابو سعيد
 الخدري) 113 — 152
- ابن سعدان القاريء 56 — 81
- سعدى أفندي 696
- سعيد بن ابي عروبة 153
- سعد بن معاذ 506
- ابن سعيد الراوية 358
- سعيد بن اوس الانصاري (ابو زيد)
 23 — 56 — 125 — 126 — 128 —
 — 133 — 297 — 322 — 323 —
 — 341 — 352 — 356 — 359 —
 — 368 — 372 — 373 — 374 —
 — 376 — 377 — 378 — 379 —
 — 380 — 381 — 384 — 398 —

سكينة بنت الحسين بن علي 280 —

281 — 282

سلام الطويل 54

سلم (صاحب بيت الحكمة) 543

سلم بن قتيبة 431

سلمة بن عاصم 54 — 82 — 84 — 505

سلمة بن عبد الملك 284

سامي زوج سعد بن ابي وقاص 259

السايف بن السلكة 266 — 345 —

493

سليم القاريء 53

سليمان بن عبد الملك 528

سليمان بن علي العباسي 299 — 464

سليمان بن مسلم بن جمار الزهري

54

سليمان بن مهران الاسدي (الاعمش)

46 — 50 — 53 — 127 —

137 — 139 — 149 — 158 —

166 — 300

سليمان بن هشام بن عبد الملك 300 —

308

سماك اليهودي 226

سمرة والد غاضرة 203

السموأل 441

سهل بن محمد (ابو حاتم

السجستاني) 55 — 80 — 81 —

89 — 172 — 323 — 340 —

344 — 351 — 352 — 357 —

373 — 380 — 381 — 398 —

399 — 432 — 434 — 440 —

441 — 457 — 460 — 463 —

476 — 485 — 486 — 493 —

496 — 503 — 505 — 509 —

519 — 525 — 559 — 560 —

617 — 627 — 638 — 640 —

659 — 661 — 663 — 666 —

سعيد بن جبير 37 — 50 — 71 —

72 — 302

ابو سعيد الخدري = سعد بن مالك

ابن سنان

ابو سعيد السكري = الحسن بن

الحسين

سعيد بن العاص 45 — 422

سعيد بن مسعدة (الاخفش) 81 —

172 — 611 — 659

سعيد بن المسيب 148 — 149 —

261 — 279

سعيد بن هارون (الاشناداني)

381 — 385 — 386 — 461 —

591

ابو سفيان بن حرب 33 — 215 —

267 — 268 — 313 — 316 —

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري

13 — 149 — 151 — 153 —

155

سفيان بن عيينة 91 — 166 — 172

السكري = الحسن بن الحسين

شعبة بن الحجاج 47 — 51 — 148 —
 156
 شعبة بن عياش بن سالم الاسدي
 الكوفى القارىء 52
 الشعبى = عامر بن شراحيل
 الشماخ بن ضرار 99 — 344 — 381 —
 513
 شمر بن حمدويه 174 — 403 —
 425 — 585 — 617 — 629
 الشنفرى الاسدي 497
 الشنى 263
 الشهاب الخفاجى 535 — 697
 الشهرستانى = محمد بن عبد الكريم
 شهرىا الكرخى 543
 ابن شوذب المدنى 342
 الشيبانى (ابو عمرو) = اسحق
 ابن مرار
 شيبة بن ربيعة 223 — 224
 شيبة القارىء 54
 شيطان الطاق = محمد بن على بن
 النعمان

ص

صاعد بن حسن الربعى 658
 صالح بن اسحق الجرمى 80 — 381 —
 663
 صالح بن زياد بن عبد الله الرقى
 (السوسى القارىء) 51 — 56
 صخر بن حبناء 342
 صخر بن عمرو بن الشريد 196 —
 224

399 — 403 — 432 — 433 —
 444 — 449 — 465 — 466 —
 467 — 485 — 570 — 574 —
 575 — 586 — 591 — 609 —
 617 — 619 — 623 — 651 —
 663

سهيل بن شعيب 129 — 412
 سوار بن عبد الله بن سوار 329
 السوسى القارىء = صالح بن زياد
 سويد بن عامر المصطلقى 243
 سويد بن عقلة 47
 سيويه = عمرو بن عثمان بن قنبر
 السيد الحميرى = اسماعيل بن
 محمد بن يزيد بن ربيعة
 ابن سيده = على بن اسماعيل
 السيرافى = الحسن بن عبد الله
 ابن سيرين = محمد بن سيرين
 سيف الدولة 407
 ابن سينا = الحسين بن على
 السيوطى = عبد الرحمن

ش

ابو شامة = عبد الرحمن بن اسماعيل
 الشافعى = محمد بن ادريس
 ابو شاه اليمنى 152
 شبيل بن عزرة الضبعى 457
 شجاع راوية زبان 56
 الشجرى = محمد بن العساف
 ابن شراد الغطفانى 342

طالب بن ابي طالب 221
 طاهر بن عبد الله بن طاهر 626
 ابن الطثرية = يزيد بن سلمة
 طرفة بن العبد 192 — 193 — 194 —
 195 — 243 — 359 — 388 —
 482 — 537 — 538 — 554

ابن ابي طرفة الشاعر 651
 الطرماح بن حكيم الطائي 21 — 292 —
 435 — 436
 طريح بن اسماعيل الثقفي 391
 طفيل الدوسي 33 — 188
 الطفيل بن زلال 512
 طفيل الفنوي 355 — 422 — 510 —
 651

طفيل الكناني 342
 طلحة بن عبد الله بن عثمان التميمي
 القرشي 250
 طلحة بن عمرو 382
 طليحة الاسدي 247
 طه حسين 204 - 205
 أبو الطيب اللفسوي 572 — 582 —
 661

أبو الطيب المتنبي = أحمد بن الحسين

ظ

ظالم بن عمرو 405

ع

العاص بن هشام أبو البختري 213 -
 219

سرمة بن انس أبو قيس 209
 الصعق الكلابي 668
 الصفاني = الحسن بن الحسن بن
 حيدر
 الصفدي 682 — 687

صفوان بن أمية 267 — 268
 صفية بنت عبد المطلب 223
 صفية بنت مسافر 221
 الصقب بن علقمة السعدي 501
 ابن الصلاح = عثمان بن عبد الرحمن
 صلاح الدين المنجد 122
 السلطان العبدى 282 — 364
 صنان بن عباد اليشكري 499
 صيفي بن أبي رفاعة المخزومي 219

ض

ضابيء بن الحارث البرجمي 100 ،
 377

الضحاك بن فيروز الديلمي 306
 الضحاك بن قيس الفهري 316
 الضحاك بن مزاحم 70
 ضرار بن الخطاب الفهري 221 —
 223 — 230 — 256

ضمامر (اسم صنم) 235
 ضمرة (رجل من كنانة) 201
 أبو ضمضم الاعرابي 462

ضياء الدين المقدسي = محمد بن
 عبد الواحد

ط

أبو طالب = عبد مناف بن عبد المطلب

- عاصم بن ابسى النجود 48 — 50 —
 1 51 — 52 — 53 — 55 — 685
- عاصم الجحدري 125 — 126 — 129 —
 134 — 135
- ابو العالية 43 — 310
- عامر بن الحليس ابو كبير الهذلى
 59 — 90 — 96 — 99 — 442 —
 443
- ابو عامر الدمشقى = عبد الله بن
 عامر اليحصبي
- عامر بن شراحيل الشعبى 14 — 155 —
 164 — 165
- عامر بن الطفيل 169 — 226 — 266
- عامر بن عبد الله بن قيس (ابو بردة
 ابن ابى موسى الاشعري) 303
- عامر بن مالك ابو براء 225
- عائشة ام المؤمنين 100 — 242
- ابو العباس = احمد بن يحيى ثعلب
- العباس بن بكار الضبى 395
- العباس بن الفرغ الرياشى 126 —
 323 — 380 — 381 — 463 —
 591 — 619 — 663
- العباس بن الفضل القارىء 56
- عباس بن مرداس 227 — 228 —
 230 — 234 — 235 — 239
- العباس بن محمد العباسى 245 —
 309 — 471
- العباس بن مصعب 570
- العباس بن يزيد الكندى 288
- ابن عبد البر 159
- عبد الحليم النجار 509
- عبد الحميد العبادى 541
- عبد الرازق المحدث 160
- ابن عبد ربه = احمد بن محمد
- عبد الرحمن بن ابى بكر 315
- عبد الرحمن بن اسماعيل (ابو شامة)
 122
- عبد الرحمن بن الاشعث 302
- عبد الرحمن بدوى 581
- عبد الرحمن بن الحارث بن هشام 45
- عبد الرحمن بن حسان بن ثابت
 313 — 449
- عبد الرحمن بن سلام الجمحي 322
- عبد الرحمن السيوطى 14 — 122 —
 158 — 161 — 175 — 385 —
 437 — 466 — 535 — 613 —
 641 — 646 — 655 — 672 —
 680 — 699 — 700
- عبد الرحمن بن صخر (ابو هريرة)
 36 — 54 — 64 — 152 — 155 —
 246 — 557 — 558
- عبد الرحمن بن عبد الله (ابن اخى
 الاصمعي) 381 — 591 — 619
- عبد الرحمن بن على بن الجوزى
 (ابو الفرغ) 14 — 161
- عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى 14 —
 153 — 165
- عبد الرحمن العيدروس 695
- عبد الرحمن بن محمد (ابن خلدون)
 57 — 58 — 62 — 323 — 324

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الانباري 53
- عبد الرحمن بن مهدي 151
- عبد الرحمن الناصر 515 — 612
- عبد الرحيم بن محمد البيشكي 633
- عبد الستار فراج 685 — 686
- عبد السلام هارون 66 — 67 — 182 —
275 — 334 — 360 — 361 —
364 — 456 — 457 — 530 —
549 — 616 — 642 — 649
- عبد العزى 576
- عبد العزيز بن مروان 435
- عبد العزيز الميمنى 466 — 479
- عبد العليم الطحاوى 435 — 509
- عبد الغافر الفارسى 633
- عبد القادر البغدادي 451
- عبد القادر بن مصطفى المغربي 531 —
533 — 535
- عبد القاهر الجرجاني 107
- عبد الله بن ابي 231
- عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي
74 — 125 — 126 — 127 —
336 — 383 — 384 — 559 —
616
- عبد الله بن الامام شرف الدين 697
- عبد الله الاموى (امير قرطبة) 515
- عبد الله بن ابي بكر 67
- عبد الله بن ابي عبيدة 300 — 330
- عبد الله بن احمد المعروف بابن
البيطار 682
- عبد الله بن احمد بن بشير الدمشقي
52 — 381
- عبد الله بن امية بن المغيرة المخزومي
٤٤٣
- عبد الله بن برى 194 — 641 — 683 —
684 — 689
- ابو عبد الله بن البيع 570 - 588.
- عبد الله بن جعفر بن درستويه
381 — 382 — 571 — 582 —
611
- عبد الله بن الحارث بن قيس بن
عدى 213
- عبد الله بن حبيب الثقفي (ابو
محجن) 258 — 259
- عبد الله بن الحسين بن حسن بن
122
- عبد الله بن خلد (ابو العميثل)
342
- عبد الله بن ذكوان (ابو الزناد) 54
- عبد الله بن ربيعة (العجاج) 21 —
77 — 436 — 550 — 668
- عبد الله بن رواحة 221 — 222 —
223 — 226 — 228 — 245
- عبد الله بن الزبير السهمي 221 —
223 — 230 — 237 — 256
- عبد الله بن الزبير 45 — 278 —
289 — 290 — 293 — 301 —
306 — 315 — 316 — 318 —
319 — 326 — 517
- عبد الله بن سريج 282
- عبد الله بن سعد بن ابي سرح 261

- عبد الله بن سليمان بن الاشعث
السجستاني 43
عبد الله بن سليمان بن اكثم 154
عبد الله بن طاهر 577
عبد الله بن عامر اليحصبي 48 —
51 — 52 — 487
عبد الله بن عباس 35 — 37 — 54 —
60 — 63 — 64 — 65 — 66 —
67 — 68 — 69 — 70 — 71 —
72 — 73 — 91 — 122 — 128 —
132 — 134 — 155 — 160 —
164 — 252 — 281 — 316 —
382 — 383 — 558 — 559 —
639
عبد الله بن عبد العزيز (ابو عبيد
البكري) 424 — 438 — 449
عبد الله بن عبيد (ابن المدينة)
342
عبد الله بن عثمان (ابو بكر الصديق)
41 — 42 — 43 — 58 — 236 —
238 — 246 — 247 — 248 —
249 — 251 — 261 — 271 —
518 — 558
عبد الله بن عمر بن الخطاب 63 —
68 — 153 — 316
عبد الله بن عمر العرجي 164 — 278
عبد الله بن عمرو بن العاص 152 —
153
عبد الله بن عياش القاريء 54
عبد الله بن قيس (ابو موسى
- الاشعري) 44 — 61 — 152 —
253
عبد الله بن كثير 48 — 49 — 50 —
125 — 487
عبد الله بن المبارك 150 — 155
عبد الله بن محمد (الاحوص
الشاعر) 77
عبد الله بن محمد البطليوسي 403 —
404 — 405 — 409 — 410 —
411 — 422
عبد الله بن محمد البفوي 611
عبد الله بن محمد التوزي 341 —
345 — 373
عبد الله بن محمد السفاح 470
عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن
البسطي 641
عبد الله بن محمد بن علي بن العباس
(ابو جعفر المنصور) 309 —
391 — 470
عبد الله بن محمد الفاسي 692
عبد الله بن محمد بن ميكال 592
عبد الله بن محمد بن هاجك 617
عبد الله بن مسعود 44 — 46 — 47 —
61 — 62 — 90 — 120 — 125 —
152 — 158 — 518
عبد الله بن مسلم (ابن قتيبة) 15 —
20 — 93 — 95 — 97 — 99 —
100 — 101 — 102 — 104 —
105 — 107 — 108 — 109 —
167 — 174 — 175 — 194 —

- 424 — 422 — 421 — 418
 — 436 — 433 — 430 — 425
 — 443 — 441 — 439 — 437
 — 459 — 458 — 457 — 449
 — 475 — 464 — 462 — 461
 — 479 — 478 — 477 — 476
 — 492 — 485 — 483 — 482
 — 512 — 510 — 509 — 503
 — 540 — 525 — 514 — 513
 — 583 — 577 — 560 — 552
 — 617 — 609 — 586 — 584
 — 629 — 628 — 626 — 618
 — 651 — 638 — 636 — 630
 — 663 — 662 — 661 — 659
 666
- عبد الملك بن مروان 23 — 79 — 182 —
 295 — 302 — 304 — 315 —
 327 — 477 — 541
- عبد الملك بن هشام (صاحب السيرة)
 221 — 223 — 267 — 324 —
 589
- عبد مناف بن عبد المطلب (ابو طالب)
 211 — 212 — 213
- عبد الوارث بن سعيد ابو عبيد
 العنبري بالولاء 56 — 157
- عبد الواحد بن علي = ابو الطيب
 اللفوي
- عبد الوهاب بن حريش ابو مسحل
 471 — 472 — 473
- 405 — 382 — 362 — 335
 — 425 — 424 — 410 — 409
 611 — 583
- عبد الله بن المقفع 542 — 581
 عبد الله بن المهدي الحميري 697
 عبد الله بن هارون (المأمون العباسي)
 82 — 83 — 164 — 173 — 543
 عبد الله بن وهب الراسبي الخارجي
 289
- عبد الله بن يزيد القاري 134
 عبد الله بن يوسف المعروف بابن
 هشام النحوي 687
 عبد المجيد قطامش 522
 عبد المطلب القرشي 200 — 263
 عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج
 72 — 153 — 623
- عبد الملك بن قريب (الاصمعي) 181 —
 20 — 22 — 51 — 56 — 80
 89 — 108 — 121 — 125 —
 126 — 133 — 141 — 156 —
 157 — 158 — 166 — 173 —
 177 — 194 — 201 — 202 —
 209 — 212 — 287 — 297 —
 322 — 323 — 329 — 335 —
 340 — 341 — 342 — 343 —
 344 — 345 — 346 — 347 —
 348 — 349 — 350 — 351 —
 353 — 355 — 356 — 357 —
 358 — 359 — 368 — 370 —
 371 — 372 — 377 — 378 —
 380 — 381 — 392 — 399 —

عثمان بن جنى أبو الفتح 10 — 11 —
 20 — 126 — 127 — 128 —
 129 — 130 — 131 — 132 —
 134 — 135 — 136 — 137 —
 138 — 139 — 140 — 141 —
 142 — 161 — 176 — 199 —
 354 — 369 — 400 — 401 —
 402 — 403 — 406 — 407 —
 408 — 409 — 410 — 312 —
 413 — 415 — 416 — 417 —
 419 — 420 — 426 — 427 —
 429 — 436 — 440 — 443 —
 445 — 572 — 575 — 579 —
 580 — 666 — 670 — 671 —
 672 — 683 —

عثمان بن الحويرث 208
 عثمان بن سعيد القبطى المصرى
 (ورش) 49 — 125
 عثمان بن شيبة 153
 عثمان بن عبد الرحمن (ابن الصلاح)
 148 — 149 — 150 — 151 —
 152 — 160 — 173 —
 عثمان بن عفان 44 — 45 — 46 — 47 —
 51 — 61 — 100 — 122 — 260 —
 261 — 293 — 299 — 489 —
 عثمان بن عمرو المزنى 234
 أبو عثمان المازنى 323
 عثمان بن مظعون 213
 أبو عثمان النهدي 149
 العجاج الراجز = عبد الله بن روبة
 العجيف العجلي 342

عبد الوهاب خلاف 546
 عبدة بن الحارث بن عبد المطلب 221
 عبدة بن الطبيب 352 — 374
 عبهلة بن كعب (الاسود العنسى)
 266
 عبيد بن الإبرص 67 — 354 — 372
 عبيد بن حصين بن معاوية (الراعى)
 282 — 285 — 286 — 288 —
 300 — 335 — 336 — 337 —
 344 — 350 — 351 — 381 —
 440 — 475 —
 عبيد بن عقيل 56
 أبو عبيد = القاسم بن سلام
 عبيد الله بن جحش 208
 عبيد الله بن زياد 289 — 290
 عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن
 مسعود 280
 عبيد الله بن عمر بن الخطاب 260 —
 261
 عبيد الله بن قيس الرقيات 278 —
 319 — 357 — 435 —
 عبيد الله بن معاذ 55
 عبيد الله بن موسى العيسى 153
 أبو عبيدة = معمر بن المثنى
 أبو العتاهية = اسماعيل بن القاسم
 عتبة بن أبي سفيان 326
 عتبة بن ربيعة 32 — 216 — 217 —
 223 — 224 —
 عتيبة بن الحارث بن شهاب 266
 العتبى = محمد بن عبد الله
 عثمان بن أبى العاص الثقفى 66

- أبو عدنان السلمي|338 ، 629
 عدى بن زيد العبادي|20 — 372 —
 422 — 487 — 538 — 554
 أبو العداfer الاعرابي 342
 ابن عرادة 293 — 342
 أبو العراف 342 — 447
 عرام بن الاصبع السلمي 577 — 578
 عراق بن خالد المري القاريء 52
 العرجي = عبد الله بن عمر
 العزمي 113
 عروة بن سنان العبدى 372
 عروة بن مكرم التغلبي 372
 عروة بن الورد 273
 عروة بن يحيى (ابن اذينة) 280
 342
 عريف الكلبي 342
 عزة (صاحبة كثير) 302
 أبو عزة الجمحي 218
 أبو العساكر 284
 أبو عصمة بن ابي مريم 160
 عصمة القاريء 56
 عضد الدولة البويهى 407
 عطاء بن ابي رباح 37 - 50 - 382
 عطاء بن السائب 52
 عطارد بن خالد 233
 ابن عطية المحدث 58
 عفان بن مسلم 172
 عقبة التغلبي 372
 عقبة بن سلم 299
 ابن ابي عقرب 51
 عقيل بن الاسود 220
 عكرمة مولى ابن عباس|37 — 50 —
 63 — 71 — 72 — 134 — 155 —
 160 — 382
 بو العلاء المعري 595
 علاكم بن نهير 342
 علياء بن ارقم 22 — 441
 علقمة بن عبدة 110 — 127 — 191
 192 — 344 — 359 — 371
 علقمة بن علاثة 266
 علقمة بن قيس المحدث|149
 على بن ابي طالب|47 — 60 — 61 —
 62 — 63 — 70 — 134 — 136 —
 150 — 153 — 155 — 164 —
 181 — 221 — 226 — 229 —
 260 — 261 — 262 — 263 —
 275 — 289 — 296 — 299
 300 — 390 — 489 — 599
 على بن ابراهيم بن سلمة القطان
 572 — 465 — 648
 على بن حمد بن سعيد بن حزم 289
 على بن اسماعيل بن سيده 25 —
 403 — 404 — 596 — 658 —
 659 — 660 — 662 — 663 —
 664 — 665 — 667 — 671 —
 672 — 680 — 683 — 684 —
 688
 على بن بديمة القاريء 134
 على بن زياد 542
 على بن جعفر المعروف بابن القطاع
 641

- على بن الجهم (أبو نصر) 82
على بن حسن القاريء 134
على بن الحسن المعروف بابن المبارك
الاحمر 473 — 503
على بن الحسين (أبو الفرج
لاصفهاني) 64 — 65 — 191 —
209 — 221 — 233 — 234 —
241 — 250 — 256 — 296 —
327 — 330 — 335 — 338 —
361 — 364 — 366 — 390 —
392 — 393 — 429
على بن حمزة الكسائي 48 — 53 —
54 — 81 — 82 — 85 — 91 —
108 — 121 — 128 — 397 —
398 — 414 — 415 — 464 —
470 — 471 — 472 — 473 —
477 — 503 — 561 — 583 —
617 — 685
على بن ركن الدولة البويهى 646
على بن سليمان (الاخفش) 172 —
353 — 364 — 374 — 384 —
386 — 432 — 433 — 441 —
450 — 460 — 611
على بن عبد العزيز البغوي 43 —
611 — 645 — 656
على بن عبد العزيز الجرجاني 193
على بن عمر الدارقطني 55 — 151
على بن غانم المقدسي 696
أبو على الفارسي = الحسن بن أحمد
على بن المبارك الاحمر 81 — 503
على بن محمد الحسيني 697
على بن محمد (ابن خروف) 169 —
589
على بن المغيرة الاثرم 299 — 381 —
399 — 656
على بن مقلة 582
على بن يوسف القفطي 394 — 448 —
496 — 503 — 588
أبو عمار أو أبو الوليد القاريء =
هشام بن نصير
عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير
338 — 342 — 444
عمارة بن الوليد 211
عمر بن أبي ربيعة 64 — 65 — 278 —
279 — 281 — 356
عمر بن بكير 83
أبو عمر الجرمي = صالح بن اسحق
عمر بن خالد العثماني 465
عمر بن الخطاب 16 — 17 — 33 —
41 — 42 — 46 — 59 — 61 —
63 — 65 — 66 — 90 — 106 —
121 — 122 — 149 — 152 —
159 — 207 — 247 — 249 —
252 — 253 — 254 — 255 —
256 — 257 — 258 — 259 —
260 — 261 — 268 — 270 —
322 — 376 — 425 — 467 —
505 — 513 — 540 — 558
أبو عمر الزاهد (غلام ثعلب) =
محمد بن عبد الواحد
عمر بن شبة 297 — 327 — 341

عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)
 — 138 — 137 — 108 — 82 — 18
 — 386 — 381 — 369 — 167
 — 433 — 414 — 403 — 390
 — 450 — 449 — 442 — 434
 — 488 — 473 — 470 — 464
 — 548 — 547 — 546 — 535
 — 578 — 569 — 568 — 567
 — 669 — 666 — 611 — 583
 674

عمرو بن عدى 504
 أبو عمرو بن العلاء = زبان
 عمرو بن قميلة 512
 عمرو بن كلثوم التغلبي 190 — 196 —
 344
 عمرو بن كركرة أبو ماسك الاعرابي
 469
 عمرو بن معد يكرب 182 — 266 —
 345
 عمرو بن هشام (أبو جهل) 33 —
 222 — 215
 عمرو بن هند 190 — 492
 عمرو بن يربوع 22 — 441
 العمرى 125
 أبو العميثل = عبد الله بن خالد
 عميرة بن طارق 120
 العنبر بن عمرو بن تميم 200 — 203
 عنيسة الفيل 336
 عنبرة العبسي 241 — 266 — 345 —
 359

عمر بن عبد العزيز 51 — 153 —
 518 — 484
 عمر بن الفرخان 542
 عمر بن لجأ التيمي 287 — 288
 عمر بن هبيرة 387
 عمران بن حطان 292
 عمران بن عصام العنزي 498
 عمرو بن اسحق النسائي 394
 عمرو الاسواري 138
 عمرو بن الاشرف 262
 عمرو بن امامة 506
 عمرو بن بحر بن محبوب (الجاحظ)
 21 — 75 — 182 — 201 — 202 —
 203 — 310 — 359 — 361 —
 364 — 366 — 416 — 434 —
 455 — 457 — 459 — 463 —
 476 — 482 — 530 — 544 —
 549
 عمرو بن نعيم 487
 عمرو بن حسان الشيباني 498
 أبو عمرو الداني 61
 عمرو بن دينار 155
 عمرو بن سعيد 316
 عروة بن سنان العبدي 372
 عمرو بن الشريد السلمي 196 —
 224
 أبو عمرو الشيباني = اسحق بن مرار
 عمرو بن العاص 66 — 223 — 261
 عمرو بن عبد المسيح بن بقليلة 251
 عمرو بن عبد ود 229
 عمرو بن عبيد 126

- ابن عوذة 248
عوام (شيخ من اهل الكوفة) 172
عوف بن ابي بجيلة الاعرابي 164
عوف بن الخرع التيمي 372
عوف بن محلم الشيباني 491 — 492
عويج الطائي 317
عويمر بن مالك (ابو الدرداء) 62 — 155
عياض بن موسى بن عياض بن عمرو
اليحصبي القاضي 179
عيسى بن عبد الرحيم الكجرائي 696
عيسى بن عمر الثقفي 13 — 53 — 127 — 157 — 322 — 336 — 458 — 616
عيسى بن عمر الهمداني 53
عيسى بن ماهان 22 — 451 — 452
عيسى بن ماسرجيس 543
عيسى بن مريم 70 — 112 — 113 — 245
عيسى بن ميمون 69
عيسى بن مينا الرقي (قالون) 48 — 49 — 54
عيسى بن وردان المدني (الحذاء القاري) 54
عيسى بن يحيى 543
عينينة بن حصن 239 — 240 — 268
ابن ابي عينينة 608
- فاطرة بن سمرة بن عمرو بن قرط
ابن جندب بن العنبر 203
ابو غراف الاعرابي 322 — 447
الغزالي = محمد بن محمد
غسان بن عبد الله بن عبد الوهاب الثقفي 352
ابن ام غسان 287
غصن بن عم ابي عبيد الله الشجري 419
الغمر بن يزيد بن عبد الملك 304
ابو الغول 377 — 378 — 398 — 449
غياث بن ابراهيم 159
غياث بن غوث (الاخطل) 79 — 282 — 284 — 285 — 287 — 288 — 313 — 314 — 315 — 336 — 337 — 339 — 347 — 391 — 406 — 475
غيلان الثقفي 71
غيلان بن عقبة (ذو الرمة) 71 — 98 — 284 — 285 — 287 — 288 — 338 — 339 — 340 — 342 — 346 — 352 — 353 — 358 — 406 — 421 — 435 — 446 — 447 — 448 — 456 — 459 — 475 — 468 — 629 — 669

ف

- ابن فارس = أحمد
الفخر الرازي = محمد بن عمر
الفراء = يحيى بن زياد

غ

- غامان بن كعب بن عمرو بن سعد
375 — 600

628 — 629 — 646 — 661 —
663 — 665 — 666

القاسم بن علي الحريري 548 — 549
القاسم بن معن 121
القاضي الجرجاني = علي بن عبد
العزير

قالون = عيسى بن مينا الرقي
القالى = اسماعيل بن القاسم
قتادة بن دعامة السدوسي 40 —
72 — 129 — 160 — 623

قتادة بن يعرب الشكري 342
ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم
قتيبة بن مسلم الباهلي 403
قتيلة بنت الحارث 221 — 222 —
243

القرطبي = محمد بن احمد
قرواش بن عوف اليربوعي 494
ابو القرين الفزاري 342
قس بن ساعدة الايادي 196 — 494
قسطا بن لوقا 543
قطرب = محمد بن المستنير
قطري بن الفجاءة المازني 289 —
290 — 295

قطينة اللخمى 342
قعقاع بن معبد الدارمي 247 — 272
قعنب بن ابي قعنب (ابو السمال
المقاريء) 442
القفطى = علي بن يوسف
القلقشندي = احمد
قنبر غلام علي بن ابي طالب 262

ابو الفرج الاصفهاني = علي بن
الحسين

المفرزدق = همام بن غالب
فروة بن نوفل 289
الفريابي = جعفر بن محمد
فريتس كرنكوى 595 — 596
الفضل بن الحباب الجمحي 322
الفضل بن الربيع 75 — 76 — 77 —
83 — 370 — 473

الفضل بن شاذان 54
الفضل بن قدامة (ابو النجم الراجز)
77 — 342 — 353 — 355 —
378 — 442

الفضل بن محمد القصباني 641
ابو الفضل المنذرى 584 — 587 —
588 — 617

الفقعسى الاعرابي 19
ا. س. فلتن 613
ابن فليح 125
الفيروز بادي = محمد بن يعقوب
الفيومي = احمد بن محمد

ق

القاسم بن سلام (ابو عبيد) 15 —
25 — 37 — 52 — 128 — 167 —
169 — 173 — 174 — 184 —
399 — 438 — 492 — 503 —
505 — 506 — 516 — 518 —
525 — 528 — 539 — 562 —
584 — 585 — 617 — 625

كعب الاشقرى 363 — 365
 كعب بن زهير 66 — 89 — 194 —
 238 — 245 — 269 — 626
 كعب بن سعد الفنوى 344
 كعب بن ماتهع (كعب الاحبار) 301
 كعب بن مالك 221 — 223 — 226 —
 228 — 230
 كعب بن مامة 422
 ابن الكلبي = محمد بن السائب
 كلثوم بن خالد 359
 الكمال الاسنوى 687
 كمال مصطفى 647
 الكميت بن زيد بن خنيس الاسدى
 20 — 21 — 321 — 339 — 357
 358 — 421 — 428 — 435 —
 436 — 485

ل

لبطة بن الفرزدق 342
 لبيد بن ربيعة العامرى 656
 ابو لحيانة الاعرابى 342
 اللحيانىسى 425 — 550 — 625 —
 666 — 668
 اللعين المنقرى = منازل بن ربيعة
 ابن لهيعة 160
 ابو لؤلؤة المجوسى 260
 لؤى بن غالب 231
 الليث بن خالد البغدادي (ابو
 الحارث القارىء) 54 — 56
 الليث بن المظفر 403 — 540 — 563 —
 564 — 566 — 570 — 572 —

قنبل القارىء = محمد بن عبد
 الرحمن
 ابو قيس بن الاسلت 230
 قيس بن ابي حازم 149
 قيس بن الخطيم 242
 ابو قيس بن رفاعه 670
 قيس بن عبد الله (النابغة الجعدى)
 193 — 194 — 195 — 244 —
 422
 قيس بن عمرو النجاشى 194 — 254
 قيس بن المكشوح 257
 قيس بن الملوح (مجنون ليلى) 597
 قيس بن همام 293
 قيصر 310
 ابن قيم الجوزية = محمد بن ابي
 بكر
 القيم العيسى 226

له

ابو كبير الهدلى = عامر بن الحليس
 كثير بن عبد الرحمن بن الاسود
 126 — 296 — 300 — 301 —
 302 — 330 — 379
 ابن كثير القارىء = عبد الله بن
 كثير
 ابو كدراء المعلى 552
 الكسائى = على بن حمزة
 كسرى 251 — 257 — 305 — 310 —
 312 — 532
 كعب بن الاشرف 221 — 226

- المثنى بن حارثة الشيباني 367
529
- مجاهد بن جبر (تلميذ ابن عباس)
— 73 — 69 — 68 — 50 — 37
— 164 — 155 — 140 — 130
623 — 166
- مجاهد بن عبد الله العامري 664
ابن مجاهد 55- 137
المجدر البلوي 219
ابو المجيب الربيعي الاعرابي 414—
470
- محب بن الشحنة 696
محبس بن اوطاة 342
محبوب القاري 55 — 56
المخلق بن حنتم الكلبي 411
ابو محلم الشيباني 468
محمد بن ابي بكر الرازي 642-
643
- محمد بن ابي بكر (ابن قيم الجوزية)
687
محمد بن ابي ليلى 53
محمد بن الاثير الجزري 15 — 158 —
174 — 176
- محمد بن احمد الازهري 25 — 174 —
— 424 — 403 — 399 — 353
— 572 — 550 — 444 — 429
— 583 — 578 — 575 — 573
— 616 — 615 — 610 — 588
— 620 — 619 — 618 — 617
— 624 — 623 — 622 — 621
- 576 — 575 — 574 — 573
— 619 — 618 — 578 — 577
— 627 — 624 — 622 — 620
— 631 — 630 — 629 — 628
684
- ليلي بنت الحمارس 434 — 601
ابو ليلي الاعرابي 578
- م
- المازني 381
ماسرجويه 543
ماسرجيس 543
مالك بن انس 40 — 153 — 154 —
282
مالك بن زيد مناة بن تميم 200
ابن مالك النحوي = محمد بن عبد
الله
مالك بن عوف النصرى 239 — 267
مالك بن نمط 177
مالك بن نويرة اليربوعي 247 —
— 272 — 250 — 249 — 248
504 — 273
المامون = عبد الله بن هارون
مبارك بن محمد (ابن الاثير) 559 —
684 — 643
مبتكر الاعرابي 578
المبرد = محمد بن يزيد
متمم بن نويرة 248 — 249 — 250 —
504 — 273 — 251
المتنبى = احمد بن الحسين
متى بن يونس 527

- محمد بن اسماعيل (البخازى)
148 — 153
- محمد باشا الكوبرلى 678
- محمد بن بهرام بن مطيار الاصفهاني
542
- محمد بن جرير (الطبرى) 37 —
38 — 70 — 110 — 111 —
113 — 114 — 115 — 116 —
118 — 125 — 223 — 235 —
258 — 324 — 360 — 369 —
496 — 538
- محمد بن جعفر المنذرى 616
- محمد بن الجهم البرمكى 83 — 84 —
542
- محمد بن حبيب 364 — 681
- محمد بن الحجاج بن نصر الانبارى
468
- محمد بن الحسن بن دريد ابو
بكر الازدى 25 — 179 —
181 — 183 — 355 — 385 —
461 — 485 — 538 — 551 —
571 — 582 — 589 — 591 —
592 — 594 — 595 — 596 —
597 — 598 — 599 — 600 —
601 — 602 — 603 — 604 —
606 — 607 — 609 — 610 —
611 — 613 — 618 — 619 —
620 — 622 — 631 — 647 —
648 — 649 — 660
- 626 — 627 — 628 — 629 —
630 — 631 — 633 — 638 —
641 — 643 — 660 — 667 —
672 — 683 — 684
- محمد بن احمد الاسوانى (ابو
رجاء) 129 — 130 — 136
- محمد بن احمد البيرونى 544
- محمد بن احمد بن جبير 56
- محمد بن احمد بن شنبوذ 55
- محمد بن احمد العتبي 648
- محمد بن احمد القرطبي 159 —
160 — 182
- محمد بن احمد بن كيسان 569
- محمد بن احمد المناوى 687
- محمد بن احمد بن يوسف الخوارزمي
544 — 546
- محمد بن ادريس الشافعى 23 —
154 — 358 — 477 — 620 —
674
- محمد بن ارسلان (الامير) 528
- محمد بن اسحق (صاحب السيرة)
160 — 208 — 211 — 215 —
221 — 228 — 230 — 267 —
589
- محمد بن اسحق البخارى 55
- محمد بن اسحق (ابن النديم) 86 —
69 — 74 — 83 — 323 — 385 —
468 — 496 — 542 — 559 —
562 — 581 — 582 — 661

- محمد بن سلام الجمحي 16 — 17 —
 157 — 199 — 200 — 201 —
 203 — 207 — 212 — 250 —
 277 — 296 — 300 — 321 —
 322 — 323 — 324 — 325 —
 330 — 331 — 335 — 396 —
 399 — 456 — 463 — 493 —
 محمد بن السميع 127 — 412 —
 محمد بن سيرين 154 — 166 —
 559 —
 محمد بن شهاب الزهري 136 —
 153 —
 محمد بن صالح 337 —
 محمد بن صديق بن حسن القنوجي
 632 — 634 — 678 —
 محمد بن طاحنة 269 —
 محمد بن الطيب الفاسي 697 -
 699 —
 محمد بن عائشة 241 —
 محمد بن عبد الرحمن بن خالد
 المخزومي (قنبل) 49 —
 محمد عبد الرؤوف المناوي 696 —
 محمد بن عبد السلام الخشني 370 —
 515 — 589 —
 محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
 289 — 299 —
 محمد عبد اللطيف السبكي 643 —
 محمد بن عبد الله (ابن مالك
 النحوي) 169 —
 محمد بن عبد الله الاسكاني 25 -
 662 —
 محمد بن الحسن الزبيدي 18 — 352 —
 370 — 381 — 397 — 415 —
 457 — 458 — 464 — 465 —
 471 — 473 — 588 — 589 —
 612 —
 محمد بن الحسن بن يعقوب (ابن
 مقسم) 55 —
 محمد بن الحسن الفهري 613 —
 محمد بن الحنفية 298 — 301 —
 محمد بن خالد 320 —
 محمد الخضر حسين 545 —
 محمد الخضري 44 —
 محمد بن زريق الكوفي 54 —
 محمد بن زياد أبو عبد الله (ابن
 الاعرابي) 108 — 353 —
 374 — 378 — 393 — 404 —
 410 — 435 — 438 — 444 —
 493 — 503 — 513 — 550 —
 551 — 578 — 585 — 587 —
 588 — 623 — 625 — 639 —
 659 — 665 — 666 — 675 —
 680 —
 محمد بن السائب 69 — 71 — 269 —
 504 — 623 — 681 —
 محمد بن السري 382 — 536 —
 616 — 623 —
 محمد سعد الله 693 —
 محمد بن سعيد الشامي 159 —
 محمد بن سعد (صاحب الطبقات
 الكبرى) 91 — 324 —

- محمد بن عبد الله (المهدي
العباسي) 159 — 310 —
391 — 464 — 473
محمد بن عبد الله الزركشي 58 —
59 — 72
محمد بن عبد الله العتبي 297 —
648
محمد بن عبد الله الكرمانى 572
محمد بن عبد الله بن المقفع 581
محمد بن عبد الله النعماني 279
محمد بن عبد الملك الفقعسي 473
محمد بن عبد الواحد (غلام ثعلب)
174 — 468 — 588 — 596 —
618 — 645 — 685
محمد بن عزيز السجستاني 43
محمد بن العساف الشجري العقيلي
(صاحب ابن جنس) 412 —
413 — 416 — 417 — 418 —
419 — 420
محمد بن علقمة التيمي 342
محمد بن علي الرؤاسي (أبو
جعفر) 56
محمد علي النجار 509 — 616 —
683
محمد بن علي بن النعمان (شيطان
الطاق) 298
محمد بن علي الهروي 641
محمد بن علي بن عمر الواقدي 54 —
324
محمد بن عمر (الفخر الرازي) 13 —
34
- محمد بن عمران المرزباني 442 —
503
محمد أبو الفضل ابراهيم 522
محمد بن القاسم بن بشار الانباري
53 — 84 — 90 — 151 — 167 —
174 — 473 — 611 — 680
محمد بن المتوكل اللؤلؤي (رويس
القاري) 55 — 56
محمد بن محمد الدمشقي (ابن
الجزري) 124 — 125 —
131 — 173
محمد محمد الغزالي 161
محمد بن محمد بن محمد بن عبد
الرزاق مرتضى الزبيدي 18 —
25 — 658 — 667 — 668 —
687 — 692 — 694 — 695 —
696 — 697 — 698 — 699
محمد بن محيى الدين عبد الحميد
334 — 643
محمد بن المستنير (قطرب) 125 —
173 — 184 — 559 — 562 —
623 — 661
محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
215
محمد بن معمر الجياني 613
محمد بن المكرم (ابن منظور) 13 —
25 — 157 — 179 — 181 —
311 — 403 — 424 — 425

- محمود خاطر 643
 محمود بن عمر جار الله الزمخشري
 — 15 — 176 — 179 — 404 —
 — 405 — 492 — 548 — 643 —
 673 — 674 — 676
 محمود الفزنوي 543
 محمود محمد الطناحي 175
 ابن محيىن القاريء = محمد
 المخبل السعدي 482
 مختار بن ابي عبيد 199
 المرار بن منقذ 288
 مرتضى الزبيدي = محمد بن
 محمد بن عبد الرزاق
 مرداس بن اديّة (ابو بلال) 290 —
 292
 مروان بن ابي حفصة 391 — 392
 مروان بن الحكم 313 — 314 —
 315 — 316 — 317
 مروان بن القرظ 492
 مروان بن محمد 320 — 470
 ابن مزاحم الثمالي 392
 مزرد بن ضرار 344
 مسافع بن عبد مناف 230
 المستنير بن سبرة العبدي 288
 مسدد بن مسرهد الكوفي 153
 مسرد بن اللعين 342
 مسعود بن فدكي التميمي 289
 مسلم بن الحجاج القشيري 62 —
 153 — 161
 ابو مسلم الخرساني 470
- 429 — 433 — 345 — 682 —
 683 — 684
 محمد بن منذر الشاعر 172
 محمد بن هارون التمار القاريء 55
 محمد بن هارون الزنجاني 656
 محمد بن يحيى بن ابان 368
 محمد بن يحيى القرافي 691 —
 692 — 697
 محمد بن يحيى الكسائي الصغير
 54
 محمد بن يزيد المبرد (ابو العباس)
 — 14 — 22 — 126 — 174 —
 — 293 — 341 — 374 — 381 —
 — 382 — 385 — 387 — 389 —
 — 400 — 409 — 439 — 440 —
 — 450 — 451 — 452 — 466 —
 — 467 — 468 — 486 — 528 —
 — 585 — 587 — 611 — 623 —
 625
 محمد بن يعقوب الفيروزبادي 25 —
 — 69 — 660 — 687 — 688 —
 — 689 — 690 — 692 — 693 —
 694 — 696 — 699
 محمد بن يوسف الزبيدي المدني
 687
 محمد بن يوسف القاضي 611
 محمود بن ابي المعالي بن الحسن
 الحواري 641
 محمود بن احمد الزنجاني 642
 محمود بن الاصبهاني 673

معقر بن جمار البارقي 344
 معمر بن المثنى (أبو عبيدة) 13 —
 19 — 39 — 74 — 75 — 76 —
 78 — 79 — 80 — 81 — 83 —
 93 — 100 — 107 — 108 —
 114 — 115 — 119 — 132 —
 135 — 143 — 173 — 179 —
 184 — 194 — 250 — 251 —
 297 — 320 — 323 — 335 —
 337 — 341 — 354 — 357 —
 359 — 360 — 361 — 364 —
 366 — 368 — 369 — 370 —
 371 — 372 — 377 — 380 —
 381 — 395 — 398 — 399 —
 415 — 422 — 428 — 430 —
 434 — 447 — 449 — 456 —
 462 — 465 — 467 — 476 —
 487 — 492 — 503 — 512 —
 526 — 527 — 539 — 559 —
 560 — 561 — 574 — 575 —
 577 — 578 — 600 — 607 —
 622 — 629 — 630 — 637 —
 638 — 645 — 650 — 656 —
 659 — 663 — 667

أبو المفوار بن سعيد الفنوى 345
 المفيرة بن حبناء 342 — 362 — 363
 المفيرة بن سعيد الكوفى 159
 المفيرة بن شعبة 289 — 315
 المفيرة بن المهلب 361 — 364 — 366
 المفجع البصرى 450

أبو مسلم العاصى 414 — 470
 مسلم بن عقبة 316
 المسيب بن علس 195
 مسيلمة ، ثمامة بن كثير بن حبيب
 الحنفى الكذاب 247
 مصرف بن الحارث 342
 مصطفى صادق الرافعى 644
 مصعب بن الزبير 319 — 327
 أبو المضرخى الاعرابى 468
 أبو المطرف الاعرابى 337
 المطعم بن عدى 211 — 212 — 213
 أبو المطوق الاعرابى 464 — 473 — 474
 المظفر بن سيار 540
 ابن المظفر = الليث
 ابن المظفر النيسابورى 673
 معاذ بن جبل 61 — 62 — 63
 معاذ بن معاذ القارىء 55
 معاذ الهراء 53
 معاوية بن أبى سفيان 47 — 66 —
 245 — 261 — 263 — 278 —
 289 — 313 — 314 — 315 —
 316 — 326 — 327
 معاوية بن زهير 221
 معاوية الثانى 315 — 316
 معاوية بن عمرو بن الشريد 196 —
 224
 معاوية بن أبى عمرو بن العلاء 322
 معبد بن خالد الجدلى 327
 معبد بن طوق 342

- ابن منده 154
 المنذرى = أبو الفضل
 المنصور 470
 أبو منصور الجبان 641
 ابن منظور = محمد بن مكرم
 منظور بن زبان 268
 منكه الهندى 542
 أبو مهدية الاعرابى 458 — 464
 المهدي العباسى = محمد بن عبد
 الله
 مهدى بن ميمون 54
 المهدي المنتظر 298 — 301
 ابن مهران 124
 المهلب بن أبى صفرة 14 — 283 —
 289 — 290 — 291 — 293 —
 294 — 295 — 363 — 365 —
 مهلهل بن ربيعة 201 — 202 —
 203 — 510
 الوار العبدى 342
 مؤرج بن عمر السدوسى أبو فيهد
 74 — 468 — 492 — 596 —
 497 — 525 — 559 — 569 —
 582
 أبو موسى الاشعرى = عبد الله بن
 قيس
 موسى بن خالد 542
 موسى السيلانى 148
 موسى بن عبد الله الخاقانى 55
 موسى بن عيسى الكردى 542
 الفضل بن سامية 507 — 508 —
 509 — 510 — 512 — 518 —
 526 — 571 — 582 — 589 —
 الفضل بن محمد الضبى 137 —
 284 — 322 — 373 — 376 —
 377 — 392 — 395 — 396 —
 398 — 446 — 449 — 464 —
 492 — 493 — 494 — 495 —
 497 — 506 — 516 — 525 —
 526 — 616 —
 مقاتل بن سليمان بن بشير الازدى
 71 — 342
 ابن مقبل = تميم بن أبى
 المقداد بن الاسود 44
 أبو المقدام السلمى 627
 ابن مقسم = محمد بن الحسن بن
 يعقوب
 ابن مكتوم 678
 ابن مكعب 498
 ابن ملجم 275
 مليكة بنت سنان 268 — 269
 ابن أبى مليكة 382
 ابن مناذر الشاعر = محمد بن
 مناذر
 منذر بن حرملة 183
 منازل بن ربيعة (اللعن المنقرى)
 286
 المنتجع الاعرابى 458 — 463 —
 475 — 523 —
 المنتشر الباهلى 603

- موهوب بن أحمد بن محمد
 الجوالقيسى 534 — 535 —
 536 — 538 — 551
 ابن ميادة = الرماح بن ابرد
 الميداني 492
 ميرزا على الشيرازي 696
 ميسرة بن عبد ربه 160
 ميمون الاقرن 336
 ميمون بن قيس (الاعشى) 16 —
 79 — 116 — 182 — 264 —
 265 — 266 — 270 — 335 —
 344 — 356 — 411 — 430 —
 447 — 496 — 537 — 538 —
 554 — 584 — 602 — 639 —
 676
 ابو ميمونة مولى ام سلمة 49
 ن
 النابغة الجعدي = قيس بن عبد
 الله
 النابغة الديباني = زياد بن معاوية
 ناصر الدين الاسد 324 — 330
 نافع بن الازرق 64 — 67 — 68 —
 281 — 290
 نافع بن جبير بن مطعم 303
 نافع بن ابي نعيم 48 — 49 — 54 —
 73 — 125
 نافع مولى ابن عمر 166
 النجاشي الشاعر = قيس بن عمرو
 نجدة بن عامر الحنفي 289
 نجدة بن عويمر 67 — 68
 ابو النجم الراجز = الفضل بن
 قدامة
 ابو نجيع 69 — 166
 نجيد بن عمران الخزاعي 230
 ابو جعفر النحاس = احمد بن محمد
 ابو النشاش النهملي 273 — 274
 ابو نشيط القاريء 48
 ابو نصر الراوية 617
 ابو نصر بن الجهم = على بن الجهم
 نصر بن على الجهضمي 166 — 570 —
 582 — 634 — 635
 نصر الحارثي (ابو منصور) 673
 نصيب بن رباح (ابو محجن) 345 -
 346
 نصير الرازي 584
 النضر بن الحارث 222 — 243
 النضر بن شميل 14 — 25 — 164 —
 165 — 173 — 184 — 399 —
 559 — 560 — 561 — 562 —
 569 — 570 — 571 — 582 —
 588 — 638 — 661 — 663
 النظام 476
 النعمان بن بشير 51 — 313 —
 314 — 517
 النعمان بن ثابت (ابو حنيفة) 160 —
 673 — 695
 النعمان بن المنذر 199 — 200 —
 251 — 532 — 533
 ابو نعيم = احمد بن عبد الله بن
 احمد
 نعيم بن حماد 153

الهرمزان ملك الاهواز 260 — 261 —
305

الهروى صاحب الغريبين = احمد
ابن محمد

ابو هريرة = عبد الرحمن بن صخر
ابن هشام صاحب السيرة = عبد
الملك

هشام بن حكيم 121 — 122

هشام بن عبد الملك 305 — 306 —
391 — 542

هشام بن عروة 153 — 159

هشام بن عمرو بن ربيعة 213

هشام بن القاسم 542

هشام بن الكلبي 506

هشام بن نصير السلمى ابو عمار
القارىء 52

هشيم بن بشير 164 — 165

ابو هلال العسكري = الحسن بن
عبد الله

همام بن غالب (الفرزدق) 20 —

51 — 278 — 279 — 282 —

283 — 284 — 285 — 286 —

287 — 288 — 293 — 300 —

335 — 336 — 337 — 338 —

348 — 350 — 364 — 365 —

372 — 387 — 403 — 421 —

427 — 439 — 440 — 475 —

493 — 626 — 676

هيमान بن قحافة السعدى 378

هند بنت اثاثه 221 — 223

نفظويه = ابراهيم بن محمد بن
عرفه

ابو نفيس 500

نقيع بن صفار القيسى 315

نلينو ، كارل 197 — 198 — 199 —

201 — 203 — 204 — 269 —

324

النمر بن تولب 600

ابو نمير السعدى 248

نهار بن توسعة 342

النوار بنت جل بن عدى 200

نوار (زوج الفرزدق) 493

ابو نواس = الحسن بن هانىء

نوح بن جرير 342

ابن نوح العطاردى 250 — 463

ابن نوفل 396

النووى (يحيى بن شرف) 148 —

161 — 166

هـ

هارون الاعور 56 — 126

هارون بن محمد (الرشيد) 370 —

371 — 472

هاشم بن عبد مناف 200 — 212

هبة الله بن الشجرى 673

هبيرة بن ابي وهب المخزومى 223 -

230

الهذلى 511 — 628

هرم بن سنان 253 — 264

ابن هرمة = ابراهيم بن على

أبو وهب الدقاق 336

ي

ياقوت الحموي 74 — 82 — 323 —
368 — 443 — 471 — 570 —
632 — 633

يحيى بن الحارث الذمري 51 — 52
يحيى بن خالد 543

يحيى بن زياد الفراء 15 — 54 —
81 — 82 — 83 — 84 — 85 —
86 — 87 — 88 — 89 — 91 —
92 — 93 — 108 — 115 —
120 — 133 — 135 — 167 —
374 — 378 — 397 — 398 —
414 — 470 — 471 — 472 —
473 — 485 — 488 — 503 —
510 — 623 — 638 — 666

يحيى بن سعيد القطان 154 — 161
يحيى بن صاعد 611
يحيى بن عدي 543
يحيى بن المبارك اليزيدي 48 — 54 —
56 — 396 — 398 — 415 —
458 — 464 — 473 — 477 —
488 — 496 — 503 — 559 —
617

يحيى بن محمد المناوي 691
يحيى بن معين 52 — 160 — 173
يحيى بن وثاب 127 — 130 — 137 —
139
يحيى بن بعمر 18 — 50 — 74 —
559

هند بن جرم (ملك في قضاة)
493

هند بنت عتبة بن ربيعة 221 —
222 — 223 — 224 —
أبو الهيثم الرازي 584 — 587 —
617

الهيثم بن عدي 392
أم الهيثم الاعرابية 465 — 466 —
467 — 468

و

وائل بن حجر 179
وائل بن الاسقع 51 — 155
الواقدي = محمد بن علي بن عمر
أبو الوجيه العكلي 458
ورش = عثمان بن سعيد
ورقاء المفسر 69
ورقة بن نوفل بن عبد العزى 208
ابن وضاح 515
الوعيل بن كليب 342
الوليد بن عبد الملك 23 — 338 —
477

الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي
(البحتري) 400 — 406 —
407

الوليد بن عتبة 223 — 224 — 316
الوليد بن مسلم القاري 55
الوليد بن المغيرة 31 — 32 — 213 —
443

الوليد بن يزيد 319 — 320 — 390 —
391 — 392 — 394
وهب بن زمعة 278

- يزيد بن حاتم 356
 يزيد بن جناء 367
 يزيد بن سلمة ابن الطثرية 342
 يزيد بن ضبة مولى ثقيف 306 — 351
 يزيد بن عبد الله بن الحر (أبـو زياد الكلبي) 424 — 471 — 503
 يزيد بن عبد الملك بن مروان 387
 يزيد بن عمرو بن مسلم الخزاعي 243
 يزيد بن القعقاع (أبو جعفر) 48 — 54 — 125 — 138
 يزيد بن كثوة 416
 يزيد بن مرة 75
 يزيد بن معاوية بن أبي سفيان 314 — 315 — 316 — 391
 يزيد بن مفرغ الحميري 182 — 404
 يزيد بن المهلب 361 — 362
 يزيد بن الوليد بن عبد الملك 320
 اليزيدي = يحيى بن المبارك
 يعقوب بن أحمد التركماني 54
 يعقوب بن اسحق الحضرمي 48 — 50 — 54 — 336 — 559 — 487 — 434 — 427
 يعقوب بن السكيت 25 — 133 — 349 — 350 — 357 — 360 — 377 — 378 — 381 — 397 — 399 — 405 — 411 — 423 — 426 — 487 — 507 — 586 — 587 — 661 — 663 — 665
 يعلى بن منبه 500
 يوحنا بن ماسويه 543
 يوسف بن خالد 542
 يوسف بن سليمان (الاعلم) 359 — 450
 يوسف بن عبد الله بن عبد البر 159
 يوسف العشى 573
 يوسف بن عمر اليقفي 394
 يوسف بن مهران 71
 يونس بن حبيب 19 — 50 — 53 — 56 — 74 — 82 — 157 — 284 — 287 — 322 — 335 — 336 — 364 — 394 — 395 — 430 — 435 — 447 — 463 — 472 — 484 — 487 — 488 — 492 — 616 — 651
 يونس بن عبيد 150
 يوهان فك 12 — 143

ثانياً - فهرس القبائل والشعوب والجماعات

- الانصار 40 — 44 — 45 — 63 — 218 —
 — 236 — 240 — 244 — 254 —
 256 — 313 — 314 — 393
 بنو أنف النافقة 270
 الأوس 64 — 181 — 182 — 188 —
 218 — 230
 أساد 422
- ب
- الباطنيون 69
 باهلة 424 — 495
 بجيلة 23 — 50 — 287 — 341
 آل بختيشوع 545
 بنو بدر 314 — 315
 البدو 84 — 85 — 93 — 431 — 477
 برابر مكة وسودانها 126
 البصريون 19 — 44 — 82 — 115 —
 149 — 309 — 323 — 374 —
 392 — 396 — 398 — 414 —
 415 — 477 — 503 — 505 —
 616
- الآراميون 35 — 36
 الأحباش 183 — 321 — 530
 الأحلاف 469
 الأزارقة 295
 الأزد 14 — 23 — 36 — 50 — 66 —
 121 — 128 — 294 — 313 —
 341 — 365 — 558
 أسد 53 — 86 — 88 — 124 — 247 —
 338 — 398 — 414 — 464 —
 470 — 473 — 477 — 478 —
 483 — 484 — 485 — 495 —
 615
 الأساورة 532
 الأشاقر 365
 الأقيال 179
 الأمويون 23 — 150 — 159 — 289 —
 302 — 304 — 306 — 308 —
 309 — 315 — 316 — 319 —
 338 — 391

368 — 358 — 351 — 341

— 483 — 428 — 394 — 369

674

ثمود 295

ج

الجاهليون 20 — 51 — 193 — 268 —

446 — 391 — 335

جديلة 327

الجرامقة 357 — 358

جرم 485

جمدة 184

ح

بنو الحارث بن كعب 23 — 50 —

449 — 398 — 397 — 128

الحجازيون 90 — 109 — 122 —

128 — 125 — 124 — 123

— 153 — 142 — 130 — 129

639 — 638 — 487 — 458

حمير 35 — 176 — 179 — 184 —

473 — 267

حنظلة 247 — 378 — 493

بنو حنيفة 368

خ

خنعم 483

خزاعة 359 — 368

الخزرج 64 — 181 — 182 — 188 —

237 — 231 — 218

البغداديون 381 — 412

بكر بن هوازن 23 — 486

بكر بن وائل 312 — 476 — 482 —

630 — 629 — 486

بلحارث بن كعب 100

بلى 219 — 394

بهراء 200 — 476

ن

التابعون 49 — 52 — 148 — 149 —

537 — 289 — 175 — 153

التبابعة 183 — 188

الترك 293 — 305

تغلب 190 — 314 — 415 — 476

تميم 123 — 124 — 125 — 128 —

232 — 142 — 130 — 129

— 290 — 272 — 248 — 233

— 368 — 320 — 311 — 308

— 438 — 414 — 397 — 378

— 477 — 475 — 470 — 458

— 495 — 487 — 485 — 479

— 629 — 615 — 606 — 596

674 — 668 — 630

تنوخ 317 — 318 — 426 — 469

تيم الله بن ثعلبة 290 — 348

تيم قریش 75

تيم بن مرة 75

ث

ثقف 20 — 23 — 50 — 66 — 221 —

— 306 — 268 — 267 — 258

- الخوارج 14 — 17 — 64 — 159 — 160 — 278 — 289 — 290 — 291 — 292 — 293 — 295 — 296
- خيثم 128
- دارم 284
- دهاقين الفرس 532
- الديلم 293
- ذيان 494
- الراشدون 16 — 159 — 241 — 246 — 289
- ربيعة 362 — 367 — 398
- ربيعة بن حنظلة 290
- ربيعة بن مالك 414 — 470 — 471
- الروم 305 — 310 — 322 — 325 — 470 — 494 — 543
- زبيد 128 — 483
- آل الزبير 304 — 319
- الزرق من بنى قيس بن ثعلبة 182
- الزط 383
- الزنادقة 159
- الزنج 389 — 470 — 591
- بنو زهرة 215
- سيما 35 — 183
- السبايجة 383
- أهل السروات 23 — 50 — 294 — 341
- بنو سعد 60
- بنو السعلات 22 — 441
- آل سفيان 313 — 374
- السكسكيون 317
- سليط 287
- بنو سليم 126 — 226 — 235 — 247 — 315 — 356 — 397
- ش
- الشافعية 615
- الشاميون 44 — 46 — 52
- الشعوبية والشعوبيون 17 — 23 — 302 — 481
- الشيعة 17 — 159 — 296 — 298 — 300 — 316
- ص
- الصحابه 39 — 48 — 49 — 54 — 60 — 61 — 62 — 63 — 70 — 131 — 147 — 148 — 152 — 175 — 247 — 289 — 536
- ض
- بنو ضبة 127 — 294 — 368 — 376 — 486 — 595
- ط
- الطائفون 352
- الطاهريون 570 — 582

عقيل 87 — 142 — 308 — 398 —
412 — 413 — 415 — 416 —
431

عك 267

عكل 91 — 380

العلويون 159 — 309 — 313
العمالقة 494

عمرو بن تميم 487

عمرو بن عوف 227

العنبر 128 — 487

عنزة 484

عوف 202 — 419

عيلان 307

غ

غسان 188 — 288 — 317 — 476 —
495

غطفان 228 — 247 — 252 — 512
غنم بن اسد 397

ف

الفرسان 345

فزارة 268

فقيم 378

فلاسفة اليونان 542

ق

القارة 40 — 225

قحطان 293 — 320 — 321 — 385

القراء 40 — 41 — 42 — 559

القرامطة 615

طسء 92 — 133 — 181 — 247 —
318 — 397 — 448 — 478 —
484 — 488 — 497 — 680 —
681

ع

عاد 353

بنو عامر 226 — 315 — 415 — 471
العباد 469

العباسيون 24 — 309 — 399 — 470
بنو عبد القيس 361 — 364 — 368 —
369 — 428

بنو عبد المطلب 213 — 244 — 263

عبد مناف 211 — 212 — 241

عبس 494

العثمانية 159

عجلان 254 — 314 — 315

العجم والفراسيون 35 — 37 — 123 —

124 — 155 — 169 — 183 —

184 — 207 — 304 — 306 —

310 — 311 — 312 — 321 —

360 — 366 — 383 — 476 —

516 — 530 — 531 — 532 —

536 — 539 — 544

عداء (بطن من مزينة) 234

عدنان 385 — 554

عدوان 328

عدى 338 — 493

عذرة 128 — 183

عضل 40 — 225

مقال 286 — 287

— 570 — 507 — 505 — 503
661 — 617 — 616

ل

بنو لحيان من هذيل 225
لخم 476

م

المتحنفون 209
مخزوم 220
بنو مدلج 59
اهل المدينة 125 — 149
مراد 128
المرجئة 17
بنو مروان 199 — 308 — 309
542 — 320
مزينة 234
المستعربون 383
المشركون 214 — 218 — 221 — 236
258 — 241 — 239 — 237
المضربة 159 — 182 — 319 — 320
بنو المطلب 213 — 219
المعتزلة 544
معد 233 — 251 — 293 — 554
اهل مكة 125 — 188 — 207 — 208
512 — 210
بنو ملكان 493
الناذرة 188 — 495
بنو منقر 465
المهاجرون 44 — 213
المهيا 419

قريش 31 — 32 — 33 — 45 — 58
— 182 — 142 — 125 — 64
— 208 — 207 — 188 — 184
— 212 — 211 — 210 — 209
— 217 — 216 — 214 — 213
— 235 — 230 — 229 — 228
— 254 — 240 — 237 — 236
— 278 — 268 — 265 — 256
— 487 — 394 — 308 — 299
557

بنو قريظة 229 — 230 — 251
قضاة 181 — 183 — 317 — 440
476

قيس 124 — 129 — 307 — 314
— 320 — 317 — 316 — 315
674 — 485 — 327 — 326

ك

كعب 236 — 308 — 341 — 443
444

كلاب 23 — 471 — 486 — 495
كلب 317 — 318 — 379 — 476
609

الكلدان 69

كليب 286 — 287

كنانة 59 — 128 — 320 — 470
487

الكوفيون 19 — 44 — 46 — 82
— 300 — 149 — 128 — 92
— 477 — 415 — 399 — 323

- 358 — 341 — 225. — 182
 — 484 — 477 — 462 — 444
 674 — 607
 بنو هصيص 220
 بنو هلال 23 — 486
 همدان 261
 هنود 383 — 580
 هوازن 182 — 244 — 247 — 267 —
 615 — 268
 الهون بن خزاعة بن مدركة 40 —
 225
- و
- الوراقون 578 — 618
 وهبيل 134
- ي
- بنو يربوع 272
 بنو يشكر 294
 اهل اليمن 141 — 159 — 166 —
 176 — 177 — 182 —
 204 — 278 — 313 — 316 —
 317 — 318 — 319 — 320 —
 321 — 377 — 378 — 398 —
 639
 اليهود 44 — 188 — 226 — 228 —
 229 — 313 — 441
 يونان 81 — 389 — 541
- الموالي 75 — 302 — 303 — 306 —
 307 — 351 — 359 — 540
 المولدون 297 — 347 — 525
- ن
- نبوناج 328
 النبط 476
 نهران 133 — 397 — 681
 بنو النجار 209
 النجديون 109 — 124 — 226
 النخع 134 — 135
 الندب (حى من الازد) 14
 نزار 176 — 177 — 184 — 204 —
 319 — 321 — 440
 النصارى 44 — 209 — 532
 بنو النضير 226 — 227 — 251
 آل نعم 64
 بنو نهد 181
- ه
- بنو هاشم 73 — 159 — 212 — 213 —
 219 — 278 — 296 — 297 —
 299 — 301 — 314
 بنو هبيل 134 — 135
 بنو الهجيم 128
 هذيل 23 — 40 — 50 — 59 — 71 —
 125 — 127 — 134 — 135 —

ثالثاً - فهرس البلدان والأماكن

- 395 — 378 — 354 — 351
 — 422 — 421 — 416 — 414
 — 477 — 476 — 459 — 435
 — 561 — 560 — 540 — 491
 659 — 634 — 632 — 615
- باريس 614
 باغ سلم بن عود 368
 البحرين 529 — 415 — 23
 بخارى 673
 بدر 221 — 220 — 219 — 218
 237 — 225 — 223 — 222
 البشر (اسم جبل) 315
 البصرة 17 — 18 — 22 — 48 — 50
 — 63 — 61 — 55 — 54 — 53
 — 82 — 80 — 76 — 75 — 74
 — 250 — 154 — 153 — 149
 — 290 — 289 — 284 — 262
 — 339 — 338 — 322 — 294
 — 352 — 343 — 342 — 340
 — 374 — 368 — 360 — 358
 — 389 — 388 — 383 — 381
- آسك 290
 اجا 681 — 680 — 484
 احد 223 — 222
 اذربيجان 44
 ارمينية 611 — 44
 الاسكندرية 557 — 545 — 261
 اسوان 557
 اصفهان 368 — 367 — 361
 اصطخر 363 — 362 — 361
 اضاح 492
 افريقية 261
 الانبار 469 — 390
 الاندلس 658 — 612 — 539 — 359
 الاهواز 592 — 290
 ايا صوفيا 678
- ب
- البادية 16 — 23 — 163 — 206
 — 337 — 334 — 269 — 264
 — 344 — 342 — 339 — 338

تهامة 23 — 50 — 341 — 477 —
561 — 668 — 674

تونس 682

ج

الجابية 314 — 316

جبلان 184

جبل رضوى 298

الجزائر 554

جزيرة الفرات 394

جزيرة العرب 17 — 34 — 35 — 36 —

61 — 83 — 144 — 156 —

171 — 183 — 188 — 197 —

334 — 415 — 480 — 529

جلال 313

جناب الهضب 177

جنديسابور 545

جونا 647

ح

حبر 392

الحبشة 213

الحجاز 16 — 23 — 40 — 49 — 154 —

159 — 183 — 206 — 210 —

225 — 251 — 274 — 278 —

282 — 290 — 294 — 341 —

354 — 357 — 477 — 487 —

495 — 530 — 561 — 606 —

673 — 687

الحديبية 264

حران 308

الحرم 208

390 — 392 — 395 — 396 —

399 — 413 — 414 — 416 —

422 — 433 — 435 — 448 —

456 — 457 — 458 — 459 —

460 — 462 — 464 — 465 —

469 — 470 — 474 — 475 —

476 — 477 — 478 — 493 —

496 — 529 — 559 — 561 —

569 — 570 — 571 — 574 —

575 — 577 — 578 — 580 —

582 — 591 — 663

بغداد 17 — 52 — 76 — 81 — 82 —

83 — 373 — 382 — 399 —

413 — 414 — 435 — 470 —

471 — 473 — 477 — 507 —

577 — 591 — 596 — 611 —

616 — 619 — 626 — 645 —

646 — 673 — 677

بلكرام 695

بولاق 683

بئر معونة 40 — 225 — 226

بيروت 340 — 347 — 348 — 350 —

378 — 380 — 410 — 450 —

683 — 685

بين النهرين 34

بیمارستان البرامكة 542

ت

تدمر 252 — 307

تكريت 435

- الدهناء 615
 دير الجماجم 302
 الدينور 451
- ر**
 الرجيع 40 — 225
 الرصافة 159
 رملة اللوى 478
 الروحاء 256
 الرى 50 — 302 — 646
 ريف فارس 530
- ز**
 زبيد 687
 زمخشر 673
- س**
 سافلة العالية (المدينة) 23
 الستارين 615
 السدير 251
 سقطرة 181 — 184
 سلمى (جبل لطفى) 353 — 484 — 680 — 681
 السند 578
 السواد 367 — 530
 السودان 554
 سورية 554
- ش**
 الشاش 367
- حرة بنى سليم 226
 حضرموت 179 — 181 — 183 — 184
 الحطمية 398
 حفاف الرمل 177
 الحفير 251
 الحل 208
 حلب 407
 حمص 62
 حنين 239 — 267'
 حيدرآباد 492 — 571
 الحيرة 35 — 251 — 390 — 422 — 469 — 531 — 532 — 533
- خ**
 خراسان 83 — 124 — 149 — 342 — 361 — 367 — 368 — 470 — 548 — 570 — 582 — 588 — 615 — 626 — 632
 الخليج العربى 495 — 529
 الخندق 228 — 229 — 230 — 506
 خوارزم 673 — 674
 الخورنق 251
 خيبر 36
- د**
 الدارات 347
 دارة صلصل 347
 دجلة 388 — 537
 دمشق 35 — 51 — 52 — 62 — 277 — 316 — 386

— 282 — 278 — 270 — 163
— 319 — 308 — 295 — 290
— 452 — 451 — 415 — 387
— 487 — 478 — 476 — 469
— 541 — 529 — 517 — 495
687 — 616 — 588 — 554

العرض (واد باليمامة) 167

عرفة 208

عسكر مكرم 521

العقيق 235

عكاظ 195 — 196 — 197 — 224 —

494 — 225

عمان 529 — 591

عمورية 543

غ

غزنه 544

ف

فاراب 632

فارس 16 — 207 — 322 — 325 —

362 — 367 — 529 — 531 —

532 — 541 — 687

الفرات 388 — 469 — 494

فرغانة 367

فلسطين 34 — 554

ق

القادسية 257 — 258

القاهرة 382 — 647 — 661

قبرص 261

قرامان 644

قرطبة 515 — 613 — 658

الشام 16 — 35 — 46 — 48 — 153 —

174 — 263 — 274 — 293 —

428 — 476 — 529 — 541 —

687

الشجر 184

الشرق الادنى 614

شرق العراق 154 — 465 — 578 —

620 — 632 — 646

شمال افريقية 614

شيراز 407 - 687

ص

صعيد مصر 597

صفين 261 — 262 — 263 — 289 —

الصمان 615

صنعاء 257 — 473

سوار 313

الصين 539

ط

الطائف 209 — 268 — 279 — 351 —

480

طرابلس 554

ظ

ظفار 177

ع

عالية السافلة (نجد) 23

عدن 184

العراق 14 — 16 — 18 — 22 — 34 —

35 — 50 — 82 — 153 — 159 —

ليبييا 554
ليدن 595 — 647

م

المتحف البريطاني 595 — 596 — 613
المدائن 35 — 62 — 531 — 532
مدرسة الاسكندرية 542 — 545
المدينة 23 — 40 — 48 — 49 — 54
63 — 64 — 100 — 150 — 153
209 — 218 — 225 — 228
230 — 232 — 236 — 250
279 — 280 — 282 — 315
316 — 377 — 475 — 476
486 — 530

المربد 18 — 171 — 338 — 339
414 — 560 — 561
مرج راهط 316 — 317 — 318
319

ذو مرخ 271
مرة 251
مرو 361 — 367 — 368
المسجد الحرام 64
مصر 49 — 154 — 541 — 542
634 — 687 — 695

المعافر 184
المغرب 612
المغرب الاقصى 554
المكتبة الاهلية بباريس 614
مكة 18 — 35 — 48 — 49 — 52
91 — 126 — 152 — 153
207 — 210 — 213 — 217
219 — 229 — 230 — 236

قزوين 645
قطريل 398 — 415
القعاقيع 20 — 424 — 427
قنسرين 494

ك

كارزين (من اعمال فارس) 687
كدى ، وكداء (جبلان) 492
كربلاء 316
كرمان 302
الكعبة 189
الكناسة 300
الكوفة 17 — 18 — 46 — 48 — 49
50 — 52 — 53 — 62 — 80
81 — 91 — 150 — 153
154 — 159 — 165 — 172
261 — 262 — 263 — 289
300 — 302 — 303 — 315
316 — 327 — 338 — 339
360 — 368 — 374 — 388
389 — 390 — 393 — 394
396 — 397 — 398 — 399
413 — 414 — 415 — 448
469 — 471 — 477 — 493
512 — 517 — 571 — 582
663

ل

لاهور 677
لبنان 554
لعلع (اسم جبل) 177
لندن 595

هراة 615 — 616
همدان 177 — 645
الهند 383 — 544 — 677 — 687

و

وادی الحصبیب 687
وادی عوف 461
وادی النيل 554
واهب 392

ی

یترب 182 — 209 — 246 — 264
428 — 369
یذبل 20 — 324 — 327
الیمامة 41 — 42 — 203 — 265
478
الیمن 15 — 23 — 35 — 50 — 177
— 183 — 182 — 181 — 179
— 398 — 378 — 377 — 184
— 530 — 529 — 473 — 449
688 — 687

250 — 256 — 264 — 267
279 — 282 — 316 — 321
444 — 479 — 480 — 492
512 — 528 — 673 — 677
695

مشی 18 — 480
مناز کرد 611
الموصل 357 — 358 — 415 — 416
421 — 435
ميسان 18 — 529

ن

نجد 23 — 41 — 183 — 197 — 226
356 — 424 — 438 — 471
477 — 486 — 487 — 495
561 — 606 — 674
النحیت (مکان بالبصرة) 250
نعمان 280
نهر تستر 294
نیسا بور 525 — 577 — 588 — 626
632
ه
الهبیر 615

رابعاً- فهرس الموضوعات

9

تصدير

الباب الاول : القرآن الكريم

الفصل الاول : لماذا وضعنا القرآن الكريم اول مصادر الرواية 29 — 56

- 30 الامتحان العظيم
- 34 مدى خلوص عربية القرآن
- 39 العناية بالقرآن منذ اوحى به
- 40 القراء
- 41 جمع القرآن
- 44 جمع القرآن ايام عثمان
- 48 رواية القرآن

144 55 الفصل الثاني : العربية من خلال الشروح والقراءات

- 57 هل كان كل العرب يفهمون القرآن ويعلمون معانيه
- 61 في مجالس التفسير - التفسير بالمأثور
- 63 التفسير اللغوي

ابن عباس : كتاب التفسير المنسوب لابن عباس .
(تنوير المقياس من تفسير ابن عباس) طرق روايته .
اوجه الارتياح في الكتاب . عوامل تكوين عقلية ابن

عباس 68

الشعر ، التعرف على لهجات القبائل ، والالفاظ القديمة 71

مجاز القرآن لأبي عبيدة : أسباب وضع الكتاب ، معنى
المجاز ، أنواعه ، الاختلاف حول الكتاب ، في البصرة ،
والكوفة .

82 معاني القرآن للفرأ : ظروف وضع الكتاب ، روايته ،
الاستطراد إلى شرح الأساليب العربية ، الإبدال ،
التضاد ، اختلاف لهجات الأحياء ، الذوق اللغوي ،
افتراض المشابهة ، التسليم للعرب .

93 تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة : سبب وضع الكتاب ،
العلاقة بين فهم القرآن ومعرفة العربية ، المسائل
اللغوية : المجاز ، والاستعارة ، المقلوب من أساليب
العرب ، التضاد ، أسلوب العرب في الاختصار ، زيادة
اللفظ أشباعاً للمعنى ، حجج الملاحدة ، ومناقشتها ،
تأويل المشكل ، أصول الكلمات ، حروف المعاني .

110 جامع البيان من تأويل آي القرآن للطبري :

الجمع بين التفسير بالمأثور ، والتفسير اللغوي ،
اعجاز القرآن ، وفضل المعنى ، مناقشة قدامى
اللغويين ، عنايته بالمفردات وبالأساليب وبالخصائص
اللغوية .

121 القراءات واللهجات :

القراءات ، طرق الأداء الصوتي - الإمالة ، والفتح
الهمز ، التميمية والحجازية .

130 فلسفة ابن جني في بعض القراءات الشاذة :

وجهة ابن جني ، بيان وجه العربية في القراءة الشاذة
المؤاخاة بين الحروف ، بيان المعاني في لهجات القبائل ،
بعض القراءات الشاذة أشد إفصاحاً بالعدل ، من

القراءة الفاشية وبيان ذلك . طريقة العرب فى حمل
ظاهر اللفظ على معناه .

الباب الثانى : الحديث ، كمصدر من مصادر اللغة

147 — 162	الفصل الاول : رواية الحديث
147	مدى العناية برواية الحديث
149	الاسناد
151	الجرح والتعديل
152	كتابة الحديث
154	رواية الحديث بالمعنى
156	التصحيح
159	الوضع

163 — 170	الفصل الثانى : موقف رواة اللغة من الحديث
	توقف اللغويين عن الاحتجاج بالحديث لشواذب الرواية
	النضر بن شميل يلحن هشيم بن بشير . أصحاب
	المعاجم يستعينون بالحديث . عزوف الاصمعى عن
	الخوض فيه : الفراء ، وسيبويه ، وابن قتيبة ، والقالى
	عن ابن الأنبارى ، وابن فارس يحتجون بالحديث .
	اعتراض ابن جماعة .

171 — 184	المفصل الثالث : ما افادته العربية من الحديث
	المحدثون يستعينون رجال اللغة . النضر ، وابو عبيدة ،
	وقطرب يؤلفون فى (غريب الحديث) . ابو عبيد
	يجمع غريب الحديث فى أربعين سنة ، وابن قتيبة على
	اثره . الهروى يجمع الفريين (غريب القرآن وغريب
	الحديث) . الزمخشري يؤلف (الفائق فى غريب
	الحديث) . ابن الاثير الجزرى وكتاب النهاية فى
	غريب الحديث والاثر . لهجات القبائل من خلال
	الحديث (بين اليمينية والزارية) .

الباب الثالث : الشعر

204 — 187

الفصل الاول : الشعر الجاهلي

دور الشعر والشاعر في الجاهلية . النقض وحكام
الشعر . تأثر الشعراء بمعاني السابقين . الاسواق .
واذاعة اشعار القبائل .

198 تأريخ الشعر : رأى الاصمعى . رأى الجاحظ مناقشة الاراء

275 — 205

الفصل الثانى : الشعر فى صدر الاسلام

تمهيد

الشعر فى القرى . الهجرة الى المدينة . الشعر
الذى قيل فى بدر ، ويوم أحد . يوم الرجيع ،
ويوم بئر معونة . غدر اليهود . فى غزوة
الخنديق . من الوفود . فى اعراض مختلفة
تتصل بالدعوة .

241

الشعر فى عصر الراشدين

198

الشعر فى البادية

شعر الاعشى ، قصة عامر بن الطفيل
تحليل لقصيدة كعب بن زهير

273

الصعلكة كصورة بدوية

332 — 277

الفصل الثالث : الشعر فى العصر الاموى

277

تمهيد

278

شعر الفزل فى الحجاز

282

الشعر فى العراق

285

الهجاء

289

الخواارج

296

الشيعة

302

الشعوبية

313

الشعر السياسى

315

الاختلاف حول البيعة ليزيد

322

مناقشة ابن سلام الجمحي

333 — 420

الفصل الرابع : اتجاهات الرواة

334

أبو عمرو بن العلاء :

تضييق دائرة الاحتجاج - تفضيله للمجاهليين -
اعرابية الشاعر وقربه من البادية الفصيحة -
تفضيله لدى الرمة - لماذا آخر الاخطل .

341

الاصمعي :

تمرسه بالشعر . صخبته لخلف الاحمر .
موازين الشعر عنده . تفضيله للقدامى . بشار
خاتمة الشعراء عنده . الاصمعي يحتج بالاختل
وجريز والفرزدق والراعي . قد يعيب الاعرابي
القح لاسباب اثرت في سليقته ، وقد يطمئن
لرجل من الموالى نشأ وعاش في البادية . نقده
لدى الرمة وأبي النجم . الاصمعي يستدرك على
شعر لزهير ، وامرئ القيس . رأيه في صيغة
فعل وافعل .

أبو عبيدة : نزعته العقلية ، استشهاده بزياد الاعجم ، تخريج
ذلك ، الشعر في كتاب الخيل ومقارنة مع كتاب الاصمعي

372

أبو زيد : كتاب النوادر

381

الصف الثاني في البصرة ، وعنايته بالشعر

390

الشعر في الكوفة : وفرته بها ، واسباب ذلك . حماد

الراوية ، برج العروضي ، أبو عمرو الشيباني

توثيق اللغة في الكوفة

400

ابن جني كصورة بغدادية

421

شعراء فى ميزان الرواية :

عدى بن زيد وابو دؤاد الإيادى ، ابن أحمر
الباهلى ، أمية بن أبى الصلت ،

430

شعراء اسلاميون :

بشار بن برد ، ابو نواس ، ابن قيس الرقيات

437

هنات حول مبنى الشعر

الباب الرابع : العربى والمغرب من الكلام

455

كلام الاعراب ومكانه فى مصادر العربية

456

دور الاعراب فى البصرة

الاصمعى وابو زيد يلحان فى سؤال الاعراب ،
ابو عمرو بن العلاء يجلس شبيل بن عزرة الضبعى
ويتلطف فى سؤال اعرابى محسوم عن اشتقاق
اسم الخيل ، المنتجع يتكلم بلهجة بنى تميم ،
وابو مهدية على لهجة الحجازيين ، ابو الوجيه
العكلى يتكلم فى خصائص البادية ، اتهام ذى
الرمة بالتحضر ، الاعراب حول حلقات الدرس ،
لين الاعراب وفساد سليقتهم يطول مكثهم فى
الحضر ، علماء الرواية يكشفون سقطهم ، اعلان
الرواة الاعراب عن بداوتهم كرد فعل لظهور زيفهم ،
حديث ام الهيثم ، الوجه الحضرى للاعراب ،
الاعراب يصطنعون التعليم والتأليف والوراقة .

469

اعراب الكوفة

471

اعراب بفساد

475

طلب العربية من المربد والبادية :

الاتجاه الى المرید . الرحلة الى البادية . امثلة
من رحلات الاصمعي . الوان من علم البادية .

528 — 489

الفصل الثاني : الامثال

- 489 دور الامثال فى اللغة
492 المصنفون فى الامثال
493 امثال العرب للمفضل الضبي
496 الامثال لابي فيد مؤرج السدوسي
503 الامثال لابي عبيد القاسم بن سلام
507 كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة
515 الامثال فى كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه
521 جمهرة الامثال لابي هلال العسكري
525 مجمع الامثال للميداني

554 — 529

الفصل الثالث : العرب والدخيل

- 529 اولا — قبل الاسلام وفى طوره الاول
برجستراسر يشير الى الدخيل فى كلام العرب .
صورة وقوعه على السن العرب كما تخيله العلامة
عبد القادر بن مصطفى المغربى . الفرق بين
العرب والدخيل : عند الجواليقى ، السيوطى ،
الشهاب الخفاجى ، وعبد القادر الجزائرى .
هل يجوز الاشتقاق من العرب ، مناقشة ما جاء
منه فى القرآن ، هل هو عربى ام معرب .

539

ثانيا — بعد الاسلام

- هل افلح السياج المضروب حول العربية .
توسيع دائرة العرب بسبب الديوان والترجمة .
تعريب الديوان . الترجمة . الخوارزمى يؤلف
(مفاتيح العلوم : للتعريف بالمصطلحات) المتكلمون
يستعينون بالاشتقاق ، والنحت ، والتعريب .
والمشتغلون بالطب . ورجال الفقه . آراء اللغويين

فى المغرب : سيبويه ، الزمخشري ، الحريري .
كلمة بهرج كصورة للتعريب .

الباب الخامس : جمع اللفظة

557 - 562 الفصل الاول : دواعى التعريف بالمفردات ، وبداية المعاجم

- 557 دواعى التعريف بالمفردات
558 الغريب والنوادر
560 جمع اللفظة فى وحدات متجانسة : الموضوعات ،
الصفات ، الغريب المصنف

563 الفصل الثانى : المعاجم

563 كتاب العين :

المنهج كما يحكيه الليث بن المظفر . ترتيب
الابواب : امارات الدخيل . مخارج الحروف
عند الخليل وسيبويه . كيف تلقى العلماء كتاب
العين . ابو حاتم يحكى ان النظر انكر نسبة
الكتاب للخليل . ابن دريد ، ونفطويه ، وابن
درستويه ، واحمد بن فارس ممن ينسبون الكتاب
للخليل . السيرافى ، وابو الطيب اللغوى . وابن
جنى يقولون ان الخليل بداه ولم يتمه . الكرملى .
وبراونلخ فى العصر الحديث ينسبون الكتاب
لليث . راي تعلقب . الكتاب للخليل فى مجموعه
لا فى جميعه . اتجاه ابن جنى . الآثار الفكرية
حول كتاب العين . تاثر العقلية البصرية عامة .
والخليل خاصة بالثقافات الاجنبية . هل الف
الخليل فائت العين . كيف استدرك عليه ابو
فيد ، والجهضمي ، والنضر . كتاب التكملة
للبيهقي . كتاب الحصائل لابي الازهر . مختصر
الزبيدي .

591

جمهرة اللغة :

ابن دريد ونشأته واستجابته لدعوة آل ميكال .
ملايسات وضع الجمهرة . ترتيب الجمهرة .
تعدد نسخ الجمهرة .

596

مقدمة لغوية ::

الحروف المستقلة بذاتها ، الحرف بين الحرفين
الحروف المصمتة ، والمدلفة ومخارجها ، حروف
الزوائد .

598

ملاحظ في كتاب الجمهرة :

يكتفى بذكر الشيء كما سمعه اذا لم يجد فيه
رأيا . ما جاء في ذلك من الاتباع ، وبعض روايات
الخليل وقد يصرح بأنه لا يدري صحته ، نظرت
الى الاضداد ، الشواهد ، الاستطراد ، الاحتجاج
بالحديث .

606

اللغات

609

المعرب والدخيل

609

المساهلة في ترتيب الكلمات

611

كتاب البارع

تعريف بأبي على القالى . كتاب البارع . العثور
على قطعتين من مخطوط البارع فيما يرجحه
أ. س. فلتن

615

تهذيب اللغة

نشأة الازهرى : وقوعه فى أسر القرامطة واثار ذلك ،
تعريفه بطبقات اللغويين ممن اعتمد عليهم ،
اسباب وضع الكتاب .

ترتيب التهذيب . صورة عامة . الاستثناس
بالحديث . رواية يحتاجون الى تعريف .

632

تاج اللغة وصحاح العربية

الجوهري والصحاح . ترتيب الصحاح .

صورة عامة :

الاستطراد . التماس المناسبة للكلام فى
المتشابه من الفرائد . البيان فى فعل وافعل .
ومن الفروق الدقيقة سببة وسببنة . الاخرم
والاخرى . الوثاجة والوثارة . الفروق فى
المعانى باختلاف المصادر . اللغات .
اختصار والايضاح أجود . مختار الصحاح .

645

احمد بن فارس وكتابا المقاييس والمجمل

تعريف بابن فارس

كتاب المقاييس : تأثر ابن فارس بالتهذيب فى
كتاب العين ، وبلاشتقاق فى كتاب ابن دريد .
مناقشة نظرية المقاييس . كتاب المجمل . ترتيب
الكتاب . وجهة نظر .

658

ابن سيده وكتابا المخصص والمحکم

تعريف بابن سيده . آثاره .

المخصص ولماذا اشرنا اليه : جمع اللفظة بحسب
الموضوعات . كتب الصفات وكتاب النظر بن
شميل . ابو عبيد القاسم بن سلام وكتاب
الغريب المصنف . ابن السكيت وكتاب الالفاظ .
الاسكافى وكتاب مبادئ اللفظة . ابن سيده
وكتاب المخصص .

المحكم والمحيط الاعظم : اشادة ابن سيده بنفسه
وحملته على القدامى . ترتيب الكتاب . ملاحظات
فى المتن . بيان الفروق الدقيقة والفرائد .
هناك حول المحكم : الاستطراد ، والنقل عن
السابقين من غير اشارة اليهم .

673 الزمخشري ، واسباس البلاغة

تعريف بالزمخشري ومؤلفاته . اسباب البلاغة ،
وجهته فى التأليف . نموذج من كتاب اسباب
البلاغة .

677 الصفاني والعباب

ترجمة الصفاني . التعريف بالعباب . منهج
المؤلف فيه . الصفاني يبين مراجعه ويتأني فى
ضبط الحديث . نموذج من العباب .

682 ابن منظور ، ولسان العرب

تعريف بابن منظور ، واللسان . مصادر الكتاب
وترتيبه . التصحيف فى لسان العرب .

687 الفيروزبادهى والقاموس

تعريف بالمؤلف والكتاب . دوافع وضع القاموس .
منهج الفيروزبادهى ، الاختصار . دراسات حول
القاموس . الشذيق وكتاب الجاسوس على
القاموس . تصحيح القاموس ، وتقرير
الزبيدي له .

695 الزبيدي وتاج العروس

تعريف بالزبيدي والتاج . عمل الزبيدي فى
التاج . هناك بسبب الجمع .

